حاشية فتح الجليل

ببيان

خفي أنوار التنزيل

حاشية الشيخ زكريا الأنصاري على تفسير البيضاوي

لشيخ الإسلام الشيخ زكريا الأنصاري الشافعي

رحمه الله تعالى

(٨٢٦-٩٢٦هـ)

تحقيق

السيد الشريف

أ. د. محمد فاضل جيلاني الحسني الحسيني التيلاني

الجزء الثالث

مركز جيلاني للبحوث العلمية والطبع والنشر

إسطنبول

حاشية فتح الجليل

ببيان

خفي أنوار التنزيل

الجزء الثالث

مركز جيلاني للبحوث العلمية والطبع والنشر

المركز الرئيسي إسطنبول

Algeylani Center Of Scientific Research

00902125117340ـ00905334866610

مدير التوزيع:

السيد فائق جيلاني: 00905379603434

حلب ـ سورية

مكتبة إسطنبولي: 00963933316794

القاهرة ـ مصر

هاتف: 00201111087778

Markaz al-Jilani Asia Tenggara
(Zawiyah Arraudhah)
- Jl. Tebet Barat VIII No.50, RT.9/RW.4, Tebet Bar., Kec. Tebet, Kota Jakarta Selatan, Daerah Khusus Ibukota Jakarta 12810
Tel: 006287788058845

أندونيسيا

Markaz al-Jilani Indonesia
- Pondok Pesantren Al-Falak Pagentongan-Bogor
KH Hakim Agus 00628128424608
Fachry 006282123580111

Markaz al-Jilani Indonesia
- Pondok Pesantren manbaus sholihin 61151
- Suci manyar Gresik Jatim Indonesia Post Code
Tel: 0062313958575
Handphone: 006285330046338

بيروت ـ لبنان

مركز الجيلاني ـ روضة الكتاب العربي

هاتف: 0096181932019

ISBN: 978-605-2058-12-1(tk)
978-605-2058-15-2(3.c)

من ذخائر التراث الإسلامي يطبع لأول مرة

الطبعة الأولى

1441هـ ـ 2020م

حاشية فتح الجليل

ببيان

خفي أنوار التنزيل

حاشية الشيخ زكريا الأنصاري على تفسير البيضاوي

لشيخ الإسلام الشيخ زكريا الأنصاري الشافعي

رحمه الله تعالى

(٨٢٦-٩٢٦هـ)

تحقيق

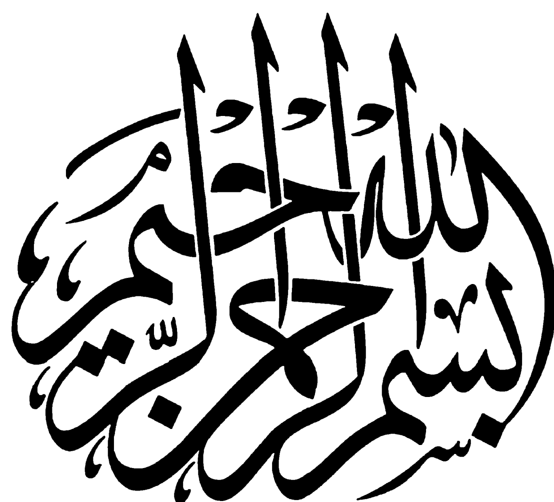
السيد الشريف

أ. د. محمد فاضل جيلاني الحسني الحسيني الجيلاني

الجزء الثالث

مركز جيلاني للبحوث العلمية والطبع والنشر

إسطنبول


بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ الأَنفَال

(٨) مدنية، وآياتها خمس وسبعون آية

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ①﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

① ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾؛ أي: الغنائم؛ يعني: حكمها، وإنما سميت الغنيمة نفلاً؛ لأنها عطية من الله وفَضْل، كما سمي به؛ ما يشرطه الإمام لمقتحم خطر: عطية له وزيادة على سهمه. ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾؛ أي: أمرها مختص بهما، يقسمها الرسول على ما يأمره الله به. وسبب نزوله: اختلاف المسلمين في غنائم بدر؛ أنها كيف تقسم؟ ومن يقسم: المهاجرون منهم أو الأنصار؟ وقيل: (شرط رسول الله ﷺ لمن كان له غناء أن ينفله؛ فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين، ثم طلبوا نفلهم ـ وكان المال قليلاً ـ فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات: كنا رِدْءاً لكم وفئة تنحازون إلينا، فنزلت؛ فقسمها رسول الله ﷺ بينهم على السواء). ولهذا قيل: لا يلزم الإمام أن يفي بما وعد؛ وهو قول الشافعي

[لأنها عطية من الله وفضل]؛ أي: تفضل الله بها على هذه الأمة دون غيرها كما قاله الإمام الرازي وغيره [سبب نزوله..] إلى آخره، رواه ابن حبان وغيره [وقيل: شرط رسول الله ﷺ لمن كان له غنى..] إلى آخره. رواه أبو داود وغيره وصححه الحاكم[1] وقوله: غنى بفتح المعجمة وبالمد «النفع» وقوله: «ردءاً»؛ أي: «عوناً»

---

(١) انظر: الفتح السماوي، المناوي [٢/ ٦٤٤/ برقم: ٥٢٨].

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾.

رحمه الله تعالى. وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: (لما كان يوم بدر؛ قتل أخي عمير، وقتلت به سعيد بن العاص وأخذت سيفه، فأتيت به رسول الله ﷺ واستوهبته منه، فقال: **ليس هذا لي ولا لك! اطرحه في القبض**، فطرحته؛ وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلبي، فما جاوزت إلا قليلاً حتى نزلت سورة الأنفال؛ فقال لي رسول الله ﷺ: **سألتني السيف وليس لي، وإنه قد صار لي! فاذهب فخذه**). وقرئ: (يسألونك عَلَّنْفَال) بحذف الهمزة، والفاء حركتها على (اللام)، وإدغام نون (عَنْ) فيها، و(يسألونك الأنفال)؛ أي: يسألك الشبان ما شرطت لهم فيها؟ ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في الاختلاف والمشاجرة. ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم أمره إلى الله والرسول. ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ فيه ﴿إِن﴾ فإن الإيمان يقتضي ذلك، أو إن كنتم كاملي الإيمان؛ فإن كمال الإيمان بهذه الثلاثة: طاعة الأوامر، والاتقاء عن المعاصي، وإصلاح ذات البين بالعدل والإحسان.

﴿٢﴾ - ﴿٤﴾ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: الكاملون في الإيمان ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا

[**وعن سعد بن أبي وقاص قال: لما كان يوم بدر**..] إلى آخره. رواه الإمام أحمد[١] وغيره وقوله: «قتلت به سعيد بن العاص» قال أبو عبيد: كذا فيه: سعيد بن العاص، والصواب: العاص بن سعيد. وقال شيخنا الشهاب ابن حجر: لم يقولوا: «وقتلت به»، وإنما قالوا: «وقتل به»؛ أي: بالبناء للمفعول، وإن كان السياق يقتضي الأول.

[**اطرحه في القبض**] هو بفتحتين ما قبض من الغنائم[٢].

---

(١) مسند أحمد [١/ ١٨٠/ برقم: ١٥٥٦].

(٢) المغرب في ترتيب المعرب، المطرزي [٢/ ١٥٦].

﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ٥﴾.

ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ فزعت لذكره استعظاماً له وتهيّباً من جلاله. وقيل: هو الرجل يهمُّ بمعصية فيقال له: اتق الله! فينزع عنها خوفاً من عقابه. وقرئ (وَجَلَتْ) بالفتح وهي لغة، و(فَرِقَتْ)؛ أي: خافت. ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ لزيادة المؤمن به، أو لاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الأدلة، أو بالعمل بموجبها وهو قول من قال: الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية؛ بناء على أن العمل داخل فيه. ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ يفوضون إليه أمورهم، ولا يخشون ولا يرجون إلا إيّاه.

٣ - ٤ ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ﴾ لأنهم حققوا إيمانهم؛ بأن ضموا إليه مكارم أعمال القلوب من الخشية والإخلاص والتوكل، ومحاسن أفعال الجوارح التي هي العيار عليها من الصلاة والصدقة، و(حَقّاً) صفة مصدر محذوف، أو مصدر مؤكد كقوله: (هو عبد الله حَقّاً). ﴿لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ كرامة وعلو منزلة. وقيل: درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم. ﴿وَمَغۡفِرَةٞ﴾ لما فرط منهم ﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ أُعِدَّ لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي أمده.

٥ ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ خبر مبتدأ محذوف تقديره:

[وقيل: هو الرجل يهم بمعصية] هو بضم الهاء؛ أي: يريدها وهو مقابل لقوله: «فزعت لذِكْرِه» والفرق بينهما أن الثاني مختص بمن يهمّ بالمعصية بخلاف الأول **[ومحاسن]** عطف على «مكان» **[هي العيار عليها]**؛ أي: المعيار عل مكارم أعمال القلوب.

[الصلاة والصدقة] بالنصب بدل من «محاسن» أو عطف بيان لها **[خبر مبتدأ محذوف..]** إلى آخره. ذكر كالزمخشري[1] في قوله: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/١٨٦].

هذه الحال في كراهتهم إياها كحال إخراجك للحرب في كراهتهم له، أو صفة مصدر الفعل المقدر في قوله: ﴿لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ﴾ [الأنفال: ١]؛ أي: الأنفال ثبتت لله والرسول عليه السلام ـ مع كراهتهم ـ ثباتاً مثل ثبات إخراجك ربك ﴿مِنۢ بَيۡتِكَ﴾؛ يعني: المدينة لأنها مُهَاجَرُه ومسكنه أو بيته فيها مع كراهتهم. ﴿وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ في موقع الحال؛ أي: أخرجك في حال كراهتهم، وذلك: (أنَّ عير قريش أقبلت من الشأم وفيها تجارة عظيمة، ومعها أربعون راكباً منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام؛ فأخبر جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ؛ فأخبر المسلمين؛ فأعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلّة الرجال، فلما خرجوا بلغ الخبر أهل مكة، فنادى أبو جهل فوق الكعبة: يا أهل مكة النجاء! النجاء! على كل صعب وذلول؛ عيركم وأموالكم إن أصابها محمد لن تفلحوا بعدها أبداً، وقد رأت قبل ذلك بثلاث ـ عاتكة بنت عبد المطلب ـ أن ملكاً نزل من السماء فأخذ صخرة من الجبل، ثم حلّق بها فلم يبق بيت في مكة إلا أصابه شيء منها، فحدثت بها العباس وبلغ ذلك أبا جهل فقال: ما يرضى رجالهم أن يتنبأوا حتى تنبأت نساؤهم! فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة، ومضى بهم إلى بدر ـ وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوماً في السنة ـ، وكان

﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ وجهين الرفع والنصب. قال التفتازاني: لا خفاء في أن الأوجه هو الرفع لأن الناصب بعيد، والفاصل كثير خارج عن الحد وجعل: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ﴾ داخلاً في حَيِّزِ (قُل) ليس بحسن الانتظام **[النجاء النجاء]**[1] بالمد الإسراع وهو مصدر منصوب بفعل مضمر؛ أي: أسرعوا الإسراع أو على الإغراء؛ أي: الزموا الإسراع **[على كل صعب وذلول]**؛ أي: أسرعوا مجتمعين ولا تقفن؛ لأن تختاروا للركوب ذلولاً دون صعب **[غيركم]**؛ أي: الزموها واحفظوها **[أقوالكم]** بدل من «غيركم» **[ثم حلَّق بها]**؛ أي: وما بها إلى فوق.

---

(١) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده [٣/ ٣٣٩].

رسول الله ﷺ بوادي ذَفِران فنزل عليه جبريل عليه السلام بالوعد بإحدى الطائفتين؛ إما العير وإما قريش، فاستشار فيه أصحابه فقال بعضهم: هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له إنما خرجنا للعير، فرد عليهم وقال: «**إن العير قد مضت على ساحل البحر، وهذا أبو جهل قد أقبل**»، فقالوا: يا رسول الله عليك بالعير وَدَعِ العدو، فغضب رسول الله ﷺ فقام أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فأحسنا، ثم قام سعد بن عبادة فقال: أنظر أمرك فامض فيه، فو الله لو سرت إلى عدن أَبْيَن ما تخلف عنك رجل من الأنصار، ثم قال مقداد بن عمرو: امض لما أمرك الله فإنّا معك حيثما أحببت؛ لأنّا لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: «**أشيروا عليَّ أيها الناس**»؟ وهو يريد الأنصار؛ لأنهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة أنهم برآء من ذمامه حتى يصل إلى ديارهم، فتخوف أن لا يروا نصرته إلا على عدو دهمه بالمدينة، فقام سعد بن معاذ فقال: لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «**أجل!**» قال: قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق،

[**فأحسنا**]؛ أي: الكلام وأمالاه إلى المضي إلى العدو.

[**عدن أبين**] مدينة معروفة باليمن و«أبين» بوزن «أبيض» رجل من حمْيَر «عدنَ بها»؛ أي: أقام، وقيل: أبين اسم قصبة بينها وبين عدن ثمانية فراسخ يجلب منها إلى عدن الفواكه والخضروات(١) [**براءا من ذِمامِه**]؛ أي: حرمته [**حتى يصل إلى ديارهم**]؛ أي: الأنصار يوضح ذلك قول «الكشاف» قالوا له حين بايعوه على العقبة: أنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا فإذا وصلت إلينا فأنت في ذِمامنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا(٢) [**وهمه**] بكسر الهاء وفتحها؛ أي: غشيه.

---

(١) انظر: النسبة إلى المواضع والبلدان، جمال الدين الحِمْيَري [١/ ٤٦٧].

(٢) الكشاف، الزمخشري [٢/ ١٨٨].

۞ ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ۝٦﴾.

وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا، وإنا لصُبُر عند الحرب، صُدُق عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقرّ به عينك، فَسِر بنا على بركة الله، فنشطه قوله ثم قال: «**سيروا على بركة الله تعالى وأبشروا؛ فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم**». وقيل: إنه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بدر قيل له: عليك بالعير، فناداه العباس وهو في وثاقه: لا يصلح فقال له: «**لِمَ**»؟ فقال: لأن الله وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك، فكره بعضهم قوله.

(٦) ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ﴾ في إيثارك الجهاد بإظهار الحق لإيثارهم تلقي العير عليه. ﴿بَعۡدَمَا تَبَيَّنَ﴾ أنهم ينصرون أينما توجهوا بإعلام الرسول عليه الصلاة والسلام. ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ﴾؛ أي: يكرهون القتال كراهة من يساق إلى الموت وهو يشاهد أسبابه، وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم؛ إذ روي أنهم كانوا رجالة وما كان فيهم إلا فارسان،

[**لو استعرضت بنا هذا البحر**]؛ أي: طلبت أن نقطعه عرضاً في صحبتك [**وقيل: «إنه ﷺ لما فرغ من بدر..»**] إلى آخره. رواه أحمد[1] والترمذي[2] وحسنه الحاكم وصححه[3] وقوله: «**في وَثَاقِه**» هو بفتح الواو وكسرها «**القيد**» وكان العباس رضي الله عنه حينئذ مأسوراً مقيداً [**لإيثارهم تلقي العير عليه**]؛ أي: على إظهار الحق [**وما كان فيهم إلا فارسان**] قيل: هما المقداد بن الأسود والزبير بن العوام

---

(١) مسند أحمد [١/٢٢٨/ برقم: ٢٠٢٢]. (٢) سنن الترمذي [٥/٢٦٩/ برقم: ٣٠٨٠].
(٣) مستدرك الحاكم [٢/٣٥٧/ برقم: ٣٢٦١].

۞ ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾.

وفيه إيماء إلى أن مجادلتهم إنما كانت لفرط فزعهم ورعبهم.

﴿٧﴾ - ﴿٨﴾ ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾ على إضمار (اذكر)، وإحدى ثاني مفعولي (يَعِدُكُمُ) وقد أبدل منها ﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾ بدل الاشتمال. ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ﴾؛ يعني: العير فإنه لم يكن فيها إلا أربعون فارساً؛ ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عَدَدِهِمْ وعُدَدِهِمْ، والشوكة الحدة؛ مستعارة من واحدة الشوك. ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾؛ أي: يثبته ويُعْلِيه. ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ الموحى بها في هذه الحال، أو بأوامره للملائكة بالإمداد، وقرئ (بكلمَتِه). ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ويستأصلهم، والمعنى: أنكم تريدون أن تصيبوا مالاً ولا تلقوا مكروهاً، والله يريد إعلاء الدين وإظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين. ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾؛ أي: يفعل ما فعل وليس بتكرير؛ لأن الأول: لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت، والثاني: لبيان الداعي إلى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصرة عليها. ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ ذلك.

[﴿إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾]؛ أي: العِير والنفير [**فإنه لم يكن فيها إلا أربعون فارساً**] لا يخفى أن الحصر لا دخل له في التعليل [**ويكرهون ملاقاة النفير**] كانت الكراهة لها من بعض الصحابة فلا يتوهم قدح في كبارهم والراسخين في مبايعة النبي ﷺ[1] [**وليس**]؛ أي: قوله: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ إلى آخره. [**بتكرير**]؛ أي: لقوله قبل: ﴿وَيُرِيدُ

---

(١) انظر: أحكام القرآن، الجصاص [٤/ ٢٢٥].

۞ ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

﴿٩﴾ - ﴿١٠﴾ ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ بدل من (إِذْ يَعِدُكُمُ) أو متعلق بقوله: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾، أو على إضمار (اذكر)، واستغاثتهم أنهم لما علموا أن لا محيص عن القتال أخذوا يقولون: أي رب انصرنا على عدوك أغثنا يا غياث المستغيثين، وعن عمر رضي الله تعالى عنه أنه ﷺ نظر إلى المشركين وهم ألف، وإلى أصحابه وهم ثلاثمائة، فاستقبل القبلة ومدَّ يديه يدعو: «**اللَّهُمَّ أنجز لي ما وعدتني، اللَّهُمَّ إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض**» فما زال كذلك حتى سقط رداؤه، فقال أبو بكر: يا نبي الله! كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك. ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم﴾ بأني ممدكم، فحذف الجار وسلط عليه الفعل، وقرأ أبو عمرو بالكسر على إرادة القول، أو إجراء (استجاب) مجرى (قال) لأن الاستجابة من القول. ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ متبعين المؤمنين،

اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ [واستغاثتهم] بالرفع استئناف فهو مبتدأ خبره [أنهم لما علموا..] إلى آخره. [وعن عمر: «أنه ﷺ نظر إلى المشركين..»] إلى آخره. رواه مسلم وغيره(١) [وسلط عليه]؛ أي: على ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم﴾ [الفعل]؛ أي: استجاب.

[وقرأ أبو عمرو بالكسر]؛ أي: شاذاً فلو قال كـ«الكشاف»(٢): وعن أبي عمرو كان أولى بطريقته في مثل ذلك [متبعين المؤمنين..] إلى آخره. ملخصه: أن اتّبع مشدداً متعدٍّ إلى واحد ومخففاً إلى اثنين وأردف «أنني» بمعناهما ومفعول المشدد محذوف، وكذا مفعولا المخفف، فتقدر ما يصح به المعنى وقد ذكر لذلك أربع

---

(١) صحيح مسلم [٣/ ١٣٨٣/ برقم: ١٧٨٣]، سنن الترمذي [٥/ ٢٦٩/ برقم: ٣٠٨١].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٢/ ١٩٠].

۞ ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾.

أو بعضهم بعضاً من: (أردفته) إذا جئت بعده، أو متبعين بعضهم بعضاً، أو أنفسهم المؤمنين من: (أردفته إياه فردفه). وقرأ نافع ويعقوب: (مُرْدَفِينَ) بفتح الدال؛ أي: مُتَّبَعِين أو مُتَّبِعِين؛ بمعنى: أنهم كانوا مقدمة الجيش أو ساقتهم. وقرئ (مُرِدِّفِينَ) بكسر الراء وضمها وأصله (مُرْتَدِفِيْن) بمعنى (مُتَرَادِفِيْن) فأدغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان؛ فحركت الراء بالكسر على الأصل، أو بالضم على الاتباع. وقرئ (بآلاف) ليوافق ما في سورة (آل عمران)، ووجه التوفيق بينه وبين المشهور أن المراد بالألف الذين كانوا على المقدمة أو الساقة، أو وجوههم وأعيانهم، أو من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم؛ وقد روي أخبار تدل عليها. ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾ إلا بشارة لكم بالنصر. ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ﴾ فيزول ما بها من الوجل لقلّتكم وذلتكم. ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وإمداد الملائكة وكثرة العدد والأُهَب، ونحوها وسائط لا تأثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا منه بفقدها.

﴿١١﴾ ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ﴾ بدل ثان من ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ﴾ [الأنفال: ٧]

أوجه: الأوَّلان بتقدير المشدد والأخيران بتقدير المخفف[1] ولنذكرها بتفسيرها ليسهل فهمها فيقول قوله [متبعين]؛ أي: الملائكة بمعنى: تابعين [المؤمنين أو بعضهم] بالنصب؛ أي: أو بتبع الملائكة بعضهم [بعضاً] بأن يجعلوا بعضهم تابعاً بعضاً منهم [أو متبعين بعضهم بعضاً المؤمنين]؛ أي: أو يتبع الملائكة بعضهم بعضاً منهم المؤمنين [أو أنفسهم المؤمنين]؛ أي: أو الملائكة يتبعون أنفسهم المؤمنين وهذا وإن اتحد مع الأول معنى مغايراً له تقديراً ومأخذاً.

[وبين المشهور]؛ أي: من القراءات.

---

(١) عبارة: (فتقدر ما يصح به المعنى وقد ذكر لذلك أربع أوجه: الأوَّلان بتقدير المشدد والأخيران بتقدير المخفف) من نسخة [ز ـ ج ـ ب] ساقطة من نسخة [الأصل].

لإظهار نعمة ثالثة أو متعلق بـ(النصر)، أو بما في عند الله من معنى الفعل، أو بـ(جعل) أو بإضمار (اذكر). وقرأ نافع بالتخفيف من: (أغشيته الشيء إذا غشيته إياه)، والفاعل على القراءتين هو الله تعالى، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (يغشاكم النعاسُ) بالرفع. ﴿أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ أمناً من الله، وهو مفعول له باعتبار المعنى فإن قوله: ﴿يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ﴾ متضمن معنى: تنعسون، و(يغشاكم) بمعناه، و(الأَمَنَةً) فعل لفاعله، ويجوز أن يراد بها الإيمان فيكون فعل المغشي، وأن تجعل على القراءة الأخيرة فعل النعاس على المجاز لأنها لأصحابه، أو لأنه كان من حقه أن لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم؛ فكأنه حصلت له أمنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله:

يهاب النَّوْمُ أنْ يَغْشَى عُيُونا تَهَابُكَ فَهُوَ نَفَّارٌ شَرُودُ

وقرئ (أَمْنَة) كـ(رَحْمَة) وهي لغة. ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ من الحدث والجنابة. ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾؛ يعني: الجنابة لأنها من تخييله، أو وسوسته وتخويفه إياهم من العطش. روي: (أنهم نزلوا

[**وهو مفعول له باعتبار المعنى..**] إلى آخره؛ أي: لاشتراط أن يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحد ولا يتأتى ذلك إلا بهذا التقدير؛ أي: «تنعسون لأمنكم» [**والمنة فعل لفاعله**]؛ أي: لفاعل «تنعسون» فاتحد فيه فاعلاً الفعل والعلة [**ويجوز أن يراد بها**]؛ أي: «بالأمنة» على قراءة نصب النعاس كما صرح به «الكشاف»(١) [**الإيمان**] بمعنى: الأمان [**فيكون**]؛ أي: «الأَمَنة» بمعنى: الإيمان؛ أي: المراد به الأمان [**فعل المغشي**] فيتحد فيه الفاعلان أيضاً إذ «الإنعاس» و«الإيمان» بالمعنى المذكور فعله تعالى [**أو لأنه**]؛ أي: «النعاس» [**كقوله**:

يهاب النَّوْمُ أنْ يَغْشَى عُيُونا تَهَابُكَ فَهُوَ نَفَّارٌ شَرُودُ](٢)

«تهابك» صفة «عيون» وضمير «فهو» للنوم و«نفّار» صيغة مبالغة من نفرت الدابة نفاراً، وشروداً من شرد البعير، والمعنى: يخاف النوم أن يدخل عيون أعدائك فهو

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/١٩٢].
(٢) انظر: روح المعاني، الألوسي [٩/١٧٦].

۞ ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾.

في كثيب أغفر تسوخ فيه الأقدام على غير ماء، وناموا، فاحتلم أكثرهم، وقد غلب المشركون على الماء، فوسوس إليهم الشيطان وقال: كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وأنتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون أنكم أولياء الله؟ وفيكم رسوله؟ فأشفقوا فأنزل الله المطر، فمطروا ليلاً حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته، وسقوا الركاب، واغتسلوا، وتوضؤوا، وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الأقدام وزالت الوسوسة). ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ بالوثوق على لطف الله بهم. ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾؛ أي: بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل، أو بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة.

﴿١٢﴾ ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ﴾ بدل ثالث أو متعلق بـ(يُثَبِّتَ). ﴿إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ﴾ في إعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول (يُوحِي). وقرئ بالكسر على إرادة القول أو إجراء الوحي مجراه. ﴿فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالبشارة أو بتكثير سوادهم، أو بمحاربة أعدائهم فيكون قوله: ﴿سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ كالتفسير لقوله: ﴿أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟﴾، وفيه دليل على أنهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين؛ إما على تغيير الخطاب، أو

لذلك نفار شرود من شرد، والحاصل: أن إسناد «الأمنة» في الآية إسناد مجازي على طريقة التمثيل والتخيير كإسناد الخوف إلى النوم في البيت **[كثيب أعفر]**؛ أي: رمل أبيض تعلوه حمرة **[تسوخ فيه الأقدام]**؛ أي: تدخل وتغيب[1] **[وفيه دليل على أنهم]**؛ أي: الملائكة.

[جعل الخطاب فيه]؛ أي: في «فاضربوا» **[أما على تغيير الخطاب]** بأن يجعل

---

(١) انظر: معالم التنزيل، البغوي [٣/ ٣٣٤].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾.

على أن قوله: ﴿سَأُلْقِى﴾ إلى قوله: ﴿كُلَّ بَنَانٍ﴾ تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كأنه قال: قولوا لهم قوْلي هذا. ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ أعاليها التي هي المذابح أو الرؤوس. ﴿وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ أصابع؛ أي: جُزُّوا رقابهم واقطعوا أطرافهم.

﴿١٣﴾ - ﴿١٤﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الضرب أو الأمر به، والخطاب للرسول، أو لكل أحد من المخاطبين قبل. ﴿بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بسبب مشاقتهم لهما، واشتقاقه من الشقّ لأن كلّاً من المتعاديين في شق خلاف شق الآخر؛ كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب. ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ تقرير للتعليل، أو وعيد بما أعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا. ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع؛ أي: الأمر ذلكم، أو ذلكم واقع، أو نصب بفعل دل عليه. ﴿فَذُوقُوهُ﴾ أو غيره مثل (باشروا) أو (عليكم) فتكون الفاء عاطفة. ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ عطف على (ذلكم) أو نصب على المفعول معه، والمعنى: ذوقوا ما عجل لكم مع ما أجّل لكم في الآخرة. ووضع الظاهر فيه موضع الضمير؛ للدلالة على أن الكفر سبب العذاب الآجل أو الجمع بينهما. وقرئ (وَإِنَّ) بالكسر على الاستئناف.

الخطاب في «فثبتوا» للملائكة وفي «فاضربوا» للمؤمنين [وهو]؛ أي: كل من العُدوة والخصم [ذلكم **الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات**]؛ أي: من الغيبة في «شاقّوا» [**أو الجمع بينهما**]؛ أي: بين العاجل والآجل.

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ (١٥) وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ (١٦)﴾.

---

(١٥) ـ (١٦) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا﴾ كثيراً بحيث يرى لكثرتهم كأنهم يزحفون، وهو مصدر زحف الصبي إذا دبَّ على مقعده قليلاً قليلاً، سمي به وجمع على زحوف، وانتصابه على الحال. ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ﴾ بالانهزام ـ فضلاً أن يكونوا مثلكم أو أقل منكم ـ، والأظهر أنها محكمة مخصوصة بقوله: ﴿حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ﴾ الآية [الأنفال: ٦٥]، ويجوز أن ينتصب ﴿زَحۡفٗا﴾ على الحال من الفاعل والمفعول؛ أي: إذا لقيتموهم متزاحفين يدبون إليكم وتدبون إليهم فلا تنهزموا، أو من الفاعل وحده ويكون إشعاراً بما سيكون منهم يوم حنين؛ حتى تَوَلّوا وَهُم إثنا عشر ألفاً. ﴿وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ﴾ يريد الكرَّ بعد الفر، وتغرير العدو، فإنه من مكايد الحرب. ﴿أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ﴾ أو متحيزاً إلى فئة أخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم، ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر رضي الله عنهما: (أنه كان في سرية بعثهم رسول الله ﷺ

[سمي به]؛ أي: المصدر [**والأظهر أنها محكمة**]؛ أي: عامة [**مخصوصة بقوله حرض المؤمنين.. الآية**] مراده منها: قوله: «الآن خفف الله عنكم..» إلى آخره.

[**ويجوز أن ينتصب** ﴿زَحۡفٗا﴾..] إلى آخره. أشار قبل إلى أنه حال من المفعول، وجوز هنا كـ«الكشاف»[1] أن يكون حالاً من الفاعل أو منهما معاً [**روى ابن عمر** رضي الله عنهما: «**أنه كان في سرية..**»] إلى آخره. رواه بمعناه أبو داود[2] والترمذي وحسنه[3]، وقوله: «العَكَّارون» في نسخة «الكَرَّارُون» معناهما: المتعاطفون إلى الحرب يقال في الأول

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ١٩٥].
(٢) سنن أبي داود [٢/ ٥٢/ برقم: ٢٦٤٧].
(٣) سنن الترمذي [٤/ ٢١٥/ برقم: ١٧١٦].

۞ ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾.

ففروا إلى المدينة فقلت: يا رسول الله نحن الفَرَّارُون! فقال: «**بل أنتم العَكَّارُون وأنا فِئَتُكم**»). وانتصاب (متحرفاً) و(متحيزاً) على الحال وإلا لغو لا عمل لها، أو الاستثناء من المولين؛ أي: إلا رجلاً متحرفاً أو متحيزاً، ووزن (متحير) متفيعل لا متفعل؛ وإلا لكان متحوزاً لأنه من: (حاز يحوز). ﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ هذا إذا لم يزد العدو على الضعف لقوله: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ الآية [الأنفال: ٦٦]، وقيل: الآية مخصوصة بأهل بيته والحاضرين معه في الحرب.

﴿١٧﴾ - ﴿١٨﴾ ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ بقوتكم. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ بنصركم وتسليطكم عليهم وإلقاء الرعب في قلوبهم. روي: (أنه لما طلعت قريش من العقنقل قال ﷺ: «**هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك، اللَّهُمَّ إني أسألك ما وعدتني**» فأتاه جبريل وقال له: خذ قبضة من تراب فارمهم بها، فلما التقى الجمعان تناول كفاً من الحصباء فرمى بها في وجوههم وقال: «**شاهت الوجوه**»، فلم يبق مشرك إلا شغل بعينيه، فانهزموا

للرجل يولي عن الحرب ثم يكرّ راجعاً إليها عكر واعتكر قاله ابن الأثير[١].

[**وإلا لغو**]؛ أي: في اللفظ لا في المعنى، إذ المعنى: فلا تولوهم الأدبار في حال من الأحوال إلا متحرفاً للغو في اللفظ كما قال التفتازاني في حق إعراب ما بعدها بخلاف النصب على الاستثناء فإن «إلا» عامل، أو مشارك للعامل، أو واسطة في العمل [**أو الاستثناء من المولين**]؛ أي: الذين تضمنهم «من» [**من العقنقل**] هو الكثيب العظيم المتداخل الرمل قاله الجوهري[٢] [**شاهت الوجوه**]؛ أي: قبحت

---

(١) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير [٥/ ٣٩٢]. (٢) الصحاح، الجوهري [٢/ ٤٧].

وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم، ثم لما انصرفوا أقبلوا على التفاخر فيقول الرجل: قتلت وأسرت، فنزلت). والفاء جواب شرط محذوف تقديره: إن افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم. ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ يا محمد رمياً توصله إلى أعينهم ولم تقدر عليه. ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾؛ أي: إذ أتيت بصورة الرمي. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ أتى بما هو غاية الرمي فأوصلها إلى أعينهم جميعاً حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم، وقد عرفت أن اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود منه. وقيل معناه: ما رميت بالرعب إذ رميت بالحصباء؛ ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم. وقيل: إنه نزل في طعنة طعن بها أُبي بن خلف يوم أُحد، ولم يخرج منه دم، فجعل يخور حتى مات. أو رمية سهم رماه يوم خيبر نحو الحصن فأصاب ابن أبي الحقيق على فراشه، والجمهور على الأول. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي (وَلكِنْ) بالتخفيف ورفع ما بعده في الموضعين. ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ لاستغاثتهم ودعائهم. ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيّاتهم وأحوالهم. ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارة إلى البلاء الحسن، أو القتل أو الرمي، ومحله الرفع؛ أي: المقصود أو الأمر ذلكم وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ معطوف عليه؛ أي: المقصود إبلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وإبطال حيلهم. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو (مُوهِّنُ) بالتشديد، وحفص ﴿مُوهِنُ كَيْدِ﴾ بالإضافة والتخفيف.

[**والفاء جواب شرط محذوف**] رده ابن هشام بأن الجواب المنفي بلم لا يدخل عليه الفاء [**وقد عرفت أن اللفظ يطلق على المسمى**] كما هو الغالب ومنه هنا «رميت» الثاني [**وعلى ما هو كماله والمقصود منه**] ومنه هنا «رميت» الأول ورمى الثاني(١)

---

(١) في نسخة [ز ـ ج]: (الثالث).

۞ ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿١٩﴾ ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾ خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم، وذلك: (أنهم حين أرادوا الخروج تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا: اللَّهُمَّ انصر أعلى الجندين، واهدي الفئتين، وأكرم الحزبين). ﴿وَإِن تَنتَهُواْ﴾ عن الكفر ومعاداة الرسول ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين. ﴿وَإِن تَعُودُواْ﴾ لمحاربته. ﴿نَعُدْ﴾ لنصرته عليكم. ﴿وَلَن تُغْنِيَ﴾ ولن تدفع. ﴿عَنكُمْ فِئَتُكُمْ﴾ جماعتكم. ﴿شَيْئًا﴾ من الإغناء أو المضار. ﴿وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ فئتكم. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنصر والمعونة. وقرأ نافع وابن عامر وحفص ﴿وَأَنَّ﴾ بالفتح على تقدير: ولأن الله مع المؤمنين كان ذلك. وقيل: الآية خطاب للمؤمنين، والمعنى: إن تستنصروا فقد جاءكم النصر، وإن تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة عما يستأثره الرسول فهو خير لكم، وإن تعودوا إليه نعد عليكم بالإنكار أو تهييج العدو، ولن تغني حينئذٍ كثرتكم إذا لم يكن الله معكم بالنصر؛ فإنه مع الكاملين في إيمانهم ويؤيد ذلك.

﴿٢٠﴾ - ﴿٢١﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ﴾؛ أي: ولا تتولوا عن الرسول، فإن المراد من الآية الأمر بطاعته والنهي عن الإعراض عنه، وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على أن طاعة الله في طاعة

[و«أن» بالفتح على] تقدير [ولأن الله مع المؤمنين] هو تعليل لقوله: [كان ذلك]؛ أي: ما ذكر من النصر والمعونة.

[وقيل: الآية خطاب للمؤمنين] مقابل لقوله: «خطاب لأهل مكة»

۞ ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

الرسول لقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء: ٨٠] وقيل: الضمير للجهاد، أو للأمر الذي دل عليه الطاعة. ﴿وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ﴾ القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق. ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا﴾ كالكفرة والمنافقين الذين ادعوا السماع. ﴿وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ سماعاً ينتفعون به فكأنهم لا يسمعون رأساً.

﴿٢٢﴾ - ﴿٢٣﴾ ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ﴾ شر ما يدب على الأرض، أو شر البهائم. ﴿ٱلصُّمُّ﴾ عن الحق. ﴿ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ إياه، عدّهم من البهائم ثم جعلهم شرَّها؛ لإبطالهم ما مُيِّزُوا به وفُضِّلُوا لأجله. ﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا﴾ سعادة كتبت لهم أو انتفاعاً بالآيات. ﴿لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ﴾ سماع تفهم. ﴿وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ﴾ وقد علم أن لا خير فيهم. ﴿لَتَوَلَّواْ﴾ ولم ينتفعوا به، أو ارتدوا بعد التصديق والقبول. ﴿وَّهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ لعنادهم. وقيل: كانوا يقولون للنبي ﷺ: أحي لنا قصياً؛ فإنه كان شيخاً مباركاً حتى يشهد لك ونؤمن بك. والمعنى: لأسمعهم كلام قصي.

[وقيل: الضمير للجهاد] هو وما بعده مقابلان لقوله؛ أي: ولا تقولوا عن الرسول [كالكفرة والمنافقين] الكاف استقصائية [شر ما يدب على الأرض أو شر البهائم] الأول عرف اللغة، والثاني العرف العام [لا يعقلون إياها] المعنى: لا يعقلونه كما عبر به «الكشاف»[1] [﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا﴾] إلى آخره. جواب ما يقال: إن الاستدلال بالآية على هيئة قياس اقتراني، وهو لو علم أن فيهم خيراً لأسمعهم، ولو أسمعهم لتولوا، ينتج لو علم الله فيهم خيراً لتولوا وهذا محال؛ لأن الذي يحصل منهم بتقدير أن يعلم الله فيهم خيراً هو الانقياد لا التولي؟ وحاصل الجواب: أن

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ١٩٩].

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤﴾.

---

٢٤ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ بالطاعة. ﴿إِذَا دَعَاكُمۡ﴾ وحد الضمير فيه لما سبق، ولأن دعوة الله تسمع من الرسول. وروي: (أنه عليه السلام مرَّ على أُبَي وهو يصلي فدعاه فعجل في صلاته ثم جاء فقال: «**ما منعك عن إجابتي؟!**» قال: كنت أُصلي، قال: «**ألم تخبر فيما أوحي إلي**: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾». واختلف فيه، فقيل: هذا لأن إجابته لا تقطع الصلاة فإن الصلاة أيضاً إجابة. وقيل: إن دعاءه كان لأمر لا يحتمل التأخير وللمصلي أن يقطع الصلاة لمثله، وظاهر الحديث يناسب الأول. ﴿لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ من العلوم الدينية فإنها حياة القلب والجهل موته. قال:

لَا تُعْجِبَنَّ الجَهُولَ حُلَّتُه فَذَاكَ مَيتٌ وَثَوْبُهُ كَفَن

الوسط مختلف كما عرف بتقدير من كلام المصنف، وأجيب أيضاً: بأنه ليس المراد من الآية الاستدلال بل بيان السببية على الأصل في «لو»؛ أي: أن سبب انتفاء إسماعهم هو انتفاء العلم بالخبر فيهم، وحينئذ فالكلام قد تم عند قوله: ﴿لَأَسۡمَعَهُمۡۖ﴾، ويكون قوله: ﴿وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ﴾ كلاماً مستأنفاً؛ أي: أن التولي لازم بتقدير الإسماع فكيف بتقدير عدمه! فهو من قبيل لو لم يخف الله لم يعصه قد بسطت الكلام على ذلك في شرح اللب(١).

[لما سبق]؛ أي: في تفسير قوله: ﴿وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ﴾ [وروي: «**أنه عليه الصلاة والسلام مرَّ على أُبَيّ وهو يصلي..**»] إلى آخره. رواه الترمذي(٢) والنسائي(٣) من حديث أبي هريرة. [قال:

لا تُعْجِبَنَّ الجهولَ حلَّتُهُ فذاكَ مَيْتٌ وثَوبُهُ كَفَنُ]

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي [٦/ ٣٦٨].
(٢) سنن الترمذي [٥/ ١٥٥/ برقم: ٢٨٧٥].
(٣) سنن النسائي [٢/ ١٣٩/ برقم: ٩١٣].

﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥﴾.

أو مما يورثكم الحياة الأبدية في النعيم الدائم من العقائد والأعمال، أو من الجهاد فإنه سبب بقائكم إذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم، أو الشهادة لقوله تعالى: ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ تمثيل لغاية قربه من العبد؛ كقوله تعالى: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] وتنبيه على أنه مطلع على مكنونات القلوب مما عسى يغفل عنه صاحبها، أو حث على المبادرة إلى إخلاص القلوب وتصفيتها قبل أن يحول الله بينه وبين قلبه بالموت أو غيره، أو تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر إن أراد سعادته، وبينه وبين الإيمان إن قضى شقاوته. وقرئ (بين المَرّ) بالتشديد على حذف الهمزة وإلقاء حركتها على الراء، وإجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه. ﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ فيجازيكم بأعمالكم.

٢٥ ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾ اتقوا ذنباً يعمكم أثره؛ كإقرار المنكر بين أظهركم، والمداهنة في الأمر بالمعروف، وافتراق الكلمة، وظهور البدع، والتكاسل في الجهاد، على أن قوله: ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ إما جواب الأمر على معنى: إن أصابتكم لا تصيب الظالمين منكم

هو لأبي الطيب قاله التفتازاني [﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ **إما جواب الأمر..**] إلى آخره. تبع في أكثره «الكشاف»[1] واستشكل بأن الشرط المقدر لجواب الأمر يكون مضمون الأمر لا الجواب؛ مثل: «أسلم تدخل الجنة»؛ أي: إن تسلم تدخل الجنة، فيجب أن يكون التقدير هنا «إن تتقوا لا تصيبن الظالمين منكم خاصة بل تغمدكم[2]»

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٢٠١].

(٢) في نسخة [ز ـ ج ـ ب]: (يعمكم).

خاصة بل تعمكم، وفيه: أن جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾ [النمل: ١٨] وأما صفة لـ(فِتْنَةً)، و(لا) للنفي، وفيه شذوذ لأنَّ النون لا تدخل المنفي في غير القسم، أو للنهي على إرادة القول كقوله:

حَتَّى إذَا جَنَّ الظَّلامُ واختَلَط جَاءُوا بِمَذْقٍ هَلْ رَأيتَ الذِّئبَ قَطّ

وَإما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ: (لَتُصِيْبَنَّ) وإن اختلفا في المعنى، ويحتمل أن يكون نهياً بعد الأمر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم؛ فإن وَبَالَهُ يصيب الظالم خاصة ويعود عليه، و(مِن) في (منكم) على الوجوه الأُوَل:

وفساده بيِّنٌ، وأجيب بأنه على رأي الكوفيين حيث يقدرون ما يناسب الكلام ولا يلتزمون أن يكون المقدر من جنس الملفوظ، ففي مثل: «لا تدنُ من الأسد يأكلك» الإثبات: أي: «إن تدنُ يأكلك» وفي مثل: «اتقوا فتنة لا تصيبنكم» النفي؛ أي: «إن لم تتقوا تصبكم»[١] فالمصنف قد قدر شرطاً يستقيم به المعنى لا مضمون الأمر ولا نقيضه بل متردداً بينهما، فلا يتبين به كون المذكور وجواب الأمر، قلت: لكن الأوفق في مذهب الكسائي ويكون: ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ جواب الأمر إن يقدر: «إن لم تتقوا إلا تصيبن الظالمين فتنة»، وبه يتبين كون المذكور جواب الأمر، وقول المصنف: «لا تصيب الظالمين منكم»؛ أي: خاصة كما صرح بها «الكشاف»[٢] وظاهر النهي وإن كان للفتنة فالمراد نهي القوم عن التعرض للظلم الذي هو سبب إصابة الفتنة.

[**وفيه أن جواب الشرط متردد**] بين الوقوع وعدمه [**أو للنهي**] عطف على للنفي [**على إرادة القول**]؛ أي: مقول فيها «لا تصيبن» [**كقوله**:

حَتَّى إذَا جَنَّ الظَّلامُ واختَلَط جَاءُوا بِمَذْقٍ ....]

بفتح الميم وسكون المعجمة؛ أي: بلبن مخلوط بماء [**هل رأيت الذئب قط**][٣]؛ أي: مقول فيه ذلك، والغرض أن ما جاء به من اللبن المخلوط بالماء لونه كلون الذئب في كونه يضرب إلى الغبرة [**و«مِنْ» في «مِنْكُم» على الوجوه الأول**]؛

---

(١) انظر: اللباب في علل البناء والإعراب، العكبري [٢/ ٦٤].

(٢) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٢٠١]. (٣) أسرار البلاغة، الجرجاني [ص٢٥٣].

۞ ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾.

للتبعيض، وعلى الأخيرين: للتبيين، وفائدته: التنبيه على أن الظلم منكم أقبح من غيركم. ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿٢٦﴾ ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مكة يستضعفكم قريش، والخطاب للمهاجرين. وقيل: للعرب كافة؛ فإنهم كانوا أذلاء في أيدي فارس والروم. ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ كفار قريش، أو مَنْ عداهم؛ فإنهم كانوا جميعاً معادين لهم مضادين لهم. ﴿فَآوَاكُمْ﴾ إلى المدينة، أو جعل لكم مأوى تتحصنون به عن أعدائكم. ﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ﴾ على الكفار أو بمظاهرة الأنصار، أو بإمداد الملائكة يوم بدر. ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ من الغنائم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هذه النعم.

﴿٢٧﴾ ـ ﴿٢٨﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ بتعطيل الفرائض والسنن، أو بأن تضمروا خلاف ما تظهرون، أو بالغلول في المغانم. روي: أنه عليه السلام حاصر بني قريظة إحدى وعشرين ليلة، فسألوه الصلح كما

أي: وهي كون لا تصيبن جواب الأمر أو صفة لفتنة ولا نافية أو ناهية وعلى الأخيرين؛ أي: وهما كون لا تصيبن جواب قسم، أو نهياً بعد الأمر، والأوفق بكلام «الكشاف»(١) وعلى وجهي النهي؛ أي: كونه صفة أو مستقلاً [للتبيين] إذ المعنى: لا تتعرضوا للظلم فتصيب الفتنة الظالمين الذين هم أنتم بناء على ظلمكم [وفائدته]؛ أي: التبيين [وروي: «**أنه عليه الصلاة والسلام حاصر بني قريظة**..»] إلى آخره. رواه البيهقي(٢)، واسم أبي لبابة رفاعة بن عبد المنذر، وقوله: «أنه الذبح

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٢٠٢].
(٢) دلائل النبوة، البيهقي [٣/ ١٢٢].

صالح إخوانهم بني النضير على أن يسيروا إلى إخوانهم بأذرعات وأريحاء بأرض الشام، فأبى إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا! وقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة وكان مناصحاً لهم لأن عياله وماله في أيديهم، فبعثه إليهم فقالوا: ما ترى هل ننزل على حكم سعد بن معاذ؟ فأشار إلى حلقه أنه الذبح، قال أبو لبابة: فما زالت قدمايَ حتى علمتُ أني قد خنت الله ورسوله، فنزلت، فشد نفسه على سارية في المسجد وقال: والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله علي، فمكث سبعة أيام حتى خر مغشياً عليه، ثم تاب الله عليه فقيل له: قد تيب عليك فَحُلَّ نفسك! فقال: لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني، فجاءه فَحَلَّهُ بيده، فقال: إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من مالي، فقال عليه الصلاة والسلام: «**يجزيك الثلث أن تتصدق به**». وأصل (الخون): النقص كما أن أصل (الوفاء) التمام، واستعماله في ضد الأمانة لتضمنه إياه. ﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾ فيما بينكم، وهو مجزوم بالعطف على الأول أو منصوب على الجواب بالواو. ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنكم تخونون، أو وأنتم علماء تميزون الحسن من القبيح.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ لأنهم سبب الوقوع في الإثم أو العقاب، أو محنة من الله تعالى ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كأبي لبابة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ لمن آثر رضا الله عليهم،

يريد» أن حكم سعد هو القتل [**لتضمنه إياه**]؛ أي: لتضمن الخوف الذي هو نقيض ضد الأمانة.

[**بالعطف على الأول**]؛ أي: وهو قوله: ﴿لَا تَخُونُواْ﴾ [**أو منصوب على الجواب بالواو**]؛ أي: منصوب بأن مضمرة بعد الواو على جواب النهي؛ أي: لا تجمعوا بين الخيانتين كقوله: «لا تنه عن خلق وتأتي مثله»(١) [﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾] إلى آخره.

---

(١) انظر: الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس [ص٢٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ
سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

وراعى حدوده فيهم، فأنيطوا هممكم بما يؤديكم إليه.

﴿٢٩﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل، أو نصراً يفرق بين المحق والمبطل بإعزاز المؤمنين وإذلال الكافرين، أو مخرجاً من الشبهات، أو نجاة عما تحذرون في الدارين، أو ظهوراً يشهر أمركم ويبث صيتكم. من قولهم: بت أفعل كذا حتى سطع الفرقان؛ أي: الصبح. ﴿وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ ويسترها. ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ﴾ بالتجاوز والعفو عنكم. وقيل: السيئات الصغائر، والذنوب الكبائر. وقيل: المراد ما تقدم وما تأخر؛ لأنها في أهل بدر وقد غفرهما الله تعالى لهم. ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ تنبيه على أن ما وعده لهم على التقوى تفضل منه وإحسان، وأنه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد إذا وعد عبده إنعاماً على عمل.

﴿٣٠﴾ ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم، والمعنى: واذكر إذ يمكرون بك ﴿لِيُثۡبِتُوكَ﴾ بالوثاق، أو الحبس، أو الإثخان بالجرح، من قولهم: ضربه حتى أثبته لا حراك به ولا براح. وقرئ (لِيُثْبِتُوكَ) (لِيُثَبِّتُوكَ) بالتشديد و(لِيُبَيِّتُوك) من البيات، و(لِيُقَيِّدوكَ). ﴿أَوۡ يَقۡتُلُوكَ﴾ بسيوفهم. ﴿أَوۡ

أشار إلى أن «تعلمون» مفعوله إما مقدر أو غير مقدر بمنزلة اللازم [بما يؤديكم إليه]؛ أي: إلى رضى الله [ويبث صيتكم] بمثلثة؛ أي: ينشره، والصيت الذِّكْرُ الجميل الذي ينتشر في الناس، وهو واوي، وإنما قلبت واوه ياء لانكسار ما قبلها [حتى سطع]؛ أي: ظهر.

۞ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾.

يُخْرِجُوكَ﴾ من مكة؛ وذلك أنهم لما سمعوا بإسلام الأنصار ومبايعتهم، فَرِقُوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين في أمره، فدخل عليهم إبليس في صورة شيخ! وقال: أنا من نجد، سمعت اجتماعكم فأردت أن أحضركم، ولن تعدموا مني رأياً ونصحاً! فقال أبو البحتري: رأيي أن تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون إليه طعامه وشرابه منها حتى يموت، فقال الشيخ: بئس الرأي! يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم، فقال هشام بن عمرو: رأيي أن تحملوه على جمل فتخرجوه من أرضكم فلا يضركم ما صنع، فقال: بئس الرأي! يفسد قوماً غيركم ويقاتلكم بهم، فقال أبو جهل: أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاماً، وتعطوه سيفاً صارماً، فيضربوه ضربة واحدة، فيتفرق دمه في القبائل، فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم، فإذا طلبوا العقل عقلناه. فقال: صدق هذا الفتى! فتفرقوا على رأيه. فأتى جبريلُ النبيَّ ﷺ وأخبره الخبر وأمره بالهجرة، فبيّت علياً رضي الله تعالى عنه في مضجعه، وخرج مع أبي بكر رضي الله تعالى عنه إلى الغار ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ بِرَدِّ مكرهم عليهم، أو بمجازاتهم عليه، أو بمعاملة الماكرين معهم بأن أخرجهم إلى بدر، وقلل المسلمين في أعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا. ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ إذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره؛ وإسناد أمثال هذا إلى الله إنما يحسن للمزاوجة ولا يجوز إطلاقها ابتداء لما فيه من إيهام الذمِّ.

﴿٣١﴾ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ﴾

[واجتمعوا في دار الندوة] هي بمكة بناها قصي لينتدوا فيها؛ أي: ليجتمعوا فيها للمشاورة[1] [للمزاوجة]؛ أي: المشاكلة [ولا يجوز إطلاقها..] إلى آخره.

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد [١/ ٢٢٧].

۞ ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾.

هو قول النضر بن الحارث، وإسناده إلى الجميع إسناد ما فعله رئيس القوم إليهم؛ فإنه كان قاضيهم، أو قول الذين ائتمروا في أمره عليه السلام، وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم؛ إذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم أن يشاءوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين، ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سورة مع أَنَفِهِم وفرط استنكافهم أن يغلبوا خصوصاً في باب البيان. ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ما سطره الأولون من القصص.

﴿٣٢﴾ ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ هذا أيضاً من كلام ذلك القائل أبلغ في الجحود. روي: (أنه لما قال النضر: إنْ هذا إلَّا أساطير الأولين، قال له النبي ﷺ: «**ويلك إنه كلام الله**» فقال ذلك). والمعنى: إن كان هذا القرآن حقّاً منزلاً فأمطر الحجارة علينا عقوبة على إنكاره، أو ائتنا بعذاب أليم سواه، والمراد منه التهكم، وإظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلاً. وقرئ (الحقُّ) بالرفع على أن (هُوَ) مبتدأ غير فصل، وفائدة التعريف

اعترض بأنه لا يتعين في مثل ذلك المشاكلة بل يجوز أن يكون ذلك استعارة؛ لأن إطلاق المكر على إخفاء الله ما أعد لمن استوجبه أن جعل باعتبار أن صورته تشبه صورة المكر فاستعارة، أو باعتبار الوقوع في صحبته مكر العبد فمشاكلة، وعلى ذلك لا يحتاج كما قال الطيبي إلى وقوعه في صحبة مكر العبد، قال: ومنه قول الإمام علي: «من وسع عليه في دنياه ولم يعلم أنه مكر به فهو مخدوع في عقله»(١).

[وقوعهم بالعجز]؛ أي: عتقهم به [فلم يعارضوا سواه]؛ أي: سوى السيف، وفي نسخة: سورةً؛ أي: من القرآن [وفائدة التعريف فيه]؛ أي: في الحق

---

(١) ربيع الأبرار، الزمخشري [١/ ٢].

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

فيه؛ الدلالة على أن المعلق به كونه حقاً بالوجه الذي يدعيه النبي وهو تنزيله، لا الحق مطلقاً؛ لتجويزهم أن يكون مطابقاً للواقع غير منزل كأساطير الأولين.

﴿٣٣﴾ - ﴿٣٤﴾ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ بيان لما كان الموجب لإمهالهم والتوقف في إجابة دعائهم، و(اللام) لتأكيد النفي والدلالة على أن تعذيبهم عذاب استئصال والنبي بين أظهرهم خارج عن عادته، غير مستقيم في قضائه، والمراد باستغفارهم: إما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين، أو قولهم: اللَّهُمَّ غفرانك، أو فرضه على معنى: لو استغفروا لم يعذبوا كقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧]. ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك، وكيف لا يعذبون

[أن المعلق به] وهو القرآن [وهو بتنزيله]؛ أي: القرآن [أن يكون]؛ أي: القرآن [والنبي ﷺ بين أظهرهم] في محل الحال [خارج] خبر «أن» [عن عادته]؛ أي: عادة الله تعالى [في قضائه]؛ أي: حكمته والمعنى: أن اللام في ليعذبهم لتأكيد النفي، وللدلالة على أن تعذيبهم عذاب استئصال وأنت بين أظهرهم خارج عن عادة الله، وقضت حكمته أن لا يعذب قوماً عذاب استئصال ونبيهم بين أظهرهم، وفيه إشعار بأنهم مرصدون بالعذاب إذا هاجرت عنهم والدليل على هذا الإشعار قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٤].. إلى آخره[1].

[متى زال ذلك]؛ أي: ما يمنع تعذيبهم الآن وهو وجوده ﷺ بين أظهرهم أو

---

(١) انظر: أحكام القرآن، الجصاص [٤/٢٢٨].

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝٣٥﴾.

﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ وحالهم ذلك، ومن صدهم عنه إلجاء رسول الله ﷺ والمؤمنين إلى الهجرة، وإحصارهم عام الحديبية ﴿وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾ مستحقين ولاية أمره مع شركهم، وهو ردٌّ لما كانوا يقولون: نحن ولاة البيت والحرم؛ فنصد من نشاء، وندخل من نشاء. ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ من الشرك؛ الذين لا يعبدون فيه غيره، وقيل: الضميران لله ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن لا ولاية لهم عليه؛ كأنه نبّه بالأكثر أن منهم من يعلم ويعاند، أو أراد به الكل؛ كما يراد بالقِلَّةِ العدم.

٣٥ ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ﴾؛ أي: دعاؤهم أو ما يسمونه صلاة، أو ما يضعون موضعها. ﴿إِلَّا مُكَآءً﴾ صفيراً؛ (فُعَال) من: (مَكَا يمكو) إذا صفر. وقرئ بالقصر كـ(البُكَا) ﴿وَتَصْدِيَةً﴾ تصفيقاً؛ (تَفْعِلَة) من الصّدى، أو من الصدّ؛ على إبدال أحد حرفي التضعيف بالياء. وقرئ (صَلَاتَهِمْ) بالنصب على أنه الخبر المقدم، ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم للعذاب، أو عدم ولايتهم للمسجد؛ فإنها لا تليق بمن هذه صلاته. روي: (أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة ـ الرجال والنساء ـ مشبكين بين أصابعهم، يصفرون فيها ويصفقون). وقيل: (كانوا يفعلون ذلك إذا أراد النبي أن يصلي

الاستغفار [**وقرئ: «صلاتهم» بالنصب على أنه الخبر المقدم**] فيه دليل على كون خبر «كان» المقدم معرفة والاسم نكرة وهو جائز عند كثير كقول حسان:

.... **يـكـونُ مِـزَاجُـهـا عَـسَـلٌ ومَـاءُ**(١)

---

(١) البيت لحسان بن ثابت:

كـأنَّ سَـبِـيـئَـةً مِـنْ بـيـتِ رأسٍ يـكـونُ مـزاجُـهـا عَـسَـلٌ ومـاءُ

الكتاب، سيبويه [١/٤٩].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

يخلطون عليه ويرون أنهم يصلون أيضاً). ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾؛ يعني: القتل والأسر يوم بدر، وقيل: عذاب الآخرة، و(اللام) يحتمل أن تكون للعهد والمعهود: ﴿ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]. ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ اعتقاداً وعملاً.

﴿٣٦﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلاً من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر، أو في أبي سفيان استأجر ليوم أُحُد ألفين من العرب سوى من اجتاش من العرب، وأنفق عليهم أربعين أوقية، أو في أصحاب العير فإنه لما أصيبت قريش ببدر قيل لهم: أعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا تدرك منه ثأرنا؛ ففعلوا. والمراد بـ(سَبِيلِ اللهِ) دينه واتّباع رسوله. (فَسَيُنْفِقُونَها) بتمامها، ولعل الأول: إخبار عن إنفاقهم في تلك الحال؛ وهو إنفاق بدر، والثاني: إخبار عن إنفاقهم فيما يستقبل؛ وهو إنفاق أحد، ويحتمل أن يراد بهما واحد على أن مساق الأول: لبيان غرض الإنفاق، ومساق الثاني: لبيان عاقبته وإنه لم يقع بعد. ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ ندماً وغماً لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها تصير حسرة وهي عاقبة إنفاقها مبالغة. ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ﴾ آخر الأمر وإن كان الحرب بينهم سجالاً قبل ذلك. ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾؛ أي: الذين ثبتوا على الكفر منهم إذا أسلم بعضهم. ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ يساقون.

[من «استجاش»]؛ أي: اتخذه جيشاً **[وجعل ذاتها]**؛ أي: الأموال **[تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة]** قال التفتازاني: المراد: أنه من قبيل الاستعارة في المركب؛ حيث شبه كون عاقبة إنفاقها حسرة بكون ذاتها حسرة، وأطلق المشبه به على المشبه **[سجالاً]**؛ أي: مساجلة تارة لهم وتارة عليهم، وأصله المفاخرة في ملأ الدلو أو نحوه

۞ ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿٣٧﴾ - ﴿٣٨﴾ ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ الكافر من المؤمن، أو الفساد من الصلاح. و(اللام) متعلقة بـ(يُحْشَرُونَ) أو (يُغْلَبُونَ) أو ما أنفقه المشركون في عداوة رسول الله ﷺ مما أنفقه المسلمون في نصرته، و(اللام) متعلقة بقوله: ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ [الأنفال: ٣٦] وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب: (لِيُمَيِّز) من التمييز؛ وهو أبلغ من المَيْز. ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا﴾ فيجمعه، ويضم بعضه إلى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم، أو يضم إلى الكافر ما أنفقه ليزيد به عذابه كمال الكافرين. ﴿فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ﴾ كله. ﴿أُولَـٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى الخبيث لأنه مقدر بالفريق الخبيث أو إلى المنفقين. ﴿هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ الكاملون في الخسران لأنهم خسروا أنفسهم وأموالهم.

﴿٣٨﴾ ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾؛ يعني: أبا سفيان وأصحابه، والمعنى: قل لأجلهم ﴿إِن يَنتَهُوا۟﴾ عن معاداة الرسول عليه الصلاة والسلام بالدخول في الإسلام. ﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ من ذنوبهم، وقرئ بالتاء والكاف على أنه خاطبهم و(يَغْفِرُ) على البناء للفاعل وهو الله تعالى. ﴿وَإِن يَعُودُوا۟﴾

بأن يصنع مثل صنعه في جري أو سقي **[واللام]**؛ أي: على القولين المذكورين **[أو ما أنفقه]** عطف على قوله: «الكافر من المؤمن» **[واللام]**؛ أي: على هذا القول.

[كـ«مال الكافرين»]؛ أي: فإنهم يزدادون به عذاباً وإن لم ينفقوه في عداوته ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ﴾ [التوبة: ٣٥] الآية **[والمعنى: قل لأجلهم]** إنما قدر اللام بذلك لأنها لو كانت للتبليغ لقال: إن ينتهوا بالخطاب وجوز بعضهم أنها للتبليغ بمعنى: أنه أمر أن يقول لهم هذا المعنى الذي تضمنه

۞ ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾.

إلى قتاله. ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ الذين تحزبوا على الأنبياء بالتدمير كما جرى على أهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك.

﴿٣٩﴾ - ﴿٤٠﴾ ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ لا يوجد فيهم شرك. ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ وتضمحل عنهم الأديان الباطلة ﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾ عن الكفر. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيهم على انتهائهم عنه وإسلامهم. وعن يعقوب (تعملون) بالتاء على معنى: فإن الله بِمَا تَعْمَلُونَ من الجهاد والدعوة إلى الإسلام، والإخراج من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان بصير، فيجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة على أنه كما يستدعي إثابتهم للمباشرة يستدعي إثابة مقاتليهم للتسبب. ﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾ ولم ينتهوا. ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ﴾ ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم. ﴿نِعْمَ الْمَوْلَىٰ﴾ لا يضيع من تولاه. ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ لا يغلب من نصره.

﴿٤١﴾ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾؛ أي: الذي أخذتموه من الكفار قهراً. ﴿مِّن

ألفاظ الجملة المحكية بالقول سواء قاله بهذه العبارة أم غيرها[1] [ويكون تعليقه]؛ أي: تعليق: «فإن الله» من قوله: ﴿بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٣٩] على القراءة بالتاء الفوقية [بانتهائهم]؛ أي: بانتهاء الكفار عن كفرهم [على أنه]؛ أي: الانتهاء [كما يستدعي إثابتهم]؛ أي: المنتهين منهم [للمباشرة]؛ أي: لمباشرتهم الإيمان وتوابعه [مقاتليهم]؛ أي: المؤمنين [للتسبب]؛ أي: تسببهم في انتهاء الكفار عن

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٩/ ٢٤١].

شَيْءٍ﴾ مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط. ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ مبتدأ خبره محذوف؛ أي: فثابت أن لله خمسه. وقرئ (فإنَّ) بالكسر، والجمهور على أن ذكر الله للتعظيم كما في قوله: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢]. وأن المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ فكأنه قال: فأن لله خمسه يصرف إلى هؤلاء الأخصين به. وحكمه بعد باق؛ غير أن سهم الرسول ﷺ يصرف إلى ما كان يصرفه إليه من مصالح المسلمين كما فعل الشيخان رضي الله تعالى عنهما. وقيل: إلى الإمام. وقيل: إلى الأصناف الأربعة. وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى عنه: سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته؛ وصار الكل مصروفاً إلى الثلاثة الباقية. وعن مالك رضي الله تعالى عنه: الأمر فيه مفوض إلى رأي الإمام يصرفه إلى ما يراه أهم، وذهب أبو العالية إلى ظاهر الآية فقال: يقسم ستة أقسام ويصرف سهم الله إلى الكعبة لما روي: (أنه عليه الصلاة والسلام كان يأخذ قبضة منه فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة). وقيل: سهم الله لبيت المال. وقيل: هو مضموم إلى سهم

كفرهم بالجهاد وغيره [﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ مبتدأ خبره محذوف] تبع فيه الزمخشري(١) وعليه فالجملة خبر «أنَّ» في ﴿أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾ وأعرب أبو البقاء أن ذلك خبر مبتدأ محذوف وعليه فالجملة على حالها، وأعربه غيرهم خبر «أنَّ» في ﴿أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾ والفاء بكل تقدير مزيدة في الخبر لتضمن المبتدأ معنى الشرط ولا يضر دخول الناسخ عليه؛ لأنه لم يغير معناه **[وأن المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين]**؛ أي: على الله وهم المذكورون بقوله: ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ إلى آخره.

[كما فعله الشيخان]؛ أي: أبو بكر وعمر(٢) **[وعن مالك** رضي الله عنه: **الأمر مفوض فيه إلى الإمام..]** إلى آخره. ليتأمل الفرق بينه وبين قوله قبل وقيل: إلى الإمام ولعله

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/٢٠٩].

(٢) صحيح البخاري [٣/١١٢٦/ برقم: ٢٩٢٦].

الرسول. وذوو القربى: بنو هاشم، وبنو المطلب. لما روي أنه عليه الصلاة والسلام قسم سهم ذوي القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم: هؤلاء إخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم، أرأيت إخواننا من بني المطلب أعطيتهم وحرمتنا؛ وإنما نحن وهم بمنزلة، فقال عليه الصلاة والسلام: «**إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام وشبك بين أصابعه**». وقيل: بنو هاشم وحدهم. وقيل: جميع قريش الغني والفقير فيه سواء. وقيل: هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل. وقيل: الخمس كله لهم؛ والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص. والآية نزلت ببدر. وقيل: الخمس كان في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال على رأس عشرين شهراً من الهجرة. ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ متعلق بمحذوف دل عليه (وَاعْلَمُوا)؛ أي: إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا أنه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه إليهم واقتنعوا بالأخماس الأربعة الباقية، فإن العلم العملي إذا أمر به لم يرد منه العلم المجرد لأنه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل. ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمد

إنما ذكره لبيان قائله، و«الكشاف» لم يذكر ذلك على هذا الوجه [**روي**: «**أنه عليه الصلاة والسلام قسم سهم ذوي القربى..**»] إلى آخره. رواه أبو داود وغيره(١) [«**وإنما هم ونحن بمنزلة..**»](٢)؛ أي: لأن هاشماً والمطلب وعبد شمس ونوفل الأربعة أولاد عبد مناف ونسبه ﷺ ينتهي إليه؛ فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وأما عثمان فهو ابن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وأما جبير فهو ابن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف.

[**وقيل: هو مخصوص بفقرائهم**]؛ أي: بفقراء ذوي القربى [**من كان منهم**]؛ أي: من ذوي القربى [﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ **متعلق بمحذوف**]؛ أي: على أن

---

(١) سنن أبي داود [٢/١٦٢/برقم: ٢٩٨٠]، سنن النسائي [٧/١٢٨/برقم: ٤١٣٣].

(٢) صحيح البخاري [٣/١١٤٣/برقم: ٢٩٧١].

۞ ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾.

من الآيات والملائكة والنصر. وقرئ (عُبُدَنَا) بضمتين؛ أي: الرسول والمؤمنين. ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ يوم بدر فإنه فرق فيه بين الحق والباطل. ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِۗ﴾ المسلمون والكافرون. ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على نصر القليل على الكثير والإمداد بالملائكة.

﴿٤٢﴾ ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بدل من (يَوْمَ الْفُرْقَانِ)، والعدوة بالحركات الثلاث شط الوادي؛ وقد قرئ بها، والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب. ﴿وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ البعدى من المدينة، تأنيث الأقصى وكان قياسه قلب الواو ياء كالدنيا، والعليا تفرقة بين الاسم والصفة؛ فجاء على الأصل كالقود وهو أكثر استعمالاً من القصيا. ﴿وَٱلرَّكْبُ﴾؛ أي: العير أو قُوَّادها. ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْۚ﴾ في مكان أسفل من

المحذوف جزاء الشرط ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِۗ﴾] بدل من «يوم الفرقان» أو منصوب بـ«الفرقان»؛ لأنه مصدر [**بدل من** ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِۗ﴾]؛ أي: أو من «يوم التقى الجمعان» أو منصوب بـ«الفرقان» أو بـ«اذكروا» مقدر، والعدوة الدنيا مما يلي المدينة والقصوى مما يلي مكة[1] [**تفرقة بين الاسم والصفة**]؛ أي: فإنه يقلب في الاسم دون الصفة على الأكثر، وقيل: بالعكس، وعلى الأول «القصوى» وإن كانت صفة «للعدوة» في الآية كـ«الدنيا» لكن غلب عليهما الإسمية لترك الوصف بهما في أكثر الاستعمالات كما قاله ابن جني، فـ«القصوى» بالواو على القولين شاذة نظراً إلى اسميتها في الأول وإلى وصفيتها في الثاني، ومثال الصفة الخالصة: «حلوى» تأنيث الأحلى فهي بالواو مقيسة على الأول شاذة على الثاني ومثلاً الاسم الخالص

---

(١) انظر: إملاء ما منَّ به الرحمٰن، العكبري [٧/٢].

مكانكم؛ يعني: الساحل، وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر، والجملة حال من الظرف قبله، وفائدتها الدلالة على قوة العدوّ، واستظهارهم بالركب، وحرصهم على المقاتلة عنها، وتوطين نفوسهم على أن لا يخلوا مراكزهم، ويبذلوا منتهى جهدهم، وضعف شأن المسلمين والتياث أمرهم واستبعاد غلبتهم عادة؛ ولذا ذكر مراكز الفريقين؛ فإن العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الأرجل ولا يمشي فيها إلا بتعب، ولم يكن بها ماء، بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَـٰدِ﴾؛ أي: لو تواعدتم أنتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم أنتم في الميعاد هيبة منهم، ويأساً من الظفر عليهم؛ ليتحققوا أن ما اتفق لهم من الفتح؛ ليس إلا صنعاً من الله خارقاً للعادة فيزدادوا إيماناً وشكراً. ﴿وَلَـٰكِن﴾ جمع بينكم على هذه الحالة من غير ميعاد. ﴿لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ حقيقاً بأن يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه. وقوله: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ بدل منه، أو متعلق بقوله: ﴿مَفْعُولًا﴾ والمعنى: ليموت من يموت عن بينة عاينها، ويعيش

«حُزْوى» اسم مكان فهو بالواو شاذ على الأول مقيس على الثاني(١) [والجملة حال]؛ أي: وكذا الجملة قبلها، فـ«الواو» و«إنَّ» فيهما حاليتان [من الظرف قبله]؛ أي: وهو ﴿إِذْ أَنتُم﴾ وقال بعضهم: الأحسن أنهما عاطفتان على «أنتم».

[وفائدتها]؛ أي: فائدة الجملة **[على المقاتلة عنها]**؛ أي: عن العِيْر **[وضعف شأن المسلمين]** عطف على قوة العدو **[والتياث أمرهم]** الالتياث بالتاء والمثلثة الاختلاط والالتفات، قاله الجوهري(٢) **[وكذا ذكر مراكز الفريقين]** أشار به وبقوله: «بعدو» كذا(٣) قوله: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَـٰدِ﴾ [الأنفال: ٤٢] إلى أن فيهما الفائدة المذكورة في قوله: ﴿وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ **[بدل منه أو متعلق بقوله: «مفعولاً»]** زاد أبو البقاء: أو بقوله: «ليقضي» **[والمعنى: ليموتَ من يموتُ عن بيِّنَةٍ عاينها..]** إلى آخره.

---

(١) انظر: المخصص، ابن سيده [٤/ ٤٧٧]. (٢) الصحاح، الجوهري [٢/ ١٥٣].
(٣) في نسخة [ز ـ ب]: (بعد وكذا).

۞ ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾.

عن حجة شاهدها؛ لئلا يكون له حجة ومعذرة، فإنَّ وقعة بدر من الآيات الواضحة. أو ليصدر كُفْرُ مَنْ كَفَرَ وإيمان من آمن عن وضوح بينة؛ على استعارة الهلاك والحياة للكفر والإسلام، والمراد بمن هلك ومن حيَّ المشارف للهلاك والحياة، أو مَنْ هذا حالهُ في علم الله وقضائه. وقرئ (ليَهْلَكَ) بالفتح، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر ويعقوب (مَنْ حَيِيَ) بفك الإدغام للحمل على المستقبل. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ بكفر من كَفر وعقابه، وإيمان من آمن وثوابه، ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الأمرين على القول والاعتقاد.

﴿٤٣﴾ - ﴿٤٤﴾ ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ مقدر بـ(اذكر) أو بدل ثان من (يوم الفرقان)، أو متعلق بـ(عليم)؛ أي: يعلم المصالح إذ يقللهم في عينك في رؤياك؛ وهو أن تخبر به أصحابك فيكون تثبيتاً لهم وتشجيعاً على عدوهم. ﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ﴾ لجبنتم. ﴿وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ في أمر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار. ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾ أنعم بالسلامة من الفشل والتنازع ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ يعلم ما سيكون فيها وما يغير أحوالها. ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ

المراد من مدخول «عن» في الجملتين واحد، وغاير بينهما لفظاً يقيناً واستهجاناً للتكرار لفظاً.

[والمراد بمن هلك ومن حيّ]؛ أي: على القول الثاني [بدل من ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾]؛ أي: أو من ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ أو من ﴿إِذْ أَنتُم﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

قَلِيلًا﴾ الضميران مفعولا (يُري)، و(قَلِيلاً) حال من الثاني، وإنما قلَّلهم في أعين المسلمين ـ حتى قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لمن إلى جنبه: أتراهم سبعين؟ فقال: أراهم مائة ـ تثبيتاً لهم وتصديقاً لرؤيا الرسول ﷺ. ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ حتى قال أبو جهل: إن محمداً وأصحابه أَكَلَةُ جزور، وقللهم في أعينهم قبل التحام القتال ليجترئوا عليهم ولا يستعدوا لهم، ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم، وهذا من عظائم آيات تلك الوقعة؛ فإن البصر وإن كان قد يرى الكثير قليلاً، والقليل كثيراً؛ لكن لا على هذا الوجه، ولا إلى هذا الحد، وإنما يتصور ذلك بصد الله الأبصار عن إبصار بعض دون بعض مع التساوي في الشروط. ﴿لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ كرره لاختلاف الفعل المعلل به، أو لأن المراد بالأمر ثَمَّةَ: الاكتفاء؛ على الوجه المحكي، وههنا إعزاز الإسلام وأهله، وإذلال الإشراك. ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾

﴿٤٥﴾ ـ ﴿٤٦﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ حاربتم جماعة،

[فقال: أراهم مائة] لعله على القول الأول زاد «الكشاف»: «فأسرنا رجلاً منهم فقلنا: كم كنتم؟ فقال: ألفا»(١) [أَكَلَةُ جزور] جمع «آكِل»؛ أي: قليل يشبعهم جزور واحد يضرب مثلاً في القلة والأمر الذي لا يعبأ به [في الشروط]؛ أي: شروط الرواية عادة [لاختلاف الفعل المعلل به]؛ أي: بقوله: ﴿لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ إن الفعل المعلل به أو لاجتماعهم بغير ميعاد، وثانياً تقليل المؤمنين قبل الالتحام ثم تكثيرهم في أعين الكفار [أو لأن المراد بالأمر ثم الاكتفاء على الوجه المحكي]؛

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٢١٣].

۞ ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾.

ولم يصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار، واللقاء مما غلب في القتال. ﴿فَٱثْبُتُوا۟﴾ للقائهم. ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره. ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة، وفيه تنبيه على أن العبد ينبغي أن لا يشغله شيء عن ذكر الله، وأن يلتجئ إليه عند الشدائد، ويقبل عليه بشراشره؛ فارغ البال، واثقاً بأن لطفه لا ينفك عنه في شيء من الأحوال. ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟﴾ باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر، أو أُحُد. ﴿فَتَفْشَلُوا۟﴾ جواب النهي. وقيل: عطف عليه ولذلك قرئ: ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ بالجزم، والريح مستعارة للدولة من حيث إنها في تمشي أمرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها. وقيل: المراد بها الحقيقة؛ فإن النصرة لا تكون إلا بريح يبعثها الله، وفي الحديث «**نُصِرْتُ بالصَّبَا وأُهْلِكَتْ عادٌ بالدَّبُور**». ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ بالكلاءة والنصرة.

﴿٤٧﴾ ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم﴾؛ يعني: أهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير ﴿بَطَرًا﴾ فَخراً وأَشَراً. ﴿وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ ليثنوا عليهم

يعني: أن المقصود: ثم إنه تعالى فعل تلك الأفعال ليحصل استيلاء المؤمنين على المشركين على وجه يكون معجزة دالة على صدق الرسول [**ولم يصفها**]؛ أي: بالكفر [**جواب النهي**]؛ أي: فيكون منصوباً [**وقيل: عطف عليه**]؛ أي: فيكون مجزوماً [**والريح مستعارة للدولة**] شبهها في نفوذ أمرها بالريح ثم أدخل المشبه في جنس المشبه به ادعاء وأطلق اسم المشبه به على المشبه [«**نُصِرْتُ بالصَّبَا وأُهْلِكَتْ عادٌ بالدَّبُور**»] رواه الشيخان(١) [**بالكِلاء**] بكسر الكاف والمد؛ أي: «الحفظ»

(١) صحيح البخاري [١/ ٣٥٠/ برقم: ٩٨٨]، صحيح مسلم [٢/ ٦١٧/ برقم: ٩٠٠].

۞ ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾.

بالشجاعة والسماحة، وذلك: (أنهم لما بلغوا الجحفة وافاهم رسول أبي سفيان؛ أن ارجعوا فقد سَلِمَت عيرُكم؛ فقال أبو جهل: لا والله! حتى نقدم بدراً، ونشرب فيها الخمور، وتعزف علينا القينات، ونطعم بها من حضرنا من العرب)؛ فوافوها، ولكن سقوا كأس المنايا وناحت عليهم النوائح، فنهى المؤمنين أن يكونوا أمثالهم بطرين مرائين، وأمرهم بأن يكونوا أهل التقوى والإخلاص من حيث أن النهي عن الشيء أمر بضده. ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ معطوف على (بطراً)؛ إن جعل مصدراً في موضع الحال، وكذا إن جعل مفعولاً له؛ لكن على تأويل المصدر. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ فيجازيكم عليه.

﴿٤٨﴾ ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ مقدر بـ(اذكر). ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾ في معاداة الرسول ﷺ وغيرها بأن وسوس إليهم. ﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾ مقالة نفسانية والمعنى: أنه ألقى في روعهم وخيل إليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم، وأوهمهم أن اتباعهم إياه ـ فيما يظنون أنها قربات ـ مجير لهم! حتى قالوا: اللَّهُمَّ انصر أهدى الفئتين وأفضل الدينين، و(لكم) خبر لِـ(غالب) أو صفته، وليس صلته؛ وإلا لانتصب كقولك: لا ضارباً زيداً عندنا. ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ﴾؛ أي: تلاقى الفريقان. ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ رجع القهقرى؛ أي: بطل كيده، وعاد ما خيل إليهم أنه مجيرهم سبب هلاكهم. ﴿وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾؛ أي: تبرأ منهم، وخاف عليهم، وأيس من حالهم؛ لما رأى إمداد الله المسلمين بالملائكة، وقيل: لما اجتمعت قريش

[ونعزف] «العزف»: اللعب بالمعازف وهي الدفوف وغيرها مما يضرب به قاله ابن

۞ ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾.

على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الإحنة وكاد ذلك يثنيهم، فتمثل لهم إبليس بصورة سراقة بن مالك الكناني وقال: لَا غَالِبَ لَكُمُ اليوم، إني مجيركم من بني كنانة، فلما رأى الملائكة تَنْزِل نكص، وكان يده في يد الحرث بن هشام فقال له: إلى أين؟! أتخذلنا في هذه الحالة؟! فقال: إني أرى ما لا ترون، ودفع في صدر الحارث، وانطلق، وانهزموا؛ فلما بلغوا مكة قالوا: هزم الناس سراقة! فبلغه ذلك فقال: والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم! فلما أسلموا علموا أنه الشيطان. وعلى هذا يحتمل أن يكون معنى قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ إني أخافه أن يصيبني بمكروه من الملائكة، أو يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود؛ إذ رأى فيه ما لم ير قبله، والأوَّل ما قاله الحسن واختاره ابن بحر. ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ يجوز أن يكون من كلامه، وأن يكون مستأنفاً.

﴿٤٩﴾ ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ والذين لم يطمئنوا إلى الإيمان بعد، وبقي في قلوبهم شبهة. وقيل: هم المشركون. وقيل: المنافقون. والعطف لتغاير الوصفين. ﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ﴾ يعنون المؤمنين ﴿دِينُهُمْ﴾ حتى تعرضوا لما لا يد لهم به، فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر إلى زهاء ألف ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ جوابٌ لَهُم. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب: لا يذل من استجار به وإن قلَّ، ﴿حَكِيمٌ﴾ حَكِيمٌ: يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن إدراكه.

الأثير وغيره[١] [من الإِحْنَةِ]؛ أي: الحقد [يثنيهم]؛ أي: يردهم [يعنون]؛ أي: المنافقون والذين في قلوبهم مرض.

(١) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير [٥/٣١٨].

۞ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾.

﴿٥٠﴾ - ﴿٥١﴾ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ ولو رأيت فإن (لو) تجعل المضارع ماضياً عكس (إن) ﴿إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ ببدر، و(إذ) ظرف (ترى) والمفعول محذوف؛ أي: ولو ترى الكفرة، أو حالهم حينئذ، و(الملائكة) فاعل (يتوفى) ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء، ويجوز أن يكون الفاعل ضمير (الله ﷻ) وهو مبتدأ خبره ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾ والجملة حال من (الذين كفروا)، واستغنى فيه بالضمير عن الواو وهو على الأول حال منهم، أو من (الملائكة)، أو منهما؛ لاشتماله على الضميرين. ﴿وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ ظهورهم أو أستاههم، ولعل المراد تعميم الضرب؛ أي: يضربون ما أقبل منهم وما أدبر. ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ عطف على (يضربون) بإضمار القول؛ أي: ويقولون: ذوقوا؛ بشارة لهم بعذاب الآخرة. وقيل: كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها، وجواب (لَوْ) محذوف لتقطيع الأمر وتهويله. ﴿ذَٰلِكَ﴾ الضرب والعذاب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ بسبب ما

[**فإنّ «لو» تجعل المضارع ماضياً**] قال التفتازاني: لا بد أن يحمل معنى المضيّ هنا على الفرَض والتقدير كأنه قيل: «قد مضى هذا المعنى ولم تره ولو رأيته لرأيت أمراً فظيعاً» وإلا فظاهر أن ليس المعنى هنا على حقيقة المضي [**وهو**]؛ أي: لفظ الملائكة [**والجملة**]؛ أي: جملة الملائكة ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾ [**واستغنى فيه**]؛ أي: في جعل «الجملة» حالاً عن الواو [**وهو**]؛ يعني: ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾ [**على الأول**]؛ أي: وهو جعل الملائكة فاعل «يتوفى» [**حال منهم**]؛ أي: من الذين كفروا [**لاشتماله**]؛ أي: «يضربون وجوههم»(١).

[**أي: ويقولون ذوقوا**] الاحتياج إلى هذا التقدير ليس لمجرد قبح عطف الإنشاء

---

(١) انظر: مفتاح العلوم، السكاكي [ص٢٤٥].

۞ ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾.

كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لـ(ذلك). ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ عطف على (ما) للدلالة على أن سببيته مقيدة بانضمامه إليه؛ إذ لولاه لأمكن أن يعذبهم بغير ذنوبهم لا أن لا يعذبهم بذنوبهم. فإن ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعاً ولا عقلاً حتى ينتهض نفي الظلم سبباً للتعذيب؛ و(ظَلَّام) التكثير لأجل العبيد.

﴿٥٢﴾ - ﴿٥٣﴾ ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون؛ وهو عملهم وطريقهم الذي دأبوا فيه؛ أي: داموا عليه. ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من قبل آل فرعون. ﴿كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ تفسير لدأبهم ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ كما أخذ هؤلاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لا يغلبه في دفعه شيء ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما حلَّ بهم ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ بسبب أن الله. ﴿لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ مبدلاً إياها بالنقمة ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ يبدلوا ما بهم من حال إلى حال أسوأ، كتغيير قريش حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض الآيات والرسل بمعاداة الرسول ومن تبعه منهم، والسعي في إراقة دمائهم، والتكذيب بالآيات، والاستهزاء بها؛ إلى غير ذلك مما

على الإخبار؛ بل لأن المعنى عليه لأن هذا من كلام الملائكة قطعاً، وإنما الكلام في ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ حيث يحتمل أن تكون من كلام الله تعالى، قال التفتازاني: وفيه نظر إذ هذا الاحتمال آت أيضاً في قوله: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠] بل الموافق لقوله تعالى في آل عمران: ﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١] والكف؛ أي: في كفّ قريش.

[عن تعرض الآيات والرسل]؛ أي: السابقين على الرسول ﷺ [والتكذيب بالآيات]

۝ ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

أحدثوه بعد المبعث. وليس السبب عدم تغيير الله ما أنعم عليهم حتى يغيروا حالهم؛ بل ما هو المفهوم له وهو جري عادته تعالى على تغييره متى تغير حالهم، وأصل (يك): (يكون) فحذفت الحركة للجزم، ثم الواو لالتقاء الساكنين، ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفاً. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لما يقولون ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يفعلون.

﴿٥٤﴾ ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ تكرير للتأكيد، ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله: ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ وبيان ما أخذ به آل فرعون. وقيل: الأول: لتشبيه الكفر والأخذ به، والثاني: لتشبيه التغيير في النعمة بسبب تغييرهم ما بأنفسهم. ﴿وَكُلٌّ﴾ من الفرق المكذبة، أو من غَرْقَى القبط وقَتْلَى قريش ﴿كَانُوا ظَٰلِمِينَ﴾ أنفسهم بالكفر والمعاصي.

﴿٥٥﴾ ـ ﴿٥٦﴾ ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أصروا على الكفر ورسخوا فيه ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فلا يتوقع منهم إيمان، ولعله إخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بأنهم لا يؤمنون، والفاء للعطف

الآتية على يد رسول الله ﷺ[1] [وليس السبب] إلى آخره. بيَّن به أن سبب ما حلّ بهم ليس هو عدم تغيير الله ما أنعم عليهم. . إلى آخره. كما هو ظاهر الآية بل السبب هو المفهوم من ذلك عرفاً؛ وهو جري عادته تعالى على تغييره متى تغيروا حالهم [ولما نيط به]؛ أي: بالثاني الذي به التكرير [وبيان ما أخذ به فرعون]؛ أي:

(١) انظر: النُّكت والعيون، الماوردي [٢/ ٣٢٧].

۞ ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

والتنبيه على أن تحقق المعطوف عليه يستدعي تحقق المعطوف، وقوله: ﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ بدل من (الذين كفروا) بدل البعض للبيان والتخصيص، وهم يهود قريظة؛ عاهدهم رسول الله ﷺ أن لا يمالئوا عليه؛ فأعانوا المشركين بالسلاح وقالوا: نسينا، ثم عاهدهم فنكثوا ومالأوهم عليه يوم الخندق، وركب كعب بن الأشرف إلى مكة فحالفهم. و(مِنْ) لتضمين المعاهدة معنى الأخذ والمراد بالمرة؛ مرة المعاهدة أو المحاربة. ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ سُبَّة الغدر ومغبته، أو لا يتقون الله فيه، أو نصره للمؤمنين وتسليطه إياهم عليهم.

﴿٥٧﴾ - ﴿٥٨﴾ ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ﴾ فإما تصادفنهم وتظفرن بهم، ﴿فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم﴾ ففرق عن مناصبتك ونَكِّل عنها بقتلهم والنكاية فيهم ﴿مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ من وراءهم من الكفرة، والتشريد: تفريق على اضطراب. وقرئ (شَرِّذ) بالذال المعجمة؛ وكأنه مقلوب شذر و(مِنْ خَلْفِهِمْ) والمعنى واحد؛ فإنه إذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء. ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾

وهو الإغراق [أن لا يمالِئوا]؛ أي: لا يساعدوا [ومن]؛ أي: وعَدّى «عاهد» بـ«من» في قوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ مع أنه يتعدى بنفسه [لتضمين المعاهدة معنى الأخذ] فعُدِّيَت بما يُعَدَّى به الأخذ [سُبّة الغدر] بضم السين؛ أي: عاره[1] [عن مناصبتك]؛ أي: محاربتك [ونكل عنها]؛ أي: عن المناصبة [بقتلهم] تنازعه فَرِّق ونَكِّل [والنكاية فيهم] عطف على «قتلهم» يقال: نكّل به تنكيلاً إذا جعله نكالاً وعبرة لغيره قاله الجوهري[2].

[على اضطراب]؛ أي: إزعاج [و﴿مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾]؛ أي: وقرئ: «ومِن خلفهم»

---

(١) انظر: صحيح البخاري [٣/ ١١٦٠].
(٢) الصحاح، الجوهري [٧/ ١٣٦].

۞ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

لعل المشردين يتعظون ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ﴾ معاهدين ﴿خِيَانَةً﴾ نقضَ عهدٍ بأماراتٍ تلوح لك ﴿فَانبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ فاطرح إِلَيْهِمْ عهدهم ﴿عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ على عدل وطريق قصد في العداوة، ولا تناجزهم الحرب؛ فإنه يكون خيانة منك، أو على سواء في الخوف، أو العلم بنقض العهد؛ وهو في موضع الحال من (النابذ) على الوجه الأول؛ أي: ثابتاً على طريق سوي، أو منه، أو من المنبوذ إليهم، أو منهما على غيره، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ تعليل للأمر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال؛ المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف.

﴿٥٩﴾ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ خطاب للنبي عليه الصلاة والسلام، وقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ مفعولاه، وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على أن الفاعل ضمير أحد، أو (مَنْ خَلْفَهُمْ)، أو ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ والمفعول الأول (أنفسهم) فحذف للتكرار، أو على تقدير: (أن سَبَقُوا) وهو ضعيف لأن (أن) المصدرية كالموصول فلا تحذف، أو على إيقاع الفعل على ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ بالفتح على قراءة ابن عامر، وأن (لا) صلة، و(سَبَقُوا) حال

بكسر الميم **[على غيره]**؛ أي: غير الوجه الأول **[على طريقة الاستئناف]**؛ أي: التعليل المذكور على طريقة الاستئناف **[ضمير أحد]**؛ أي: لفظ أحداً واحد أمور مفهومة من الكلام؛ أي: «ولا تحسبن» هو أي: المؤمن أو الرسول أو الحاسب **[فحذف للتكرار]**؛ أي: التكرار المعنوي إذ أنفسهم هم الذين كفروا في المعنى.

[أو على تقدير «أَنْ سبقوا»] عطف في المعنى على قوله والمفعول الأول «أنفسهم»؛ أي: إذا جعل ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فاعلاً فمفعولاً حيث الأول «أنفسهم» والثاني «سبقوا» أو مفعولاه «سبقوا» بتقدير «أنْ» وهي مع مدخولها ساد مسد المفعولين **[لأن «أنَّ» المصدرية كالموصول فلا تحذف]** يجاب بأنَّ «أنْ» ليست مصدرية بل مخففة من الثقيلة **[أو على إيقاع الفعل..]** إلى آخره. عطف على قوله:

۞ ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾.

بمعنى: سابقين؛ أي: مفلتين، والأظهر أنه تعليل للنهي؛ أي: لَا تحسبنهم سبقوا فأفلتوا؛ لأنهم لا يفوتون الله، أو لا يجدون طالبهم عاجزاً عن إدراكهم، وكذا إن كسرت (إن)؛ إلا أنه تعليل على سبيل الاستئناف، ولعل الآية إزاحة لما يحذر به من نبذ العهد وإيقاظ العدو، وقيل: نزلت فيمن أفلت من فل المشركين.

﴿٦٠﴾ - ﴿٦١﴾ ﴿وَأَعِدُّواْ﴾ أيها المؤمنون ﴿لَهُم﴾ لناقضي العهد أو الكفار ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ من كل ما يتقوى به في الحرب. وعن عقبة بن عامر؛ سمعته عليه الصلاة والسلام يقول على المنبر: «**ألا إن القوة الرمي** قالها ثلاثاً». ولعله عليه الصلاة والسلام خصه بالذِّكر؛ لأنهُ أقواه. ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ اسم للخيل التي تربط في سبيل الله، (فِعَال) بمعنى (مفعول)، أو مصدر سمي به، يقال: (ربط ربطاً ورباطاً)، و(رابط مرابطة ورباطاً)، أو

«على تقدير أنْ سبقوا» و«أنْ» مع مدخولها قام مقام المفعولين[1] [**والأظهر أنه**]؛ أي: ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾.

[**من فلّ المشركين**]؛ أي: من المنهزم منهم والفلّ اسم للمنهزم واحداً كان أو أكثر [**وعن عقبة بن عامر: «سمعته عليه الصلاة والسلام..»**] إلى آخره. رواه مسلم[2] [**ولعله عليه الصلاة والسلام خصه**]؛ أي: الرَّمي [**لأنه أقواه**]؛ أي: أقوى ما يتقوى به في الحرب [﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ **اسم للخيل التي تربط في سبيل الله**] اعترض بأنه يلزم من إضافته إضافة الشيء إلى نفسه، وردَّ بأن الرباط اسم للمربوطات إلا أنه

(١) انظر: اللباب، ابن عادل [٥٤٩/٩].
(٢) صحيح مسلم [١٥٢٢/٣/ برقم: ١٩١٧].

جمع ربيط؛ كـ(فصيل وفصال). وقرئ (رُبُط الخيل) بضم الباء وسكونها؛ جمع رباط، وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ﴾ تخوفون به، وعن يعقوب ﴿تُرَهِّبُونَ﴾ بالتشديد، والضمير لـ(مَا اسْتَطَعْتُمْ) أو لـ(الإعداد). ﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾؛ يعني: كفار مكة. ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ من غيرهم من الكفرة؛ قيل: هم اليهود، وقيل: المنافقون، وقيل: الفُرْس ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾ لا تعرفونهم بأعيانهم. ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ يعرفهم. ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ بتضييع العمل أو نقص الثواب. ﴿وَإِن جَنَحُواْ﴾ مالوا؛ ومنه الجناح، وقد يُعَدّى باللام وإلى. ﴿لِلسَّلْمِ﴾ للصلح أو الاستسلام. وقرأ أبو بكر بالكسر ﴿فَٱجْنَحْ﴾ وعاهد معهم، وتأنيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه. قال:

السِّلْمُ تَأْخُذُ منها مَا رضيتَ بِهِ والحربُ يَكفيكَ مِنْ أنفاسِهَا جُرَعُ

وقرئ (فاجْنُحْ) بالضم. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ولا تخف من إبطانهم خداعاً فيه؛ فإن الله يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ لأقوالهم. ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بنياتهم. والآية مخصوصة بأهل الكتاب لاتصالها بقصتهم، وقيل: عامة نسختها آية السيف.

لا يستعمل إلا في الخيل، فالإضافة باعتبار عموم المفهوم الأصلي؛ أي: فهي إضافة بيانية **[وتأنيث الضمير]**؛ أي: في «لها» **[لحمل «السِّلْم»]** مع أنه مذكر **[على نقيضها]** الأَوْلَى على «نقيضه» والمراد ضده وهو الحرب **[فيه]**؛ أي: في «التأنيث» **[قال:**

السِّلْمُ تأخذُ مِنْها ما رضيتَ بهِ والحربُ يكفيكَ مِنْ أنفاسِها جُرَعُ](١)

الشاهد في قوله: «تأخذ منها» حيث أَنَّث ضمير «السلم» حملاً على ضده وهو «الحرب» **[خداعاً فيه]**؛ أي: في السِّلْم.

---

(١) البيت للشاعر عباس بن مرداس. انظر: إصلاح المنطق، ابن السكّيت [ص٣٠].

۞ ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾﴾.

﴿٦٢﴾ - ﴿٦٣﴾ ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ﴾ فإن محسبك الله وكافيك قال جرير:

إِنِّي وَجَدْتُ مِنَ المَكَارِمْ حَسْبَكُم أَنْ تَلْبَسُوا خَزَّ الثِّيَابِ وَتَشْبَعُوا

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ جميعاً. ﴿وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ﴾ مع ما فيهم من العصبية والضغينة في أدنى شيء، والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة، وهذا من معجزاته ﷺ، وبيانه: ﴿لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ﴾؛ أي: تناهي عداوتهم إلى حد لو أنفق منفقٌ في إصلاح ذات بينهم ما في الأرض من الأموال لم يقدر على الألفة والإصلاح. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ بقدرته البالغة؛ فإنه المالك

[فإنَّ محسبك الله وكافيك] العطف للتفسير [قال جرير]؛ أي: أو عبد الرحمٰن بن حسان في هجوه بني أمية بن عمرو بن سعد بن العاص بأن همتهم مقصورة على المأكل والملابس:

[إني وجدتُ مِنَ المكارِمِ حَسْبَكُم أن تلبَسُوا حُرَّ الثيابِ وتشبعوا][1]

بعده:

وإذا تُذُكِّرتِ المكارمُ مَرَّةً في مجلس أنتم بهِ فتقَنَّعوا[2]

و«حسبكم»؛ أي: محسبكم، و«أن تلبسوا» فاعله، و«حُرّ الثياب» بضم الحاء وبالراء المهملتين نفيسها ويروى «خَزّاً» بالخاء والزاي المعجمتين وهو نوع من الإبريسم[3]، و«تقنعوا»؛ أي: غطوا رؤوسكم من الحياء [**تناهي عداوتهم**] برفعها

---

(١) نسبه سيبويه إلى عبد الرحمٰن بن حسان. انظر: الكتاب، سيبويه [٣/ ١٥٣].
(٢) الزمخشري نسب البيتين لسعيد بن عبد الرحمٰن بن حسان. وقال: «تذوكرت» بدل «تذكرت» وقال: «خير» بدل «حُرًّ». انظر: ربيع الأبرار، الزمخشري [١/ ٣٩٢].
(٣) انظر: محاضرات الأدباء، الراغب الأصفهاني [١/ ٢٠٢].

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

للقلوب يقلبها كيف يشاء. ﴿إِنَّهُۥ عَزِيزٌ﴾ تام القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريده. ﴿حَكِيمٌ﴾ يعلم أنه كيف ينبغي أن يفعل ما يريده، وقيل: الآية في الأوس والخزرج كان بينهم محن لا أمد لها، ووقائع هلكت فيها ساداتهم، فأنساهم الله ذلك، وألَّف بينهم بالإسلام حتى تصافوا وصاروا أنصاراً.

﴿٦٤﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ كافيك ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إما في محل النصب على المفعول معه كقوله:

إِذَا كَانت الهَيْجَاءُ وَاشْتَجَرَ القَنَا فَحَسْبُكَ وَالضَّحَّاكَ سَيْفٌ مُهَنَّدُ

أو الجر؛ عطفاً على المكنى عند الكوفيين، أو الرفع؛ عطفاً على اسم الله؛ أي: كفاك الله والمؤمنون. والآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر، وقيل: أسلم مع النبي ﷺ ثلاثة وثلاثون رجلاً وست نسوة، ثم أسلم عمر رضي الله تعالى عنه، فنزلت. ولذلك قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: نزلت في إسلامه.

﴿٦٥﴾ - ﴿٦٦﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ﴾ بالغ في حثهم عليه،

فاعلاً لـ«تناهي» والأفصح «تناهت» [كقوله:

إذا كانت الهيجاءُ.............. ....

بالمد، لغة في القصر؛ أي: الحرب [**واستجر القنا**]؛ أي: واختلفت الرماح في الطعن وروي بدله «وانشقَّتِ العَصَا»؛ أي: عصا القوم؛ أي: تفرقوا واختلفوا [**فحسبُكَ والضَّحاكَ سيفٌ مهندُ**][1] يروى «الضحاكَ» بالنصب على أنه مفعول معه، و﴿حَسْبُكَ﴾

---

(١) المخصص، ابن سيده [٤/٩٣].

۞ ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾.

وأصله (الحرض): وهو أن ينهكه المرض حتى يشفى على الموت، وقرئ (حرص) من الحرص. ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ شرط في معنى الأمر بمصابرة الواحد للعشرة، والوعد بأنهم إن صبروا غلبوا بعون الله وتأييده. وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر (تكُنْ) بالتاء في الآيتين، ووافقهم البصريان في ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ﴾. ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ بسبب أنهم جهلة بالله واليوم الآخر لا يثبتون ثبات المؤمنين؛ رجاء الثواب وعوالي الدرجات قَتَلُوا أو قُتِلُوا، ولا يستحقون من الله إلا الهوان والخذلان. ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ﴾ لما أوجب على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم، وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين، وقيل: كان فيهم قلة فأمروا بذلك، ثم لما كثروا خفف عنهم، وتكرير المعنى الواحد بذكر الأعداد المتناسبة للدلالة على أن حكم القليل والكثير واحد، والضعف ضعف البدن. وقيل: ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها، وفيه لغتان: الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة، والضم وهو قراءة الباقين. ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ بالنصر والمعونة فكيف لا يَغْلِبُون؟!

﴿٦٧﴾ ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ﴾ وقرئ (للنبي) على العهد. ﴿أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾

مبتدأ، و«سيف» خبره والمعنى: كافيك سيف مع صحبة الضحاك وحضورِه بالجر على أن الواو واو قسم، وبالرفع[1] على أنه مبتدأ خبره «سيف» وخبر ﴿حَسْبُكَ﴾ محذوف لدلالة الكلام عليه [حتى يشفى]؛ أي: يشرف [«تكن» بالتاء في الآيتين]؛ يعني: «وإن تكن منكم مائة» في الآيتين [ووافقهم البصريان في «وإن تكن منكم مائة»]؛ أي: في الثانية.

---

(١) أي: «حضورُه».

وقرأ البصريان بالتاء. ﴿حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يَذِلَّ الكفرُ ويقلَّ حزبُه، ويَعِزَّ الإسلام ويستولي أهلُه؛ من: (أَثْخَنَه المرض) إذا أثقله، وأصله الثخانة، وقرئ (يُثْخِّنَ) بالتشديد للمبالغة. ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا﴾ حطامها بأخذكم الفداء. ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ﴾ يريد لكم ثواب الآخرة أو سبب نيل ثواب الآخرة من إعزاز دينه وقمع أعدائه. وقرئ بجرّ (الْآخِرَةِ) على إضمار المضاف كقوله:

أَكُلَّ امرئٍ تحسبينَ امرأً ... وَنَارٍ تَوَقَّدُ بِاللَّيْلِ نَاراً

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ يغلب أولياءه على أعدائه. ﴿حَكِيمٌ﴾ يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها، كما أمر بالإثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين، وخيّر بينه وبين المنِّ لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين.

روي: (أنه ﷺ أُتِيَ يوم بدر بسبعين أسيراً فيهم العباس، وعقيل بن أبي طالب؛ فاستشار فيهم؟ فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: «قومك وأهلك اسْتَبْقِهِم لعلَّ الله يتوب عليهم، وخُذْ منهم فدية تقوي بها أصحابك»، وقال عمر رضي الله تعالى عنه: «اضرب أعناقهم؛ فإنهم أئمة

[كقوله]؛ أي: كقول أبي داد «جويرية بن الحجاج» أو «حارثة بن حمران الإيادي» أو «عدي بن زيد»(١):

[أَكُلَّ أمرئٍ تحسبينَ امْرِأً ... ونارٍ تَوَقَّدُ بالليل ناراً](٢)

تقديره: وكُلُّ نارٍ جرت بكل ليلاً يلزم من عطفها على «امرئٍ»، العطف على معمولي عاملين مختلفين أعني «كُلّ» و«تحسبين» [يروى: «**أنه عليه الصلاة والسلام: أُتِيَ يوم بدر بسبعين أسير..**»] إلى آخره. رواه بمعناه مسلم(٣) وقوله: «فلم يهوَ

---

(١) انظر: إكمال الكمال، ابن ماكولا [٢/٣٣٦]، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه [٢/٥٥٧].
(٢) الكتاب، سيبويه [١/٦٦].
(٣) صحيح مسلم [٣/١٣٨٣/برقم: ١٧٦٣].

۞ ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾.

الكفر، وإن الله أغناك عن الفداء، مَكِّنّي من فلان ـ لنسيبٍ لهُ ـ ومَكِّنْ علياً وحمزة من أخويهما فلنضرب أعناقهم». فلم يهوَ ذلك رسول الله ﷺ وقال: «**إن الله ليُلَيِّنُ قلوبَ رجال حتى تكون أليَنَ من اللبن، وإنَّ الله ليشدِّدَ قلوبَ رجال حتى تكون أشدَّ من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال:** ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦] **ومثلك يا عمر مثل نوح قال:** ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]»؛ فخيّر أصحابه فأخذوا الفداء، فنزلت؛ فدخل عمر رضي الله تعالى عنه على رسول الله ﷺ فإذا هو وأبو بكر يبكيان! فقال: يا رسول الله أخبرني! فإن أجد بكاء بكيت، وإلا تباكيت! فقال: «**أَبْكِ على أصحابك في أخذهم الفداء، ولقد عُرِضَ عَلَيَّ عذابُهم أدنى من هذه الشجرة ـ لشجرة قريبة ـ**».

والآية دليل على أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يجتهدون؛ وأنه قد يكون خطأ، ولكن لا يُقَرُّون عليه.

﴿٦٨﴾ ـ ﴿٦٩﴾ ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ لولا حكم من الله سبق إثباته في اللوح المحفوظ؛ وهو أن لا يعاقب المخطئ في اجتهاده، أو أن لا يعذب أهل بدر، أو قوماً بما لم يصرح لهم بالنهي عنه، أو أن الفدية التي أخذوها ستحل لهم ﴿لَمَسَّكُمْ﴾ لنالكم ﴿فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾ من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. روي أنه عليه السلام قال: «**لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ**». وذلك لأنه أيضاً أشار بالإثخان. ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ من الفدية فإنها من جملة الغنائم. وقيل: أَمْسَكُوا عن الغنائم! فنزلت. والفاء للتسبب، والسبب محذوف تقديره: أبحت لكم الغنائم فكلوا، وبنحوه تشبث من زعم أن الأمر الوارد بعد الحظر للإباحة. ﴿حَلَٰلًا﴾ حال من المغنوم، أو صفة للمصدر؛ أي: أكلاً حلالاً، وفائدته إزاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك

۞ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾.

المعاتبة، أو حرمتها على الأولين؛ ولذلك وصفه بقوله: ﴿طَيِّبًا﴾، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في مخالفته. ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ غفر لكم ذنبكم ﴿رَّحِيمٌ﴾ أباح لكم ما أخذتم.

﴿٧٠﴾ - ﴿٧١﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ﴾ وقرأ أبو عمرو (من الأُسَارَى) ﴿إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ إيماناً وإخلاصاً ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ﴾ من الفداء. روي: (أنها نزلت في العباس؛ كلفه رسول الله ﷺ أن يفدي نفسه وابني أخويه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث؛ فقال: يا محمد! تركتني أتكفف قريشاً ما بقيت؟! فقال: «**أين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك، وقلت لها: إني لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا؛ فإن حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم؟!**» فقال: وما يدريك، قال: «**أخبرني به ربي تعالى**»، قال: فأشهد أنك صادق، وَأَن لَّا إِلٰه إِلَّا الله وأنك رسوله، والله لم يطلع عليه أحد إلا الله، ولقد دفعته إليها في سواد الليل، قال العباس: فأبدلني الله خيراً من ذلك؛ لي الآن عشرون عبداً إن أدناهم ليضرب في عشرين ألفاً، وأعطاني زمزم؛ ما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة، وأنا أنتظر المغفرة من ربكم)؛ يعني: الموعود بقوله: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. ﴿وَإِن يُرِيدُوا﴾؛ يعني: الأسرى ﴿خِيَانَتَكَ﴾ نقض ما عاهدوك ﴿فَقَدْ خَانُوا

ذلك»؛ أي: لم يحبه [**أو حرمتها**]؛ أي: الغنائم [روي: «**أنها نزلت في العباس**»..] إلى آخره. رواه الحاكم[1] [**ليضرب**] من المضاربة وهي التجارة والمعنى: ليتّجر

(١) مستدرك الحاكم [٣/٣٦٦/ برقم: ٥٤٠٩].

۞ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾.

ٱللَّهَ﴾ بالكفر، ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل ﴿مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ﴾؛ أي: فأمكنك منهم كما فعل يوم بدر؛ فإن أعادوا الخيانة فسيمكنك منهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿٧٢﴾ - ﴿٧٣﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟﴾ أوطانهم وهم المهاجرون؛ هاجروا أوطانهم حباً لله ولرسوله ﴿وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ﴾ فصرفوها في الكراع والسلاح، وأنفقوها على المحاويج ﴿وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بمباشرة القتال. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟﴾ هم الأنصار آووا المهاجرين إلى ديارهم، ونصروهم على أعدائهم ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾ في الميراث، وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الأقارب حتى نسخ بقوله: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥] أو بالنصرة والمظاهرة ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ﴾؛ أي: من توليهم في الميراث، وقرأ حمزة ﴿وِلَـٰيَتِهِم﴾ بالكسر تشبيهاً لها بالعمل والصناعة؛ كالكتابة والإمارة، كأنه بتوليه صاحبه يزاول عملاً. ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ فواجب عليكم أن تنصروهم على المشركين ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم

[المأخوذ بالعقل] باللام وفي نسخة بالدال [في الكراع]؛ أي: الخيل [تشبيهاً لها بالعمل والصناعة..] إلى آخره؛ يعني: أن «فِعَالَة» بالكسر في المصادر إنما تكون في الصناعات وما يزاول كالكتابة والإمارة والزراعة والحراثة والخياطة والولاية ليست من هذا القبيل إلا على التشبيه [يزاول عملاً]؛ أي: يحاوله ويعالجه.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤) وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧٥)﴾.

﴿مِيثَاقٌ﴾ عهد؛ فإنه لا ينقض عهدهم بنصرهم عليهم ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

(٧٣) ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في الميراث أو المؤازرة، وهو بمفهومه يدل على منع التوارث أو المؤازرة بينهم وبين المسلمين ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ إلا تفعلوا ما أمرتم به من التواصل بينكم، وتولى بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار. ﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ﴾ تحصل فتنة فيها عظيمة، وهي ضعف الإيمان وظهور الكفر ﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ في الدين وقرئ (كثِيْر).

(٧٤) ـ (٧٥) ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ لما قسم المؤمنين ثلاثة أقسام بيَّن أن الكاملين في الإيمان منهم؛ هم الذين حققوا إيمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق، ووعد لهم الموعد الكريم فقال: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ لا تبعة له ولا منَّة فيه، ثم ألحق بهم في الأمرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾؛ أي: من جملتكم أيها المهاجرون والأنصار. ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ في التوارث من الأجانب. ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ في حكمه، أو في اللوح، أو في القرآن، واستدل به على توريث ذوي الأرحام. ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ من المواريث والحكمة في إناطتها بنسبة الإسلام والمظاهرة أولاً، واعتبار القرابة ثانياً.

[أو الموازرة] هي أن تحمل كل من الفريقين عن الآخر ما يحمله من الأثقال

عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (الأنفال) و(براءة) فأنا شفيع له يوم القيامة، وشاهد أنه بريء من النفاق، وأعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة، وكان العرش وَحَمَلَتُهُ يستغفرون له أيام حياته**». سورة براءة مدنية وقيل: إلا آيتين من قوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] وهي آخر ما نزل. ولها أسماء أُخَر: (التوبة) و(المقشقشة) و(البُحُوث) و(المُبَعْثِرَة) و(المنقِّرَة) و(المُثِيرة) و(الحافِرَة) و(المُخْزِيَة) و(الفاضِحَة) و(المنَكِّلَة) و(المُشَرِّدَة) و(المُدَمْدِمَة) و(سورة العذاب) لما فيها من التوبة للمؤمنين، والقشقشة من النفاق ـ وهي التبرىء منه ـ، والبحث عن حال المنافقين وإثارتها، والحفر عنها، وما يخزيهم، ويفضحهم، وينكلهم، ويشردهم، ويدمدم عليهم، ويذكر عذابهم. وآيها مائة وثلاثون، وقيل: تسع وعشرون، وإنما تركت التسمية فيها؛ لأنها نزلت لرفع الأمان، و(بسم الله) أمان. وقيل: كان النبي ﷺ إذا نزلت عليه سورة أو آية بيَّن موضعها، وتوفي ولم يبين موضعها، وكانت قصتها تشابه قصة الأنفال وتناسبها؛ لأن في الأنفال ذكر العهود، وفي براءة نبذها؛ فضمت إليها. وقيل: لما اختلفت الصحابة في أنهما سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال أو سورتان؛ تركت بينهما فرجة، ولم تكتب بسم الله.

[**عن النبي ﷺ: من قرأ سورة الأنفال وبراءة..**] إلى آخره. موضوع[1].



---

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري [٢/٢٢٨].

سورة التوبة

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١) فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ (٢)﴾.

---

(١) ـ (٢) ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾؛ أي: هذه براءة، و(مِن) ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره وأصله: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾، ويجوز أن تكون (بَراءَةٌ) مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ وقرئ بنصبها على: (اسمعوا براءة)، والمعنى: أن الله ورسوله بريئان من العهد الذي عاهدتم به المشركين، وإنما علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين؛ للدلالة على أنه يجب عليهم نبذ عهود المشركين إليهم؛ وإن كانت صادرة بإذن الله تعالى، واتفاق الرسول؛ فإنهما بريئان منها؛ وذلك أنهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا إلا أناساً منهم؛ بنو ضمرة وبنو كنانة، فأمرهم بنبذ العهد إلى الناكثين، وأمهل المشركين أربعة أشهر ليسيروا أين شاؤوا فقال: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ شوال، وذي القعدة، وذي

تسمى باسم آخر ذكره المصنف **[والبحوث]** بفتح الباء **[لما فيها..]** إلى آخره. تعليل لتسميتها بالمذكورات بطريق اللف والنشر المرتب **[وإثارتها]**؛ أي: إثارة حال المنافقين وسكت عن التصريح بتعليل التسمية بالمبعثرة والمنقرة والتسمية بسورة العذاب لفهم الأول من تعليل التسمية بالبحوث وبالمثيرة والثاني لتعليلها بالمُدَمْدِمَة[١] **[وقيل: «كان النبي ﷺ إذا نزلت عليه سورة..»]** إلى آخره. رواه أبو داود[٢] والترمذي وحسنه[٣] ابن حبان والحاكم وصححه[٤] **[شوال..]** إلى آخره. جره

---

(١) كما في نسخة [ز ـ ج ـ ب] وفي نسخة [الأصل]: (بالمدمدة).
(٢) سنن أبي داود [١/٢٦٨/برقم: ٧٨٦].
(٣) سنن الترمذي [٥/٢٧٢/برقم: ٣٠٨٦].
(٤) مستدرك الحاكم [٢/٢٤١/برقم: ٢٨٧٥].

الحجة، والمحرم؛ لأنها نزلت في شوال. وقيل: هي عشرون من ذي الحجة، والمحرم، وصفر، وربيع الأول، وعشر من ربيع الآخر؛ لأن التبليغ كان يوم النحر لما روي: أنها لما نزلت أرسل رسول الله ﷺ علياً رضي الله تعالى عنه راكباً العضباء ليقرأها على أهل الموسم، وكان قد بعث أبا بكر رضي الله تعالى عنه أميراً على الموسم فقيل له: لو بعثت بها إلى أبي بكر؟ فقال: «**لا يُؤَدِّي عني إلا رجل مني**»، فلما دنا علي رضي الله تعالى عنه سمع أبو بكر الرُّغاء فوقف وقال: هذا رغاء ناقة رسول الله ﷺ! فلما لحقه قال: أمير أو مأمور؟ قال: مأمور، فلما كان قبل التروية خطب أبو بكر رضي الله تعالى عنه وحدثهم عن مناسكهم، وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة وقال: يا أيها الناس إني رسولُ رسولِ الله إليكم، فقالوا: بماذا؟ فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية؛ ثم قال: أمرت بأربع: أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة، وأن يتمّ إلى كل ذي عهد عهده). ولعل قوله ﷺ: «**لا**

لمجاورته أشهر والأولى نصبه؛ لأنه بيان لأربعة أشهر [**وقيل: هي عشرون من ذي الحجة**..] إلى آخره. زاد «الكشاف»[١] وقيل: هي عشر من ذي القعدة إلى عشر من شهر ربيع الأول؛ لأن الحج تلك السنة كان ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار للسنة الثانية في ذي الحجة.

[**روي: «أنها لما نزلت أرسل رسول الله ﷺ علياً**..»] إلى آخره. ملفق من أحاديث ملفقة بعضها في مسند أحمد وبعضها في «الصحيحين» وبعضها في دلائل البيهقي وغيرها[٢] [**راكب العضباء**] هو بالمد نعت لناقة النبي ﷺ، وأصله لمشقوقة الأذن ولم تكن ناقته الشريفة كذلك. [**فلما دنى علي** رضي الله عنه]؛ أي: من أبي بكر [**سمع أبو بكر** رضي الله عنه **الرغاء**] هو بالمد ذوات الخف قاله الجوهري[٣] [**أمرت بأربع**]؛ أي:

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٢٣٢].

(٢) انظر: الفتح السماوي، المناوي [٢/ ٦٦٥/ برقم: ٥٤٩].

(٣) الصحاح، الجوهري [٨/ ٢٦٨].

۞ ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾.

يؤدي عني إلا رجل مني» ليس على العموم، فإنه ﷺ بعث لأن يؤدي عنه كثيراً لم يكونوا من عترته؛ بل هو مخصوص بالعهود؛ فإن عادة العرب أن لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة إلا رجل منها، ويدل عليه أنه في بعض الروايات: «**لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي**». ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ﴾ لا تفوتونه وإن أمهلكم. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ بالقتل والأسر في الدنيا، والعذاب في الآخرة.

﴿٣﴾ ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: إعلام؛ (فِعَال) بمعنى: (الإفعال) كـ(الأمان) و(العطاء)، ورفعه كرفع (بَراءَةٌ) على الوجهين. ﴿يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾ يوم العيد؛ لأن فيه تمام الحج ومعظم أفعاله، ولأن الإعلام كان فيه؛ ولما روي أنه عليه الصلاة والسّلام وقف يوم النحر عند الجمرات في «حجة الوداع» فقال: «**هذا يوم الحج الأكبر**». وقيل: يوم عرفة لقوله ﷺ: «**الحج عرفة**». ووصف الحج بالأكبر؛ لأن العمرة تسمى الحج الأصغر، أو لأن المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من أعماله؛ فإنه أكبر من باقي الأعمال، أو لأن ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون،

بأن أخبر وأنادي بها [في بعض الروايات: «**لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي**»] رواه الترمذي وحسنه.

[**روي أنه ﷺ وقف يوم النحر..**] إلى آخره. رواه أبو داود[1] والحاكم وصححه[2] [«**الحج عرفة**»] رواه أبو داود وغيره[3].

---

(١) سنن أبي داود [١/ ٥٩٨/ برقم: ١٩٤٥]. (٢) مستدرك الحاكم [٢/ ٣٦١/ برقم: ٣٢٧٦].
(٣) سنن أبي داود [١/ ٥٩٩/ برقم: ١٩٤٩]، سنن الترمذي [٣/ ٢٣٧/ برقم: ٨٨٩].

۞ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾.

ووافق عيده أعياد أهل الكتاب، أو لأنه ظهر فيه عزُّ المسلمين وذلُّ المشركين. ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾؛ أي: بأن الله. ﴿بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾؛ أي: من عهودهم. ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ عطف على المستكن في (بَرِيءٌ)، أو على محل (أَنَّ) واسمها في قراءة من كسرها؛ إجراء للأذان مجرى القول، وقرئ بالنصب عطفاً على اسم (أَنّ)، أو لأن الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه، فإن قوله: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١] إخبار بثبوت البراءة؛ وهذه إخبار بوجوب الإعلام بذلك، ولذلك علقه بالناس ولم يخصه بالمعاهدين. ﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ من الكفر والغدر. ﴿فَهُوَ﴾ فالتوب ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن التوبة أو ثبتم على التولي عن الإسلام والوفاء. ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ﴾ لا تفوتونه طلباً ولا تعجزونه هرباً في الدنيا. ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ في الآخرة.

﴿٤﴾ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ استثناء من المشركين، أو استدراك فكأنه قيل لهم بعد أن أمروا بنبذ العهد إلى الناكثين، ولكن الذين

[عطف على «المستكن» في «بريء»]؛ أي: لوجود الفاصل بينهما [أو على محل «إن» واسمها..] إلى آخره؛ أي: أو على أنه مبتدأ حذف خبره ورسوله كذلك، وسكت كـ«الكشاف» عن عطفه على محل «أَنَّ» المفتوحة مع اسمها لأنهما ممن لم يرَ ذلك لأن المفتوحة لها موضع غير الابتداء بخلاف المكسورة، وجوزه «ابن الحاجب» على تفصيل فيه[1] كما نقله التفتازاني [ولا تكرير فيه]؛ أي: في ذكر «بريء» [أو ثبتم على التولي] بثاء مثلثة؛ أي: اجتمعتم يقال: ثاب الناس إذا اجتمعوا، قاله الجوهري[2] [أو استدراك]؛ أي: استثناء منقطع

---

(١) شرح الكافية، الاستراباذي [١/ ٢٦٢].

(٢) الصحاح، الجوهري [١/ ٢٣١].

۞ ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ۝٦﴾.

عاهدوا منهم ﴿ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا﴾ من شروط العهد ولم ينكثوه أو لم يقتلوا منكم ولم يضروكم قطّ. ﴿وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا﴾ من أعدائكم ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ﴾ إلى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ تعليل وتنبيه على أن إتمام عهدهم من باب التقوى.

۝٥ - ۝٦ ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ﴾ انقضى، وأصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة ﴿ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ﴾ التي أبيح للناكثين أن يسيحوا فيها. وقيل: هي رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، وهذا مخل للنظم مخالف للإجماع؛ فإنه يقتضي بقاء حرمة الأشهر الحرم إذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها. ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ الناكثين. ﴿حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ من حِلٍّ وحَرَم. ﴿وَخُذُوهُمۡ﴾ وأسروهم، و(الأخيذ): الأسير. ﴿وَٱحۡصُرُوهُمۡ﴾ واحبسوهم، أو حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام ﴿وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ﴾ كل ممر لئلا

[وقيل: رجب..] إلى آخره؛ أي: لا الأشهر التي أبيح للناكثين أن يسيحوا فيها [وهذا **مُخِلٌّ بالنظم**]؛ أي: بنظم الآية إذ نظمها يقتضي توالي الأشهر المذكورة [**فإنه يقتضي بقاء حرمة الأشهر الحرم إذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها**] يرد بأنه قد جاء ما ينسخها كما ذكره الزمخشري(١) وغيره وعبارته: فإن قلت: ما وجه إطباق أكثر العلماء على جواز مقاتلة المشركين في الأشهر الحرم وقد صانها الله عن ذلك؟ قلت: قد نسخ، وجوب الصيانة: قد نسخ وأبيح قتال المشركين فيها.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٢٣٢].

۞ ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧﴾.

يتبسطوا في البلاد؛ وانتصابه على الظرف. ﴿فَإِن تَابُوا۟﴾ عن الشرك بالإيمان ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ تصديقاً لتوبتهم وإيمانهم ﴿فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ﴾ فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك، وفيه دليل على أن تارك الصلاة ومانع الزكاة لا يخلى سبيله. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ تعليل للأمر؛ أي: فخلوهم لأن الله غفور رحيم؛ غفر لهم ما قد سلف وعدلهم الثواب بالتوبة ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ المأمور بالتعرض لهم. ﴿ٱسْتَجَارَكَ﴾ استأمنك وطلب منك جوارك. ﴿فَأَجِرْهُ﴾ فأمِّنْه. ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ ويتدبره ويطلع على حقيقة الأمر. ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ﴾ مَوْضِعَ أصلِهِ إنْ لم يُسْلِم و(أحدٌ) رفع بفعل يفسره ما بعدهُ لا بالابتداء؛ لأن إن من عوامل الفعل ﴿ذَٰلِكَ﴾ الأمن أو الأمر. ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ ما الإيمان، وما حقيقة ما تدعوهم إليه؛ فلا بد من أمانهم ريثما يسمعون ويتدبرون.

۝٧ ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ﴾ استفهام بمعنى الإنكار والاستبعاد لأن يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم، أو لأن يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه، وخبر (يكون) (كيف) وقدم للاستفهام، أو للمشركين، أو عند الله؛ وهو على الأولين صفة للعَهْدُ،

[وطلب منك جِوارك]؛ أي: «أمانك» وهو بكسر الجيم أفصح من ضمها [لأن «إنَّ» من عوامل الفعل]؛ أي: فلا يدخل على غيره [ريثما يسمعون] عبارة «الكشاف»(١) حتى يسمعوا وهي أوضح، والريث معناه: الإبطاء، يقال: راث علينا خبر فلان؛ أي: أبطأ، قال ابن الأثير: ومنه الحديث: «وعد جبريل رسول الله ﷺ أن يأتيه فراث عليه»(٢) فمعنى قول المصنف ريثما بطئ ما يسمعون.

[مع وغرة صدورهم] قال الجوهري: «الوغْرة»؛ أي: بالتسكين شدة الحرّ،

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٢٣٦].
(٢) صحيح البخاري [٥/ ٢٢٢٢/ برقم: ٥٦١٥].

۞ ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾﴾.

أو ظرف له، أو لـ(يَكُونُ)، و(كَيْفَ) على الأخيرين حال من (العَهْد) و(لِلْمُشْرِكِينَ) إن لم يكن خبراً فتبيين ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ هم المستثنون، قيل: ومحله النصب على الاستثناء، أو الجر على البدل، أو الرفع على أن الاستثناء منقطع؛ أي: ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام. ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾؛ أي: فتربصوا أمرهم؛ فإن استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء، وهو كقوله: ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ [التوبة: ٤] غير أنه مطلق وهذا مقيد، و(ما) تحتمل الشرطية والمصدرية ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ سبق بيانه.

﴿٨﴾ ﴿كَيْفَ﴾ تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد، أو بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله:

وَخَبَّرتماني أَنَّما المَوْتُ بِالقُرَى فَكَيْفَ وَهَاتَا هَضْبَةٌ وَقَلِيبُ

ومنه قيل: «في صدره عليَّ وَغْراً» بالتسكين؛ أي: ضغن وعداوة وتوقد من الغيظ، والمصدر بالتحريك. انتهى. وظاهره أن «الوغر» مصدر مغايراً له بالمعنى الأول فعليه الأول اسم مصدر والثاني مصدر، وقد ذكر صاحب «القاموس» أن في كل منهما التسكين والتحريك[1] **[وهو]**؛ أي: عند الله **[وحذف الفعل]**؛ أي: وهو يكون المغوار. **[أَخْبَرْتُمانِي]** وروي خَبَّرْتُمانِي:

[...إِنَّما المَوتُ بالقُرَى وكيفَ وَهَاتَا هَضْبَةٌ وقَلِيْبُ][2]

قيل: هما جبلان بالبادية والمعنى: أخبر ثماني أن الموت مختص بالحضر فكيف مات أخي بالبادية؟ والشاهد في «كيف» حيث حذف بعده الفعل وهو «مات»

---

(١) القاموس المحيط، الفيروزآبادي [٢/ ٣٠٧].

(٢) كان لكعب بن سعد أخٌ يقال له «أبو المغوار»، فأخذ المدينةَ وَبَاءٌ، فنصحوهُ بأن يَفِرَّ بأخيهِ مِنَ الأرضِ الوبيْئَةِ؛ لينجوَ مِنْ طوارِقِ الموتِ، فلمَّا خَرجَ بِهِ إلى الباديةِ هَلَكَ أخوهُ، فتفَجَّعَ عليه تَفَجُّعَ العربيِّ النبيل. تفسير الطبري [١٤/ ١٤٥].

أي: فكيف مات ﴿وَإِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: وحالهم أنهم إن يظفروا بكم ﴿لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ﴾ لا يراعوا فيكم ﴿إِلًّا﴾ حلفاً، وقيل: قرابة، قال حسان:

لَعَمْرُكَ إِنَّ إِلَّكَ مِنْ قُرَيْش كَإِلِّ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعَامِ

وقيل: ربوبية، ولعله اشتق للحلف من الإل وهو الجؤار؛ لأنهم كانوا إذا تحالفوا رفعوا به أصواتهم وشهروه، ثم استعير للقرابة؛ لأنها تعقد بين الأقارب ما لا يعقده الحلف، ثم للربوبية والتربية. وقيل: اشتقاقه من ألل الشيء إذا حدده، أو من آل البرق إذا لمع. وقيل: إنه عبري بمعنى: (الإله)؛ لأنه قرئ: (إيلا) كـ(جبرئل) و(جبرئيل). ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾ عهداً، أو حقاً يعاب على إغفاله ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ استئناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية إلى عدم مراقبتهم عند الظفر، ولا يجوز جعله حالاً من فاعل (لا يرقبوا) فإنهم بعد ظهورهم لا يرضون؛ ولأن المراد إثبات إرضائهم المؤمنين بوعد الإيمان والطاعة والوفاء بالعهد في الحال، واستبطان الكفر والمعاداة؛ بحيث إن ظفروا لم يبقوا عليهم، والحالية تنافيه ﴿وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ ما تفوه به أفواههم ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ متمردون لا عقيدة تَزُعُّهم ولا مروءة تردعهم،

للعلم به مما قبله [**قال حسان**:

لَعَمْرُكَ إِنَّ إِلَّكَ مِنْ قريشٍ كإِلِّ السَّقْبِ مِنْ رأْلِ النَّعام][1]

«السَّقبُ»: ولدُ الناقة، و«الرأْلُ»: ولد النَّعام، والخطاب في «لعمرك» لأبي سفيان؛ يعني: لا قرابة بينك وبين قريش كما لا قرابة بين ولد الناقة وولد النعامة [**ولعله**]؛ أي: الإلّ بالكسر [**اشتق للحلف من الآل**] بالفتح وأوضح منه قول «الكشاف»[2] والوجه: أن اشتقاق الإلّ بمعنى الحلف من الآل.

[**وهو الجُؤار**] بضم الجيم والهمز رفع الصوت [**تزعهم**] بزاي مفتوحة؛ أي:

---

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر ابن الأنباري [١/ ٤١٥].

(٢) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٢٣٧].

۞ ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩) لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (١٠) فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١١) وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ (١٢)﴾.

وتخصيص الأكثر؛ لما في بعض الكفرة من التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر أحدوثة السوء.

(٩) - (١٠) ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ استبدلوا بالقرآن. ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عوضاً يسيراً وهو اتباع الأهواء والشهوات ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ﴾ دينه الموصل إليه، أو سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار، والفاء للدلالة على أن اشتراءهم أداهم إلى الصد ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ عملهم هذا، أو ما دل عليه قوله: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ فهو تفسير لا تكرير. وقيل: الأول عام في المنافقين، وهذا خاص بالذين اشتروا؛ وَهُمْ اليهود، أو الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان وأطعمهم ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ في الشرارة.

(١١) - (١٢) ﴿فَإِن تَابُوا﴾ عن الكفر. ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ فهم إخوانكم ﴿فِي الدِّينِ﴾ لهم ما لكم وعليهم ما عليكم. ﴿وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ اعتراض للحث على تأمل ما فصل من أحكام المعاهدين، أو خصال التائبين. ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾ وإن نكثوا بعد ما بايعوا عليه من الإيمان أو الوفاء بالعهود ﴿وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ﴾

«تكفهم» [من التفادي] بالفاء يقال: يفادي الرَّجُلُ مِنْ كذا إذا تحامَاهُ وانزَوَا عنه قاله الجوهري[١] وَعَطْفُهُ «انزوى» على «تحاماه» عطفُ تفسيرٍ ومِنْ ثَمَّ قال الجوهري:

---

(١) الصحاح، الجوهري [٨/ ٣٨٣].

۞ ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخْشَوْنَهُمْۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾.

بصريح التكذيب وتقبيح الأحكام ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾؛ أي: فقاتلوهم، فوضع (أئمة الكفر) موضع الضمير؛ للدلالة على أنهم صاروا بذلك ذوي الرئاسة والتقدم في الكفر، أَحِقَّاء بالقتل. وقيل: المراد بالأئمة رؤساء المشركين، فالتخصيص؛ إما لأن قتلهم أهمّ، وَهُمْ أحق به، أو للمنع من مراقبتهم. وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وروح عن يعقوب (أئمة) بتحقيق الهمزتين على الأصل، والتصريح بالياء لحن. ﴿إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ﴾؛ أي: لا أيمان لهم على الحقيقة؛ وإلا لما طعنوا ولم ينكثوا، وفيه دليل على أن الذمي إذا طعن في الإسلام فقد نكث عهده، واستشهد به الحنفية: على أن يمين الكافر ليست يميناً، وهو ضعيف؛ لأن المراد نفي الوثوق عليها لا أنها ليست بأيمان لقوله تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم﴾ وقرأ ابن عامر: (لا إِيْمَان لهم) بمعنى: لا أمان، أو لا إسلام، وتشبث به من لم يقبل توبة المرتدين، وهو ضعيف؛ لجواز أن يكون بمعنى: (لا يؤمنون) على الإخبار عن قوم معينين، أو ليس لهم إيمان فيراقبوا لأجله ﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ متعلق بـ(قاتلوا)؛ أي: ليكن غرضكم في المقاتلة أن ينتهوا عما هم عليه؛ لا إيصال الأذية بهم، كما هو طريق المؤذين.

﴿١٣﴾ ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا﴾ تحريض على القتال؛ لأن الهمزة دخلت

يقال: تحامَاه الناسُ؛ أي: تَوَقَّوهُ واجتَنَبُوه. **[والتصريح بالياء لحن]** تبع فيه «الكشاف»[(١)] التابع للفراء وهو مردود فالجمهور من النحاة والقراء على جواز قلب الهمزة الثانية حرف لين، فبعضهم على جعلها بَيْنَ بَيْن، وبعضهم على قلبها ياء خالصة[(٢)] **[نفى الوقوف]**؛ أي: الاعتماد **[وتشبث]** بمثلثة؛ أي: تعلق

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٢٣٨].
(٢) الأصول في النحو، ابن السراج [٣/ ٣٧٩].

۞ ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾.

على النفي للإنكار فأفادت المبالغة في الفعل. ﴿نَّكَثُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ﴾ التي حلفوها مع الرسول عليه السلام والمؤمنين؛ على أن لا يعاونوا عليهم، فعاونوا بني بكر على خزاعة ﴿وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ حين تشاوروا في أمره بدار الندوة على ما مَرَّ ذِكْره في قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الأنفال: ٣٠] وقيل: هم اليهود نكثوا عهد الرسول، وهَمُّوا بإخراجه من المدينة. ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ بالمعاداة والمقاتلة؛ لأنه عليه الصلاة والسلام بدأهم بالدعوة وإلزام الحجة بالكتاب والتحدي به، فعدلوا عن معارضته إلى المعاداة والمقاتلة؛ فما يمنعكم أن تعارضوهم وتصادموهم ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ أتتركون قتالهم خشية أن ينالكم مكروه منهم ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ فقاتلوا أعداءه، ولا تتركوا أمره ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فإن قضية الإيمان أن لا يُخشى إلا منه.

﴿١٤﴾ - ﴿١٥﴾ ﴿قَاتِلُوهُمْ﴾ أمر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعد عليه ﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ وَعَدَ لهم إن قاتلوهم بالنصر عليهم، والتمكن من قتلهم وإذلالهم ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ يعني: بني خزاعة. وقيل: بطوناً من اليمن وسبأ؛ قدموا مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذى شديداً، فشكوا إلى رسول الله ﷺ فقال: «**أبشروا فإن الفرج قريب**». ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ لما لقوا منهم، وقد

[**إلا منه**]؛ أي: من الله.

[﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾] المراد بالتعذيب: القتل أو الأسر وهذا كالتصريح بأن مثل هذا الفعل وما عطف عليه فعله تعالى؛ وإن كان جار على أيدي العباد كَسْباً، ولا يردّ على ذلك أنه لا يقال: يعذب الله المؤمنين بأيدي الكفار؛ لأن ذاك إنما امتنع لشناعة العبارة، كما لا يقال: «يا خالق القاذورات والأبوال والعذرات

۞ ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾.

أوفى الله بما وعدهم، والآية من المعجزات. ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾ ابتداء إخبار بأن بعضهم يتوب عن كفره؛ وقد كان ذلك أيضاً، وقرئ «وَيَتُوبَ» بالنصب على إضمار (أن) على أنه من جملة ما أجيب به الأمر؛ فإن القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم آخرين. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما كان وما سيكون ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يفعل ولا يحكم إلا على وفق الحكمة.

﴿١٦﴾ ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال، وقيل: للمنافقين و(أمْ) منقطعة، ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان ﴿أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ﴾ ولم يتبين الخُلَّص منكم؛ وهم الذين جاهدوا من غيرهم، نفى العلم وأراد نفي المعلوم للمبالغة فإنه كالبرهان عليه من حيث إن تعلق العلم به مستلزم لوقوعه. ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا﴾ عطف على ﴿جَاهَدُوا﴾ داخل في الصلة ﴿مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ بطانة يوالونهم ويَفشون إليهم أسرارهم. وما في (لَمَّا) من معنى التوقع منبه على أن تبين ذلك متوقع. ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ يعلم غرضكم منه وهو كالمزيج لما يتوهم من ظاهر قوله: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾.

وإن كان هو الخالق لها»(١) **[وقرئ ﴿وَيَتُوبُ﴾ بالنصب..]** إلى آخره. حاصله: أن عطف «يتوب» بالنصب عطف على المجزوم من حيث المعنى لكونه منصوباً تقديراً؛ أي: «قاتلوهم فيعذبهم ويتوب» على عكس «فأصَّدق وأكن» حيث قدر فيه المنصوب مجزوماً؛ أي: «لولا أَخَّرْتَنِي أصدق» فعطف عليه المجزوم؛ أي: «أكن» **[من معنى التوقع]** بيان

(١) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري [٣/ ٤٣٧].

۞ ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿١٧﴾ ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ ما صح لهم ﴿أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ شيئاً من المساجد فضلاً عن المسجد الحرام، وقيل: هو المراد وإنما جمع لأنه قبلة المساجد وإمامها؛ فعامره كعامر الجميع، ويدل عليه قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب بالتوحيد ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ بإظهار الشرك وتكذيب الرسول، وهو حال من (الواو)، والمعنى: ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره. روي: (أنه لما أسر العباس عيّره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم وأغلظ له علي رضي الله تعالى عنه في القول فقال: ما بالكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا؟! إنا لنعمر المسجد الحرام، ونحجب الكعبة، ونسقي الحجيج، ونفك العاني! فنزلت). ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك. ﴿وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ لأجله.

﴿١٨﴾ ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾؛ أي: إنما يستقيم عَمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية؛ ومن عمارتها تزيينها بالفرش، وتنويرها بالسرج، وإدامة العبادة، والذِّكر، ودرس العلم فيها، وصيانتها عما لم تُبْنَ له؛ كحديث الدنيا. وعن النبي عليه الصلاة والسلام: «**قال الله تعالى: إن بيوتي في أرضي المساجد،**

لما [أن يعمروا مسجد الله]؛ أي: أن يدخلوها ويقعدوا فيه ويخدموه [«وعن النبي ﷺ: **قال الله تعالى: إن بيوتي في أرضي المساجد..**»] إلى آخره. قال شيخنا شيخ الإسلام ابن حجر: لم أجده هكذا، وفي الطبراني عن سلمان عن النبي ﷺ:

۞ ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾.

وإن زواري فيها عُمَّارها؛ فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي، فحق على المزور أن يكرم زائره». وإنما لم يذكر الإيمان بالرسول لما علم أن الإيمان بالله قرينه، وتمامه الإيمان به ولدلالة قوله: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ عليه ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾؛ أي: في أبواب الدين؛ فإن الخشية عن المحاذير جبلِّيَّة لا يكاد العاقل يتمالك عنها ﴿فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ ذكره بصيغة التوقع؛ قطعاً لأطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع بأعمالهم، وتوبيخاً لهم بالقطع بأنهم مهتدون؛ فإن هؤلاء مع كمالهم إذا كان اهتداؤهم دائراً بين عسى ولعل فما ظنك بأضدادهم؟ ومنعاً للمؤمنين أن يغتروا بأحوالهم ويتكلوا عليها.

﴿١٩﴾ ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ السقاية والعمارة مصدر (أسقى) و(عمر) فلا تشبهان

«من توضأ في بيته فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد فهو زائر الله وحق على المزور أن يكرم زائره»(١).

[**لما علم أن الإيمان بالله**..] إلى آخره؛ يعني: كأن الإيمان بالرسول مذكور بطريق أبلغ هو طريق الكناية لما علم بقربهما وعدم انفكاك أحدهما عن الآخر [**فإن الخشية عن المحاذير**..] إلى آخره. جواب ما يقال: كيف قيل: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ والمؤمن يخشى المحاذير ولا يتمالك أن لا يخشاها؟ فأجاب: «بأن تلك الخشية جِبِلّية..» إلى آخره. والخشية المطلوبة هنا إنما هي الخشية والتقوى في أبواب الدِّين، وأن لا يختار على رضى الله رضى غيره لتوقع مخوف(٢)

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني [٦/ ٢٥٥/ برقم: ٦١٤٥].

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [١٦/ ٩].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٢)﴾.

بالجثث؛ بل لا بد من إضمار تقديره: أجعلتم أهل سقاية الحاج كمن آمن، أو أجعلتم سقاية الحاج كإيمان من آمن، ويؤيد الأول قراءة من قرأ: (سقاة الحاج وعمرة المسجد) والمعنى: إنكار أن يشبه المشركون وأعمالهم المحبطة بالمؤمنين وأعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله: ﴿لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ وبيَّن عدم تساويهم بقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول ﷺ، منهمكون في الضلالة؛ فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب، وقيل: المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين.

(٢٠) - (٢٢) ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾ أعلى رتبة، وأكثر كرامة ممن لم تستجمع فيه هذه الصفات، أو من أهل السقاية والعمارة عندكم ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ بالثواب، ونيل الحسنى عند الله دونكم ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا﴾ في الجنات. ﴿نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم، وقرأ حمزة ﴿يُبَشِّرُهُمْ﴾ بالتخفيف، وتنكير المبشَّر به؛ إشعار بأنه وراء التعيين والتعريف. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ أكد الخلود بالتأبيد؛ لأنه قد يستعمل للمكث الطويل. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ يُسْتَحْقَر دونه ما استوجبوه لأجله، أو نعيم الدنيا.

[بل لا بد من إضمار]؛ أي: في المشبه أو المشبه به، وقد بيَّن كل منهما بقوله [تقديره: ﴿أَجَعَلْتُمْ﴾] إلى آخره.

[أو نعيم الدنيا] عطف على «ما استوجبوه».

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٣) قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤)﴾.

---

(٢٣) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ نزلت في المهاجرين فإنهم لما أمروا بالهجرة قالوا: إن هاجرنا قطعنا آباءنا وأبنائنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وبقينا ضائعين! وقيل: نزلت نهياً عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة، والمعنى: لا تتخذوهم أولياء يمنعونكم عن الإيمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله: ﴿إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾ إن اختاروه وحرصوا عليه ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ بوضعهم الموالاة في غير محلها.

(٢٤) ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ أقرباؤكم مأخوذ من العِشْرة. وقيل: من العَشَرة؛ فإن العشيرة جماعة ترجع إلى عقد كعقد العشرة. وقرأ أبو بكر (وعشيراتكم) وقرئ: (وعشائركم) ﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ اكتسبتموها ﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ فوات وقت نَفَاقِها ﴿وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾ الحب الاختياري دون الطبيعي فإنه لا يدخل تحت التكليف في التحفظ عنه ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ جواب ووعيد، و(الأمر): عقوبة عاجلة أو آجلة. وقيل: فتح مكة ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ لا يرشدهم، وفي الآية تشديد عظيم، وقلَّ من يتخلص منه.

[فإنه]؛ أي: الشأن ولو أبدل ذلك بـ«إذ» كان أوضح **[فتربصوا]**؛ أي: فانتظروا **[وفي الآية]**؛ أي: قوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ﴾ إلى آخره.

۞ ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿٢٥﴾ ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾؛ يعني: مواطن الحرب وهي مواقعها ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ وموطن يوم حنين، ويجوز أن يقدر في (أيام) (مواطن)، أو يفسر (الموطن) بالوقت؛ كمقتل الحسين، ولا يمنع إبدال قوله: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ منه أن يعطف على موضع في ﴿مَوَاطِنَ﴾ فإنه لا يقتضي تشاركهما في ما أضيف إليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم وإعجابها إياهم في جمع المواطن و﴿حُنَيْنٍ﴾ واد بين مكة والطائف، حارب فيه رسول الله ﷺ

[وموطن يوم حنين..] إلى آخره. تبع في تقدير ما ذكر الزمخشري(١) ليكون من عطف مكان على مكان، أو زمان على زمان، وهذا طلب لكمال الأنسبية، وإلا فعطف الزمان على المكان وعكسه جائز نحو: «ضرب زيد عمرواً يوم الجمعة وفي المسجد».

[**ولا يمنع إبدال قوله**: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ **منه**]؛ أي: من ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ [**أن يعطف**]؛ أي: يوم حنين [**على موضع في مواطن**]؛ أي: على محله وجملة ذلك جواب ما يقال: أن الإبدال يمنع العطف؛ لأن أحد المتعاطفين يشارك الآخر فيما قيد به. وهنا المعطوف مقيد بما قيد به البدل؛ لأن ما صدقهما واحد فأجاب بمنع المشاركة حيث قال [**فإنه**]؛ أي: العطف [**لا يقتضي تشاركهما فيما أضيف إليه المعطوف**] كعكسه وإنما قيد به؛ لأنه الواقع هنا ويدل لعدم اقتضاء المشاركة كما قال التفتازاني وغيره صحة قولهم: «اضرب زيداً اليوم وعمرواً غداً»، و«اضرب زيداً قائماً وعمرواً قاعداً» إلى غير ذلك(٢) [**حتى تقتضي كثرتهم وإعجابهم إياهم**] غاية للمنفي في قوله: لا يقتضي.. إلى آخره. [«**وحُنين واد**»] إلى آخره. رواه مسلم بمعناه(٣).

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/٢٤٦].

(٢) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٩/٣٠٧].

(٣) صحيح مسلم [٣/١٤٠٠/ برقم: ١٧٧٦].

والمسلمون ـ وكانوا اثني عشر ألفاً؛ العشر الذين حضروا فتح مكة، وألفان انضموا إليهم من الطلقاء ـ هوازنَ وثقيفَ، وكانوا أربعة آلاف، فلما التقوا قال النبي ﷺ، أو أبو بكر عنه، أو غيره من المسلمين: لن نغلب اليوم من قلة، إعجاباً بكثرتهم، واقتتلوا قتالاً شديداً؛ فأدرك المسلمين إعجابهم واعتمادهم على كثرتهم، فانهزموا حتى بلغ فَلُّهم مكة، وبقي رسول الله ﷺ في مركزه ليس معه إلا عمه العباس ـ آخذاً بلجامه ـ وابن عمه أبو سفيان بن الحارث، وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس ـ وكان صيِّتاً ـ: «**صِحْ بالناس**»، فنادى: يا عباد الله! يا أصحاب الشجرة! يا أصحاب سورة البقرة! فكروا عنقاً واحداً، يقولون: لبيك! لبيك! ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين؛ فقال عليه الصلاة والسلام هذا؛ حين حمي الوطيس، ثم أخذ كفّاً من تراب فرماهم ثم قال: «**انهزموا ورب الكعبة**» فانهزموا). ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ﴾؛ أي: الكثرة. ﴿شَيْـًٔا﴾ من الغناء أو من أمر العدو. ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ برحبها؛ أي: سعتها

[**الطلقاء**] هم الأُسارى الذين أخذوا يوم الفتح وأطلقوا [**لن تغلبوا اليوم من قلة**] نفي للقلة وإعجاب بالكثرة؛ يعني: إن وقع مغلوبية فليس عن القلة قاله التفتازاني [**حتى بلغ فلّهم**] بفتح الفاء؛ أي: «منهزموهم» [«**يا أصحاب الشجرة**»][1] هم أصحاب بيعة الرضوان المذكورون في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] [**يا أصحاب سورة البقرة**] قال الطيبي أراد المذكورين في قوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقيل: الذين أنزل عليهم سورة البقرة.

[**فَكَرُّوا عَنُقاً**] بضم النون وسكونها؛ أي: «ميلاً»، قال الجوهري: «هم عنق إليك»؛ أي: مائلون والمعنى: رجعوا جماعة واحدة[2] [**حمي الوطيس**] قال الجوهري: «الوطيس»: التنور، يقال: الوطيس حمي إذا اشتد الحرب[3] [**برحبها؛ أي: سعتها**] قال

---

(١) السنن الكبرى، النسائي [٥/ ١٩٤/ برقم: ٨٦٤٧].

(٢) الصحاح، الجوهري [٦/ ٢٢٧]. (٣) الصحاح، الجوهري [٥/ ١٣٤].

﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾.

لا تجدون فيها مَقَرّاً تطمئن إليه نفوسكم من شدة الرعب، أو لا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم﴾ الكفار ظهوركم. ﴿مُّدْبِرِينَ﴾ منهزمين والإِدبار الذهاب إلى خلف، خلاف الإقبال.

﴿٢٦﴾ - ﴿٢٧﴾ ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ رحمته التي سكنوا بها وأمنوا. ﴿عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين انهزموا؛ وإعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما. وقيل: هم الذين ثبتوا مع الرسول عليه الصلاة والسلام ولم يفروا. ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ بأعينكم؛ أي: الملائكة، وكانوا خمسة آلاف، أو ثمانية، أو ستة عشر على اختلاف الأقوال. ﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالقتل والأسر والسبي ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾؛ أي: ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ منهم بالتوفيق للإسلام ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم. روي: «أن أناساً منهم جاءوا إلى رسول الله ﷺ وأسلموا وقالوا: يا رسول الله! أنت خير الناس وأبرُّهم وقد سُبِيَ أهلونا وأولادنا وأُخِذَت أموالنا. وقد سبي يومئذ ستة آلاف نفس، وأخذ من الإبل والغنم ما لا يحصى. فقال ﷺ: «**اختاروا؛ إما سباياكم وإما أموالكم؟**»، فقالوا: ما كنا نعدل بالأحساب شيئاً! فقام رسول الله ﷺ وقال: «**إن هؤلاء جاءوا مسلمين، وإنّا خَيَّرْنَاهُم**

الجوهري: «الرّحب»: بالضم السعة وبالفتح الواسع [«**روي أن ناساً منهم..**»] إلى آخره. رواه البخاري(١) وغيره [**ما كنا نعدل بالأحساب شيئاً**] الحسب ما يعده الإنسان

---

(١) صحيح البخاري [٢/٨٩٧/برقم: ٢٤٠٢] وأوله: «أن النبي ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن..».

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٨﴾.

بين الذراري والأموال فلم يعدلوا بالأحساب شيئاً، فمن كان بيده سبي وطابت نفسه أن يرده فشأنه، ومن لا؛ فليعطنا وليكن قرضاً علينا حتى نصيب شيئاً فنعطيه مكانه» فقالوا: رضينا وسلّمنا، فقال: «**إني لا أدري لعل فيكم من لا يرضى؟ فمروا عرفاءكم فليرفعوا إلينا**»، فرفعوا أنهم قد رضوا».

﴿٢٨﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ﴾ لخبث باطنهم، أو لأنه يجب أن يجتنب عنهم كما يجتنب عن الأنجاس، أو لأنهم لا يتطهرون ولا يتجنبون عن النجاسات؛ فهم ملابسون لها غالباً. وفيه دليل على أن ما الغالب نجاسته نجس. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أن أعيانهم نجسة كالكلاب. وقرئ (نِجْسٌ) بالسكون وكسر النون، وهو كـ(كِبْد في كَبِد) وأكثر ما جاء تابعاً لـ(رِجْس). ﴿فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ﴾ لنجاستهم، وإنما نهى عن الاقتراب للمبالغة، أو للمنع عن دخول الحرم. وقيل: المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقاً، وإليه ذهب أبو حنيفة رحمه الله تعالى. وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع، وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع. ﴿بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ﴾؛ يعني: سنة (بَرَاءة)؛ وهي التاسعة. وقيل: سنة حجة الوداع. ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ﴾ فَقْراً؛ بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من

من مفاخر آبائه، كنّوا بذلك عن اختيار الذراري والنساء عن استرجاع الأموال؛ لأن تركهم في ذل الأسر يفضي إلى الطعن في أحسابهم [**فشأنه**] بالنصب؛ أي: فيلزم شأنه وأمره. [**وليكن قرضاً**]؛ أي: بمنزلة القرض [**وأكثر ما جاء**]؛ أي: «نِجْس» بكسر النون وسكون الجيم و«ما» مصدرية [**تابعاً لرِجْز**] فيقال [**بترحيب؛ أي: سعتها**]

﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

المكاسب والأرزاق. ﴿فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾ من عطائه أو تفضله بوجه آخر، وقد أنجز وعده بأن أرسل السماء عليهم مدراراً، ووفق أهل تبالة وجرش فأسلموا وامتاروا لهم، ثم فتح عليهم البلاد والغنائم، وتوجه إليهم الناس من أقطار الأرض. وقرئ (عَائِلَة) على أنها مصدر كـ(العافية) أو حال. ﴿إِن شَآءَ﴾ قيده بالمشيئة ليقطع الآمال إلى الله تعالى ولينبه على أنه تعالى متفضل في ذلك وأن الغني الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم ﴿حَكِيمٞ﴾ فيما يعطي ويمنع.

﴿٢٩﴾ ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾؛ أي: لا يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بيناه في أول (البقرة) فإنَّ إيمانهم كلا إيمان. ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ ما ثبت تحريمه بالكتاب والسُّنَّة، وقيل: رسوله هو الذي يزعمون اتباعه، والمعنى: أنهم يخالفون أصل دينهم المنسوخ اعتقاداً وعملاً ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ﴾ الثابت الذي هو ناسخ سائر الأديان ومبطلها ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ بيان للذين لا يؤمنون ﴿يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ﴾ ما تقرر عليهم أن يعطوه، مشتق من: (جزى دينه)؛ إذا قضاه. ﴿عَن يَدٖ﴾ حال من الضمير؛ أي: عن يد مؤاتية، بمعنى: منقادين، أو عن يدهم؛ بمعنى: مسلمين بأيديهم غير باعثين بأيدي غيرهم،

قال الجوهري: الرحب بالضم السعة وبالفتحة التواسع[1]، رجس نجس **[ووفق أهل تبالة وجرش]** «تَبَالة» بفتح التاء، و«جُرَش» بضم الجيم وفتح الراء وبشين معجمة

---

(١) عبارة: (فيقال: [بترحيب؛ أي: سعتها] قال الجوهري: الرحب بالضم السعة وبالفتحة التواسع) من نسخة [ز ـ ب] ساقطة من نسخة [الأصل ـ ج].

۞ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَارَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

ولذلك منع من التوكيل فيه، أو عن غنى، ولذلك قيل: لا تؤخذ من الفقير، أو عن يد قاهرة عليهم؛ بمعنى: عاجزين أذلاء، أو عن إنعام عليهم؛ فإن إبقاءهم بالجزية نعمة عظيمة، أو من الجزية؛ بمعنى: نقداً مسلمة عن يد إلى يد. ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ أذلاء.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: «تؤخذ الجزية من الذمي وتوجأ عنقه». ومفهوم الآية يقتضي تخصيص الجزية بأهل الكتاب؛ ويؤيده أن عمر رضي الله تعالى عنه لم يكن يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عنده عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله تعالى عنه؛ أنه عليه السّلام أخذها من مجوس هجر. وأنه قال: «**سُنُّوا بهم سُنَّة أهل الكتاب**». وذلك لأنهم لهم شبهة كتاب فأُلحقوا بالكتابيين، وأما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا. وعند أبي حنيفة رحمه الله تعالى: تؤخذ منهم إلا من مشركي العرب لما روى الزهري: أنه عليه الصلاة والسلام صالح عبدة الأوثان إلا من كان من العرب. وعند مالك رحمه الله تعالى: تؤخذ من كل كافر إلا المرتد، وأقلها في كل سنة دينار ـ سواء فيه الغني والفقير ـ، وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: على الغني ثمانية وأربعون درهماً، وعلى المتوسط نصفها، وعلى الفقير الكسوب ربعها، ولا شيء على الفقير غير الكسوب.

﴿٣٠﴾ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ إنما قال بعضهم من متقدميهم، أو

قريتان من قرى اليمن [ويؤيده «**أن عمر**..»] إلى آخره. روى أوله البخاري وآخره مالك والشافعي(١) [**ولذلك منع من التوكل فيه**] هذا على قول ضعيف والمعتمد

---

(١) صحيح البخاري [٣/ ١١٥١/ برقم: ٢٩٨٧]، موطأ مالك [٢/ ١٣٥/ برقم: ٣٣٣]، مسند الشافعي [١٧٠/ برقم: ٨١٦].

ممن كان بالمدينة، وإنما قالوا ذلك؛ لأنه لم يبق فيهم بعد وقعة (بختنصر) من يحفظ التوراة، وهو: «لما أحياه الله بعد مائة عام أملى عليهم التوراة حفظاً، فتعجبوا من ذلك وقالوا: ما هذا إلا لأنه ابن الله!». والدليل على أن هذا القول كان فيهم: أن الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب. وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب: (عُزَيْرٌ) بالتنوين على أنه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به، وحذفه في القراءة الأخرى؛ إما لمنع صرفه للعجمة والتعريف، أو لالتقاء الساكنين تشبيهاً للنون بحروف اللين، أو لأن الابن وصف، والخبر محذوف مثل معبودنا أو صاحبنا، وهو مزيف لأنه يؤدي إلى تسليم النسب وإنكار الخبر المقدر ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ هو أيضاً قول بعضهم، وإنما قالوه استحالة لأن يكون ولد بلا أب، أو لأن يفعل ما فعله من إبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى من لم يكن إلهاً ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ إما تأكيد لنسبة هذا القول إليهم ونفي للتجوز عنها، أو إشعار بأنه قول مجرد عن برهان، وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في الأفواه ولا يوجد مفهومه في الأعيان. ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ أي: يضاهي قولهم قول الذين كفروا، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. ﴿مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من قبلهم، والمراد قدماؤهم على معنى أن الكفر قديم فيهم، أو المشركون الذين قالوا: الملائكة بنات الله، أو اليهود على أن الضمير للنصارى، و(المضاهاة) المشابهة؛ والهمز لغة فيه، وقرأ به عاصم ومنه قولهم امرأة ضهيأ على (فَعْيَل) للتي شابهت الرجال في أنها لا تحيض.

خلافه **[أو التقاء الساكنين]**؛ أي: أو حذف التنوين لذلك، ورُدَّ بأنه مخالف لما تقرر من أن الوجه عند ملاقاة التنوين الساكن التحريك لا الحذف.

[أو لأن يفعل] عطف على لأن يكون ولد بلا أب **[ومنه قولهم: امرأة ضهياء[1]..]** إلى آخره. رد بأنَّ الأشبه أن لا يكون مشتقّاً منه؛ لأن الياء في ضهياء أصلية والهمزة

---

(١) **المرأة الضهياء**: هي التي لا تطمث. تاج العروس، الزبيدي [٣٨/ ٤٧٧/ مادة: ضهي].

۞ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿مِن قَبۡلُۚ﴾ دعاء عليهم بالإهلاك؛ فإن من قاتله الله هلك، أو تعجب من شناعة قولهم. ﴿أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ كيف يصرفون عن الحق إلى الباطل.

﴿٣١﴾ - ﴿٣٢﴾ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ بأن أطاعوهم في تحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله، أو بالسجود لهم ﴿وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ بأن جعلوه ابناً لله. ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾؛ أي: وما أمر المتخذون، أو المتخذون أرباباً فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ ﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ﴾ ليطيعوا ﴿إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ﴾ وهو الله تعالى، وأما طاعة الرسل وسائر من أمر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾ صفة ثانية، أو استئناف مقرر للتوحيد ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ تنزيه له عن أن يكون له شريك. ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ﴾ يخمدوا. ﴿نُورَ ٱللَّهِ﴾ حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد، أو القرآن، أو نبوة محمد ﷺ ﴿بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ بشركهم أو بتكذيبهم ﴿وَيَأۡبَى ٱللَّهُ﴾؛ أي: لا يرضى ﴿إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ بإعلاء التوحيد وإعزاز الإسلام. وقيل: إنه تمثيل لحالهم في طلبهم إبطال نبوة محمد ﷺ بالتكذيب؛ بحال من يطلب إطفاء نور عظيم منبث في الآفاق، يريد الله أن يزيده بنفخه، وإنما صح الاستثناء المفرغ، والفعل موجب لأنه في معنى النفي. ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه.

زائدة [﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ﴾] الأحبار العلماء، والرهبان العبّاد، والأول مختص باليهود والثاني بالنصارى، قال ابن عادل نقلاً عن أكثر المفسرين: ومعنى اتخاذهم إياهم أرباباً أنهم أطاعوهم في أوامرهم ونواهيهم لا في اعتقادهم إلٰهيتهم كما

۞ ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿٣٣﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ كالبيان لقوله: ﴿وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ [التوبة: ٣٢] ولذلك كرر ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ غير أنه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على أنهم ضموا الكفر بالرسول إلى الشرك بالله، والضمير في ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ﴾ للدين الحق، أو للرسول عليه الصلاة والسلام واللام في الدِّينِ للجنس؛ أي: على سائر الأديان فينسخها، أو على أهلها فيخذلهم.

﴿٣٤﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ يأخذونها بالرِّشى في الأحكام، سمى أخذ المال أكلاً؛ لأنه الغرض الأعظم منه ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ﴾ دينه. ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يجوز أن يراد به الكثير من الأحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال، والضن به، وأن يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه، ويكون اقترانه بالمرتشين من أهل الكتاب للتغليظ، ويدل عليه أنه لما نزل كَبُرَ على المسلمين، فذكر عمر رضي الله تعالى عنه لرسول الله ﷺ فقال: «**إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب بها ما بقي من أموالكم**»، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**ما أدى زكاته فليس بكنز**»؛ أي: بكنز أُوْعِدَ عليه، فإن

أشار إلى ذلك المصنف [«ما أدى زكاته فليس بكنز»] رواه البيهقي وغيره[1].

---

(١) السنن الكبرى، البيهقي [٤/ ٨٣/ برقم: ٧٠٢٥]، المعجم الكبير، الطبراني [٢٣/ ٢٨١/ برقم: ٦١٣].

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

الوعيد على الكنز مع عدم الإنفاق فيما أمر الله أن ينفق فيه، وأما قوله: «**من ترك صفراء أو بيضاء كوي بها**» ونحوه؛ فالمراد منه: ما لم يؤد حقها، لقوله عليه الصلاة والسلام فيما أورده الشيخان مروياً عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها؛ إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فيكوى بها جبينه، وجنبه، وظهره**». ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ هو الكيُّ بهما.

﴿٣٥﴾ ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾؛ أي: يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها، وأصله تحمى بالنار، فجعل الإحماء للنار مبالغة؛ ثم حذفت النار، وأسند الفعل إلى الجار والمجرور تنبيهاً على المقصود؛ فانتقل من صيغة التأنيث إلى صيغة التذكير، وإنما قال: ﴿عَلَيْهَا﴾ والمذكور شيئان؛ لأن المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة، كما قال علي رضي الله تعالى عنه: (أربعة آلاف وما دونها نفقة، وما فوقها كنز). وكذا قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ وقيل: الضمير فيهما للكنوز أو للأموال، فإن الحكم عام، وتخصيصهما بالذكر؛ لأنهما قانون التمول، أو للفضة، وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على أن المذهب أولى بهذا الحكم. ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ لأن جمعهم وإمساكهم إياه كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية، أو لأنهم ازورُّوا عن السائل، وأعرضوا عنه، وولوه ظهورهم، أو لأنها أشرف الأعضاء الظاهرة فإنها المشتملة على الأعضاء الرئيسية التي هي الدماغ والقلب والكبد، أو لأنها

[«من ترك صفراً أو بيضاً كوي بها»] رواه البخاري في «تاريخه»[1]

---

(١) التاريخ الكبير، البخاري [٦/ ٥٩/ برقم: ١٧٠٧].

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

أصول الجهات الأربع التي هي مقاديم البدن، ومآخره، وجنباه. ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ﴾ على إرادة القول. ﴿لِأَنفُسِكُمْ﴾ لمنفعتها، وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها. ﴿فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾؛ أي: وبال كنزكم، أو ما تكنزونه، وقرئ (تَكْنُزُون) بضم النون.

﴿٣٦﴾ ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ﴾؛ أي: مبلغ عددها. ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ معمول (عِدَّة)؛ لأنها مصدر. ﴿ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ في اللوح المحفوظ، أو في حكمه وهو صفة لاثني عشر، وقوله: ﴿يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ متعلق بما فيه من معنى الثبوت، أو بالكتاب؛ إن جعل مصدراً، والمعنى: أن هذا أمر ثابت في نفس الأمر مذ خلق الله الأجرام والأزمنة. ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ واحد فرد؛ وهو رجب، وثلاثة سَرْد: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم. ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾؛ أي: تحريم الأشهر الأربعة هو الدين القويم؛ دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، والعرب ورثوه منهما. ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ بِهَتْكِ حرمتها، وارتكاب حرامها، والجمهور على أن حرمة المقاتلة فيها منسوخة، وأولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن؛ فإنه أعظم وزراً كارتكابها في الحرم وحال الإحرام، وعن عطاء: أنه لا يحل للناس أن يغزوا في الحرم، وفي الأشهر الحرم؛ إلا أن يُقَاتَلوا. ويؤيد الأول ما روي: (أنه عليه الصلاة والسلام حاصر الطائف وغزا هوازن

[بما]؛ أي: بالذي [فيه]؛ أي: في كتاب الله [من معنى الثبوت] بيان لما والمعنى: أن يوم خلق متعلق بما تعلق به في كتاب الله من نحو ثابت وعليه فالكتاب جثة لا مصدر كما أشار إليه بقوله: [أو بالكتاب؛ إن جعل مصدراً]؛ أي: لا جثة

۞ ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

بحنين في شوال وذي القعدة). ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ جميعاً وهو مصدر (كفَّ عن الشيء) فإن الجميع مكفوف عن الزيادة، وقع موقع الحال. ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بشارة، وضمان لهم بالنصرة؛ بسبب تقواهم.

﴿٣٧﴾ ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ﴾؛ أي: تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر، كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا مكانه شهراً آخر؛ حتى رفضوا خصوص الأشهر واعتبروا مجرد العدد، وعن نافع برواية ورش: (إِنَّمَا النسيُّ) بقلب الهمزة ياء، وإدغام الياء فيها. وقرئ (النَّسْيُ) بحذفها، و(النَّسْء) و(النَّسَاءُ) وثلاثتها مصادر نَسَأَهُ إذا أَخَّره. ﴿زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ لأنه تحريم ما أحله الله، وتحليل ما حرمه الله؛ فهو كفر آخرٌ ضموه إلى كفرهم. ﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ضلالاً زائداً. وقرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿يُضَلُّ﴾ على البناء للمفعول، وعن يعقوب ﴿يُضِلُّ﴾ على أن الفعل لله تعالى. ﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامًا﴾ يحلون النسيء من الأشهر الحرم سنة، ويحرمون مكانه شهراً آخر. ﴿وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾ فيتركونه على حرمته. قيل: (أول من أحدث ذلك جنادة بن عوف الكناني، كان يقوم على جمل في

[وقع موقع الحال]؛ أي: من الفاعل أو المفعول أو منهما **[وعن نافع برواية ورش: «إنما النسيء» بقلب الهمزة..]** إلى آخره. وافق فيه أبو جعفر نافعاً **[وقرئ النسيّ]** بوزن النهي **[بحذفها]**؛ أي: بحذف الهمزة(١) **[والنسيء]** بالهمز **[والنسا]** بالمد

---

(١) إبراز المعاني من حرز الأماني، أبو شامة [١/٢١٦].

۞ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾.

الموسم فينادي: إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه؛ ثم ينادي في القبائل إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه). والجملتان: تفسير للضلال أو حال. ﴿لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: ليوافقوا عدة الأربعة المحرمة، و(اللام) متعلقة بيحرمونه، أو بما دل عليه مجموع الفعلين ﴿فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ﴾ بمواطأة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت. ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ﴾ وقرئ على البناء للفاعل وهو الله تعالى، والمعنى: خذلهم وأضلهم حتى حسبوا قبيح أعمالهم حسناً. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ هداية موصلة إلى الاهتداء.

﴿٣٨﴾ - ﴿٣٩﴾ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ﴾ تباطأتم، وقرئ (تثاقلتم) على الأصل، ﴿أَثَّاقَلْتُمْ﴾ على الاستفهام للتوبيخ. ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ متعلق به كأنه ضمن معنى الإخلاد والميل فعدى بـ(إلى)، وكان ذلك في غزوة تبوك؛ أمروا بها بعد رجوعهم من الطائف في وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم. ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وغرورها. ﴿مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ﴾ بدل الآخرة ونعيمها ﴿فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فما التمتع بها ﴿فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ في جنب الآخرة ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ مستحقر

والقصر [أو حال]؛ أي: من الذين كفروا [واللام متعلقة بيحرمونه] على مذهب البصريين من إعمال الثاني من المتنازعين ومتعلقة بيحلونه على مذهب الكوفيين من إعمال الأول منهما [أو بما دل عليه مجموع الفعلين]؛ أي: مثل يفعلونه أو يرتكبونه [من غير مراعاة الوقت]؛ أي: الوقت الذي يحولون إليه الأشهر الحرم

۞ ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ﴾ إن لا تنفروا إلى ما استنفرتم إليه ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ بالإهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدوّ. ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ ويستبدل بكم آخرين مطيعين؛ كأهل اليمن وأبناء فارس ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ﴾ إذ لا يقدح تثاقلكم في نصر دينه شيئاً؛ فإنه الغني عن كل شيء، وفي كل أمر. وقيل: الضمير للرسول عليه الصلاة والسلام؛ أي: ولا تضروه فإن الله وعد له بالعصمة والنصر؛ ووعده حق. ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على التبديل وتغيير الأسباب، والنصرة بلا مدد؛ كما قال الله تعالى.

﴿٤٠﴾ ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: إن لم تنصروه فسينصره الله كما نصره ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ ولم يكن معه إلا رجل واحد، فحذف الجزاء، وأقيم ما هو كالدليل عليه مقامه، أو إن لم تنصروه فقد أوجب الله له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره، وإسناد الإخراج إلى الكفرة؛ لأن همهم بإخراجه أو قتله تسبب لإذن الله له بالخروج. وقرئ: (ثَانِيْ اثنين) بالسكون على لغة من يجري

[كما نصره إذ أخرجه] أشار إلى أن «إذ» ظرف لنصر[1] [فحذف الجزاء]؛ أي: وهو قوله قبل: «فسينصره الله» [وأقيم ما هو كالدليل عليه مكانه] وهو ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ إلى آخره. [أو إن لم تنصروه..] إلى آخره. عطف على إن لم تنصروه فسينصره الله والحاصل: أن الجزاء على الأول: محذوف لإقامة ما يقوم مقامه وعلى الثاني: مذكور بالتقدير الذي ذكره.

---

(١) انظر: مغني اللبيب، ابن هشام [ص١١٧].

المنقوص مجرى المقصور في الإعراب؛ ونصبه على الحال. ﴿إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾ بدل من (إذ أخرجه) بدل البعض إذ المراد به زمان متسع، و(الغار): ثقب في أعلى (ثور)؛ وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة؛ مكثا فيه ثلاثاً. ﴿إِذْ يَقُولُ﴾ بدل ثان، أو ظرف لثاني ﴿لِصَٰحِبِهِۦ﴾ وهو أبو بكر رضي الله عنه ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ بالعصمة والمعونة.

روي: (أن المشركين طلعوا فوق الغار، فأشفق أبو بكر رضي الله تعالى عنه على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**ما ظنك باثنين الله ثالثهما**»؛ فأعماهم الله عن الغار، فجعلوا يترددون حوله فلم يروه). وقيل: لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في أسفله، والعنكبوت فنسجت عليه. ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ أمنته التي تسكن عندها القلوب ﴿عَلَيْهِ﴾ على النبي، أو على صاحبه وهو الأظهر لأنه كان منزعجاً ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾؛ يعني: الملائكة أنزلهم ليحرسوه في الغار، أو ليعينوه على العدوّ يوم بدر والأحزاب وحنين، فتكون الجملة معطوفة على قوله: ﴿نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾. ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ﴾؛ يعني: الشرك، أو دعوة الكفر ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾؛ يعني: التوحيد أو دعوة الإسلام، والمعنى: وجعل ذلك بتخليص الرسول ﷺ من أيدي الكفار إلى المدينة؛ فإنه المبدأ له، أو بتأييده إياه بالملائكة في

[إذ المراد به]؛ أي: بـ«إذ» أخرجه **[«روي أن المشركين طلعوا فوق الغار»]** إلى آخره. رواه الشيخان(١) **[فأعماهم الله عن الغار..]** إلى آخره. رواه البيهقي وغيره وكذا قوله: **[فبعث الله حمامتين..]** إلى آخره(٢) **[فتكون الجملة..]** إلى آخره؛ أي: على القول الثاني في كلامه **[فإنه]**؛ أي: تخليص الرسول **[المبدأ]** بفتح الميم؛ أي: المنشأ **[له]**؛ أي: لذلك المجعول **[أو تباعده]** عطف على «بتخليص».

---

(١) صحيح البخاري [٤/ ١٧١٢/ برقم: ٤٣٨٦]، صحيح مسلم [٤/ ١٨٥٤/ برقم: ٢٣٨١].
(٢) انظر: مجمع الزوائد، الهيثمي [٣/ ٥٢١/ برقم: ٥٤١٩].

۞ ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

هذه المواطن، أو بحفظه ونصره له حيث حضر. وقرأ يعقوب ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾ بالنصب عطفاً على كلمة ﴿ٱلَّذِينَ﴾، والرفع أبلغ لما فيه من الإشعار بأن ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾ عالية في نفسها وإن فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار، ولذلك وسط الفصل. ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ في أمره وتدبيره.

﴿٤١﴾ ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا﴾ لنشاطكم له. ﴿وَثِقَالًا﴾ عنه لمشقته عليكم، أو لقلة عيالكم ولكثرتها، أو ركباناً ومشاة، أو خفافاً وثقالاً من السلاح، أو صحاحاً ومراضاً، ولذلك لما قال ابن أم مكتوم لرسول الله ﷺ: أَعَليَّ أنْ أَنْفِرَ؟ قال: «نعم»؛ حتى نزل ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١]. ﴿وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بما أمكن لكم منهما كليهما أو أحدهما. ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من تركه. ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الخير علمتم أنه خير، أو إن كنتم تعلمون أنه خير إذ إخبار الله به صدق فبادروا إليه.

﴿٤٢﴾ ـ ﴿٤٣﴾ ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا﴾؛ أي: لو كان ما دعوا إليه نفعاً دنيوياً ﴿قَرِيبًا﴾ سهل المأخذ ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ متوسطاً ﴿لَّٱتَّبَعُوكَ﴾ لوافقوك ﴿وَلَٰكِنۢ

[ولذلك]؛ أي: ولكون الدفع أبلغ [**وسط الفصل**]؛ أي: ضميره بين المبتدأ والخبر [**علمتم أنه خير**] جواب مقدر للشرط قبله [**أو إن كنتم تعلمون أنه خير**] هذا تفسير ثان وجواب الشرط فيه [**فبادروا إليه**] وما بينهما تعليل للشرط

﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ﴾؛ أي: المسافة التي تقطع بمشقة. وقرئ بكسر العين والشين. ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: المتخلفون - إذا رجعت من تبوك - معتذرين. ﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا﴾ يقولون: لو كان لنا استطاعة العدة أو البدن. وقرئ: (لَوُ استطعنا) بضم الواو تشبيهاً لها بواو الضمير في قوله: ﴿ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ﴾ [البقرة: ١٦]. ﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ ساد مسدّ جوابي القسم والشرط، وهذا من المعجزات؛ لأنه إخبار عما وقع قبل وقوعه. ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ بإيقاعها في العذاب، وهو بدل من (سيحلفون)؛ لأن الحلف الكاذب إيقاع للنفس في الهلاك أو حال من فاعله. ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ في ذاك لأنهم كانوا مستطيعين الخروج ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ كناية عن خطأه في الإذن فإن العفو من روادفه. ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ بيان لما كني عنه بالعفو ومعاتبة عليه، والمعنى: لأي شيء أذنت لهم في القعود حين استأذنوك واعتلوا بأكاذيب، وهلا توقفت ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ في الاعتذار ﴿وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ فيه. قيل: إنما فعل رسول الله ﷺ شيئين لم يؤمر بهما، أخذه للفداء وإذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما.

﴿٤٤﴾ - ﴿٤٥﴾ ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟

[كناية عن خطابه..] إلى آخره. تبع فيه الزمخشري[١] قال الطيبي: أخطأ الزمخشري في هذه العبارة خطأً فاحشاً ولا أدري كيف ذهب عنه وهو العلم في استخراج لطائف المعاني أن في أمثال هذه الإشارات وهي تقديم العفو على الذنب إشعاراً بتعظيم المخاطب وتوقير حرمته، وهو كما قال؛ لأن مثل ذلك لا يقتضي تقدم ذنب بل يدل على تصديره على

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٢٦١].

۞ ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: ليس من عادة المؤمنين: أن يستأذنوك في أن يجاهدوا فإن الخلص منهم يبادرون إليه ولا يوقفونه على الإذن فيه فضلاً أن يستأذنوك في التخلف عنه، أو أن يستأذنوك في التخلف كراهة أن يجاهدوا. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ شهادة لهم بالتقوى، وعِدَةٌ لهم بالثواب ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ﴾ في التخلف ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ تخصيص الإيمان بالله واليوم الآخر في الموضعين للإشعار؛ بأن الباعث على الجهاد والوازع عنه الإيمان وعدم الإيمان بهما ﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ يتحيرون.

﴿٤٦﴾ ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ﴾ للخروج. ﴿عُدَّةً﴾ أُهْبَة، وقرئ

التعظيم كما تقول لمن تعظمه: «عفا الله عنك ما صنعت في أمري، ورضي الله عنك ما جوابك عن كلامي». ولهذا قال التفتازاني: صدور الصغائر عن الأنبياء سهواً إنما جوزه الكثيرون لكن ما كان ينبغي للمصنف أن يعبر بهذه العبارة الشنيعة[(١)] بعدما راعى الله تعالى مع رسوله تقديم العفو وذكر الإذن المنبئ عن علوّ المرتبة وقوة التصرف وإيراد الكلام في صورة الاستفهام وإن كان القصد إلى الإنكار على أن قولهم: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ قد يقال عند ترك الأولى والأفضل بل في مقام التعظيم والتبجيل مثل: «عفا الله عنك ما صنعت في أمري» **[أي: ليس من عادة المؤمنين]** نفي العادة مستعار من نفي فعل المستقبل والمراد به الاستمرار على نحو: «فلان يقري الضيف ويحمي الحريم» والحاصل: حمل ذلك على نفي الاستمرار. قال التفتازاني: ولو حمل على استمرار النفي كما في أكثر المواضع؛ أي: عادتهم عدم الاستئذان لم يبعد[(٢)].

[شهادة لهم بالتقوى] أخذ من إقامة الظاهر مقام المضمر **[وعِدة لهم بثوابه]**؛ أي: بثواب الله؛ لأن مقتضى العلم بعد ذكر أعمال العباد خيراً أو شرّاً، أما الوعد

---

(١) يقصد قوله: «أخطأت وبئس ما فعلت». انظر: الكشاف، الزمخشري [٢/ ٢٦١].
(٢) انظر: روح المعاني، الألوسي [١٠/ ١١٠].

۞ ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

(عُدَّه) بحذف التاء عند الإضافة كقوله: (وَأَخْلَفُوكَ عَدَّا الأمر الّذي وعدوا)، و(عِدَّة) بكسر العين بإضافة وبغيرها. ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ استدراك عن مفهوم قوله: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ﴾ كأنه قال: ما خرجوا ولكن تثبطوا لأنه تعالى كره انبعاثهم؛ أي: نهوضهم للخروج ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ فحبسهم بالجبن والكسل ﴿وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ تمثيل لإلقاء الله كراهة الخروج في قلوبهم، أو وسوسة الشيطان بالأمر بالقعود، أو حكاية قول بعضهم لبعض، أو إذن الرسول ﷺ لهم. والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم؛ وعلى الوجهين لا يخلو عن ذمٍّ.

﴿٤٧﴾ ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ﴾ بخروجهم شيئاً. ﴿إِلَّا خَبَالًا﴾ فساداً وشراً ولا يستلزم ذلك أن يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه؛ لأن الزيادة باعتبار أعم العام الذي وقع منه الاستثناء،

بالثواب وبالعقاب، وهنا ذكر العلم بعد ذكر عمل الخير [كقوله]؛ أي: قول زهير:

[.......................... **وأَخْلَفوكَ عِدَا الأمرِ الذي وَعَدُوا**]

أوله:

إنَّ الخليطَ أَجَدُّوا البينَ فانجردوا[١] ....

والخليط المخالط، والانجراد المضي في الأمر، والشاهد في قوله: عدا الأمر إذ الأصل «عدة الأمر» [لا بخلوا] كذا في النسخ: بالألف، والأَوْلَى حذفها[٢] بجعل ضمير بخلوا راجعاً إلى لفظ القاعدين، أو ذكر النون بدل الألف بجعل الضمير إلى القاعدين [**أن يكون لهم**]؛ أي: للمؤمنين [**لأن الزيادة باعتبار أعم العام**] إذ التقدير:

(١) المخصص، ابن سيده [٤/ ٣١٥].
(٢) انظر: اللباب، ابن عادل [١٠/ ١٠٩].

۞ ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

ولأجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعاً، وليس كذلك لأنه لا يكون مفرغاً ﴿وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ﴾ ولأسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضرية، أو الهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعاً إذا أسرع. ﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾ يريدون أن يفتنوكم بإيقاع الخلاف فيما بينكم أو الرعب في قلوبكم، والجملة حال من الضمير في (أوضعوا). ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم، أو نمَّامون يسمعون حديثكم للنقل إليهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فيعلم ضمائرهم وما يتأتى منهم.

﴿٤٨﴾ - ﴿٤٩﴾ ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ﴾ تشتيت أمرك وتفريق أصحابك ﴿مِن

«ما زادوكم شيئاً» كما ذكره قبل، لا ما زادوكم خيراً إلا خبالاً ليكون منقطعاً [**ولأجل هذا التوهيم**]؛ أي: توهم أن لهم خبالاً مع أنه ليس كذلك.

[**جعل الاستئناف منقطعاً**] لعدم دخوله حينئذ في المستثنى منه إذ التقدير حينئذ: «ما زادوهم خيراً إلا خبالاً» [**وليس كذلك**]؛ أي: وليس منقطعاً [**لأنه**] حينئذ [**لا يكون مفرغاً**][١] مع أنه مفرغ لأنه استثناء من أعم العام كما تقرر فيكون متصلاً [**ولأسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة**]؛ يعني: أن في قوله: «لأوضعوا خلالكم» استعارة تبعية شَبَّه سرعة إفسادهم لذات البين بالنمائم بسرعة سير الركائب المسماة بالإيضاع ثم استعير لسرعة الإفساد لفظ الإيضاع، ثم اشتق منه أوضعوا، وأصل الاستعارة ولأوضعوا ركائب نمائهم خلالكم ثم حذف النمائم وأقيم المضاف إليه مقامها لدلالة سياق الكلام على أن المراد النميمة ثم حذف الركائب[٢] قال الطيبي [**والتضريب**]؛ أي: الإغراء

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٩/ ٣٢٠].

(٢) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٥/ ٣٩].

قَبۡلُ﴾؛ يعني: يوم أُحد؛ فإن ابن أُبَيٍّ وأصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع الرسول ﷺ إلى ذي حدة أسفل من ثنية الوداع؛ انصرفوا يوم أُحد. ﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ﴾ ودبروا لك المكايد والحيل، ودوروا الآراء في إبطال أمرك ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ﴾ بالنصر والتأييد الإلهي ﴿وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ وعلا دينه ﴿وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾؛ أي: على رغم منهم، والآيتان لتسلية الرسول ﷺ والمؤمنين على تخلفهم، وبيان ما ثبطهم الله لأجله، وكره انبعاثهم له، وهتك أستارهم، وكشف أسرارهم، وإزاحة اعتذارهم؛ تداركاً لما فوت الرسول عليه الصلاة والسلام بالمبادرة إلى الأذن، ولذلك عوتب عليه. ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي﴾ في القعود ﴿وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ﴾ ولا توقعني في الفتنة؛ أي: في العصيان والمخالفة بأن لا تأذن لي، وفيه إشعار بأنه لا محالة متخلف أَذِنَ له أو لم يأذن، أو في الفتنة بسبب ضياع المال والعيال إذ لا كافل لهم بعدي. أو في الفتنة بنساء الروم؛ لما روي: (أَنَّ جَدَّ بنَ قيس قال: قد علمت الأنصار أني مولع بالنساء؛ فلا تفتني ببنات أصفر، ولكني أعينك بمالي؛ فاتركني). ﴿أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ﴾؛ أي: إن الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف، أو ظهور النفاق؛ لا ما احترزوا عنه ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ جامعةً لهم يوم القيامة، أو الآن لإحاطة أسبابها بهم.

[كما تخلفوا عن تبوك]؛ أي: وهو هذه الغزوة [والآيتان]؛ أي: آية ﴿لَوۡ خَرَجُواْ﴾ [التوبة: ٤٧] وآية: ﴿لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ﴾ [التوبة: ٤٨] [وبيان ما ثبطهم الله لأجله] هو مع ما بعده بالجر عطف على تسلية الرسول ﷺ والمؤمنين [تداركاً] تعليل للتسلية وما عطف عليها [أي: أن الفتنة هي التي سقطوا فيها..] إلى آخره. فيه تخصيص إفادة تقديم الظرف وتحقيق إفادة تصدير الجملة بأداة التثنية.

[جامعة لهم يوم القيامة أو الآن] المجاز على الأول: في محيط حيث استعمل في الاستقبال وعلى الثاني: في جهنم حيث استعمل في الأسباب والكلام تمثيل شبه

۞ ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا
مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ
وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ
بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ
﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

﴿٥٠﴾ ـ ﴿٥١﴾ ﴿إِن تُصِبْكَ﴾ في بعض غزواتك. ﴿حَسَنَةٌ﴾ ظفر وغنيمة. ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ لفرط حسدهم ﴿وَإِن تُصِبْكَ﴾ في بعضها ﴿مُصِيبَةٌ﴾ كسر أو شدة كما أصاب يوم أُحد ﴿يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾ تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا رأيهم في التخلف ﴿وَيَتَوَلَّوا۟﴾ عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم له، أو عن الرسول ﷺ. ﴿وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ مسرورون. ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ إلا ما اختصنا بإثباته وإيجابه من النصرة، أو الشهادة، أو ما كتب لأجلنا في اللوح المحفوظ لا يتغير بموافقتكم ولا بمخالفتكم. وقرئ (هَل يُصَيِّبُنا) و(هَل يُصَيِّبُنا) وهو من (فَيْعِل) لا من (فَعَّل)؛ لأنه من بنات الواو لقولهم: صاب السهم يصوب، واشتقاقه من الصواب؛ لأنه وقوع الشيء فيما قصد به. وقيل: من الصوب. ﴿هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾ ناصرنا ومتولي أمورنا ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ لأن حقهم أن لا يتوكلوا على غيره.

﴿٥٢﴾ ـ ﴿٥٣﴾ ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ﴾ تنتظرون بنا. ﴿إِلَّآ إِحْدَى

حالهم في إحاطة الأسباب بحالهم في إحاطة النار[1] قاله التفتازاني [﴿وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾] حال من ضمير يتولوا [وقرئ: «هل يصيبنا» و«هل تصيبنا»] كلاهما بـ«هل» بدل «لن» وبرفع الفعل فيهما بدل نصبه، والأول: من «أصاب» والثاني: من «صيّب» بالتشديد [وهو]؛ أي: الثاني [من فيعل لا من فعل لأنه]؛ أي: لأن فعل من ذلك [من بنات الواو] فحقّ يُفَعِّلُ منه بصوب.

(١) حاشية العطار، [٤/٢٨٩].

۞ ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ إلا إحدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب: النصرة والشهادة. ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾ أيضاً إحدى السُّوأيين ﴿أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾ بقارعة من السماء ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ أو بعذاب بأيدينا؛ وهو القتل على الكفر ﴿فَتَرَبَّصُوٓا۟﴾ ما هو عاقبتنا ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ ما هو عاقبتكم ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ أمر في معنى الخبر؛ أي: لن يتقبل منكم نفقاتكم أنفقتم طوعاً أو كرهاً. وفائدته المبالغة في تساوي الإنفاقين في عدم القبول؛ كأنهم أمروا بأن يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم؟ وهو جواب قول جد بن قيس: (وأعينك بمالي). ونفي التقبل يحتمل أمرين؛ أن لا يؤخذ منهم، وأن لا يثابوا عليه وقوله: ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ تعليل له على سبيل الاستئناف، وما بعده بيان وتقرير له.

﴿٥٤﴾ - ﴿٥٥﴾ ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾؛ أي: وما منعهم قبول نفقاتهم إلا كفرهم. وقرأ حمزة والكسائي (أن يُقْبَل) بالياء لأن تأنيث النفقات غير حقيقي. وقرئ (يَقْبَل) على أن الفعل لله. ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ متثاقلين. ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ لأنهم لا يرجون بهما ثواباً، ولا يخافون على تركهما عقاباً

[إحدى السوأتين] تثنية سوْءا نقيض الحسنى كتثنية حُبليين، وفي نسخة: «السؤين» تثنية «سوء» والأول أنسب [بأن تمتحنوا]؛ أي: أنفسهم[(١)] [وقرئ: «يقبل» على أن الفعل لله]؛ أي: وعلى أن (نَفَقَاتِهِم) منصوب بالكسرة [متثاقلين] أول الجملة

---

(١) انظر: مفتاح العلوم، السكاكي [ص١٤٥].

۞ ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾
لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن
يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾
وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن
فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ﴾ فإن ذلك استدراج ووبال لهم كما قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب، وما يرون فيها من الشدائد والمصائب ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة؛ فيكون ذلك استدراجاً لهم. وأصل (الزهوق): الخروج بصعوبة.

﴿٥٦﴾ ـ ﴿٥٧﴾ ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ إنهم لمن جملة المسلمين ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ لكفر قلوبهم ﴿وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ يخافون منكم أن تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الإسلام تقية ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا﴾ حصناً يلجئون إليه ﴿أَوْ مَغَٰرَٰتٍ﴾ غيراناً ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾ نفقاً ينجحرون فيه مفتعل من الدخول وقرأ يعقوب (مَدْخَلاً) من مدخل. وقرئ: (مُدْخَلا)؛ أي: مكاناً يدخلون فيه أنفسهم و(مُتَدَخَّلاً) و(مُنْدَخَلاً) من تدخل واندخل ﴿لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ﴾ لأقبلوا نحوه. ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ يسرعون إسراعاً لا يردهم شيء؛ كالفرس الجموح. وقرئ (يَجْمِزُون) ومنه الجمازة.

﴿٥٨﴾ ـ ﴿٥٩﴾ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ﴾ يعيبك. وقرأ ابن كثير (يلامزك) وقرأ

بذلك لأنها في محل الحال [**يجمزون**] من «الجمز»: وهو ضرب من السير فوق العنق قاله الجوهري وغيره[١] [**ومنه الجُمَّازَة**] بالضم وهي مدرعة صوف قاله

(١) الصحاح، الجوهري [٢/ ١٣٢].

۞ ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾.

يعقوب (يَلْمُزُكَ) بالضم. ﴿فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ في قسمها. ﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ قيل: «إنها نزلت في أبي الجواظ المنافق قال: ألا ترون إلى صاحبكم! إنما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم؛ ويزعم أنه يعدل». وقيل: في ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج، كان رسول الله ﷺ يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب أهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال: اعدل يا رسول الله! فقال: «**ويلك إن لم أعدلْ فمن يعدل**». و(إذا) للمفاجأة؛ نائب مناب الفاء الجزائية. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ ما أعطاهم الرسول من الغنيمة أو الصدقة، وذكر الله للتعظيم وللتنبيه على أن ما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام كان بأمره ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ كفانا فضله ﴿سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ صدقة أو غنيمة أخرى. ﴿وَرَسُولُهُۥٓ﴾ فيؤتينا أكثر مما آتانا ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ في أن يغنينا من فضله، والآية بأسرها في حيز الشرط، والجواب محذوف تقديره: لكان خَيْراً لَّهُمْ. ثم بيَّن مصارف الصدقات تصويباً وتحقيقاً لما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام فقال:

﴿٦٠﴾ ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾؛ أي: الزكوات؛ لهؤلاء المعدودين دون غيرهم، وهو دليل على أن المراد باللَّمز لمزهم في قسم الزكوات دون الغنائم. و(الفقير): من لا مال له ولا كسب يقع موقعاً من

الجوهري[(١)] [«وقيل في ابن ذي الخويصرة»] رواه الشيخان[(٢)] ويروى بدل «ابن ذي الخويصرة» «ذو الخويصرة» وهو رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، وفي

---

(١) الصحاح، الجوهري [٥/ ٩].

(٢) صحيح البخاري [٥/ ٢٢٨١/ برقم: ٥٨١١]، صحيح مسلم [٢/ ٧٤١/ برقم: ١٠٦٤].

حاجته، من (الفقار): كأنه أصيب فقاره. و(المسكين): من له مال أو كسب لا يكفيه، من (السكون): كأن العجز أسكنه، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ﴾ [الكهف: ٧٩] وأنه عليه السلام كان يسأل المسكنة ويتعوذ من الفقر. وقيل: بالعكس لقوله تعالى: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٦]. ﴿وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ الساعين في تحصيلها وجمعها ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ قوم أسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستأنف قلوبهم، أو أشراف قد يترتب بإعطائهم ومراعاتهم إسلام نظرائهم. وقد أعطى رسول الله ﷺ عيينة بن حصن والأقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك. وقيل: أشراف يُسْتَأْلَفُون على أن يسلموا؛ فإنه كان عليه الصلاة والسلام يعطيهم. والأصح أنه كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان خاص ماله، وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكاة. وقيل: كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الإسلام فلما أعزه الله وأكثر أهله؛ سَقَطَ. ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ وللصرف في فك الرقاب؛ بأن يعاون المكاتب بشيء منها على أداء النجوم. وقيل: بأن يبتاع الرقاب فتعتق؛ وبه قال مالك وأحمد، أو بأن يفدي الأسارى. والعدول عن (اللام) إلى (فِي) للدلالة على أن الاستحقاق للجهة لا للرقاب. وقيل: للإيذان بأنهم أحق بها. ﴿وَٱلْغَٰرِمِينَ﴾ والمديونين لأنفسهم في غير معصية ومن غير إسراف إذا لم يكن لهم وفاء، أو حمالة لإصلاح ذات البين وإن كانوا أغنياء لقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة: لغازٍ في سبيل الله، أو لغارم، أو لرجل اشتراها**

رواية: «مثل البَضْعَةِ تَدَرْدَر» أخذ يوم قاتل علي رضي الله عنه الخوارج [**ويدل عليه**]؛ أي: على أن المسكين له مال في الجملة [«**وأنه عليه السلام يسأل المسكنة ويتعوذ من الفقر**»] هما حديثان روى الأول منهما الترمذي والحاكم وصححه(١) والثاني أبو داود [«**لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة**»] رواه أبو داود وغيره(٢).

---

(١) سنن الترمذي [٥/ ٥٢٥/ برقم: ٣٤٩٥]، مستدرك الحاكم [١/ ٧١٢/ برقم: ١٩٤٤].
(٢) سنن أبي داود [١/ ٥١٤/ برقم: ١٦٣٥]، سنن ابن ماجه [١/ ٥٩٠/ برقم: ١٨٤١].

۞ ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾.

بماله، أو لرجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فأهدى المسكين للغني، أو لعامل عليها». ﴿وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وللصرف في الجهاد بالإنفاق على المتطوعة، وابتياع الكراع والسلاح. وقيل: وفي بناء القناطر والمصانع. ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ المسافر المنقطع عن ماله. ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ مصدر لما دل عليه الآية؛ أي: فرض لهم الله الصدقات فريضة، أو حال من الضمير المستكن في (لِلْفُقَرَاءِ). وقرئ بالرفع على: (تلك فَرِيضَةٌ). ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ يضع الأشياء في مواضعها، وظاهر الآية يقتضي تخصيص استحقاق الزكاة بالأصناف الثمانية، ووجوب الصرف إلى كل صنف وجد منهم، ومراعاة التسوية بينهم قضية الاشتراك، وإليه ذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه، وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين: جواز صرفها إلى صنف واحد، واختاره بعض أصحابنا، وبه قال الأئمة الثلاثة، وبه كان يفتي شيخي ووالدي رحمهما الله تعالى؛ على أن الآية بيان أن الصدقة لا تخرج منهم لا إيجاب قسمها عليهم.

﴿٦١﴾ ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ﴾ يسمع كل ما يقال له ويصدقه، سمي بالجارحة للمبالغة؛ كأنه من فرط استماعه صار

[**وظاهر الآية يقتضي..**] إلى آخره. قال الإمام الرازي وغيره لا دلالة في الآية على قول الشافعي رضي الله عنه في أنه لا بد من صرفها إلى الأصناف؛ لأنه تعالى جعل جملة الصدقات لهؤلاء الأصناف فأما إن صدقة زيد بعينها يجب توزيعها على الأصناف كلها(١) فلا كما أن قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ الآية [الأنفال: ٤١] توجب قسم الخمس على الطوائف من غير توزيع بالاتفاق وقد أشار إلى

---

(١) مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [١٦/ ٨٥].

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾.

جملته آلة السماع، كما سمي الجاسوس عيناً لذلك، أو اشتق له فعل من (أذن أذناً): إذا استمع، كأنف وشلل. روي: (أنهم قالوا: محمد أذن سامعة؛ نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول). ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ تصديق لهم بأنه أذن ولكن لا على الوجه الذي ذموا به؛ بل من حيث إنه يسمع الخير ويقبله، ثم فسر ذلك بقوله: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ يصدق به لما قام عنده من الأدلة ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ويصدقهم لما علم من خلوصهم، و(اللام) مزيدة للتفرقة بين إيمان التصديق؛ فإنه بمعنى: التسليم وإيمان الأمان ﴿وَرَحْمَةٌ﴾؛ أي: وهو رحمة ﴿لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾ لمن أظهر الإيمان حيث يقبله ولا يكشف سره، وفيه تنبيه على أنه ليس يقبل قولكم جهلاً بحالكم؛ بل رفقاً بكم وترحماً عليكم. وقرأ حمزة ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ بالجر عطفاً على ﴿خَيْرٍ﴾. وقرئت بالنصب على أنها علة فعل دل عليه (أُذُنُ خَيْرٍ)؛ أي: يأذن لكم رحمة. وقرأ نافع: (أُذْنُ) بالتخفيف فيهما. وقرئ: (أُذُنٌ خَيْرٌ) على أن (خَيْرٌ) صفة له أو خبر ثان ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بإيذائه.

﴿٦٢﴾ - ﴿٦٣﴾ ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾ على معاذيرهم فيما قالوا، أو يحلفون

ذلك المصنف في آخر كلامه [**أو اشتق له فعل**] عطف على «سمي».

[**من أَذِنَ إذْناً**]؛ يعني: اشتق للنبي ﷺ وصف بوزن فعل من مصدر «أَذِنَ» [**تصديق لهم..**] إلى آخره. هو قول بالموجب [**واللام مزيدة**] إلخ معناه ظاهر من كلامه لكن ظاهره أن التسليم فيه هو التصديق بالله تعالى دون التصديق للمؤمنين وظاهر كلام «الكشاف» عكسه[1] [**أو يخلفون**] الأوفق بكلام «الكشاف» «أو تخلفوا»

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٢٧١].

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

﴿لِيُرْضُوكُمْ﴾ لترضوا عنهم، والخطاب للمؤمنين. ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ أحق بالإرضاء بالطاعة والوفاق، وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين، أو لأن الكلام في إيذاء الرسول ﷺ وإرضائه، أو لأن التقدير: والله أحق أن يرضوه والرسول كذلك. ﴿إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ صدقاً. ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ﴾ أن الشأن وقرئ بالتاء. ﴿مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يشاقق مفاعلة من الحدّ. ﴿فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا﴾ على حذف الخبر؛ أي: فحق أن له، أو على تكرير (أن) للتأكيد، ويحتمل أن يكون معطوفاً على أنه، ويكون الجواب محذوفاً تقديره: من يحادد الله ورسوله يهلك، وقرئ (فَإِنَّ له) بالكسر. ﴿ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾؛ يعني: الهلاك الدائم.

﴿٦٤﴾ - ﴿٦٥﴾ ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ على المؤمنين. ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ وتهتك عليهم أستارهم، ويجوز أن تكون الضمائر للمنافقين؛ فإن النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث إنه مقروء ومحتج به عليهم، وذلك يدل على ترددهم أيضاً في كفرهم، وأنهم لم يكونوا على بت

كما في نسخة، عطف على «قالوا»؛ أي: فيما قالوه أو تخلفوا عنه [والرسول كذلك] إشارة إلى أن المذكور خبر الأول؛ لأنه المتبوع وفي كلام سيبويه أنه للثاني لكونه أقرب مع السلامة من الفصل بين المبتدأ والخبر [**على حذف الخبر؛ أي: فحق أن له**]؛ يعني: أن ألفاً واقعاً في جواب الشرط فيقتضي جملة وأن له نار جهنم مفرد في موضع رفع على الابتداء أو قدر خبره مقدماً؛ لأن إن لا يبتدأ بها[1] [أو على تكرير أن للتوكيد] اعترض بأن فيه الفصل بين المؤَكَّد والمؤكِّد بأجنبي، وبنصب

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٩/ ٣٤٣].

۞ ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ٦٦﴾.

في أمر الرسول ﷺ بشيء. وقيل: إنه خبر في معنى الأمر. وقيل: كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله: ﴿قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ﴾ مبرز أو مظهر ﴿مَّا تَحۡذَرُونَ﴾؛ أي: ما تحذرونه من إنزال السورة فيكم، أو ما تحذرون إظهاره من مساويكم ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ﴾ روي: (أن ركب المنافقين مرُّوا على رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فقالوا: انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات! فأخبر الله تعالى به نبيّه فدعاهم فقال: «**قلتم كذا وكذا؟**»، فقالوا: لا والله ما كنا في شيء من أمرك وأمر أصحابك! ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر). ﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ توبيخاً على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به، وإلزاماً للحجة عليهم، ولا تعبأ باعتذارهم الكاذب.

٦٦ ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ﴾ لا تشتغلوا باعتذارتكم فإنها معلومة الكذب ﴿قَدۡ كَفَرۡتُم﴾ قد أظهرتم الكفر بإيذاء الرسول ﷺ والطعن فيه ﴿بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾ بعد إظهاركم الإيمان ﴿إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ﴾ لتوبتهم وإخلاصهم، أو لتجنبهم عن الإيذاء والاستهزاء ﴿نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾ مصرين على النفاق، أو مقدمين على الإيذاء والاستهزاء. وقرأ عاصم بالنون فيهما. وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله، (وإن تَعْفُ) بالتاء والبناء على المفعول ذهاباً إلى المعنى كأنه قال: إن ترحم طائفة.

نار جهنم بـ«أن»؛ لأنها زائدة فلا تعمل أجيب بما فيه تكلف [**وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما**]؛ أي: مع نصب «طائفة» الثانية [**وأن يقف بالياء والبناء على المفعول ذهاباً إلى المعنى**] إذ الوجه في مثل ذلك التذكير؛ لأن المسند إليه الظرف كما تقول: «سِيْرَ بالدابة» ولا تقول: «سيرت بالدابة»، لكنه أَنَّثَ ذلك نظراً للمعنى قال

۞ ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٦٨﴾﴾.

﴿٦٧﴾ - ﴿٦٨﴾ ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ﴾؛ أي: متشابهة في النفاق والبعد عن الإيمان كأبعاض الشيء الواحد. وقيل: إنه تكذيبهم في حلفهم بالله ﴿إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ﴾ [التوبة: ٥٦] وتقرير لقولهم: ﴿وَمَا هُم مِّنكُمۡ﴾ [التوبة: ٥٦] وما بعده كالدليل عليه؛ فإنه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله: ﴿يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ عن الإيمان والطاعة ﴿وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ﴾ عن المبارّ، وقبض اليد كناية عن الشُّحِّ. ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ﴾ أغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته ﴿فَنَسِيَهُمۡۚ﴾ فتركهم من لطفه وفضله. ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ الكاملون في التمرد والفسوق عن دائرة الخير. ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ مقدرين الخلود. ﴿هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ﴾ عقاباً وجزاء. وفيه دليل على عظم عذابها. ﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ﴾ أبعدهم من رحمته وأهانهم. ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾ لا ينقطع، والمراد به ما وعدوه أو ما يقاسونه من تعب النفاق.

الزمخشري: وهو غريب(١).

[وقرئ: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ﴾ **أغفلوا ذكر الله**..] إلى آخره. جعل النسيان في الجملتين مجازاً لاستحالة حقيقته على الله وامتناع المؤاخذة على نسيان البشر لخبر «**رفع عن أمتي الخطأ والنسيان**»(٢).

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٢٧٣].

(٢) سنن ابن ماجه [١/ ٦٥٩/ برقم: ٢٠٤٥]، صحيح ابن حبان [١٦/ ٢٠٢/ برقم: ٧٢١٩].

۞ ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَاسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى الدُّنْيَا وَالْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

﴿٦٩﴾ ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾؛ أي: أنتم مثل الذين، أو فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم. ﴿كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾ بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم. ﴿فَاسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ﴾ نصيبهم من ملاذ الدنيا، واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير؛ فإنه ما قدر لصاحبه. ﴿فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ﴾ ذم الأولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات الفانية، والتهائهم بها عن النظر في العاقبة، والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية؛ تمهيداً لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء أثرهم. ﴿وَخُضْتُمْ﴾ ودخلتم في الباطل ﴿كَالَّذِى خَاضُوٓا۟﴾ كالذين خاضوا، أو كالفوج الذي خاضوا، أو كالخوض الذي خاضوه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى الدُّنْيَا وَالْءَاخِرَةِ﴾ لم يستحقوا عليها ثواباً في الدارين ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ﴾ الذين خسروا الدنيا والآخرة.

﴿٧٠﴾ ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ﴾ أغرقوا بالطوفان ﴿وَعَادٍ﴾ أهلكوا بالريح ﴿وَثَمُودَ﴾ أهلكوا بالرجفة ﴿وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أهلك نمرود ببعوض وأهلك أصحابه ﴿وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ﴾ وأهل مدين؛ وَهُم قوم

[فإنه]؛ أي: الخلاف [**بحظوظهم المخدجة**]؛ أي: الناقصة [**كالذين خاضوا..**] إلى آخره. ذكر للذي في الآية ثلاثة أوجه كلها راجعة إلى جعله موصولاً اسمياً، وبقي رابع وهو جعله موصولاً حرفيّاً، فيقدر مع صلته بمصدر؛ أي: «كخوضهم»، والفوج الجماعة [**وأهلك أصحابه**]؛ أي: بغير البعوض.

۞ ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾﴾.

شعيب أهلكوا بالنار يوم الظلة ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ﴾ قريات قوم لوط، ائتفكت بهم؛ أي: انقلبت بهم فصار عاليها سافلها، وأمطروا حجارة من سجيل، وقيل: قريات المكذبين المتمردين، وائتفاكهن انقلاب أحوالهن من الخير إلى الشر ﴿أَتَتۡهُمۡ رُسُلُهُم﴾؛ يعني: الكل ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾؛ أي: لم يك من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب.

﴿٧١﴾ ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ في مقابلة قوله: ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ﴾ [التوبة: ٦٧]، ﴿يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ﴾ في سائر الأمور ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ﴾ لا محالة؛ فإن السين مؤكدة للوقوع ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب على كل شيء لا يمتنع عليه ما يريده ﴿حَكِيمٞ﴾ يضع الأشياء مواضعها.

[في مقابلة قوله: ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ﴾] لا تختص المقابلة بذلك بل يأتي أيضاً فيما بعده إذ قوله: ﴿يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١] في مقابلة: ﴿يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧] وقوله: ﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [التوبة: ٧١] في مقابلة: ﴿وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ﴾ [التوبة: ٦٧] المعبرة به عن البخل(١)، وقوله: ﴿وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ٧١] في مقابلة ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ﴾ والوعد في مقابلة الوعيد.

[فإن السين مؤكدة للوقوع]؛ أي: بمعونة المقام كما هنا إذ السين موضوعة

---

(١) انظر: معالم التنزيل، البغوي [٤/ ٧١].

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾.

﴿٧٢﴾ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ تستطيبها النفس، أو يطيب فيها العيش، وفي الحديث: «**أنها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الأحمر**». ﴿فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ إقامة وخلود. وعنه عليه الصلاة والسلام: «**عدن دار الله التي لم ترها عين، ولم تخطر على قلب بشر، لا يسكنها غير ثلاثة: النبيون والصديقون والشهداء، يقول الله تعالى: طوبى لمن دخلك**». ومرجع العطف فيها يحتمل أن يكون إلى تعدد الموعود لكل واحد، أو للجميع على سبيل التوزيع، أو إلى تغاير وصفه؛ وكأنه وصفه أولاً بأنه من جنس ما هو أبهى الأماكن التي يعرفونها لتميل إليه طباعهم أول ما يقرع أسماعهم، ثم وصفه بأنه محفوف بطيب العيش، معرًّى عن شوائب الكدورات التي لا تخلو عن شيء منها أماكن الدنيا، وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، ثم وصفه بأنه دار إقامة وثبات في جوار العليين، لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير، ثم وعدهم بما هو أكبر من ذلك فقال: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ لأنه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدي إلى نيل الوصول والفوز باللقاء، وعنه عليه الصلاة والسلام: «**إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا**

للدلالة على الوقوع مع التأخير فإذا كان المقام ليس مقام تأخير لكونه بشارة ووعداً تمحضت لتأكيد الوقوع [«عدن دار الله..»] إلى آخره. رواه الدارقطني وغيره[1] [**ومرجع العطف فيها**]؛ أي: في الآية من قوله: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ [التوبة: ٧٢] [**تعدد الموعد**]؛ أي: وهو الجنان والمساكن [**أو إلى تغايير وصفه**]؛ أي: الموعود [«**أن الله يقول لأهل الجنة..**»] إلى آخره. رواه الشيخان[2].

---

(١) المؤتلف والمختلف، الدارقطني [٢/٧]، مسند البزار [٢/ ١١٠/ برقم: ٤٠٧٩].

(٢) صحيح البخاري [٥/ ٢٣٩٨/ برقم: ٦١٨٣]، صحيح مسلم [١/ ١٦٧/ برقم: ١٨٣].

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾.

نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك! فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، فيقولون: وأي شيء من ذلك؟! فيقول: أُحلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً». ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الرضوان أو جميع ما تقدم ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ الذي تستحقر دونه الدنيا وما فيها.

﴿٧٣﴾ - ﴿٧٤﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ بإلزام الحجة وإقامة الحدود ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ في ذلك ولا تحابهم ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ مصيرهم ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟﴾ روي: (أنه عليه الصلاة والسلام أقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن، ويعيب المتخلفين، فقال الجلاس بن سويد: لئن كان ما يقول محمد لإخواننا حقاً لنحن شرٌّ من الحمير! فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فاستحضره، فحلف بالله ما قاله! فنزلت، فتاب الجلاس وحسنت توبته). ﴿وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ وأظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام ﴿وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟﴾ من فتك الرسول، وهو: (أن خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك أن يدفعوه عن راحلته إلى الوادي إذ تسنم العقبة بالليل، فأخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها، وحذيفة خلفها يسوقها، فبينما هما كذلك إذ سمع

[**«روي أنه عليه الصلاة والسلام أقام في غزوة تبوك..»**] إلى آخره. رواه البيهقي[1] [**وهو أن خمسة عشر منهم توافقوا..**] إلى آخره. رواه الإمام أحمد إذا

(١) دلائل النبوة، البيهقي [٤/٥٧/ برقم: ١٤٠٤].

۞ ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

حذيفة بوقع أخفاف الإبل وقعقعة السلاح فقال: إليكم إليكم؛ يا أعداء الله! فهربوا). أو إخراجه وإخراج المؤمنين من المدينة، أو بأن يتوجوا عبد الله بن أُبي وإن لم يرض رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ﴾ وما أنكروا، أو ما وجدوا ما يورث نقمتهم. ﴿إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾ فإن أكثر أهل المدينة كانوا محاويج في ضنك من العيش، فلما قدمها رسول الله ﷺ أثْرَوا بالغنائم، وقتل للجلاس مولى فأمر رسول الله ﷺ بديته اثني عشر ألفاً فاستغنى. والاستثناء مفرغ من أعم المفاعيل أو العلل ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ وهو الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير في (يك) للتوب، ﴿وَإِن يَتَوَلَّوْاْ﴾ بالإصرار على النفاق ﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ بالقتل والنار. ﴿وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ فينجيهم من العذاب.

﴿٧٥﴾ ـ ﴿٧٦﴾ ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ نزلت في ثعلبة بن حاطب: أتى النبي ﷺ فقال: «ادع الله أن يرزقني مالا! فقال عليه الصلاة والسلام: «**يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه**»، فراجعه وقال: والذي بعثك بالحق لئن

تسنم العقبة؛ أي: علاها [أثروا بالغنائم] بمثلثة؛ أي: كثر مالهم بها.

[**والاستثناء مفرّغ من أعم المفاعيل أو العلل**] تقدير الأول «ما نقموا شياء» والثاني ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ﴾ لشيء [هو]؛ أي: قوله: ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [التوبة: ٧٤] [«**نزلت في ثعلبة بن حاطب أتى النبي ﷺ..**»] إلى آخره. رواه الطبراني وغيره(١)

(١) المعجم الكبير، الطبراني [٢١٨/٨/ برقم: ٧٨٧٣]، شعب الإيمان، البيهقي [٧٩/٤/ برقم: ٤٣٥٧].

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾.

رزقني الله مالاً لأعطين كل ذي حق حقه، فدعا له فاتخذ غنماً، فنَمَت كما ينمى الدود؛ حتى ضاقت بها المدينة، فنزل وادياً وانقطع عن الجماعة والجمعة، فسأل عنه رسول الله ﷺ؟ فقيل: كثر ماله حتى لا يسعه واد، فقال: «**يا ويح ثعلبة!**» فبعث رسول الله ﷺ مصدقين لأخذ الصدقات، فاستقبلهما الناس بصدقاتهم، ومَرَّا بثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال: ما هذه إلا جزية! ما هذه إلا أخت الجزية! فارجعا حتى أرى رأيي، فنزلت؛ فجاء ثعلبة بالصدقة فقال النبي ﷺ: «**إن الله منعني أن أقبل منك**»، فجعل يحثو التراب على رأسه فقال: «**هذا عملك، قد أمرتك فلم تطعني**»، فَقُبِضَ رسول الله ﷺ، فجاء بها إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه فلم يقبلها، ثم جاء إلى عمر رضي الله تعالى عنه في خلافته فلم يقبلها، وهلك في زمان عثمان رضي الله تعالى عنه». ﴿فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ﴾ منعوا حق الله منه ﴿وَتَوَلَّوا﴾ عن طاعة الله ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ وهم قوم عادتهم الإعراض عنها.

﴿٧٧﴾ - ﴿٧٨﴾ ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ﴾؛ أي: فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقاً وسوء اعتقاد في قلوبهم، ويجوز أن يكون الضمير للبخل، والمعنى: فأورثهم البخل نفاقاً متمكناً في قلوبهم. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ يلقون الله بالموت، أو يلقون عمله؛ أي: جزاءه وهو يوم القيامة ﴿بِمَا

وقوله: «ينمي» جرياً على أنَّ «نما» يائي وهو الأكثر، وحكي أنه واوي، فعليه يقال: «ينمو» [يحثو] بالواو، ويقال: «يحثي» بالياء فهو واوي ويائي [ويجوز أن يكون الضمير]؛ أي: ضمير فاعل «أعقب» [وهو]؛ أي: ﴿يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾

۞ ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٩﴾.

أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾ بسبب إخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح ﴿وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ وبكونهم كاذبين فيه؛ فإن خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين، أو المقال مطلقاً، وقرئ ﴿يُكَذِّبُونَ﴾ بالتشديد. ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ﴾؛ أي: المنافقون، أو من عاهد الله؛ وقرئ بالتاء على الالتفات ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ﴾ ما أسروه في أنفسهم من النفاق، أو العزم على الإخلاف ﴿وَنَجۡوَىٰهُمۡ﴾ وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن، أو تسمية الزكاة جزية. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ فلا يخفى عليه ذلك.

٧٩ ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ﴾ ذم مرفوع أو منصوب، أو بدل من الضمير في سرهم. وقرئ (يُلْمِزُونَ) بالضم. ﴿ٱلۡمُطَّوِّعِينَ﴾ المتطوعين ﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ روي: (أنه ﷺ حثَّ على الصدقة، فجاء عبد الرحمٰن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال: كان لي ثمانية آلاف فأقرضت ربي أربعة وأمسكت لعيالي أربعة، فقال رسول الله ﷺ: «**بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت**» ـ فبارك الله له حتى صولحت إحدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين ألف درهم ـ، وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر، وجاء أبو عقيل الأنصاري بصاع تمر فقال: بتُّ ليلتي أجرُّ بالجرير على صاعين فتركت صاعاً لعيالي وجئت بصاع، فأمره رسول الله ﷺ أن ينثره على الصدقات؛ فلمزهم المنافقون وقالوا: ما أعطى عبد الرحمٰن وعاصم

[فيه]؛ أي: فيما وعده [**فإن خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين**] هما خلفا الوعد بالتصدق والصلاح.

[**أو المقال**] عطف على «ضمير فيه» [**مطلقاً**] عن التقييد بما وعدوه [**أو بدل من الضمير في سرهم**]؛ أي: فيكون مجروراً [**وقرئ (يَلْمُزُونَ) بالضم**]؛ أي: ضم الميم [روي: «**أنه عليه الصلاة والسلام حث على الصدقة**»] إلى آخره. روى قصة

۞ ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾.

إلا رياء ولقد كان الله ورسوله غنيين عن صاع أبي عقيل، ولكنه أحب أن يذكره بنفسه ليعطى من الصدقات. فنزلت). ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ إلا طاقتهم. وقرئ بالفتح؛ وهو مصدر، (جهد في الأمر): إذا بالغ فيه. ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ يستهزئون بهم. ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ جازاهم على سخريتهم؛ كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ على كفرهم.

﴿٨٠﴾ ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ يريد به التساوي بين الأمرين في عدم الإفادة لهم كما نص عليه بقوله: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾. روي: «أنَّ عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ ـ وكان من المخلصين ـ سأل رسول الله ﷺ في مرض أبيه أن يستغفر له، ففعل عليه الصلاة والسلام، فنزلت، فقال عليه الصلاة والسلام: **«لأزيدن على السبعين»**، **فنزلت: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾**

عبد الرحمٰن «ابن جرير وغيره»[١]، وقصة مصالحة إحدى امرأتيه «الطبراني»، وقصة عاصم «ابن جرير»[٢]، وقصة أبي عقيل «البزار وغيره»[٣]، وقوله: صولحت إحدى زوجتيه عن نصف الثمن يدل على أنه ترك زوجتين وهو المشهور وكلام «الكشاف»[٤] يدل على أنه ترك أربعاً، وقوله: «أجرُّ بالجرير» بالجيم؛ أي: بالحبل والباء زائدة؛ أي: أجرّ الحبل لاستقاء الناس.

[«روي أن عبد الله بن عبد الله ابن أبيّ..»] إلى آخره. رواه بمعناه الشيخان[٥]

---

(١) جامع البيان، الطبري [١٤/ ٣٩١].
(٢) جامع البيان، الطبري [١٤/ ٣٨٧].
(٣) مسند البزار [٢/ ٤٥٣/ برقم: ٨٦٧٢].
(٤) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٢٨٠].
(٥) صحيح البخاري [١/ ٤٢٧/ برقم: ١٢١٠]، صحيح مسلم [٤/ ١٨٦٥/ برقم: ٢٤٠٠].

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

[المنافقون: ٦]». وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام فهم من السبعين العدد المخصوص؛ لأنه الأصل، فجوز أن يكون ذلك حدّاً يخالفه حكم ما وراءه، فبيَّن له أن المراد به التكثير دون التحديد، وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير، لاشتمال السبعة على جملة أقسام العدد فكأنّه العدد بأسره. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ إشارة إلى أن اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا، ولا قصور فيك؛ بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ المتمردين في كفرهم، وهو كالدليل على الحكم السابق؛ فإن مغفرة الكافر بالإقلاع عن الكفر والإرشاد إلى الحق، والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي، والتنبيه على عذر الرسول في استغفاره؛ وهو عدم يأسه من إيمانهم ما لم يعلم أنهم مطبوعون على الضلالة، والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

﴿٨١﴾ - ﴿٨٢﴾ ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ بقعودهم عن الغزو خلفه؛ يقال: أقام خلاف الحي؛ أي: بعدهم، ويجوز أن يكون بمعنى المخالفة، فيكون انتصابه على العلة أو الحال. ﴿وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إيثاراً للدعة والخفض على طاعة الله،

[لاشتمال السبعة على جملة أقسام العدد]؛ أي: على عدة مراتبه الأصلية والفرعية مع ذكر أولى مراتب فروع فروعه وهي سبعة؛ آحاد، ألوف، عشرات ألوف، مئين ألوف، آحاد ألوف ألوف **[والتنبيه]** عطف على الدليل **[أشار للدعة والخفض]** العطف

۞ ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الأموال والمهج ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ﴾؛ أي: قال بعضهم لبعض، أو قالوه للمؤمنين تثبيطاً. ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ وقد آثرتموها بهذه المخالفة. ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ﴾ أن مآبهم إليها، أو أنها كيف هي ما اختاروها بإيثار الدعة على الطاعة ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ إخبار عما يؤول إليه حالهم في الدنيا والآخرة؛ أخرجه على صيغة الأمر للدلالة على أنه حتم واجب، ويجوز أن يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم؛ والمراد من القلة العدم.

﴿٨٣﴾ ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ فإن ردك إلى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين؛ يعني: منافقيهم، فإن كلهم لم يكونوا منافقين، أو من بقي منهم، وكان المتخلفون اثني عشر رجلاً ﴿فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ إلى غزوة أخرى بعد تبوك ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا﴾ إخبار في معنى النهي للمبالغة ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ تعليل له، وكان إسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم، وأَوَّلَ مَرَّةٍ هي الخرجة إلى غزوة تبوك ﴿فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ﴾؛ أي: المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد

فيه للتفسير قال الجوهري: الخَفْضُ الدَّعَةُ، يقال: «عيش خافض» وهم في خفض من العيش[1] انتهى. والمعنى: إيثار للسكون والراحة.

[وفيه تعريض بالمؤمنين]؛ أي: بتحملهم المشاقَّ العِظامِ لوجه الله كما أشار إليه في قوله: [الذين آثروا عليها..] إلى آخره، وقوله: «عليها»؛ أي: على الدعة، أخرجه [عن صيغة الأمر]؛ أي: لأنه للوجوب ولا يحتمل الصدق والكذب بخلاف

(١) الصحاح، الجوهري [٥/ ٢٢٢].

۞ ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

كالنساء والصبيان. وقرئ مع (الخَلِفِيْن) على قصر (الْخالِفِينَ).

﴿٨٤﴾ - ﴿٨٥﴾ ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ روي: (أن عبد الله بن أُبي دعا رسول الله ﷺ في مرضه، فلما دخل عليه سأله أن يستغفر له، ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده، ويصلي عليه، فلما مات أرسل قميصه ليكفن فيه، وذهب ليصلي عليه، فنزلت). وقيل: (صلّى عليه ثم نزلت)، وإنما لم ينه عن التكفين في قميصه، ونهى عن الصلاة عليه؛ لأن الضنة بالقميص كانت مخلة بالكرم، ولأنه كان مكافأة لإلباسه العباس قميصه حين أسر ببدر، والمراد من الصلاة: الدعاء للميت والاستغفار له؛ وهو ممنوع في حق الكافر، ولذلك رتب النهي على قوله: ﴿مَّاتَ أَبَدًا﴾؛ يعني: الموت على الكفر، فإن إحياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكأنه لم يحيَ ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ ولا تقف عند قبره للدفن أو الزيارة. ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ تعليل للنهي أو لتأبيد الموت. ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ تكرير للتأكيد، والأمر حقيق به؛ فإن الأبصار طامحة إلى

الخبر [روي: «أن ابن أُبي دعا رسول الله..»] إلى آخره. رواه الحاكم وصححه[(١)] [وإنما لم ينه]؛ أي: على القول الأول [لإلباسه العباس..] إلى آخره. رواه البخاري[(٢)] [والأمر حقيق به]؛ أي: بالتأكيد [فإن الأبصار طامحة]؛ أي: مرتفعة قال الجوهري: طمح بصره إلى الشيء ارتفع[(٣)].

---

(١) الفتح السماوي، المناوي [٢/ ٦٩٥/ برقم: ٥٨١].

(٢) صحيح البخاري [١/ ٤٥٣/ برقم: ١٢٨٥]. (٣) الصحاح، الجوهري [١/ ٤٣٠].

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾.

الأموال والأولاد، والنفوس مغتبطة عليها. ويجوز أن تكون هذه في طريق غير الأول.

﴿٨٦﴾ - ﴿٨٧﴾ ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ﴾ من القرآن ويجوز أن يراد بها بعضها. ﴿أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ﴾ بأن آمنوا بالله، ويجوز أن تكون (أن) المفسرة. ﴿وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ﴾ ذوو الفضل والسعة ﴿وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾ الذين قعدوا لعذر ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ﴾ مع النساء جمع خالفة، وقد يقال الخالفة للذي لا خير فيه ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة، وما في التخلف عنه من الشقاوة.

﴿٨٨﴾ - ﴿٨٩﴾ ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ﴾؛ أي: إن تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم. ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ﴾ منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة. وقيل: الحور لقوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ﴾ [الرحمٰن: ٧٠] وهي جمع خَيْرَة تخفيف خيِّرة. ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ الفائزون بالمطالب ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ بيان لما لهم من الخيرات الأخروية.

[بأن آمنوا]؛ أي: بإيمانهم فـ«أنْ» مصدرية على حذف حرف الجر **[ويجوز أن تكون إن مفسرة]**؛ لأن فيما قبلها معنى القول دون حروفه **[أولوا الطَّوْل منهم]**؛ أي:

۞ ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ
سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ
وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى
ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ
قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا
يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

﴿٩٠﴾ ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾؛ يعني: أسداً وغطفان استأذنوا في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال. وقيل: هم رهط عامر بن الطفيل قالوا: إن غزونا معك أغارت طيئ على أهالينا ومواشينا. و(المعذِّر): إما من عُذِرَ في الأمر إذا قصر فيه موهماً أن له عذراً ولا عذر له، أو من اعتذر إذا مهد العذر بإدغام التاء في الذال، ونقل حركتها إلى العين، ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرأ بهما. وقرأ يعقوب: (المُعْذِرُون) من أعذر إذا اجتهد في العذر. وقرئ: (المُعَّذِّرون) بتشديد العين والذال؛ على أنه من تعذر بمعنى اعتذر، وهو لحنٌ؛ إذ التاء لا تدغم في العين، وقد اختلف في أنهم كانوا معتذرين بالتصنع أو بالصحة فيكون قوله: ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في غيرهم وهم منافقو الأعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء الإيمان، وإن كانوا هم الأولين فكذبهم بالاعتذار. ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ﴾ من الأعراب أو من المعذرين فإن منهم من اعتذر لكسله لا لكفره ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بالقتل والنار.

﴿٩١﴾ ـ ﴿٩٢﴾ ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ كالهرمى والزمنى. ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة. ﴿حَرَجٌ﴾ إثمٌ في التأخر ﴿إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ بالإيمان والطاعة في السر والعلانية كما يفعل الموالي الناصح، أو بما قدروا عليه فعلاً أو قولاً

۞ ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾﴾.

يعود على الإسلام والمسلمين بالصلاح ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ﴾؛ أي: ليس عليهم جناح ولا إلى معاتبتهم سبيل، وإنما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على أنهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين لذلك. ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لهم أو للمسيء فكيف المحسن. ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ عطف على ﴿ٱلضُّعَفَآءِ﴾ أو على ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وهم البكاؤون سبعة من الأنصار: (معقل بن يسار، وصخر بن خنساء، وعبد الله بن كعب، وسالم بن عمير، وثعلبة بن غنمة، وعبد الله بن مغفل، وعلية بن زيد، أتوا رسول الله ﷺ وقالوا: نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نَغْزُ معك، فقال عليه السلام: «**لا أَجِد**» فتولوا وهم يبكون!). وقيل: هم بنو مقرن: معقل وسويد والنعمان. وقيل: أبو موسى وأصحابه. ﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ حال من الكاف في ﴿أَتَوْكَ﴾ بإضمار (قد). ﴿تَوَلَّواْ﴾ جواب (إذا). ﴿وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾ تسيل ﴿مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾؛ أي: دمعاً؛ أي: دمعها فإن (من) للبيان، وهي مع المجرور في محل النصب على التمييز، وهو أبلغ من: (يفيض دمعها)؛ لأنه يدل على أن العين صارت دمعاً فياضاً. ﴿حَزَنًا﴾ نصب على العلة، أو الحال، أو المصدر لفعل دل عليه ما قبله. ﴿أَلَّا يَجِدُواْ﴾ لئلا يجدوا متعلق بـ(حَزَناً) أو (بتَفِيضُ). ﴿مَا يُنفِقُونَ﴾ في مغزاهم.

﴿٩٣﴾ - ﴿٩٤﴾ ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ﴾ بالمعاتبة. ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُۚ﴾ واجدون للأهبة ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ استئناف لبيان ما هو السبب لاستئذانهم من غير عذر؛ وهو رضاهم بالدناءة والانتظام في جملة

۞ ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾.

الخوالف إيثاراً للدعة ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ حتى غفلوا عن وخامة العاقبة ﴿فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ مغبته. ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ في التخلف ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ من هذه السَّفْرة ﴿قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟﴾ بالمعاذير الكاذبة؛ لأنه: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ لن نصدقكم؛ لأنه: ﴿قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ أعلمنا بالوحي إلى نبيِّه بعض أخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد. ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ أتتوبون عن الكفر، أم تثبتون عليه؛ فكأنه استتابة وإمهال للتوبة ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾؛ أي: إليه، فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على أنه مطّلع على سرهم وعلنهم، لا يفوت عن علمه شيء من ضمائرهم وأعمالهم. ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بالتوبيخ والعقاب عليه.

﴿٩٥﴾ - ﴿٩٦﴾ ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ﴾ فلا تعاتبوهم ﴿فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ﴾ ولا توبخوهم ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ لا ينفع فيهم التأنيب؛ فإن المقصود منه التطهير بالحمل على الإنابة، وهؤلاء أرجاس لا تقبل التطهير فهو علة الإعراض وترك المعاتبة. ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ من تمام التعليل؛ وكأنه قال: إنهم أرجاس من أهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا والآخرة، أَوْ تعليل ثان والمعنى: أن النار كفتهم عتاباً فلا تتكلفوا عتابهم ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ يجوز أن يكون مصدراً، وأن يكون علة. ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ﴾ بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم. ﴿فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ

من المنافقين [وَخَامَةِ العَاقِبَةِ]؛ أي: مرضها الكثير [مغبته]؛ أي: عاقبة رضاهم بالقعود [لا ينفع فيهم التأنيب]؛ أي: التعنيف [فهو]؛ أي: إنهم رجس [فيستدعوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم]؛ أي: مما ينفعهم في دنياهم.

۞ ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾.

ٱلْفَٰسِقِينَ﴾؛ أي: فإن رضاكم لا يستلزم رضى الله، ورضاكم وحدكم لا ينفعهم إذا كانوا في سخط الله وبصدد عقابه، وإن أمكنهم أن يلبسوا عليكم لا يمكنهم أن يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم، ولا ينزل الهوان بهم، والمقصود من الآية: النهي عن الرضى عنهم، والاغترار بمعاذيرهم؛ بعد الأمر بالإعراض وعدم الالتفات نحوهم.

﴿٩٧﴾ - ﴿٩٨﴾ ﴿ٱلْأَعْرَابُ﴾ أهل البدو. ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ من أهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لأهل العلم، وقلة استماعهم للكتاب والسُّنَّة ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟﴾ وأحق بأن لا يعلموا ﴿حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ مِنْ الشرائع فرائضها وسنَّتها. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ يعلم حال كل أحد من أهل الوبر والمدر ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقاباً وثواباً ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ﴾ يعدُّ ﴿مَا يُنفِقُ﴾ يصرفه في سبيل الله ويتصدق به ﴿مَغْرَمًا﴾ غرامة وخسراناً إذ لا يحتسبه قربة عند الله، ولا يرجو عليه ثواباً وإنما ينفق رياء أو تقية ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ دوائر الزمان ونُوَبه لينقلب الأمر عليكم فيتخلص من الإنفاق. ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه أو الإخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم، و(الدائرة): في الأصل مصدر، أو اسم فاعل من دار يدور، وسمي به عقبة

[أهل الوبر والمدر] أشار بالأول: إلى أهل البادية وبالثاني: إلى أهل القرى[(١)]
[اعتراض بالدعاء عليهم] قال التفتازاني: أي: بين كلامين لا في أثناء كلام ولا في آخر كلام بنحو ما [يتربصونه]؛ أي: لكم [أو الأخبار] عطف على «الدعاء»

---

(١) انظر: تاج العروس [٤/ ٣٢٩/ مادة: وبر].

﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٩﴾.

الزمان، ﴿ٱلسَّوۡءِۗ﴾ بالفتح مصدر أضيف إليه للمبالغة؛ كقولك: رجل صدق. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: (السُّوء) هنا. وفي الفتح بضم السين. ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لما يقولون عند الانفاق. ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يضمرون.

(٩٩) ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ﴾ سبب قُرُباتٍ، وهي ثاني مفعولي ﴿وَيَتَّخِذُ﴾، و﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ صفتها أو ظرف لـ(يَتَّخِذُ). ﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ﴾ وسبب صلواته لأنه عليه الصلاة والسلام كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم، ولذلك سن للمتصدق عليه أن يدعو للمتصدق عند أخذ صدقته، لكن ليس له أن يصلي عليه كما قال عليه الصلاة والسلام: «**اللَّهُمَّ صل على آل أبي أوفى**»؛ لأنه منصبه فله أن يتفضل به على غيره. ﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ﴾ شهادة من الله بصحة معتقدهم، وتصديق لرجائهم على الاستئناف مع حرف التنبيه، و(إنَّ) المحققة للنسبة، والضمير لنفقتهم، وقرأ ورش (قُرُبَةٌ) بضم الراء. ﴿سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ﴾ وعد لهم بإحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ لتقريره. وقيل: الأولى: في أسد وغطفان وبني تميم، والثانية: في عبد الله ذي البِجَادَيْن وقومه.

[والسَّوء بالفتح]؛ أي: بفتح السين **[مصدر]** وبضمها اسم مصدر وقيل مصدر في الأصل **[سُن للمُصدِّق]** بتخفيف الصاد وتشديد الدال المكسورة؛ أي: لأخذ الصدقة **[قال عليه الصلاة والسلام: «اللَّهُمَّ فَصَلِّ على آل أبي أوفى»]** رواه الشيخان وغيرهما[1] **[والسين لتحققه]**؛ أي: لتحقيق الوعد **[في عبد الله ذي البجادين]**

---

(١) صحيح البخاري [٢/ ٥٤٤/ برقم: ١٤٢٦]، صحيح مسلم [٢/ ٧٥٦/ برقم: ١٠٧٨]، سنن =

۞ ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾.

﴿١٠٠﴾ ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ﴾ هم الذين صلوا إلى القبلتين، أو الذين شهدوا بدراً، أو الذين أسلموا قبل الهجرة. ﴿وَالْأَنصَارِ﴾ أهل بيعة العقبة الأولى. وكانوا سبعة، وأهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين، والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة صعب بن عمير. وقرئ بالرفع عطفاً على ﴿وَالسَّابِقُونَ﴾. ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾ اللاحقون بالسابقين من القبيلتين، أو من الذين اتبعوهم بالإيمان والطاعة إلى يوم القيامة ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بقبول طاعتهم وارتضاء أعمالهم ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾ وقرأ ابن كثير (مِنْ تَحْتِها) كما في سائر المواضع. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿١٠١﴾ ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم﴾؛ أي: وممن حول بلدتكم؛ يعني: المدينة ﴿مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ﴾ هُم: جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا نازلين حولها ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ عطف على ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم﴾ أو خبر لمحذوف صفته ﴿مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ ونظيره في حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه قوله:

بالموحدة قبل الجيم هو عبد الله بن عبد سهم، سمي ذا البجادين لأنه حين أراد المسير إلى رسول الله ﷺ قطعت أمه بجاداً لها وهو كساء شقته باثنين فاتزر بواحد وارتدى بالآخر ومات في عصر النبي ﷺ قاله ابن عبد البر[١] [قوله]؛ أي: قول سحيم بن وثيل الرياحي:

= أبي داود [١/٤٥٩/برقم: ١٥٩٠].

(١) الاستيعاب، ابن عبد البر [١/٣٠٨].

۞ ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٠٢﴾.

(أَنَا ابنُ جَلا وَطَلَّاعِ الثَنَايَا) وعلى الأول صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر، أو كلام مبتدأ لبيان تمرنهم وتمهرهم في النفاق ﴿لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ﴾ لا تعرفهم بأعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه، وتنوقهم في تحامي مواقع التهم إلى حدٍّ أَخْفَى عليك حالهم؛ مع كمال فطنتك وصدق فراستك ﴿نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ﴾ ونطلع على أسرارهم؛ إن قدروا أن يلبسوا عليك لم يقدروا أن يلبسوا علينا. ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾ بالفضيحة والقتل، أو بأحدهما، وعذاب القبر، أو بأخذ الزكاة ونَهْكِ الأبدان. ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ﴾ إلى عذاب النار.

١٠٢ ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ﴾ ولم يعتذروا عن تخلفهم بالمعاذير

[أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ....]

تمامه:

.... متى أضع العمامة تعرفوني

أي: أنا ابن رجل جلا الأمور وأوضحها فجلا فعل، وقيل: مصدر مقصور، وهو انحسار الشعر عن الرأس؛ أي: أنا ابن من باشر الحروب؛ لأن من أكثر وضع البيضة على رأسه انحسر شعره، والثنايا ثنايا الجبال يقال: فلان طلاع الثنايا؛ أي: نقصد عظائم الأمور، ومتى أضع العمامة تعرفوني؛ أي: بالصفة المذكورة التي هي انحسار الشعر، أو بأني ابن جلا لكثرة معاشرتي للحرب وإن كنت بغير عمامة(١).

[وعلى الأول]؛ أي: وهو عطف «من أهل المدينة» على «ممن حولكم» **[صفة للمنافقين]**؛ أي: فمردوا صفة لقوله: «منافقون» **[أو كلام]** عطف على صفة **[لمهارتهم فيه]**؛ أي: في النفاق **[وتنوقهم]** بنون بعد الفوقية؛ أي: تروضهم وتأنقهم

---

(١) المثل السائر، ابن الأثير [٢/ ٢١٣].

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾.

الكاذبة، وهم: (طائفة من المتخلفين أوثقوا أنفسهم على سَوَاري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين، فقدم رسول الله ﷺ فدخل المسجد على عادته؛ فصلى ركعتين، فرآهم، فسأل عنهم؟ فذكر له أنهم أقسموا أن لا يحلوا أنفسهم حتى تحلهم! فقال: «**وأنا أُقْسِمُ أَنْ لا أَحُلَّهُم حَتَّى أُوْمَرَ فيهِم**» فنزلت، فأطلقهم). ﴿خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ خلطوا العمل الصالح الذي هو إظهار الندم والاعتراف بالذنب؛ بآخر سيئ هو التخلف وموافقة أهل النفاق، و(الواو) إما بمعنى الباء كما في قولهم: بعت الشاء شاة ودرهماً. أو للدلالة على أن كل واحد منهما مخلوط بالآخر ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ أن يقبل توبتهم؛ وهي مدلول عليها بقوله: ﴿ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه.

﴿١٠٣﴾ ـ ﴿١٠٤﴾ ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ روي: (أنهم لما أُطْلِقُوا قالوا: يا رسول الله! هذه أموالنا التي خلَّفَتْنَا فتصدق بها وطهرنا؛ فقال: «**ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً**»، فنزلت). ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ من الذنوب، أو حب المال

[**وهم طائفة من المتخلفين أوثقوا أنفسهم..**] إلى آخره. رواه البيهقي وغيره[١] [**كما في قولهم: بعت الشاء شاة ودرهماً**] قال «الكشاف»[٢] بمعنى: شاة بدرهم؛ أي: فإن الواو بمعنى الباء، وتحقيقه كما قال التفتازاني: إن الواو للجمع والباء للإلصاق، والجمع والإلصاق من واد واحد فسلك به طريق الاستعارة [**«روي أنهم لما أطلقوا»**]

(١) الاستيعاب، ابن عبد البر [١/ ٥٦٠].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٢٩٢].

۞ ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿١٠٦﴾﴾.

المؤدي بهم إلى مثله. وقرئ (تُطْهِرُهُمْ) من أطهره بمعنى: طهره و(تُطَهِّرْهُمْ) بالجزم جواباً للأمر. ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ وتنمي بها حسناتهم وترفعهم إلى منازل المخلصين. ﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ﴾ تسكن إليها نفوسهم، وتطمئن بها قلوبهم؛ وجمعها لتعدد المدعو لهم، وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد. ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ باعترافهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بندامتهم. ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ﴾ الضمير إما للمتوب عليهم، والمراد أن يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم، أو لغيرهم والمراد به التحضيض عليهما ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ إذا صحت وتعديته بـ(عَنْ) لتضمنه معنى التجاوز ﴿وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ يقبلها قبول من يأخذ شيئاً ليؤدي بدله ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ وأن من شأنه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم.

﴿١٠٥﴾ - ﴿١٠٦﴾ ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ﴾ ما شئتم ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ﴾ فإنه لا يخفى عليه خيراً كان أو شراً ﴿وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾ فإنه تعالى لا يخفى عنهم كما رأيتم وتبين لكم ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ بالموت ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ

إلى آخره. رواه البيهقي وغيره[1] **[المؤدي بهم إلى مثله]**؛ أي: مثل تخلفهم كغيره من الذنوب **[وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد]**؛ أي: مع فتح الباء **[وإن من شأنه قبول توبة التائبين]**؛ أي: مع إفادة التخصيص كما ذكره «الكشاف»[2] بمعنى: أن الله من شأنه أن يقبل التوبة لا غيره كما أفاد ضمير الفصل.

---

(١) دلائل النبوة، البيهقي [٥/ ٢٧٢/ برقم: ٢٠٢١].

(٢) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٢٩٣].

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧)﴾.

تَعْمَلُونَ﴾ بالمجازاة عليه ﴿وَءَاخَرُونَ﴾ من المتخلفين. ﴿مُرْجَوْنَ﴾ مؤخرون؛ أي: موقوف أمرهم، من: (أرجأته) إذا أخرته. وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص: (مُرْجَوْنَ) بالواو وهما لغتان. ﴿لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ في شأنهم ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ إن أصروا على النفاق ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ إن تابوا؛ والترديد للعباد، وفيه دليل على أن كلا الأمرين بإرادة الله تعالى ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوالهم. ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يفعل بهم. وقرئ (والله غفور رحيم)، والمراد بهؤلاء: (كعب بن مالك، وهلال بن أمية، وَمُرَارَة بن الربيع، أمر الرسول ﷺ أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم، فلما رأوا ذلك أخلصوا نياتهم وفوضوا أمرهم إلى الله فرحمهم الله تعالى).

(١٠٧) ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا﴾ عطف على ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾ [التوبة: ١٠٦]، أو مبتدأ خبره محذوف؛ أي: فيمن وصفنا الذين اتخذوا، أو منصوب على الاختصاص. وقرأ نافع وابن عامر بغير الواو ﴿ضِرَارًا﴾ مضارة للمؤمنين. وروي: (أن بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم، فأتاهم، فصلى فيه، فحسدتهم إخوانهم بنو غنم بن عوف، فبنوا مسجداً على قصد أن يؤمهم فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام؛ فلما أتموه أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إنا قد بنينا مسجداً لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية؛ فَصَلِّ فيه حتى نتخذه مصلى، فأخذ ثوبه ليقوم معهم، فنزلت، فدعا بمالك بن الدخشم، ومعن بن عدي،

[والترديد للعباد]؛ أي: لا لله لعلمه بالواقع والمعنى: ليكن أمرهم عندكم على هذا في الخوف والرجاء [والمراد بهؤلاء: كعب بن مالك..] إلى آخره. رواه

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾.

وعامر بن السكن، والوحشي فقال لهم: «**انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله، فاهدموه، وأحرقوه**»، **فَفُعِل، واتُّخِذَ مكانه كناسة**). و﴿وَكُفْرًا﴾ وتقوية للكفر الذي يضمرونه. ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يريد الذي كانوا يجتمعون للصلاة في مسجد قباء. ﴿وَإِرْصَادًا﴾ ترقباً. ﴿لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ﴾؛ يعني: الراهب؛ فإنه قال لرسول الله ﷺ يوم أُحد: (لا أجد قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك معهم، فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين، وانهزم مع هوازن وهرب إلى الشام ليأتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله ﷺ، ومات بقنسرين وحيداً). وقيل: كان يجمع الجيوش يوم الأحزاب فلما انهزموا خرج إلى الشام. و﴿مِن قَبْلُ﴾ متعلق بـ(حارَبَ) أو بـ(اتَّخَذُوا)؛ أي: اتخذوا مسجداً من قبل أن ينافق هؤلاء بالتخلف، لما روي: (أنه بني قبيل غزوة تبوك، فسألوا رسول الله ﷺ أن يأتيه فقال: «**أنا على جناح سفر، وإذا قدمنا إن شاء الله صلينا فيه**»، فلما قفل كرر عليه، فنزلت). ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ﴾ ما أردنا ببنائه إلا الخصلة الحسنى، أو الإرادة الحسنى؛ وهي الصلاة والذكر والتوسعة على المصلين ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في حلفهم.

﴿١٠٨﴾ ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ للصلاة. ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ﴾؛ يعني: مسجد قباء أسسه رسول الله ﷺ، وصلى فيه أيام مقامه بقباء من الإثنين إلى الجمعة؛ لأنه أوفق للقصة، أو مسجد رسول الله ﷺ

الشيخان[1] [ومات بِقِنِّسْرين] بكسر القاف وتشديد النون مفتوحة ومكسورة بلد بالشام [لأنه أوفق للقصة]؛ يعني: أن المسجد الذي هو أحق من المسجد الذي لم يؤسس

---

(١) صحيح البخاري [٤/١٦٠٣/ برقم: ٤١٥٦]، صحيح مسلم [٤/ ٢١٢٠/ برقم: ٢٧٩٦].

لقول أبي سعيد ﷺ: (سألت رسول الله ﷺ عنه فقال: «**هو مسجدكم هذا مسجد المدينة**»). ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ من أيام وجوده، و(من) تعم الزمان والمكان كقوله:

لِمَنِ الدِّيَارُ بِقُنَّةِ الحَجْرِ أَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ وَمِنْ دَهرِ

﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ﴾ أولى بأن تصلي فيه. ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ﴾ من المعاصي والخصال المذمومة طلباً لمرضاة الله ﷻ، وقيل: من الجنابة فلا ينامون عليها. ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه تعالى إدناء المحب حبيبه. قيل: (لما نزلت مشى رسول الله ﷺ

على التقوى هو مسجد قباء لا مسجد المدينة؛ لأنه أوفق للقصة إذ المسجدان بنيا بقباء، فالموازنة بينهما أولى من الموازنة بين ما بقباء وما بالمدينة وقُبَاء: بضم القاف وبالمد منصرف وغير منصرف قرية من قرى المدينة.

[**لقول أبي سعيد** ﷺ **سألت رسول الله** ﷺ..] إلى آخره. رواه مسلم[١] [**من أيام وجوده**]؛ أي: المسجد [**ومن يعم الزمان والمكان**]؛ أي: يعم كونها ابتداء لكل منهما [**لقوله**]؛ أي: قول زهير بن أبي سلمة:

[**لمن الديار**.................... ....]

المكانية [**بقنة الحجر**] بكسر الحاء وسكون الجيم[٢] [«**أقوين مِنْ حِجَجٍ ومِنْ دَهْرِ**»][٣] حال من الديار، و«القُنَّة»: بضم القاف وتشديد النون أعلى الجبل، و«الحِجَج»: بكسر الحاء جمع حجة وهي السنة، وأقوين خلون، والشاهد في أول البيت وآخره، إذ من الأَوْلَى لابتداء المكان والثانية بقسميها لابتداء الزمان، واللام في أوله لام قسم محذوف [«**لما نزلت مشى رسول الله** ﷺ»] إلى آخره. روى صدره

---

(١) صحيح مسلم [٢/ ١٠١٥/ برقم: ١٣٩٨].

(٢) عبارة (**لقوله**]؛ أي: قول زهير بن أبي سلمة [لمن الديار] المكانية لغته الحجر بكسر الحاء وسكون الجيم) من نسخة [ج ـ ب] ساقطة من نسخة [الأصل].

(٣) صدره:

لـيـسَ الـديـارُ بِـقُـنَّـةِ الـحِـجْـرِ

انظر: الصحاح، الجوهري [٢/ ١٨٢].

۞ ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾.

ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء؛ فإذا الأنصار جلوس، فقال عليه الصلاة والسلام: «**أمؤمنون أنتم**»؟ فسكتوا. فأعادها، فقال عمر: إنهم مؤمنون؛ وأنا معهم، فقال عليه الصلاة والسلام: «**أترضون بالقضاء**»؟ قالوا: نعم. قال عليه الصلاة والسلام: «**أتصبرون على البلاء**»؟ قالوا: نعم، قال: «**أتشكرون في الرخاء**»؟ قالوا: نعم. فقال ﷺ: «**أنتم مؤمنون ورب الكعبة**». فجلس ثم قال: «**يا معشر الأنصار إن الله ﷻ قد أثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط؟**» فقالوا: يا رسول الله! نتبع الغائط الأحجار الثلاثة، ثم نتبع الأحجار الماء؛ فتلا: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾.

﴿١٠٩﴾ ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ﴾ بنيان دينه. ﴿عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ﴾ على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة ﴿أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ على قاعدة هي أضعف القواعد وأرخاها ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ فأدى به لخوره وقلة استمساكه إلى السقوط في النار، وإنما وضع شفا الجرف ـ وهو ما جرفه الوادي الهائر ـ في مقابلة التقوى؛ تمثيلاً لما بنوا عليه أمر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس، ثم رشحه بانهياره به في النار، ووضعه في مقابلة الرضوان؛ تنبيهاً على أن تأسيس ذلك على أمر يحفظه من النار، ويوصله إلى رضوان الله ومقتضياته التي الجنة أدناها، وتأسيس هذا على ما هم بسببه

الطبراني وعجزه ابن مردويه فهو ملفق من حديثين(١) [**تنبهاً على أن تأسيس ذلك**]؛ أي: تأسيس البنيان على التقوى والرضوان [**وتأسيس هذا**]؛ أي: تأسيس البنيان على

---

(١) انظر: الفتح السماوي، المناوي [٢/ ٧٠٥/ برقم: ٥٩٢].

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾.

على صدد الوقوع في النار ساعة فساعة، ثم إن مصيرهم إلى النار لا محالة. وقرأ نافع وابن عامر (أُسِّسَ) على البناء للمفعول. وقرئ (أَسَاس بنيانه) و(أُسُسُ بُنْيَانِهِ) على الإضافة و(أَسَسُ) و(آسَاس) بالفتح والمد، و(إِسَاس) بالكسر وثلاثتها جمع: (أس)، و(تَقْوَىً) بالتنوين على أن الألف للإلحاق لا للتأنيث كـ(تترى)، وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر (جُرْفٍ) بالتخفيف. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ إلى ما فيه صلاحهم ونجاتهم.

﴿١١٠﴾ ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟﴾ بناؤهم الذي بنوه، مصدر أريد به المفعول وليس بجمع، ولذلك قد تدخله التاء ووصف بالمفرد وأخبر عنه بقوله: ﴿رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾؛ أي: شكّاً ونفاقاً، والمعنى: أن بناءهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم؛ فإنه حملهم على ذلك، ثم لما هدمه الرسول ﷺ رسخ ذلك في قلوبهم، وازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ﴾ قطعاً بحيث لا يبقى لها قابلية الإدراك والإضمار،

شفا جرف هارٍ [**على الإضافة**]؛ أي: في القرائين [**وأساس بالفتح**]؛ أي: بفتح الهمزة [**وأساس بالكسر**]؛ أي: بكسرها [**كـ«ترى»**]؛ أي: في أن ألفه للإلحاق فهو وتقوى منونين ملحقان بجعفر [**مصدر أريد به المفعول**]؛ أي: المبني وهو نفس المبني أو هو نفس المبنى لكن لا بد فيهما من تقدير مضاف؛ أي: بناء ببنائهم لأن المبني ليس ريبة، وجوز بعضهم أنه مصدر بحاله وعليه فلا حاجة لتقدير مضاف(١).

[**قد تدخله التاء**]؛ أي: فيقال بنيانة [**والمعنى: أن بنائهم هذا**]؛ أي: بنائهم المسجد ضراراً [**فإنه؛ أي: نفاقهم حملهم على ذلك**]؛ أي: على بناء ذلك المسجد

---

(١) الدر المصون، السمين الحلبي [٩/ ٣٩٠].

۞ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾.

وهو في غاية المبالغة والاستثناء من أعم الأزمنة. وقيل: المراد بالتقطع ما هو كائن بالقتل أو في القبر أو في النار. وقيل: التقطع بالتوبة ندماً وأسفاً. وقرأ يعقوب (إلى) بحرف الانتهاء، و﴿تَقَطَّعَ﴾ بمعنى: تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص. وقرئ (يُقَطِّعَ) بالياء و(يَقْطَعَ) بالتخفيف و(تَقْطَعَ قُلُوبَهُمْ) على خطاب الرسول، أو كل مخاطب ولو قطعت على البناء للفاعل والمفعول. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بنياتهم. ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما أمر بهدم بنيانهم.

﴿١١١﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ تمثيل لإثابة الله إياهم الجنة على بذل أنفسهم وأموالهم في سبيله. ﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ﴾ استئناف ببيان ما لأجله الشراء. وقيل: يقاتلون في معنى الأمر. وقرأ حمزة والكسائي بتقديم المبني

[وهو في غاية المبالغة] كناية عن أن الريبة باقية متمكنة فيهم غير زائلة إلا أن فرض أن قلوبهم تقطع وتفرق قطعاً قطعاً حتى تخرج الريبة منها فتزول **[والاستثناء من أعم الأزمنة]** فيكون الاستثناء متصلاً إذ المعنى: لا تزال الريبة في قلوبهم في شيء من الأزمان إلا في زمن تقطعها.

[وقرأ يعقوب إلى بحرف الانتهاء]؛ أي: بجعله حرف جر **[وتقطع]**؛ أي: بفتح التاء قرأ به يعقوب أيضاً **[وهو]**؛ أي: تقطع بفتحهما كما هو قراءة يعقوب **[قرأ ابن عامر وحمزة وحفص]** وأبي جعفر أيضاً[1].

---

(١) إتحاف فضلاء البشر، الدمياطي [ص٤٣٢].

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾.

للمفعول؛ وقد عرفت أن الواو لا توجب الترتيب، وأن فعل البعض قد يسند إلى الكل. ﴿وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا﴾ مصدر مؤكد لما دل عليه الشراء فإنه في معنى الوعد. ﴿فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ مذكوراً فيهما كما أثبت في القرآن ﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ مبالغة في الإنجاز وتقرير لكونه حقاً ﴿فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ﴾ فافرحوا به غاية الفرح؛ فإنه أوجب لكم عظائم المطالب كما قال: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾.

١١٢ ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ رفع على المدح؛ أي: هم التائبون، والمراد بهم: المؤمنون المذكورون، ويجوز أن يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره: التائبون من أهل الجنة وإن لم يجاهدوا؛ لقوله: ﴿وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الحديد: ١٠] أو خبره ما بعده؛ أي: التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال. وقرئ بالياء نصباً على المدح، أو جراً صفة للمؤمنين. ﴿ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾ الذين عبدوا الله ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]. ﴿ٱلۡحَٰمِدُونَ﴾ لنعمائه أو لما نابهم من السراء والضراء. ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ الصائمون لقوله عليه الصلاة والسلام:

[مصدر مؤكد]؛ أي: «وعداً» و«حقاً» وصفةٌ له **[مذكوراً فيهما كما أثبت في القرآن]**؛ أي: أخبر بأن هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت قد ذكره في التوراة والإنجيل كما أثبته في القرآن، وفي تعبيره في الأولين بذكر الوعد وفي الثالث بثبوته إشارة إلى أن الثالث ثابت أيضاً لم يبدل بخلافهما، وهذا فات «الكشاف»(١) حيث عُبِّرَ في الموضعين بالثبوت، وجعلهما ثبوت الوعد في القرآن أصلاً، وفي اللذين قبله فرعاً مع آخر(٢) نزول القرآن عن نزولهما نظراً إلى أصالة القرآن حيث لم يبدل ولم ينسخ بخلافهما [﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾]؛ أي:

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٢٩٩].

(٢) في نسخة [ج - ب]: (تأخر).

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾.

«**سياحة أمتي الصوم**» شبه بها لأنه يعوق عن الشهوات، أو لأنه رياضة نفسانية يتوصل بها إلى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت، أو السائحون للجهاد، أو لطلب العلم. ﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾ في الصلاة ﴿الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالإيمان والطاعة ﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ عن الشرك والمعاصي، والعاطف فيه للدلالة على أنه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة؛ كأنه قال: الجامعون بين الوصفين، وفي قوله تعالى: ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾؛ أي: فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه على أن ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها. وقيل: إنه للإيذان بأن التعداد قد تم بالسابع؛ من حيث أن السبعة هو العدد التام، والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه؛ ولذلك تسمى: (واو الثمانية). ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ يعني به: هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل، ووضع ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ موضع ضميرهم للتنبيه على أن إيمانهم دعاهم إلى ذلك، وأن المؤمن الكامل من كان كذلك، وحذف المبشر به للتعظيم؛ كأنه قيل: وبشرهم بما يجل عن إحاطة الأفهام وتعبير الكلام.

﴿١١٣﴾ - ﴿١١٤﴾ ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ روي:

لا أحد أوفى بعهده من الله[1] [**شبه بها**]؛ أي: شبه الصوم بالسياحة [**وفي قوله تعالى**]؛ أي: والعاطف في قوله تعالى [**للتشبيه**] خبر العاطف المقدر [**وقيل: إنه**]؛ أي: العاطف [**يعني به**]؛ أي: بما ذكر من المؤمنين [**هؤلاء الموصوفين..**] إلى آخره. لا المؤمنين مطلقاً [**بما يَجِلُّ**] بكسر الجيم؛ أي: بعظيم قدره [**روي:**

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية [٣/ ٩٩].

(أنه عليه الصلاة والسّلام قال لأبي طالب لما حضره الوفاة: «**قل كلمة أحاجّ لك بها عند الله!**»، فأبى. فقال ﷺ: «**لا أزال استغفر لك ما لم أُنْهَ عنه**»، فنزلت). وقيل: لما فتح مكة خرج إلى الأبواء فزار قبر أمه، ثم قام مستعبراً فقال: «**إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي، واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي؛ وأنزل علي الآيتين**» ﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ بأن ماتوا على الكفر، وفيه دليل على جواز الاستغفار لأحيائهم فإنه طلب توفيقهم للإيمان، وبه دفع النقض باستغفار إبراهيم لأبيه الكافر فقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ وعدها إبراهيم أباه بقوله: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة: ٤]؛ أي: لأطلبن مغفرتك بالتوفيق للإيمان فإنه يجب ما قبله، ويدل عليه قراءة من قرأ (أباه)، أو (وعدها إبراهيم أبوه) وهي الوعد

«**أنه عليه الصلاة والسلام قال لأبي طالب**»] إلى آخره. رواه الشيخان(١).

[«**وقيل: لما افتتح مكة خرج إلى الأبواء**»] إلى آخره. رواه الطبراني بسند ضعيف(٢) والأبواء بفتح الهمزة وسكون الباء والمد: جبل بين مكة والمدينة وقوله: «**مستعبراً**» بكسر الموحدة يقال: «استعبر بالبكاء بالغ فيه» [**وأنزل عليَّ**] بتشديد الياء [**الآيتين**]؛ أي: آية: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ [التوبة: ١١٣] وآية: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ﴾ [التوبة: ١١٤] [**وفيه**]؛ أي: في التقييد بقوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣] المفسر بموتهم على الكفر(٣).

[**دليل على جواز الاستغفار لأحيائهم**] هو كذلك لكنه منسوخ أو مؤول بأن المراد بالاستغفار: التوفيق والإصلاح كما يشير إليه قوله: [**فإنه طلب توفيقهم للإيمان**] بما جاء به النبي ﷺ [**ويدل عليه قراءة من قرأ..**] إلى آخره؛ أي: تدل عليه

---

(١) صحيح البخاري [١/٤٥٧/برقم: ١٢٩٤]، صحيح مسلم [١/٥٤/برقم: ٢٤].
(٢) انظر: الفتح السماوي، المناوي [٢/٧٠٦/برقم: ٥٩٥].
(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [٤/٢٢٢].

۞ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾.

بالإيمان ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ﴾ بأن مات على الكفر، أو أوحي فيه بأنه لن يؤمن ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ قطع استغفاره ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ﴾ لكثير التأوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه ﴿حَلِيمٌ﴾ صبور على الأذى، والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه.

﴿١١٥﴾ - ﴿١١٦﴾ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا﴾؛ أي: ليسميهم ضُلَّالاً ويؤاخذهم مؤاخذتهم ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ﴾ للإسلام ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ حتى يبين لهم حظر ما يجب اتقاؤه، وكأنه بيان عذر للرسول في قوله لعمه، أو لمن استغفر لأسلافه المشركين قبل المنع. وقيل: إنه في قوم مضوا على الأمر الأول في القبلة والخمر ونحو ذلك، وفي الجملة دليل على أن الغافل غير مكلف ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ فيعلم أمرهم في الحالين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وإن كانوا أولي قربى، وتضمن ذلك وجوب التبرؤ عنهم رأساً، بيِّن لهم أن الله مالك كل موجود، ومتولي أمره، والغالب عليه، ولا يتأتى لهم ولاية ولا نصرة إلا منه، ليتوجهوا بشراشرهم إليه، ويتبرؤوا مما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما يأتون ويذرون سواه.

دلالة صريحة وإلا فالقراءة المشهورة تدل عليه أيضاً [ما حمله على الاستغفار له] هو فرط ترحمه عليه [مع شكاسته عليه]؛ أي: مع صعوبة خُلُق أبي إبراهيم عليه [أو لمن استغفر] عطف على الرسول بزيادة التصريح باللام والتقدير بيان لعذر الرسول أو لعدة من استغفر [في الحالين]؛ أي: قبل البيان وبعده.

۞ ﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾.

﴿١١٧﴾ ﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ من إذن المنافقين في التخلف أو برأهم عن علقة الذنوب؛ كقوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] وقيل: هو بعث على التوبة والمعنى: ما من أحد إلا وهو محتاج إلى التوبة حتى النبي والمهاجرين والأنصار لقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [النور: ٣١] إذ ما من أحد إلا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقي إليه توبة من تلك النقيصة وإظهار لفضلها بأنها مقام الأنبياء والصالحين من عباده. ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ في وقتها هي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر تعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل: إن الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ. ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ عن الثبات على الإيمان أو اتباع الرسول وفي ﴿كَادَ﴾ ضمير الشأن أو ضمير القوم والعائد عليه الضمير في ﴿مِّنْهُمْ﴾. وقرأ حمزة وحفص (يَزِيغُ) بالياء لأن تأنيث القلوب غير حقيقي. وقرئ: (مِنْ بعدِ مَا زاغَت قلوبُ فريقٍ منهم)؛ يعني:

[أو تراهم] عطف على مُقَدَّر مفسّر لـ«تاب»؛ أي: لقد تاب الله على المذكورين؛ أي: وفقهم للتوبة من إذنهم للمنافقين في التخلف أو برَّأهم من الذنوب [الفَظّ] هو ماء الكرش قاله الجوهري[1] [وفي «كاد» ضمير الشأن..] إلى آخره. إذ لا سبيل إلى جعل قلوب اسم «كاد» لامتناع تقديم خبرها على اسمها، ولا إلى جعله

---

(١) الصحاح، الجوهري [٥/ ٣٣٠].

۞ ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾.

المتخلفين. ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ﴾ تكرير للتأكيد، وتنبيه على أنه تاب عليهم من أجل ما كابدوا من العسرة، أو المراد: أنه تاب عليهم لكيدودتهم ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾.

﴿١١٨﴾ - ﴿١١٩﴾ ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ﴾ وتاب على الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع ﴿ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ تخلفوا عن الغزو، أو خلف أمرهم فإنهم المرجون ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾؛ أي: برحبها لإعراض الناس عنهم بالكلية؛ وهو مثل لشدة الحيرة ﴿وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ قلوبهم من فرط الوحشة والغم؛ بحيث لا يسعها أنس ولا سرور ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ وعلموا ﴿أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ من سخطه ﴿إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ إلا إلى استغفاره ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ﴾ بالتوفيق للتوبة ﴿لِيَتُوبُوٓاْۚ﴾ أو أنزل قبول توبتهم ليعدوا من جملة التائبين، أو رجع عليهم بالقبول والرحمة مرّة بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ لمن تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة. ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ المتفضل عليهم بالنعم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فيما لا يرضاه ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في إيمانهم وعهودهم، أو في دين الله نية وقولاً وعملاً. وقرئ (مِنَ الصادقين)؛ أي: في توبتهم، وإنابتهم؛ فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة وأضرابهم.

من باب التنازع وإعمال الثاني وإلا لقيل «كادت» [لِكَيْدُودَتِهم]؛ أي: تاب عليهم لأجل كَيْدُودَتِهِم الزيغ لأنه نوع جريمة يحتاج صاحبها إلى أن يتوب منها [أي: برحبها]؛ أي: بوسعها.

۞ ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾.

﴿١٢٠﴾ ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ عن حكمه؛ نهيٌ عبّر عنه بصيغة النفي للمبالغة ﴿وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ ولا يصونوا أنفسهم عما لم يصن نفسه عنه، ويكابدوا معه ما يكابده من الأهوال. روي: (أن أبا خيثمة بلغ بستانه، وكانت له امرأة حسناً فرشت له في الظل، وبسطت له الحصير، وقربت إليه الرطب والماء البارد، فنظر فقال: ظل ظليل، ورطب يانع، وماء بارد، وامرأة حسناء؛ ورسول الله ﷺ في الضح والريح؟! ما هذا بخير! فقام فرحّل ناقته وأخذ سيفه ورمحه ومرّ كالريح، فمد رسول الله ﷺ طرفه إلى الطريق؛ فإذا براكب يزهاه السراب فقال: «**كن أبا خيثمة**»، فكان هو، ففرح به رسول الله ﷺ واستغفر له). وفي (لا يَرْغَبُوا) يجوز النصب والجزم. ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما

[«روي أن أبا خيثمة»] إلى آخره. رواه بمعناه البيهقي[(١)] وقوله: يانع؛ أي: ناضج، وقوله: «في الضحّ» بحاء مهملة؛ أي: ضوء الشمس إذا استمكن من الأرض. قاله ابن الأثير[(٢)]. وفي «القاموس»: «الضح» بالكسر الشمس وضوؤها والبراز من الأرض وما أصابته الشمس، ومنه: «جاء بالضَّحّ والريح»؛ أي: بما طلعت عليه الشمس وما جرت عليه الريح، وقوله: «يزهاه السراب»[(٣)]؛ أي: يدفعه وهو عبارة عن السرعة.

[وفي لا يرغبوا يجوز النصب]؛ أي: عطفاً على يتخلفوا [والجزم]؛ أي: على

---

(١) دلائل النبوة، البيهقي [٥/ ٢٢٢/ برقم: ١٩٧٣].

(٢) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير [٥/ ١٠٦].

(٣) انظر: تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٢/ ١٠٨/ برقم: ٥٨١].

۞ ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ
لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟
كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ
إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾.

دل عليه قوله: ﴿مَا كَانَ﴾ ما كان من النهي عن التخلف أو وجوب المشايعة ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ شيء من العطش ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ تعب ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ مجاعة ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا﴾ ولا يدوسون مكاناً ﴿يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ﴾ يغضبهم وطؤه ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾ كالقتل والأسر والنهب ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ إلا استوجبوا به الثواب، وذلك مما يوجب المشايعة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ على إحسانهم، وهو تعليل لِـ(كُتِبَ) وتنبيه على أن الجهاد إحسان، أما في حق الكفار؛ فلأنه سعي في تكميلهم بأقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون، وأما في حق المؤمنين فلأنه صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم.

﴿١٢١﴾ ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً﴾ ولو (علَّاقة). ﴿وَلَا كَبِيرَةً﴾ مثل ما أنفق عثمان رضي الله تعالى عنه في جيش العسرة ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ في مسيرهم؛ وهو كل منفرج ينفذ فيه السيل، اسم فاعل من: (ودي إذا سال)؛ فشاع بمعنى الأرض ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ أثبت لهم ذلك ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بذلك ﴿أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ جزاء أحسن أعمالهم أو أحسن جزاء أعمالهم.

﴿١٢٢﴾ ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾ وما استقام لهم أن ينفروا جميعاً لنحو غزو وطلب علم؛ كما لا يستقيم لهم أن يتثبطوا جميعاً فإنه

أن «لا» ناهية [أو وجوب المشايعة] عطف على «النهي»، المشايعة المتابعة [سطوة الكفار]؛ أي: قهرهم لنا بالبطش [ولو عِلاقة] هي بكسر العين علاقة القوس

يخل بأمر المعاش ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ فهلا نفر من كل جماعة كثيرة، كقبيلة وأهل بلدة جماعة قليلة ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة إرشاد القوم وإنذارهم، وتخصيصه بالذِّكر لأنه أهم، وفيه دليل على أن التفقه والتذكير من فروض الكفاية، وأنه ينبغي أن يكون غرض المتعلم فيه أن يستقيم ويقيم؛ لا الترفع على الناس، والتبسط في البلاد. ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ إرادة أن يحذروا مما ينذرون منه، واستدل به على أن أخبار الآحاد حجة؛ لأن عموم كل فرقة يقتضي أن ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة إلى التفقه، لتنذر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا، فلو لم يعتبر أخبار الآحاد ما لم تتواتر لم يفد ذلك! وقد أشبعت القول فيه تقريراً واعتراضاً في كتابي (المرصاد). وقد قيل: للآية معنى آخر؛ وهو أنه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون إلى النفير وانقطعوا عن التفقه، فأمروا أن ينفر من كل فرقة طائفة إلى الجهاد، ويبقى أعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الأكبر؛ لأن الجدال بالحجة هو الأصل والمقصود من البعثة؛ فيكون الضمير في (ليتفقهوا) و(لينذروا) لبواقي الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو، وفي (رجعوا) للطوائف؛ أي: ولينذروا البواقي قومهم النافرين إذا رجعوا إليهم بما حصلوا أيام غيبتهم من العلوم.

والسوط، قاله الجوهري[١] [من كل جماعة كثيرة..] إلى آخره. أشار إلى ما دلت عليه الآية من الفرق بين الفرقة والطائفة بأن الفرقة أكثر من الطائفة؛ لأن القياس أن ينتزع القليل من الكثير، لكن قول الجوهري: والفرقة طائفة من الناس يقتضي استواءهما[٢].

---

(١) الصحاح، الجوهري [٦/ ٢٢٥].

(٢) الصحاح، الجوهري [٢/ ٤٢].

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةًۚ
وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ
إِيمَٰنًاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم
مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ
يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا
مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ
ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾.

﴿١٢٣﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ أمروا بقتال الأقرب منهم فالأقرب كما أُمِرَ رسول الله ﷺ أولاً بإنذار عشيرته الأقربين، فإنَّ الأقرب أحق بالشفقة والاستصلاح. وقيل: هم يهود حوالي المدينة كقريظة والنضير وخيبر. وقيل: الروم؛ فإنهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة ﴿وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةًۚ﴾ شدة وصبراً على القتال. وقرئ بفتح الغين وضمها، وهما لغتان فيها. ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بالحراسة والإعانة.

﴿١٢٤﴾ ـ ﴿١٢٥﴾ ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم﴾ فمن المنافقين ﴿مَّن يَقُولُ﴾ انكار واستهزاء. ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ﴾ السورة ﴿إِيمَٰنًاۚ﴾ وقرئ (أَيَّكُمْ) بالنصب على إضمار فعل يفسره (زادَتْه). ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الإيمان بها، وبما فيها إلى إيمانهم. ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بنزولها لأنه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ كفر ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ كفراً بها؛ مضموماً إلى الكفر بغيرها ﴿وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه.

﴿١٢٦﴾ ـ ﴿١٢٧﴾ ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾؛ يعني: المنافقين وقرأ حمزة بالتاء ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾ يُبْتَلَوْن بأصناف البليّات، أو بالجهاد مع رسول الله ﷺ؛ فيعاينون

[وقرئ بالتاء] قد قرأ بها حمزة ويعقوب.

۞ ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾.

ما يظهر عليه من الآيات ﴿فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ ولا يعتبرون ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ تغامزوا بالعيون إنكاراً لها وسخرية، أو غيظاً لما فيها من عيوبهم ﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾؛ أي: يقولون: هل يراكم أحد إن قمتم من حضرة الرسول ﷺ، فإن لم يرهم أحد قاموا، وإن رآهم أحد أقاموا ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟﴾ عن حضرته مخافة الفضيحة ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ عن الإيمان؛ وهو يحتمل الإخبار والدعاء ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ لسوء فهمهم أو لعدم تدبرهم.

﴿١٢٨﴾ - ﴿١٢٩﴾ ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ من جنسكم عربي مثلكم. وقرئ: (من أَنْفَسِكُم)؛ أي: أشرفكم ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾ شديد شاق ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ عنتكم ولقاؤكم المكروه ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾؛ أي: على إيمانكم وصلاح شأنكم ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ منكم ومن غيركم ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ قدم الأبلغ منهما ـ وهو الرؤوف ـ؛ لأن الرأفة شدة الرحمة محافظة على الفواصل ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ عن الإيمان بك ﴿فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ فإنه يكفيك معرتهم، ويعينك عليهم ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ كالدليل عليه ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ فلا أرجو ولا أخاف إلا منه ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ المُلْك العظيم، أو الجسم الأعظم المحيط الذي تنزل منه الأحكام والمقادير. وقرئ (العظيمُ) بالرفع.

[يحتمل الإخبار والدعاء] الدعاء أوفق بالمقام وعليه اقتصر «الكشاف»(١)
[يكفيك مَعَرَّتهم] المعرَّة الأثر القبيح المكروه والأذى، وهي مفعلة من «العُرْو» هو

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٣١٠].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن آخر ما نزل هاتان الآيتان وعن النبي ﷺ: «**ما نزل القرآن علي إلا آية آية، وحرفاً حرفاً؛ ما خلا سورة** ﴿بَرَآءَةٌ﴾ **و**﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فإنهما أنزلتا عليَّ ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة». والله أعلم.

بضم العين وفتحها الجرب [«**وعن أُبي: آخر ما نزل هاتين الآيتان**»]؛ أي: آية ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ﴾ وآية ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾[١] [**ما نزل القرآن عليَّ إلا آية آية وحرفاً حرفاً**..] إلى آخره. حديث منكر، ومخالف لما مرّ عن أُبَيّ من أن آخر ما نزل الآيتان، ومخالف أيضاً لما أورده في فضيلة سورة الأنعام من أنها نزلت جملة[٢] إلا أن يحمل على التخصيص العام[٣] أن جوزنا تخصيص العام بعد استثناء البعض منه.



---

(١) غاية المقصد في زوائد المسند، الهيثمي [٢/ ٨٣٤].
(٢) انظر: الفتح السماوي، المناوي [٢/ ٧١١/ برقم: ٥٩٩].
(٣) عبارة (العام) من نسخة [ز ـ ج ـ ب] ساقطة من [الأصل].

سورة يونس

(١٠) مكية، وهي مائة وتسع آيات

۞ ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ۝٢﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) - (٢) ﴿الٓر﴾ فخَّمها ابن كثير ونافع وحفص، وأمالها الباقون إجراء لألف الراء مجرى المنقلبة عن الياء. ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ إشارة إلى ما تضمنته السورة أو القرآن من الآي، والمراد من الكتاب أحدهما، ووصفه بالحكيم؛ لاشتماله على الحكم أو لأنه كلام حكيم، أو محكم آياته لم ينسخ شيء منها. ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ استفهام إنكار للتعجب و(عَجَباً) خبر (كان) واسمه: ﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ﴾، وقرئ بالرفع على أن الأمر بالعكس، أو على أن (كان) تامة و﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ﴾ بدل من ﴿عَجَبًا﴾، واللام للدلالة على أنهم جعلوه أعجوبة لهم يوجهون نحوه إنكارهم

قوله: [والمراد بـ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ أحدهما]؛ أي: السورة أو القرآن [ووصفه بـ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ لاشتماله على الحكم] أشار إلى أن في الآية استعارة مكنية شبه الكتاب بالحكيم الناطق بحكمته وإثبات الحكمة قرينة أو يراد بقوله: ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ ذو الحكمة قاله التفتازاني [أو لأنه كلام حكيم] أشار إلى أن في الآية إسناداً مجازيّاً كقولهم: «نهاره صائم وليله قائم»(١) [لم ينسخ شيء منها] فيه نظر أو محمول على أنه لم تنسخ شيء منها بكتاب آخر [واللام للدلالة..] إلى آخره. أشار إلى أن «لام» للناس

---

(١) انظر: شرح الكافية، الاستراباذي [١/ ٢٨١].

واستهزاءهم. ﴿إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ من أفناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم، قيل: (كانوا يقولون: العجب أن الله تعالى لم يجد رسولاً يرسله إلى الناس إلا يتيم أبي طالب). وهو من فرط حماقتهم، وقصور نظرهم على الأمور العاجلة، وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة. هذا وإنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه إلا في المال، وخفة الحال أعون شيء في هذا الباب، ولذلك كان أكثر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبله كذلك. وقيل: تعجبوا من أنه بعث بشراً رسولاً كما سبق ذكره في سورة (الأنعام). ﴿أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ (أن) هي المفسرة، أو المخففة من الثقيلة؛ فتكون في موقع مفعول (أوحينا). ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ عمم الإنذار إذ قلما من أحد ليس فيه ما ينبغي أن ينذر منه، وخصص البشارة بالمؤمنين إذ ليس للكفار ما يصح أن يبشروا به ﴿أَنَّ لَهُمْ﴾ بأن لهم ﴿قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ سابقة، ومنزلة رفيعة سميت قدماً؛ لأن السبق بها كما سميت النعمة يداً لأنها تعطى باليد، وإضافتها إلى الصدق لتحققها والتنبيه على أنهم إنما

ليست متعلقة بـ﴿عَجَبًا﴾ على طريق المفعولية كما في قولهم: عجبت لزيد مِنْ كذا بل على طريق البيان بمعنى: أن هذا التعجب لهم كما في قوله: «هيت لك» بمعنى: هذا الخطاب لك.

[من أفناء رجالهم] بفتح الهمزة وبالفاء والمد؛ أي: مما لا شهرة له بجاه ومال ورياسة ونحوها مما يقدرونه[1] من أسباب العز والإجلال وإلا فهو عندهم بحسب شرف النسب أظهر من الشمس[2] **[وخفة الحال]**؛ أي: من المال وجمعه **[أعوز شيء في هذا الباب]**؛ أي: باب الوحي والنبوة والرسالة لأن الخفة من ذلك أعون على تحصيل الأمور الدينية **[عمم الإنذار]**؛ أي: في الناس حيث لم يخصصهم بشيء **[وخصص البشارة]**؛ أي: بالمؤمنين.

---

(١) في نسخة [ج ـ ب]: (يعدونه).
(٢) انظر: مدارك الترتيل وحقائق التأويل، النسفي [١/ ٤٧٣].

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾.

ينالونها بصدق القول والنية. ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا﴾ يعنون الكتاب وما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام. ﴿لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ﴾ وقرأ ابن كثير والكوفيون (لساحر) على أن الإشارة إلى الرسول ﷺ، وفيه اعتراف بأنهم صادفوا من الرسول ﷺ أموراً خارقة للعادة معجزة إياهم عن المعارضة. وقرئ: (ما هذا إِلّا سِحْرٌ مُّبِينٌ).

﴿٣﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ التي هي أصول الممكنات. ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ يقدر أمر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته، ويهيئ بتحريكه أسبابها وينزلها منه، و(التدبير): النظر في أدبار الأمور لتجيء محمودة العاقبة. ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ تقرير لعظمته وعز جلاله، وردٌّ على من زعم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله، وفيه إثبات الشفاعة لمن أذن له ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ﴾؛ أي: الموصوف بتلك الصفات المقتضية للألوهية والربوبية. ﴿رَبُّكُمْ﴾ لا غير إذ لا يشاركه أحد في شيء من ذلك ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ وحِّدُوه بالعبادة ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ تتفكرون أدنى تفكر؛ فينبهكم على أنه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه.

﴿٤﴾ ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ بالموت أو النشور لا إلى غيره فاستعدوا للقائه. ﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لنفسه لأن قوله: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ وعد

[ويهيء بتحريكه]؛ أي: العرش [أسبابها]؛ أي: الكائنات.

[لا إلى غيره] الحصر مفاد بتقديم المعمول وهو (إليه).

۞ ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ۝٦﴾.

من الله ﴿وَعْدَ﴾ مصدر آخر مؤكد لغيره، وهو ما دل عليه ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾. ﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ بعد بدئه وإهلاكه. ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ﴾؛ أي: بعدله، أو بعدالتهم وقيامهم على العدل في أمورهم أو بإيمانهم؛ لأنه العدل القويم كما أن الشرك ظلم عظيم، وهو الأوجه لمقابلة قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ فإن معناه: ليجزي الذين كفروا بشراب ﴿مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بسبب كفرهم، لكنه غيّر النظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب، والتنبيه على أن المقصود بالذات من الإبداء والإعادة هو الإثابة والعقاب واقع بالعرض، وأنه تعالى يتولى إثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه، وأما عقاب الكفرة فكأنه داء ساقه إليهم سوء اعتقادهم وشؤم أفعالهم. والآية كالتعليل لقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ﴾ فإنه لما كان المقصود من الإبداء والإعادة مجازاة الله المكلفين على أعمالهم؛ كان مرجع الجميع إليه لا محالة، ويؤيده قراءة من قرأ ﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟﴾ بالفتح؛ أي: (لأنه)، ويجوز أن يكون منصوباً أو مرفوعاً بما نصب (وَعْدَ اللهِ) أو بما نصب (حَقّاً).

۝٥ - ۝٦ ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً﴾؛ أي: ذات ضياء؛ وهو

[وهو الأوجه..] إلى آخره؛ أي: لأنه لما علل جزاء الكافرين بكفرهم ناسب أن يعلل جزاء المؤمنين بعدلهم وإيمانهم كما أشار إليه المصنف بعد مع زيادة [من قرأ أنه يبدأ بالفتح] هو أبو جعفر(١) [ويجوز أن يكون منصوباً أو مرفوعاً بما نصب ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ أو بما نصب ﴿حَقًّا ۚ﴾] نصبه بأحدهما ظاهر، وكذا رفعه بالثاني

(١) إتحاف فضلاء البشر، الدمياطي [٤٣٥].

مصدر كقيام، أو جمع (ضوء) كسياط وسوط، والياء فيه منقلبة عن الواو. وقرأ ابن كثير برواية قنبل هنا، وفي (الأنبياء)، وفي (القصص): (ضئاء) بهمزتين على القلب بتقديم اللام على العين. ﴿وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾؛ أي: ذا نور، أو سمي نوراً للمبالغة، وهو أعم من الضوء كما عرفت، وقيل: ما بالذات ضوء، وما بالعرض نور. وقد نبّه ﷻ بذلك على أنه خلق الشمس نيرة في ذاتها، والقمر نيراً بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها. ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾ الضمير لكل واحد؛ أي: قدر مسير كل واحد منهما منازل، أو قدَّره ذا منازل، أو للقمر. وتخصيصه؛ بالذكر لسرعة سيره، ومعاينة منازله، وإناطة أحكام الشرع به؛ ولذلك عَلَّلَهُ بقوله: ﴿لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ حساب الأوقات من الأشهر والأيام في معاملاتكم وتصرفاتكم. ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ إلا ملتبساً بالحق مراعياً فيه مقتضى الحكمة البالغة. ﴿يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فإنهم المنتفعون بالتأمل فيها، وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص: ﴿يُفَصِّلُ﴾ بالياء. ﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من أنواع الكائنات. ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ على وجود الصانع ووحدته وكمال

والتقدير: «حق حقّاً بدأ الخلق ثم إعادته» وأما رفعه بالأول ففيه نظر **[وعن ابن كثير]**؛ أي: من رواية قنبل، وهي مشهورة **[بتقديم اللام]** هي الهمزة **[على العين]** وهي الواو ثم قلبت الواو همزة لتطرفها بعد ألف زائدة كـ«كساء» **[وهو أعم من الضوء كما عرفت]**؛ أي: في سورة البقرة عند قوله: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٧] من أن الضياء أقوى من النور ولذا ينسب الضياء إلى الشمس والنور إلى القمر.

[وقيل: ما بالذات ضوء وما بالعرض نور] هو قول الحكماء فالأول كالشمس والثاني كما على وجه الأرض قاله التفتازاني **[لكل واحد]**؛ أي: من الشمس والقمر **[أو للقمر]**؛ أي: أو الضمير للقمر وعليه اقتصر «الكشاف»(١) **[وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص]**؛ أي: ويعقوب.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٣١٤].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ (٧) أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (٨) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (٩) دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٠)﴾.

علمه وقدرته ﴿لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ العواقب فإنه يحملهم على التفكر والتدبر.

(٧) ـ (٨) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ لا يتوقعونه لإنكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها. ﴿وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ من الآخرة لغفلتهم عنها. ﴿وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا﴾ وسكنوا إليها مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها، أو سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها. ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾ لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها، والعطف؛ إما لتغاير الوصفين والتنبيه على أن الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأساً والانهماك في الشهوات بحيث لا تخطر الآخرة ببالهم أصلاً، وإما لتغاير الفريقين. والمراد بالأولين: من أنكر البعث ولم ير إلَّا الحياة الدنيا، وبالآخرين: من ألهاه حب العاجل عن التأمل في الآجل والإعداد له. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي.

(٩) ـ (١٠) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ بسبب إيمانهم إلى سلوك سبيل يؤدي إلى الجنة، أو لإدراك الحقائق كما قال عليه الصلاة والسلام: **«من عمل بما علم وَرَّثَهُ الله علم ما لم يعلم»**. أو لما يريدونه في الجنة، ومفهوم الترتيب وإن دل على أن سبب الهداية هو الإيمان

[مُقْصرين] بضم الميم وسكون القاف من «أقصر» [**أو لإدراك الحقائق**] اللام فيه وفيما بعده بمعنى إلى وبدخولها(١) فيهما معطوف على إلى سلوك سبيل [**ومفهوم الترتيب**]؛

---

(١) في نسخة [ج ـ ب]: (مدخلوها).

۞ ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾.

والعمل الصالح؛ لكن دل منطوق قوله: ﴿بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ على استقلال الإيمان بالسببية، وأن العمل الصالح كالتتمة والرديف له. ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ استئناف، أو خبر ثان، أو حال من الضمير المنصوب على المعنى الأخير، وقوله: ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ خبر، أو حال أخرى منه، أو من ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أو متعلق بـ(تَجْرِي) أو بـ(يهدي). ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا﴾؛ أي: دعاؤهم ﴿سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ اللَّهُمَّ إنا نسبحك تسبيحاً ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ﴾ ما يُحيِّي به بعضهم بعضاً، أو تحية الملائكة إياهم ﴿فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ﴾ وآخر دعائهم ﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: أن يقولوا ذلك، ولعل المعنى: أنهم إذا دخلوا الجنة، وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال، ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز بأصناف الكرامات، أو الله تعالى فحمدوه وأثنوا عليه بصفات الإكرام، و(أَن) هي المخففة من الثقيلة، وقد قرئ بها وينصب (الحمد).

﴿١١﴾ ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ﴾ ولو يسرعه إليهم. ﴿ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ﴾ وضع موضع تعجيله لهم بالخير إشعاراً بسرعة إجابته لهم في الخير حتى كأن استعجالهم به تعجيل لهم، أو بأن المراد شر استعجلوه كقولهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] وتقدير الكلام: ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالاً كاستعجالهم

أي: ترتيب الهداية على الإيمان والعمل الصالح [على المعنى الأخير]؛ أي: وهو أن المراد بالهداية لما يريدونه في الجنة [وقد قرئ بها]؛ أي: بالثقيلة(١) [أو بأن المراد] عطف على «بسرعة إجابته لهم».

---

(١) إبراز المعاني من حرز الأماني، أبو شامة [٢/ ٣٠٥].

۞ ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٢﴾.

بالخير، فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه. ﴿لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ لأميتوا وأهلكوا، وقرأ ابن عامر ويعقوب: (لَقَضَى) على البناء للفاعل؛ وهو الله تعالى وقرئ (لقضينا). ﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية؛ كأنه قيل: ولكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم إمهالاً لهم واستدراجاً.

۝١٢ ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا﴾ لإزالته مخلصاً فيه ﴿لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ ملقى لجنبه؛ أي: مضطجعاً ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾ وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الأحوال أو لأصناف المضار ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ﴾؛ يعني: مضى على طريقته، واستمر على كفره، أو مرَّ عن موقف الدعاء لا يرجع إليه. ﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ﴾ كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن كما قال:

وَنَحْرٌ مُشْرِقُ اللَّوْن كَأُن ثَدْيَاهُ حُقَّان

﴿إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾ إلى كشف ضرٍّ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك التزيين ﴿زُيِّنَ

[عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية]؛ أي: لا على الشرط أو الجزاء؛ لأن حكمه الثبوت وحكم الشرط والجزاء الانتفاء، فإن قلت: وعطفه على المحذوف عطف على منفي أيضاً. قلت: ليس معطوفاً على «المنفي» على ما هو ظاهر كلامه! بل على «النفي»(١) [وحذف ضمير الشأن، كما قال:

ونَحرٌ مُشْرِقُ اللونِ كَأنَّ ثَدْيَاهُ حُقَّان](٢)

النَّحر: موضع القلادة من الصدر، والأصل حقتان بالتاء تثنية حُقة بالضم وهي وعاء من خشب، وضمير ثدياه للنحر بتقدير مضاف؛ أي: ثديا صاحبه، والتمثيل بالبيت

---

(١) كما في نسخة [ز - ج - ب] وفي نسخة [الأصل]: (المنفي).
(٢) الكتاب، سيبويه [٢/ ١٣٥].

۞ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ من الانهماك في الشهوات والإعراض عن العبادات.

﴿١٣﴾ - ﴿١٤﴾ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ يا أهل مكة. ﴿لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾ حين ظلموا بالتكذيب، واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي ﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو بإضمار قد أو عطف على ظلموا. ﴿وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾ وما استقام لهم أن يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بأنهم يموتون على كفرهم، واللام لتأكيد النفي. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الجزاء وهو إهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل وإصرارهم عليه بحيث تحقق أنه لا فائدة في إمهالهم ﴿نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ نجزي كل مجرم، أو نجزيكم فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة على كمال جرمهم وأنهم أعلام فيه. ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ استخلفناكم فيها بعد القرون التي أهلكناها استخلاف من يختبر ﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ أتعملون خيراً أو شرّاً فنعاملكم على مقتضى أعمالكم، وكيف معمول تعملون فإن معنى الاستفهام يحجب أن يعمل فيه

لمجرد بطلان عمل كان المحققة لا لاعتبار ضمير الشأن؛ لأنه ليس معتبراً في البيت لوجود المبتدأ والخبر بعد كان [و«كيف» معمول «تعملون»]؛ أي: لا معمول تنظر؛ لأن «لكيف» صدر الكلام فلا يتقدمه عامله كما ذكره بعد، وظاهر كلامه أن «كيف» مفعول «تعملون» كما يفصح عنه قوله: «أتعملون خيراً أم شرّاً» وجمهور النحاة على أنه حال من ضمير «تعملون» و«تنظر» بمعنى «تعلم»؛ أي: لنعلم جواب «كيف تعملون»[1].

---

(١) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [١٠٧/٥].

۞ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾.

ما قبله، وفائدته الدلالة على أن المعتبر في الجزاء جهات الأفعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها، ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح أخرى.

﴿١٥﴾ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾؛ يعني: المشركين. ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ﴾ بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت، أو ما نكرهه من معايب آلهتنا. ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ بأن تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية أخرى، ولعلهم سألوا ذلك كي يسعفهم إليه فيلزموه. ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ﴾ ما يصح لي. ﴿أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ﴾ من قبل نفسي؛ وهو مصدر استعمل ظرفاً، وإنما اكتفي بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الإتيان بقرآن آخر. ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ تعليل لما يكون؛ فإن المتبع لغيره في أمر لا يستبد بالتصرف فيه، وجواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من أن القرآن كلامه واختراعه؛ ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصياناً فقال: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى﴾؛ أي: بالتبديل ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وفيه إيماء بأنهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح.

﴿١٦﴾ ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ غير ذلك ﴿مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ ولا أعلمكم به على لساني، وعن ابن كثير (ولأَدْرَاكم) بلام التأكيد؛ أي: ﴿لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ مَا تلوته عليكم ولأعلمكم به على لسان غيري. والمعنى: أنه الحق الذي لا محيص عنه لو لم أرسل به لأرسل به غيري. وقرئ: (ولا

[وعن ابن كثير] الأولى وقرأ ابن كثير؛ أي: بخلاف عنه من رواية البزّي

۞ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾.

أدرأكم) (ولا أدرأتكم) بالهمز فيهما على لغة من يقلب الألف المبدلة من الياء همزة، أو على أنه من: (الدرء) بمعنى: الدفع؛ أي: ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال، والمعنى: أن الأمر بمشيئة الله تعالى لا بمشيئتي حتى اجعله على نحو ما تشتهونه، ثم قرر ذلك بقوله: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ مقداراً عمر أربعين سنة ﴿مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾ من قبل القرآن لا أتلوه ولا أعلمه؛ فإنه إشارة إلى أن القرآن معجز خارق للعادة؛ فإن من عاش بين أظهرهم أربعين سنة لم يمارس فيها علماً ولم يشاهد عالماً ولم ينشئ قريضاً ولا خطبة، ثم قرأ عليهم كتاباً بزّت فصاحته فصاحة كل منطيق، وعلا من كل منثور ومنظوم، واحتوى على قواعد علمي الأصول والفروع، وأعرب عن أقاصيص الأولين وأحاديث الآخرين على ما هي عليه، علم أنه معلوم به من الله تعالى ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؛ أي: أفلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه؛ لتعلموا أنه ليس إلا من الله.

﴿١٧﴾ ـ ﴿١٨﴾ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ تفادٍ مما أضافوه إليه كناية، أو تظليم للمشركين بافترائهم على الله تعالى في قولهم:

[على لغة من يقلب الألف المبدلة من الياء همزة] قيل: هي لغة للحارث[1] بن كعب وقبائل من اليمن يقلبون الياء الساكنة المفتوح ما قبلها ألفاً حتى يجعلون التثنية في جميع الأحوال بالألف **[قريضاً]**؛ أي: شعراً **[بذّت فصاحته]** بذال معجمة مشددة؛ أي: غلبت **[تفادا]**؛ أي: تبرأ وتحاما، يقال: تفادا فلان من كذا إذا تحاماه وانزوى

---

(١) وفي نسخة [ز ـ ب]: (بلحوث) وفي نسخة [ج]: (بالحرث).

۞ ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

إنه لذو شريك وذو ولد ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ﴾ فكفر بها ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ فإنه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر، والمعبود ينبغي أن يكون مثيباً ومعاقباً؛ حتى تعود عبادته بجلب نفع أو دفع ضر. ﴿وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ الأوثان ﴿شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ تشفع لنا فيما يهمنا من أمور الدنيا أو في الآخرة إن يكن بعث؛ وكأنهم كانوا شاكين فيه، وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع إلى عبادة ما يعلم قطعاً أنه لا يضر ولا ينفع؛ على توهم أنه ربما يشفع لهم عنده ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ﴾ أتخبرونه ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾ وهو أن له شريكاً، أو هؤلاء شفعاء عنده، وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق ما، وفيه تقريع وتهكم بهم. ﴿فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ حال من العائد المحذوف، مؤكدة للنفي، منبهة على أن ما ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ إما سماوي وإما أرضي، ولا شيء من الموجودات فيهما إلا وهو حادث مقهور مثلهم، لا يليق أن يشرك به ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ عن إشراكهم، أو عن الشركاء الذين يشركونهم به. وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الموضعين في أول (النحل) و(الروم) بالتاء.

﴿١٩﴾ - ﴿٢٠﴾ ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ موحدين على الفطرة، أو متفقين على الحق، وذلك في عهد آدم عليه السلام إلى أن قتل قابيلُ هابيلَ، أو بعد الطوفان، أو على الضلال في فترة من الرسل ﴿فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ باتباع الهوى والأباطيل، أو ببعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام فتبعتهم طائفة وأصرَّت أخرى ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الحكم بينهم، أو العذاب

۞ ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ٢١﴾.

الفاصل بينهم إلى يوم القيامة؛ فإنه يوم الفصل والجزاء ﴿لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ﴾ عاجلاً. ﴿فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ بإهلاك المبطل وإبقاء المحق. ﴿وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾؛ أي: من الآيات التي اقترحوها ﴿فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ﴾ هو المختص بعلمه فلعله يعلم في إنزال الآيات المقترحة من مفاسد تصرف عن إنزالها ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ لنزول ما اقترحتموه ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾ لما يفعل الله بكم بجحودكم ما نزل علي من الآيات العظام واقتراحكم غيره.

٢١ ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ﴾ صحة وسعة ﴿مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ﴾ كقحط ومرض ﴿إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ﴾ بالطعن فيها والاحتيال في دفعها. قيل: قحط أهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم الله بالحيا فطفقوا يقدحون في آيات الله ويكيدون رسوله ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ﴾ منكم قد دبر عقابكم قبل أن تدبروا كيدكم، وإنما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجأة الواقعة جواباً لإذا الشرطية والمكر إخفاء الكيد، وهو من الله تعالى إما الاستدراج أو الجزاء على المكر ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ﴾ تحقيق للانتقام، وتنبيه على أن ما دبروا في إخفائه لم يخف على الحفظة فضلاً أن يخفى على الله تعالى، وعن يعقوب (يمكرون) بالياء ليوافق ما قبله.

عنه قاله الجوهري(١).

[ثم رحمهم بالحَيَا] بالقصر «الخصب والمطر» في «القاموس» **[وعن يعقوب]**

---

(١) الصحاح، الجوهري [٨/ ٣٨٣].

۞ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

---

(٢٢) - (٢٣) ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ﴾ يحملكم على السير ويمكنكم منه. ﴿فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ في السفن ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ بمن فيها، عدل عن الخطاب إلى الغيبة للمبالغة كأنه تذكرة لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ لينة الهبوب ﴿وَفَرِحُوا۟ بِهَا﴾ بتلك الريح ﴿جَآءَتْهَا﴾ جواب (إذا) والضمير للفلك أو للريح الطيبة، بمعنى: تلقتها. ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ ذات عصف شديدة الهبوب ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ يجيء الموج منه ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن أحاط به العدو ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ من غير إشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف، وهو بدل من ﴿وَظَنُّوٓا۟﴾ بدل اشتمال لأن دعاءهم من لوازم ظنهم ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ على إرادة القول أو مفعول ﴿دَعَوُا۟﴾؛ لأنه من جملة القول. ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ﴾ إجابة لدعائهم ﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فاجؤوا الفساد فيها، وسارعوا إلى ما كانوا عليه ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ مبطلين فيه، وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة، وإحراق زروعهم، وقلع أشجارهم فإنها إفساد بحق. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ فإن وباله عليكم، أو إنه على أمثالكم أبناء جنسكم. ﴿مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ منفعة الحياة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها، ورفعه على أنه

الأَوْلَى «وقرأ يعقوب» من رواية روح عنه [**عدل عن الخطاب إلى الغيبة للمبالغة**]؛ أي: في تقبيح حالهم بمنزلة ما إذا أعرض المتكلم عن المخاطب وحكى لغيره سوء

﴿٢٤﴾ ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

خبر ﴿بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ صلته، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره: ذلك متاع الحياة الدنيا (وعَلى أَنْفسِكُمْ) خبر (بَغْيُكُمْ)، ونصبه حفص على أنه مصدر مؤكد؛ أي: تتمتعون متاع الحياة الدنيا، أو مفعول البغي؛ لأنه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته، والخبر محذوف تقديره: بغيكم متاع الحياة الدنيا محذور أو ضلال، أو مفعول فعل دل عليه البغي وعلى أنفسكم خبره. ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ في القِيامة ﴿فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بأجزاء عليه.

﴿٢٤﴾ ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد إقبالها واغترار الناس بها ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضاً ﴿مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾ من الزروع والبقول والحشيش ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ تزينت بأصناف النبات وأشكالها وألوانها المختلفة؛ كعروس أخذت من ألوان الثياب والزينة فتزينت بها، ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ أصله (تزينت) فأدغم، وقد قرئ على الأصل (وازينت) على أفعلت من غير اعلال كاغيلت، والمعنى: صارت ذات زينة

صنيعه وقلة حيائه [وقد قرئ على الأصل]؛ أي: وهو ترتيب [وازينت]؛ أي: وقرئ وازَّيَّنَت[1] [من غير إعلال] إذ القياس «ازّانت» كما شاع الحديث المنقلب ألفه عن ياء[2].

(١) عبارة: ([وازينت]؛ أي: وقرئ وازينت) من نسخة [ج ـ ب] ساقطة من نسخة [الأصل ـ ز].
(٢) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٩/ ٤٣٦].

۞ ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

(وازْيَانَّت) لـ(ابياضت). ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ متمكنون من حصدها ورفع غلتها ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا﴾ ضرب زرعها ما يجتاحه ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا﴾ فجعلنا زرعها ﴿حَصِيدًا﴾ شبيهاً بما حصد من أصله ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ﴾ كأن لم يغن زرعها؛ أي: لم يلبث، والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة، وقرئ بالياء على الأصل ﴿بِٱلْأَمْسِ﴾ فيما قبيله، وهو مثل في الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية؛ وهو زوال خضرة النبات فجأة، وذهابه حطاماً بعد ما كان غضّاً والتف، وزين الأرض حتى طمع فيه أهله وظنوا أنه قد سلم من الجوائح لا الماء، وإن وليه حرف التشبيه لأنه من التشبيه المركب. ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فإنهم المنتفعون به.

﴿٢٥﴾ - ﴿٢٦﴾ ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ دار السلامة من التقضي والآفة، أو دار الله، وتخصيص هذا الاسم أيضاً للتنبيه على ذلك، أو دار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾

[ما يحتاجه]؛ أي: ما يستأصله ببعض العاهات [والمضاف]؛ أي: وهو الزرع [محذوف في الموضعين]؛ أي: في ﴿فَجَعَلْنَٰهَا﴾ [يونس: ٢٤] وفي ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ﴾ [فيما قبيله]؛ أي: قبيل «أمرنا» لا قبيل «الأمس» على ما توهمه كلامه كأنه قيل «كأن لم تغنَ آنفاً» [بعد ما كان غضاً]؛ أي: طريّاً [لا الماء] عطف على «مضمون الحكاية» [وإن وليه]؛ أي: الماء [حرف التشبيه]؛ أي: في قوله: ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [فإنه من التشبيه المركب](١) حيث شبه حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد

---

(١) انظر: التوقيف، المناوي [ص١٧٧].

۞ ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

بالتوفيق ﴿إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ هو طريقها؛ وذلك الإسلام والتدرع بلباس التقوى، وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على أن الأمر غير الإرادة وأن المصر على الضلالة لم يرد الله رشده ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ﴾ المثوبة الحسنى ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ وما يزيد على المثوبة تفضلاً لقوله: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ١٧٣] وقيل: الحسنى مثل حسناتهم، والزيادة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وأكثر، وقيل: الزيادة مغفرة من الله ورضوان، وقيل: الحسنى الجنة والزيادة هي اللقاء ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ﴾ لا يغشاها ﴿قَتَرٌ﴾ غبرة فيها سواد ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾ هوان، والمعنى: لا يرهقهم ما يرهق أهل النار، أو لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ دائمون لا زوال فيها، ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها.

﴿٢٧﴾ - ﴿٢٨﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾ عطف على قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ﴾

الإقبال بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه حطاماً بعد ما التف وتكاثف وزين الأرض بخضرته واختلاطه بالماء [**دليل على أن الأمر غير الإرادة**] الأمر مأخوذ من يدعوا؛ لأن الدعاء إنما يكون بأمر والإرادة مأخوذة من يشاء لمساواتها للمشيئة [**والزيادة اللقاء**]؛ أي: النظر إلى وجه الله تعالى [**عطف على قوله**: ﴿لِلَّذِينَ﴾] تبع فيه «الكشاف»(١) والأولى عطف على «الذين».

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٣٢٧].

على مذهب من يجوّز: في الدار زيد والحجرة عمرو، أو (الَّذِينَ) مبتدأ، والخبر ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثۡلِهَا﴾ على تقدير: وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها؛ أي: أن تجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها، وفيه تنبيه على أن الزيادة هي الفضل أو التضعيف أو ﴿كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ﴾، أو ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾ وما بينهما اعتراض فـ(جَزاءُ سَيِّئَةٍ) مبتدأ خبره محذوف؛ أي: فجزاء سيئة بمثلها واقع، أو بمثلها على زيادة الباء، أو تقدير مقدر بمثلها. ﴿وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ﴾ وقرئ بالياء. ﴿مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ﴾ ما من أحد يعصمهم من سخط الله، أو من جهة الله، ومن عنده كما يكون للمؤمنين. ﴿كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ﴾ لفرط سوادها وظلمتها، و(مظلماً) حال من (الليل)، والعامل فيه (أُغْشِيَتْ)؛ لأنه العامل في (قِطَعاً) وهو موصوف بالجار والمجرور، والعامل في الموصوف عامل في الصفة،

[**على مذهب من يجوز: «في الدار زيد والحجرة عمرو»**]؛ أي: من يجوز العطف على معمولي عاملين وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: الجواز مطلقاً وهو قول الأخفش والفراء، والثاني: المنع مطلقاً وهو قول سيبويه، والثالث: التفصيل بين أن يتقدم الجار فيجوز كما هنا أو لا فيمتنع نحو: «إن زيداً في الدار وعمراً القصر»؛ أي: وأن عمراً في القصر وسيبويه يخرج ما ورد منه على إضمار الجار(١) [**أو الذين مبتدأ..**] إلى آخره. هو من عطف جملة على جملة وما قبله من عطف مفرد على مفرد [**وفيه**]؛ أي: في التقييد بمثلها.

[**أو كأنما أغشيت**] عطف على «جزاء سيئة» عقب قوله: «والخبر» [**والعامل في الموصوف عامل في الصفة**] جرى على ظاهر كلام النحاة من أن الصفة والخبر والحال وغيرها هو الظرف لا عامله المقدر كحاصل وكأين وإلا فالعامل فيه حقيقة هو المقدر فالعامل في الموصوف غير العامل في الصفة كما يؤخذ من قوله(٢)

---

(١) انظر: مغني اللبيب، ابن هشام [ص٦٣٢].

(٢) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٩/ ٤٤١].

۞ ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

أو معنى الفعل في (مِنَ اللَّيْلِ). وقرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب: (قِطْعاً) بالسكون، فعلى هذا يصح أن يكون (مُظْلِماً) صفة له، أو حالاً منه. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ مما يحتج به الوعيدية. والجواب: أن الآية في الكفار لاشتمال السيئات على الكفر والشرك؛ ولأن الذين أحسنوا يتناول أصحاب الكبيرة من أهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه. ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾؛ يعني: الفريقين جميعاً ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ﴾ ألزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم. ﴿أَنتُمْ﴾ تأكيد للضمير المنتقل إليه من عامله. ﴿وَشُرَكَآؤُكُمْ﴾ عطف عليه، وقرئ بالنصب على المفعول معه. ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ ففرقنا بينهم، وقطعنا الوصل التي كانت بينهم. ﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم؛ فإنهم إنما عبدوا في الحقيقة أهواءهم لأنها الآمرة بالإشراك لا ما أشركوا به. وقيل: ينطق الله الأصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي يتوقعون منها. وقيل: المراد بالشركاء: الملائكة والمسيح، وقيل: الشياطين.

﴿٢٩﴾ - ﴿٣٠﴾ ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ فإنه العالم بكنه الحال. ﴿إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ (إنْ) هي المخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة. ﴿هُنَالِكَ﴾ في ذلك المقام ﴿تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾ تختبر ما

[أو مضى[(١)] الفعل في من الليل]؛ أي: كحاصله أو كأينه [مما احتج به الوعيدية]؛ أي: وهم القائلون بوجوب إثابة الطائع وتعذيب العاصي.

[إلزموا مكانكم] جرى على أن «مكانكم» ظرف لـ«إلزموا» أقيم مقامه وأنه معرب لا على أنه اسم فعل وأنه مبني [واللام هي الفارقة]؛ أي: بين الحقيقة والنافية

---

(١) في نسخة [ج - ب]: (معنى).

۞ ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

قَدَّمَتْ من عمل فتعاين نفعه وضره. وقرأ حمزة والكسائي (تتلو) من التلاوة؛ أي: تقرأ ذكر ما قدمت، أو من: (التلو)؛ أي: تتبع عملها فيقودها إلى الجنة أو إلى النار. وقرئ (نبلو) بالنون ونصب (كُلَّ) وإبدال (مَا) منه، والمعنى: نختبرها؛ أي: نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما أسلفت من أعمالها، ويجوز أن يراد به نُصيب بالبلاء؛ أي: بالعذاب كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشر فتكون (مَا) منصوبة بنزع الخافض ﴿وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلى جزائه إياهم بما أسلفوا. ﴿مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ ربهم ومتولي أمرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى، وقرئ (الحقَّ) بالنصب على المدح، أو المصدر المؤكد. ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ وضاع عَنْهُمْ ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ من أن آلهتهم تشفع لهم، أو ما كانوا يدعون أنها آلهة.

﴿٣١﴾ - ﴿٣٢﴾ ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: منهما جميعاً؛ فإن الأرزاق تحصل بأسباب سماوية ومواد أرضية أو (مَنْ) كل واحد منهما توسعة عليكم. وقيل: (مِنَ) لبيان (مَنْ) على حذف المضاف؛ أي: من أهل السماء والأرض ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ أم من يستطيع خلقهما وتسويتهما، أو من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالها من أدنى

[وقيل: «مَنْ» لبيان «مِنْ»]؛ أي: بخلافها في الأول فإنها فيه لابتداء الغاية **[أي: من أهل]** التقدير به إنما يليق بجعل «مِنْ» بياناً لكم كما قدر به في جعلها تبعيضية، أما جعلها بياناً لـ«مِنْ» كما ذكره فاللائق التقدير بنحو مالِك(١) **[أَمَّن يستطيع خلقهما وتسويتهما أو مَنْ يحفظهما من الآفات]** فسّر الملك بالاستطاعة أو بالحفظ تجوزاً به

(١) انظر: اللباب، ابن عادل [١٠/ ٣٢٠].

۞ ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

شيء ﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ ومن يحيي ويميت، أو من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ ومن يلي تدبير أمر العالم وهو تعميم بعد تخصيص ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ إذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أنفسكم عقابه بإشراككم إياه ما لا يشاركه في شيء من ذلك ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: المتولي لهذه الأمور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته؛ لأنه الذي أنشأكم وأحياكم ورزقكم ودبر أموركم ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ استفهام إنكار؛ أي: ليس ﴿بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ فمن تخطى الحق الذي هو عبادة الله تعالى وقع في الضلال ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ عن الحق إلى الضلال.

﴿٣٣﴾ - ﴿٣٤﴾ ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾؛ أي: كما حقت الربوبية لله، أو إن الحق بعده الضلال، أو أنهم مصروفون عن الحق كذلك حقت كلمة الله وحكمه ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ﴾ تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بدل من الكلمة، أو تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ جعل الإعادة كالإبداء في الإلزام بها لظهور برهانها وإن لم يساعدوا عليها، ولذلك أمر الرسول ﷺ أن ينوب عنهم في الجواب، فقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾؛ لأن لجاجهم لا يدعهم أن يعترفوا بها ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ تصرفون عن قصد السبيل.

عن احد المعنيين المعتبرين فيه؛ إذ المالك مستطيع حافظ لما يملكه **[فأنى تصرفون]**؛ أي: فكيف تعدلون عن عبادته وأنتم مقرون بأن الله هو الحق **[والمراد]**؛ أي: على القول الثاني [بها]؛ أي: بالكلمة.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

---

(٣٥) - (٣٦) ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ بنصب الحجج وإرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام والتوفيق للنظر والتدبر، و(هدى) كما يعدى بـ(إلى) لتضمنه معنى الانتهاء؛ يعدى باللام للدلالة على أن المنتهي غاية الهداية، وأنها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق، ولذلك عدى بها ما أسند إلى الله تعالى. ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾ أم الذي لا يهتدي إلا أن يهدى من قولهم: هدي بنفسه إذا اهتدى، أو لا يهدي غيره إلا أن يهديه الله، وهذا حال أشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير، وقرأ ابن كثير وورش عن نافع وابن

[**للدلالة على أن المنتهى غاية الهداية**]؛ أي: لكون اللام أصلها للملك والهداية مملوكة لله تعالى[١].

[**وإنما لم يتوجه نحوه على سبيل الاتفاق**] «لم» زائدة سهواً و«نحوه» فاعل «يتوجه»؛ والمعنى: أن ما يأتي في «إلى» مثل ما ذكر للام على سبيل الاتفاق فهو جواب ما يقال: ما دلت عليه اللام يأتي في «إلى» فأجاب بأنه إنما يأتي فيها اتفاقاً لا لزوماً ووضعاً [**ولذلك**]؛ أي: ولأجل أن اللام تدل وضعاً على أن المنتهى غاية الهداية دون إلى [**عدي بها**]؛ أي: باللام [**ما أسند إلى الله**] نقض بأنه عُدِّي بـ«إلى» أيضاً ما أسند إلى الله تعالى في قوله: ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٥] ويجاب عنه بأن الإسناد إلى الله في أفمن يهدي إلى الحق ليس صريحاً بخلافه في قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ﴾[٢].

[**وقرأ ابن كثير وورش..**] إلى آخره. فيه نقص وتغيير يعرفان من قول العلامة الشمس ابن الجوزي في «تقريبه»: قرأ ابن كثير وابن عامر وورش وأبو عمرو في

---

(١) المقتضب، المبرد [١/ ١٠٠].

(٢) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٥/ ١٢٥].

عامر (يَهَدِّي) بفتح الهاء وتشديد الدال. ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد، والأصل: (يهتدي) فأدغم وفتحت الهاء بحركة التاء، أو كسرت لالتقاء الساكنين. وروى أبو بكر (يهدي) بإتباع الياء الهاء. وقرأ أبو عمرو بالإدغام المجرد، ولم يبال بالتقاء الساكنين لأن المدغم في حكم المتحرك. وعن نافع برواية قالون مثله، وقرئ (إلا أَنْ يَهْدِي) للمبالغة ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ بما يقتضي صريح العقل بطلانه. ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾ فيما يعتقدونه ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ مستنداً إلى خيالات فارغة وأقيسة فاسدة؛ كقياس الغائب على الشاهد، والخالق على المخلوق بأدنى مشاركة موهومة، والمراد بالأكثر الجميع، أو من ينتمي منهم إلى تمييز ونظر، ولا يرضى بالتقليد الصرف ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ من العلم والاعتقاد الحق ﴿شَيْـًٔا﴾ من الإغناء،

أحد الوجهين ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ﴾ بفتح الياء والهاء وتشديد الدال، وأبو جعفر بخلاف عن ابن جماز، وقالون في أحد وجهيه كذلك مع إسكان الهاء، وحمزة والكسائي وخلف «بفتح الياء وإسكان الهاء وتخفيف الدال»، ويعقوب وحفص «بفتح الياء وكسر الهاء»، وأبو بكر كذلك «مع كسر الياء»، وقرأ أبو عمرو وقالون وابن جماز في وجههم الثاني «باختلاس الفتحة» فقول المصنف: وقرأ أبو عمرو بالإدغام المجرد.. إلى آخره[(١)]. قضيته أن أبا عمرو ونافعاً قرأ بإسكان الهاء مع الإدغام في الدال، وهذا لم يقرأ به أحد، وأبو عمرو ومن ذكر معه إنما قرأوا بإخلاص حركة الهاء أو من اختلاسها مع تشديد الدال، وكأنه جعل الاختلاس سكوناً وهو بعيد، نعم حكى في «التيسير» الإسكان غير[(٢)] قالون ولا يخفى بعده ولهذا حذفه الشاطبي، وقضية كلامه أيضاً أن أبا عمرو ونافعاً لم يقرأ إلا بوجه واحد وليس كذلكم من غير طريق الشاطبية وأصلها، وأما من طريقهما فقرأ أبو عمرو بالاختلاس فقط ونافع به وبالإشباع [إلا أن يهَدِّي]؛ أي: بفتح الهاء وتشديد الدال[(٣)] [على المبالغة] المفادة

---

(١) انظر: تحبير التيسير في القراءات، ابن الجزري [ص٣٩٩].
(٢) في نسخة [ج ـ ب]: (عن).
(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [٨/ ٣٤٢].

۞ ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾.

ويجوز أن يكون مفعولاً به و(مِنَ الْحَقِّ) حالاً منه، وفيه دليل على أن تحصيل العلم في الأصول واجب، والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ وعيد على اتباعهم للظن وإعراضهم عن البرهان.

﴿٣٧﴾ ـ ﴿٣٨﴾ ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ افتراء من الخلق. ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ مطابقاً لما تقدمه من الكتب الإلٰهية المشهود على صدقها ولا يكون كذباً؛ كيف وهو لكونه معجزاً دونها عيَّارٌ عليها شاهد على صحتها، ونصبه بأنه خبر لكان مقدراً، أو علة لفعل محذوف تقديره: ولكن أنزله الله تصديق الذي. وقرئ بالرفع على تقدير: ولكن هو تصديق ﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وتفصيل ما حقق وأثبت من العقائد والشرائع ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ منتفياً عنه الريب، وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك، ويجوز أن يكون حالاً من (الكتاب) فإنه مفعول في المعنى، وأن يكون استئنافاً. ﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ خبر آخر تقديره: كائناً من رب العالمين، أو متعلق بـ(تصديق) أو (تفصيل)، و(لا رَيْبَ فِيهِ) اعتراض، أو بالفعل المعلل بهما، ويجوز أن يكون حالاً من (الكتاب) أو من الضمير في (فِيهِ)، ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه. ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾؛ بل أيقولون: ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ محمد ﷺ. ومعنى الهمزة فيه للإنكار. ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ في البلاغة، وحسن النظم، وقوة المعنى على وجه الافتراء؛ فإنكم مثلي في العربية والفصاحة، وأشد تمرناً في النظم

بتشديد الدال [وهو خبر ثالث]؛ أي: لـ«كان» المقدرة بعد «لكن».

[فإنه]؛ أي: الكتاب [أو بالفعل]؛ أي: أو متعلق بالفعل [المعلل بهما]؛ أي:

۞ ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾.

والعبارة. ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم﴾ ومع ذلك فاستعينوا بمن أمكنكم أن تستعينوا به ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ سوى الله تعالى فإنه وحده قادر على ذلك. ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنه اختلقه.

﴿٣٩﴾ ﴿بَلْ كَذَّبُوا﴾ بل سارعوا إلى التكذيب. ﴿بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ بالقرآن أول ما سمعوه قبل أن يتدبروا آياته، ويحيطوا بالعلم بشأنه، أو بما جهلوه ولم يحيطوا به علماً من ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف دينهم. ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ ولم يقفوا بعد على تأويله ولم تبلغ أذهانهم معانيه، أو ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الإخبار بالغيوب حتى ﴿يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ﴾ صدق أم كذب، والمعنى: أن القرآن معجز من جهة اللفظ، والمعنى: ثم إنهم فاجؤوا تكذيبه قبل أن يتدبروا نظمه، ويتفحصوا معناه، ومعنى التوقع في لما أنه قد ظهر لهم بالآخرة إعجازه لما كرر عليهم التحدي فزادوا قواهم في معارضته فتضاءلت دونها، أو لما شاهدوا وقوع ما أخبر به طبقاً لأخباره مراراً فلم يقلعوا عن التكذيب تمرداً وعناداً. ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أنبياءهم ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم.

﴿٤٠﴾ - ﴿٤١﴾ ﴿وَمِنْهُم﴾ ومن المكذبين ﴿مَّن يُؤْمِنُ بِهِ﴾ من يصدق به في

«وهو أنزله» [فرازوا]؛ أي: جَرِّبوا قال الجوهري رُزْتُهُ أَرُوْزُهُ رَوْزاً؛ أي: جربته وخبرته[1] [فتضاءلت] بالمد؛ أي: صغرت وضعفت [كذلك]؛ أي: مثل ذلك

(١) الصحاح، الجوهري [٥/ ٢٠].

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

نفسه ويعلم أنه حق ولكن يعاند، أو من سيؤمن به ويتوب عن الكفر. ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره، أو فيما يستقبل بل يموت على الكفر ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ بالمعاندين أو المصرين. ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ﴾ وإن أصروا على تكذيبك بعد إلزام الحجة ﴿فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ فتبرأ منهم فقد أعذرت، والمعنى: لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم؛ حقاً كان أو باطلاً. ﴿أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ لا تؤاخذون بعملي ولا أؤاخذ بعملكم، ولما فيه من إيهام الإعراض عنهم وتخلية سبيلهم. قيل: إنه منسوخ بآية (السيف).

﴿٤٢﴾ - ﴿٤٣﴾ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ إذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون كالأصم الذي لا يسمع أصلاً ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ تقدر على إسماعهم ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ ولو انضم إلى صممهم عدم تعقلهم. وفيه تنبيه على أن حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه؛ ولذلك لا توصف به البهائم، وهو لا يتأتى إلا باستعمال العقل السليم في تدبره، وعقولهم لما كانت مؤفة بمعارضة الوهم ومشايعة الإلف والتقليد تعذر إفهامهم الحكم، والمعاني الدقيقة؛ فلم ينتفعوا بسرد الألفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ يعاينون دلائل نبوتك ولكن لا يصدقونك ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾ تقدر على هدايتهم ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ وإن انضم إلى عدم البصر عدم البصيرة؛ فإن المقصود من الإبصار هو الاعتبار والاستبصار؛ والعمدة في ذلك البصيرة، ولذلك

التكذيب [وإن أصروا على تكذيبك] أشار إلى أن أصل التكذيب حاصل فلا يصح الاستقبال [فقد أعذرت]؛ أي: أزلت عذرهم [مؤوفة]؛ أي: مشوبة بالآفات.

[ومشايعة الألف]؛ أي: متابعته [أي: بسرد الألفاظ]؛ أي: تتابعها [وكذلك

۞ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

يحدس الأعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصيرُ الأحمق. والآية كالتعليل للأمر بالتَّبرِّي والإعراض عنهم.

﴿٤٤﴾ ـ ﴿٤٥﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا﴾ بسلب حواسهم وعقولهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ بإفسادها وتفويت منافعها عليهم، وفيه دليل على أن للعبد كسباً، وأنه ليس بمسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة، ويجوز أن يكون وعيداً لهم بمعنى: أن ما يحيق بهم يوم القيامة من العذاب عدل من الله لا يظلمهم به، ولكنهم ظلموا أنفسهم باقتراف أسبابه. ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا، أو في القبور لهول ما يرون، والجملة التشبيهية في موضع الحال؛ أي: يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث إلا ساعة، أو صفة لـ(يوم) والعائد محذوف تقديره: كأن لم يلبثوا قبله، أو لمصدر محذوف؛ أي: حشراً كأن لم يلبثوا قبله. ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ يعرف بعضهم بعضاً كأنهم لم يتفارقوا إلا قليلاً، وهذا أول ما نشروا، ثم ينقطع التعارف لشدة الأمر عليهم، وهي حَالٌ أُخْرَى مُقَدَّرَة، أو بيان لقوله: ﴿كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ﴾ أو متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم يحشرهم. ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ استئناف للشهادة على خسرانهم

بحدِس] بكسر الدال؛ أي: يقول ما شاء برأيه [المستبصر] ذو البصيرة [والآية]؛ أي: وهي ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ﴾ إلخ. والأَوْلَى «والآيتان» [أو بيان لقوله: ﴿كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ﴾]؛ أي: لأن التعارف لا ينفى مع طول العهد [أو متعلق الظرف]؛ أي: وهو يوم [للشهادة على خسرانهم]؛ أي: لشهادة الله بخسرانهم والمعنى: أنهم

۞ ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

والتعجب منه، ويجوز أن يكون حالاً من الضمير في (يتعارفون) على إرادة القول. ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ لطرق استعمال ما منحوا من المعاون في تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات أدت بهم إلى الردى والعذاب الدائم.

﴿٤٦﴾ - ﴿٤٧﴾ ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ نبصرنك ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ من العذاب في حياتك كما أراه يوم بدر ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل أن نريك ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ فنريكه في الآخرة؛ وهو جواب (نَتَوَفَّيَنَّكَ) وجواب (نُرِيَنَّكَ) محذوف مثل فذاك. ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ مجاز عليه ذكر الشهادة وأراد نتيجتها ومقتضاها؛ ولذلك رتبها على الرجوع بـ(ثُمَّ)، أو مؤد شهادته على أفعالهم يوم القيامة. ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الأمم الماضية ﴿رَّسُولٌ﴾ يبعث إليهم ليدعوهم إلى الحق ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ﴾ بالبينات فكذبوه ﴿قُضِىَ بَيْنَهُم﴾ بين الرسول ومكذبيه ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل فأنجي الرسول وأهلك المكذبون ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ وقيل معناه: لكل أمة يوم القيامة رسول تنسب إليه؛ فإذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والإيمان قضى بينهم بإنجاء المؤمنين وعقاب الكفار لقوله: ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾ [الزمر: ٦٩].

خسروا في تجارتهم وبيعهم الإيمان بالكفر فاللام للبيان كما في «هيت لك» ولهذا ذكر الزمخشري[١] أن قوله: قد خسرَ؛ شهادةٌ من الله على خسرانهم [والتعجب منه] مستفاد من المقام كأنه قيل: «ما أخسرهم».

[على إرادة القول]؛ أي: يتعارفون بينهم قائلين ذلك [وهو]؛ أي: ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ [جواب ﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾] إلى آخره. فيه وجه آخر قيل: إنه الأظهر وهو: أنه

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٣٣٣].

۞ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا
نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ
﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ
إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾﴾.

﴿٤٨﴾ ـ ﴿٤٩﴾ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ استبعاداً له واستهزاء به ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ خطاب منهم للنبي ﷺ والمؤمنين ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ فكيف أملك لكم فأستعجل في جلب العذاب إليكم ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن أملكه، أو: ولكن ما شاء الله من ذلك كائن. ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مضروب لهلاكهم ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ لا يتأخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلون فَسَيَحِيْنُ وقتكم وينجز وعدكم.

﴿٥٠﴾ ـ ﴿٥١﴾ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ﴾ الذي تستعجلون به ﴿بَيَٰتًا﴾ وقت بيات واشتغال بالنوم ﴿أَوْ نَهَارًا﴾ حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾؛ أي: شيء من العذاب يستعجلونه، وكله مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق بـ(أَرَأَيْتُمْ) لأنه بمعنى: أخبروني، و(المجرمون) وضع موضع الضمير للدلالة على أنهم لجرمهم ينبغي أن يفزعوا من مجيء العذاب لا أن يستعجلوه، وجواب الشرط محذوف؛ وهو: تندموا على الاستعجال، أو تعرفوا خطأه، ويجوز أن يكون الجواب: (ماذا) كقولك: إن أتيتك ماذا تعطيني؟ وتكون الجملة متعلقة بـ(أَرَأَيْتُمْ) أو بقوله: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ بمعنى: إن أتاكم عذابه آمنتم به بعد

جواب «نرينك ونتوفينك» معاً [وهو تندموا[1] **على الاستعجال**..] إلى آخره. رد هذا التقدير بأن الجواب إنما يقدر مما تقدم لفظاً أو تقديراً، فالذي يسوغ أن يقدر هنا «فأخبروني»؛ لأنه بمعنى «أرأيتم» [**أو قوله: «أثم إذا ما وقع آمنتم به»**] بالنصب

---

(١) كما في نسخة [ز ـ ج ـ ب] وفي نسخة [الأصل]: (تتقدموا).

۞ ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان، وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على (ثم) لإنكار التأخير. ﴿ءَآلْـَٔنَ﴾ على إرادة القول؛ أي: قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب: آلآن آمنتم به. وعن نافع (آلْانَ) بحذف الهمزة والفاء حركتها على اللام. ﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ تكذيباً واستهزاء.

﴿٥٢﴾ ـ ﴿٥٣﴾ ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ عطف على (قيل) المقدر. ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ المؤلم على الدوام ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ﴾ ويستخبرونك ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾ أحق ما تقول من الوعد، أو ادعاء النبوة؛ تقوله بجد أم باطل تهزل به، قاله حيي بن أخطب لما قدم مكة. والأظهر أن الاستفهام فيه على أصله لقوله: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ﴾ وقيل: إنه للإنكار ويؤيده أنه قرئ: (آلحق هو) فإن فيه تعريضاً بأنه باطل، و(أحق) مبتدأ، والضمير مرتفع به سادّ مسد الخبر، أو خبر مقدم، والجملة في موضع النصب بـ(يَسْتَنْبِئُونَكَ). ﴿قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ إن العذاب لكائن أو ما ادعيته لثابت. وقيل: كِلَا الضميرين للقرآن، و(إي) بمعنى: نعم، وهو من لوازم القسم، ولذلك يوصل بواوه في التصديق فيقال: إي والله، ولا يقال (إي) وحده. ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتين العذاب.

﴿٥٤﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ بالشرك أو التعدي على الغير ﴿مَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من خزائنها وأموالها ﴿لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ لجعلته فدية لها من العذاب،

عطف على ما إذا بعد قوله: ويجوز أن يكون الجواب[1] [والضمير]؛ أي: في

---

(١) انظر: الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي [ص٣].

۞ ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

من قولهم افتداه بمعنى فداه. ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۖ﴾؛ لأنهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الأمر وهوله؛ فلم يقدروا أن ينطقوا. وقيل: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ أخلصوها لأن إخفاءها إخلاصها، أو: لأنه يقال: سرَّ الشيء لخالصته من حيث إنها تخفى ويضن بها. وقيل: أظهروها، من قولهم: (أسر الشيء وأشره) إذا أظهره. ﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ ليس تكريراً؛ لأن الأول: قضاء بين الأنبياء ومكذبيهم، والثاني: مجازاة المشركين على الشرك أو الحكومة بين الظالمين والمظلومين، والضمير إنما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم.

﴿٥٥﴾ - ﴿٥٦﴾ ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ تقرير لقدرته تعالى على الإثابة والعقاب. ﴿أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾؛ لأنهم لا يعلمون لقصور عقولهم إلا ظاهراً من الحياة الدنيا ﴿هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى؛ لأن القادر لذاته لا تزول قدرته، والمادة القابلة بالذات للحياة والموت قابلة لهما أبداً. ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ بالموت أو النشور.

﴿٥٧﴾ - ﴿٥٨﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ أي: قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الأعمال ومقابحها، المرغبة في المحاسن والزاجرة عن المقابح، والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من

«بينهم» [إنما يتناولهم]؛ أي: الظالمين والمطلوبين [لدلالة الظلم]؛ أي: في قوله:

الشكوك وسوء الاعتقاد، وهدى إلى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين، حيث أنزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال إلى نور الإيمان، وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان، والتنكير فيها للتعظيم. ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ بإنزال القرآن، والباء متعلقة بفعل يفسره قوله: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ فإن اسم الإشارة بمنزلة الضمير تقديره: بفضل الله وبرحمته فليعتنوا أو فليفرحوا فبذلك فليفرحوا، وفائدة ذلك التكرير التأكيد والبيان بعد الإجمال، وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح، أو بفعل دل عليه: (قَدْ جاءَتْكُمْ)، وذلك إشارة إلى مصدره؛ أي: فبمجيئها فليفرحوا، والفاء بمعنى الشرط كأنه قيل: إن فرحوا بشيء فيهما فليفرحوا، أو للربط بما قبلها، والدلالة على أن مجيء الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتأكيد كقوله: (وَإِذَا هَلَكْتُ فَعِنْدَ ذَلِكَ فَاجْزَعِي) وعن يعقوب: (فلتفرحوا) بالتاء على الأصل المرفوض،

﴿يُظْلَمُونَ﴾ [فليعتنوا] دل على تقديره «فليفرحوا»؛ لأن المفروح به معتنى بشأنه [وفائدة ذلك التكرير]؛ أي: بقوله: «فبذلك فليفرحوا» مع ما قبله، إذ التقدير: «بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا».

[التأكيد والبيان..] إلى آخره. فالتأكيد مستفاد من التكرير والتخصيص من تقديم المعمول كما في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وقوله بعد الإجمال؛ أي: في قوله: ﴿بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ من حيث حذف متعلقة [وإيجاب] بالرفع عطف على التأكيد [أو بفعل دل عليه قد جاءتكم]؛ أي: لـ«إيجائكم»(١) المذكور للفصل بينهما بجملة قل [إلى مصدره]؛ أي: مصدر جاء(٢) [والدلالة] بالجر عطف على الربط [وتكريرها]؛ أي: الفاء [كقوله]؛ أي: قول النمر ابن تولب لزوجته حين لامته على عقره لأضيافه أربع قلائص:

[.................... وإذا هَلَكْتُ فبعدَ ذلك فاجْزَعي]

---

(١) كما في نسخة [ز ـ ج ـ ب] وفي نسخة [الأصل]: (لإنجائكم).

(٢) انظر: روح المعاني، الألوسي [١١/ ١٤٠].

۞ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

وقد روي مرفوعاً ويؤيده أنه قرئ: (فافرحوا). ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من حطام الدنيا فإنها إلى الزوال قريب، وهو ضمير ذلك. وقرأ ابن عامر (تجمعون) بالتاء على معنى: فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعونه أيها المخاطبون.

﴿٥٩﴾ - ﴿٦٠﴾ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾ جعل الرزق منزلاً؛ لأنه مقدر في السماء محصل بأسباب منها، وما في موضع النصب بـ(أَنْزَلَ) أو بـ(أَرَأَيْتُمْ) فإنه بمعنى: أخبروني، و(لكم) دل على أن المراد منه ما حل؛ ولذلك وبخ على التبعيض فقال: ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ مثل: ﴿هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ [الأنعام: ١٣٨]. ﴿مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٩] ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ في التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه. ﴿أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ في نسبة

صدره:

لا تَجْزَعي إنْ مُنْفِساً أهلكتُهُ ....[1]

والمعنى: لا تجزعي على ما أتلفه من المال فإني أحصل لك أمثاله؛ ولكن اجزعي إذا هلكتُ فإنك لا تجدين من يخلف عليكِ مثلي **[وقد روي مرفوعاً]**؛ أي: إلى النبي ﷺ رواه أبو داود[2] **[فإنها إلى الزوال]**؛ أي: صائرة **[وما في موضع النصب بـ«أنزل» أو بـ«رأيتم»[3]]** قال الطيبي: هي على الثاني موصولة، وعلى الأول استفهامية لدلالة الكلام على الإنكار؛ أي: أي شيء أنزل الله من رزق وقلتم هذا

---

(١) الكتاب، سيبويه [١/ ١٣٤].

(٢) سنن أبي داود [٢/ ٤٢٨/ برقم: ٣٩٨١].

(٣) في البيضاوي: بـ«أنزل» أو بـ«أرءيتم».

۞ ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾.

ذلك إليه، ويجوز أن تكون المنفصلة متصلة بـ﴿أَرَءَيْتُم﴾ و(قل) مكرر للتأكيد وأن يكون الاستفهام للإنكار، و﴿أَمْ﴾ منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم على الله. ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾؛ أي: شيء ظنهم. ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أيحسبون أن لا يجازوا عليه، وهو منصوب بالظن ويدل عليه أنه قرئ بلفظ الماضي لأنه كائن، وفي إبهام الوعيد تهديد عظيم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ حيث أنعم عليهم بالعقل وهداهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ هذه النعمة.

﴿٦١﴾ ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ ولا تكون في أمر، وأصله الهمز من: (شأنت شأنه) إذا قصدت قصده والضمير في ﴿وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ﴾ له لأن تلاوة القرآن معظم شأن الرسول، أو لأن القراءة تكون لشأن فيكون التقدير من أجله ومفعول تتلو ﴿مِن قُرْءَانٍ﴾ على أن ﴿مِن﴾ تبعيضية أو مزيدة لتأكيد النفي أو للـ﴿قُرْءَانٍ﴾، وإضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له أو لله. ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ

حلال وهذا حرام، والمنكر إنزال ما هو سبب لتحريمهم الرزق؛ أي: ليس لأحد أن يحرم شيئاً ويحلل شيئاً من رزق الله لأن ذلك مختص بالله تعالى [**ويجوز أن تكون المنفصلة**]؛ أي: القضية المنفصلة وهي مدخول «قل» الثاني [**متصل بـ«أرأيتم»**] عبارة «الكشاف»[1]: آلله أذن لكم متعلق بـ«أرأيتم»؛ يعني: على أنه مفعوله؛ والمعنى: «أخبروني آلله أذن لكم..» إلى آخره. [**وأن يكون الاستفهام**]؛ أي في: آلله أذن لكم [**لأنه كأين**] تعليل للقراءة بالماضي؛ أي: وحي به على لفظ الماضي؛ لأنه كأين لا محالة [**أو للقرآن**] عطف على «له»؛ يعني: أن ضمير منه «للشأن» أو «للقرآن»

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٣٣٤].

۞ ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾.

عَمَلٍ﴾ تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو رأسهم، ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير. ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ رقباء مطلعين عليه. ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ تخوضون فيه وتندفعون ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾ ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه، وقرأ الكسائي بكسر الزاي هنا وفي (سبأ). ﴿مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ موازن نملة صغيرة أو هباء. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: في الوجود والإمكان فإن العامة لا تعرف ممكناً غيرهما ليس فيهما ولا متعلقاً بهما، وتقديم الأرض لأن الكلام في حال أهلها والمقصود منه البرهان على إحاطة علمه بها. ﴿وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ كلام برأسه مقرر لما قبله ﴿وَلَآ﴾ نافية و﴿أَصْغَرَ﴾ اسمها و﴿فِى كِتَٰبٍ﴾ خبرها. وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر، و(من) عطف على لفظ: ﴿مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف، أو على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعاً، والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ.

﴿٦٢﴾ - ﴿٦٤﴾ ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم

[تعميم للخطاب]؛ أي: بتعميم المخاطبين.

[بعد تخصيصه بمن هو رأسهم]؛ أي: وهو النبي ﷺ في قوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟﴾ **[ولذلك ذكر]**؛ أي: الرأس **[حيث خص بما فيه فخامة]**؛ أي: وهو «الشأن»(١) **[وذكر حيث عمّ]**؛ أي: بقوله: ﴿مِنْ عَمَلٍ﴾ **[ما يتناول..]** إلى آخره. **[ومن عطف]**؛ أي: أصغر **[على لفظ** ﴿مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ **وجعل الفتح]** فيه **[بدل الكسر لامتناع الصرف أو]** عطفه **[على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعاً]**؛ لأن في جعله متصلاً

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٩/٤٨٣].

۞ ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾.

بالكرامة. ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من لحوق مكروه ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لفوات مأمول. والآية كمجمل فسره قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ وقيل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ بيان لتوليهم إياه ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وهو ما بشر به المتقين في كتابه وعلى لسان نبيّه ﷺ: «**وما يريهم من الرؤيا الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات، وبشرى الملائكة عند النزع**». ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ بتلقي الملائكة إياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة؛ بيان لتوليه لهم، ومحل (الَّذِينَ آمَنُوا) النصب، أو الرفع على المدح، أو على وصف الأولياء، أو على الابتداء، وخبره ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ﴾. ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾؛ أي: لا تغيير لأقواله، ولا إخلاف لمواعيده. ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى كونهم مبشرين في الدارين ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به، وتعظيم شأنه، وليس من شرطه أن يقع بعده كلام يتصل بما قبله.

﴿٦٥﴾ ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ إشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم. وقرأ نافع:

إشكالاً إذ يصير معنى ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ أن ما في الكتاب يَعْزُبُ عنه، وهو فاسد بخلاف ما إذا جعل الاستثناء منقطعاً إذ المعنى عليه: «لا يَعْزُبُ عن ربك شيء ما» لكن جميع الاستثناء ﴿فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ ولك أن تجعل الاستثناء متصلاً ومعنى يعزب يصدر والمعنى(١): «لم يصدر عن الله تعالى شيء بعد خلقه له إلا وهو في كتاب مبين»(٢).

[ومحل ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ **النصب أو الرفع**]؛ أي: أو الجر بدل من ضمير «عليهم» [**على المدح أو على وصف الأولياء**] راجع إلى النصب ومعنى على وصف الأولياء على أنه وصف لهم [**أو على الابتداء**] راجع إلى الرفع ويجوز الرفع على الضمير(٣) [**اعتراض**]؛ أي: آخر الكلام كما يدل عليه كلامه بعد

---

(١) عبارة: (يعزب يصدر والمعنى) من نسخة [ز ـ ج ـ ب] ساقطة من نسخة [الأصل].

(٢) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٥/ ١٤٠].

(٣) في نسخة [ج ـ ب]: (على إضمار مبتدأ).

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

(يُحْزِنْكَ) من أحزنه، وكلاهما بمعنى. ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ﴾ استئناف بمعنى التعليل، ويدل عليه القراءة بالفتح؛ كأنه قيل: لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم؛ لأن الغلبة لله جميعاً لا يملك غيره شيئاً منها، فهو يقهرهم وينصرك عليهم. ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بعزماتهم فيكافئهم عليها.

﴿٦٦﴾ - ﴿٦٧﴾ ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِۗ﴾ من الملائكة والثقلين، وإذا كان هؤلاء الذين هم أشرف الممكنات عبيداً لا يصلح أحد منهم للربوبية؛ فما لا يعقل منها أحق أن لا يكون له نداً أو شريكاً، فهو كالدليل على قوله: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ﴾؛ أي: شركاء على الحقيقة؛ وإن كان يسمونها شركاء، ويجوز أن يكون (شُرَكاءَ) مفعول (يَدْعُونَ) ومفعول (يَتَّبِعُ) محذوف دل عليه. ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾؛ أي: ما يتبعون يقيناً وإنما يتبعون ظنهم أنها شركاء، ويجوز أن تكون (مَا) استفهامية منصوبة بـ(يَتَّبِعُ)، أو موصولة معطوفة على (من)، وقرئ (تدعون) بالتاء الخطابية، والمعنى: أي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين؛ أي: أنهم لا يتبعون إلا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧] فيكون ....

[كقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾] إلى آخره. التشبيه في أن كُلاً من المشبَّه والمشبَّه به لا يبتغي من ربِّهِ إلا الوسيلة [فيكون]؛ أي: قوله: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ إلى

۞ ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٨)﴾.

إلزاماً بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابه لبيان سندهم ومنشأ رأيهم. ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون فيما ينسبون إلى الله، أو يحزرون ويقدرون أنها شركاء تقديراً باطلاً. ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ تنبيه على كمال قدرته وعظم نعمته، المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة، وإنما قال: (مُبْصِراً) ولم يقل: (لتبصروا فيه) تفرقة بين الظرف المجرد، والظرف الذي هو سبب. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر واعتبار.

(٦٨) ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾؛ أي: تبناه. ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيه له عن التبني؛ فإنه لا يصح إلا ممن يتصور له الولد، وتعجب من كلمتهم الحمقاء. ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾ علة لتنزيهه؛ فإن اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة. ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ تقرير لغناه. ﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا﴾ نفي لمعارض ما أقامه من البرهان، مبالغة في تجهيلهم وتحقيقاً لبطلان قولهم، و(بِهذا) متعلق بـ(سُلْطانٍ) أو نعت لَهُ أو بـ(عِنْدَكُمْ)؛ كأنه قيل: إن عندكم في هذا من سلطان. ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ توبيخ

آخره. [إلزاماً بعد برهان] هو قوله: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ [وما بعده] وهو إن يتبعون إلا الظن [مصروف عن خطابهم]؛ أي: على قراءة من قرأ «تدعون» بالخطاب[1] [والظرف الذي هو سبب] وهو «الليل»؛ لأنه سبب «للسكون» وإسناد «الإبصار» إلى «النهار» مجازي كقولك: «نهاره صائم» [من كلمتهم الحمقاء] بالمد؛ أي: «الحمقاء صاحبها» بتقدير مضاف أو وصفت بصفة متكلِّمها [أو يعيدكم]؛ أي: بمتعلقه.

(١) الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه [٢/ ٢١٢].

۞ ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾.

وتقريع على اختلافهم وجهلهم. وفيه دليل على أن كل قول لا دليل عليه فهو جهالة، وأن العقائد لا بد لها من قاطع، وأن التقليد فيها غير سائغ.

﴿٦٩﴾ - ﴿٧٠﴾ ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ باتخاذ الولد وإضافة الشريك إليه ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾ لا ينجون من النار، ولا يفوزون بالجنة. ﴿مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رئاستهم في الكفر، أو حياتهم، أو تقلبهم (مَتاعٌ) مبتدأ خبره محذوف؛ أي: لهم تمتع في الدنيا. ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ بالموت فيلقون الشقاء المؤبد. ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ بسبب كفرهم.

﴿٧١﴾ ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ خبره مع قومه. ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم﴾ عظم عليكم وشقَّ ﴿مَّقَامِى﴾ نفسي؛ كقولك: فعلت كذا لمكان فلان، أو كوني وإقامتي بينكم مدة مديدة، أو قيامي على الدعوة ﴿وَتَذْكِيرِى﴾ إياكم ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ وثقت به ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ﴾ فأعزموا عليه ﴿وَشُرَكَآءَكُمْ﴾؛ أي: مع شركائكم. ويؤيده القراءة بالرفع عطفاً على الضمير المتصل، وجاز من غير أن يؤكد للفصل، وقيل: إنه معطوف على (أمْرَكُمْ) بحذف المضاف؛ أي: وأمر شركائكم. وقيل: إنه منصوب بفعل محذوف تقديره: وادعوا شركاءكم، وقد قرئ به، وعن نافع: (فَاجْمَعُوا) من

[ويؤيده القراءة بالرفع] هي قراءة يعقوب [وعن نافع «فأجمعوا»]؛ أي: في غير

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

الجمع، والمعنى: أمرهم بالعزم أو الاجتماع على قصده، والسعي في إهلاكه على أي وجه يمكنهم؛ ثقة بالله وقلة مبالاة بهم. ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ﴾ في قصدي ﴿عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ مستوراً واجعلوه ظاهراً مكشوفاً، من: (غمه) إذا ستره، أو ثم لا يكن حالكم عليكم غمّاً إذا أهلكتموني وتخلصتم من ثقل مقامي وتذكيري ﴿ثُمَّ اقْضُوا﴾ أدوا ﴿إِلَيَّ﴾ ذلك الأمر الذي تريدون بي، وقرئ: (ثم أفضوا إليَّ) بالفاء؛ أي: انتهوا إلي بشرِّكم، أو ابرزوا إلي، من: (أفضى) إذا خرج إلى الفضاء ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾ ولا تمهلوني.

﴿٧٢﴾ ـ ﴿٧٣﴾ ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن تذكيري ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ يوجب توليكم لثقله عليكم، واتهامكم إياي لأجله، أو يفوتني لتوليكم. ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ ما ثوابي على الدعوة والتذكير ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ لا تعلق له بكم، يثيبني به آمنتم أو توليتم ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ المنقادين لحكمه لا أخالف أمره، ولا أرجو غيره. ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فأصروا على تكذيبه بعد ما ألزمهم الحجة، وبيَّن أن توليهم ليس إلا لعنادهم وتمردهم، لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب. ﴿فَنَجَّيْنَاهُ﴾ من الغرق ﴿وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾ وكانوا ثمانين ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ﴾ من الهالكين به ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بالطوفان ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾ تعظيم لما جرى عليهم، وتحذير لِمَنْ كَذَّبَ الرسول ﷺ وتسلية له.

﴿٧٤﴾ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا﴾ أرسلنا ﴿مِن بَعْدِهِ﴾ من بعد نوح ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ كل رسول إلى قومه ﴿فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ فما استقام لهم أن يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر

۞ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

وخذلان الله إياهم ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ﴾؛ أي: بسبب تعودهم تكذيب الحق، وتمرنهم عليه قبل بعثه الرسل عليهم الصلاة والسلام ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ بخذلانهم؛ لانهماكهم في الضلال واتِّبَاعِ المألوف، وفي أمثال ذلك دليل على أن الأفعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد، وقد مرَّ تحقيق ذلك.

﴿٧٥﴾ - ﴿٧٦﴾ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾ من بعد هؤلاء الرسل ﴿مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بالآيات التسع ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن اتباعهما ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ معتادين الإجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترؤوا على ردها ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾ وعرفوه بتظاهر المعجزات الباهرة المزيلة للشك ﴿قَالُوٓا۟﴾ - من فرط تمردهم - ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهر أنه سحر، أو فائق في فنه، واضح فيما بين إخوانه.

﴿٧٧﴾ ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ﴾ إنه لسحر، فحذف المحكي المقول لدلالة ما قبله عليه، ولا يجوز أن يكون. ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ لأنهم بتوا القول؛ بل هو استئناف بإنكار ما قالوه اللَّهُمَّ إلا أن يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكي مفهوم قولهم، ويجوز أن يكون معنى (أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ)

العشر فهو شاذ [فحذف المحكي للقول]؛ أي: فحذف محكي القول.

[اللَّهُمَّ إلا أن يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكي مفهوم قوله]؛ أي: فيكون قوله: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ مفعول لـ«تقولون»؛ لأنه المحكي حينئذ وإن كان بمعنى قولهم[١]

---

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية [٣/ ١٥٠].

۞ ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

أتعيبونه؛ من قولهم: (فلان يخاف القالة)؛ كقوله تعالى: ﴿سَمِعۡنَا فَتًى يَذۡكُرُهُمۡ﴾ [الأنبيا: ٦١] فيستغني عن المفعول. ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾ من تمام كلام موسى للدلالة على أنه ليس بسحر؛ فإنه لو كان سحراً لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة، ولأن العالم بأنه لا يفلح الساحر لا يسحر، أو من تمام قولهم ـ إن جعل أسحر هذا محكياً ـ كأنهم قالوا: أجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون.

﴿٧٨﴾ ـ ﴿٨٠﴾ ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا﴾ لتصرفنا، و(اللفت) و(الفتل) أخوان. ﴿عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا﴾ من عبادة الأصنام ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ الملك فيها سمي بها لاتصاف الملوك بالكبر، أو التكبر على الناس باستتباعهم ﴿وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ﴾ بمصدقين فيما جئتما به. ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ﴾ وقرأ حمزة والكسائي بكل (سحّار). ﴿عَلِيمٖ﴾ حاذق فيه. ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ﴾.

﴿٨١﴾ ـ ﴿٨٢﴾ ﴿فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ﴾؛ أي: الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحراً. وقرأ أبو عمرو (آلسِّحْرُ) على أن ﴿مَا﴾ استفهامية مرفوعة بالابتداء و(جئتم به) خبرها

[نخاف القالة]؛ أي: العيب **[سمعنا فتى يذكرهم]**؛ أي: «يعيبهم» إذ الذِّكر في معنى القول **[فيستغني عن المفعول]**؛ أي: الذي هو المحكي بـ«كان»، الأولى أن يقول: «عن المقول» **[وقرأ أبو عمرو «السحر»]**؛ أي: بالمد ووافقه عليه أبو جعفر.

۞ ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

و(السِّحْرُ) بدل منه، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره: أهو السحر، أو مبتدأ خبره محذوف: أي: السحر هو. ويجوز أن ينتصب (ما) بفعل يفسره ما بعده، وتقديره: أي شيء أتيتم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ سيمحقه أو سيظهر بطلانه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ لا يثبته ولا يقويه، وفيه دليل على أن السحر إفساد وتمويه لا حقيقة له ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ﴾ ويثبته ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ بأوامره وقضاياه، وقرئ (بكلمته). ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ ذلك.

﴿٨٣﴾ ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ﴾؛ أي: في مبدأ أمره ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ إلا أولاد من أولاد قومه بني إسرائيل؛ دعاهم فلم يجيبوه خوفاً من فرعون إلا طائفة من شبانهم، وقيل: الضمير لـ(فِرْعَوْنَ) والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به، أو مؤمن آل فرعون، وامرأته آسية، وخازنه وزوجته، وماشطته ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾؛ أي: مع خوف منهم، والضمير لـ(فِرْعَوْنَ) وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء، أو على أن المراد بـ(فِرْعَوْنَ) آله؛ كما يقال: ربيعة ومضر، أو للـ(ذُرِّيَّةٌ)، أو للقوم. ﴿أَن يَفْتِنَهُمْۚ﴾ أن يعذبهم فرعون، وهو بدل منه، أو مفعول (خوف) وإفراده بالضمير للدلالة على أن الخوف من الملأ كان بسببه ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ لغالب فيها ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ في الكبر والعتو حتى ادعى

[وفيه دليل على أن السحر إفساد وتمويه لا حقيقة له] محمول على ما يفعله أصحاب الحيل بمعونة الآلات والأدوية، وإلا فله حقيقة فهو حق عند أهل السُّنَّة، وهو كما مرّ علم بكيفية استعدادات تعتد بها النفوس البشرية على ظهور التأثير في عالم العناصر [أو مؤمن] عطف على «طائفة» [وهو بدل منه]؛ أي: من الضمير [وإفراده]؛ أي: «فرعون» بالضمير؛ أي: ضمير الفاعل في قوله: ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾

۞ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

الربوبية واسترق أسباط الأنبياء.

﴿٨٤﴾ ـ ﴿٨٦﴾ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ لما رأى تخوف المؤمنين به. ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟﴾ فثقوا به واعتمدوا عليه ﴿إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ مستسلمين لقضاء الله مخلصين له، وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين؛ فإن المعلق بالإيمان وجوب التوكل فإنه المقتضي له، والمشروط بالإسلام حصوله؛ فإنه لا يوجد مع التخليط، ونظيره: إن دعاك زيد فأجبه إن قدرت! ﴿فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ لأنهم كانوا مؤمنين مخلصين؛ ولذلك أجيبت دعوتهم ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾ موضع فتنة ﴿لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: لا تسلطهم علينا فيفتنونا ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ من كيدهم ومن شؤم مشاهدتهم، وفي تقديم التوكل على الدعاء؛ تنبيه على أن الداعي ينبغي له أن يتوكل أولاً لتجاب دعوته.

﴿٨٧﴾ ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا﴾؛ أي: اتخذا مباءة ﴿لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ تسكنون فيها أو ترجعون إليها للعبادة ﴿وَٱجْعَلُوا۟﴾ أنتما وقومكما

[**واسترق أسباط الأنبياء**]؛ أي: أو أولادهم[1].

[**تخوف المؤمنين به**] بمعنى منه [**والمشروط بالإسلام حصوله**]؛ أي: حصول التوكّل لا إيجابه [**فإنه لا يوجد مع التخليط**]؛ أي: وإنما يوجد مع الإخلاص [**ونظيره: «إن دعاك زيد فأجبه إن قدرت»**]؛ أي: نظيره في أن الحكم ليس معلقاً بشرطين [**مباة**]؛ أي: منزلاً.

---

(١) جامع البيان، الطبري [١٥/١٦٧].

۞ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

﴿بُيُوتَكُمْ﴾ تلك البيوت ﴿قِبْلَةً﴾ مصلّى، وقيل: مساجد متوجهة نحو القبلة يعني: الكعبة، وكان موسى ﷺ يصلي إليها. ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فيها، أمروا بذلك أول أمرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم. ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى، وإنما ثنّى الضمير أولاً لأنَّ التبوأ للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤوس القوم بتشاور، ثم جمع؛ لأن جعل البيوت مساجد والصلاة فيها مما ينبغي أن يفعله كل أحد، ثم وحّد؛ لأن البشارة في الأصل وظيفة صاحب الشريعة.

﴿٨٨﴾ - ﴿٨٩﴾ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً﴾ ما يتزين به من الملابس والمراكب ونحوهما ﴿وَأَمْوَالًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وأنواعاً من المال ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ﴾ دعاء عليهم بلفظ الأمر بما علم من ممارسة أحوالهم؛ أنه لا يكون غيره كقولك: لعن الله إبليس. وقيل: (اللام) للعاقبة، وهي متعلقة بـ(آتَيْتَ)، ويحتمل أن تكون للعلة؛ لأن إيتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال، ولأنهم لما جعلوها سبباً للضلال؛ فكأنهم أوتوها ليضلوا فيكون (رَبَّنا) تكريراً للأول؛ تأكيداً وتنبيهاً على أن المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ

[ثم وحد]؛ أي: في قوله: ﴿وَبَشِّرِ﴾ [﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟﴾] قرأ الكوفيون بضم الياء[1] [دعا عليهم] ساغ دعاؤه عليهم بذلك لعلمه بأن الله كرههم وطبع على قلوبهم

---

(١) إتحاف فضلاء البشر، الدمياطي [ص٣٨٤].

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾.

﴿أَمْوَٰلِهِمْ﴾؛ أي: أهلكها، و(الطَّمْسُ): المَحْقُ، وقرئ: (اطْمُسْ) بالضم. ﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾؛ أي: وأقسها؛ اطبع عليها حتى لا تنشرح للإيمان. ﴿فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ جواب للدعاء، أو دعاء بلفظ النهي، أو عطف على (لِيُضِلُّوا) وما بينهم دعاء معترض. ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾؛ يعني: موسى وهارون؛ لأنه كان يؤمن ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة وإلزام الحجة، ولا تستعجلا فإن ما طلبتما كائن ولكن في وقته. روي: أنه مكث فيهم بعد الدعاء أربعين سنة. ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ طريق الجهلة في الاستعجال أو عدم الوثوق والاطمئنان بوعد الله تعالى، وعن ابن عامر برواية ابن ذكوان (وَلا تَتَّبِعانِ) بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين، (وَلا تَتْبِعانِّ) من: تبع، (وَلا تَتْبَعانِّ) أيضاً.

﴿٩٠﴾ - ﴿٩١﴾ ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾؛ أي: جوزناهم في البحر

وأخبر بأنهم لا يؤمنون [**وما بينهما اعتراض**]؛ أي: على الأخير من الأقوال التي ذكرها [**وعن ابن عامر ولا تتبعان بالنون الخفيفة..**] إلى آخره. ذكر عنه ثلاث قراءات بتشديد التاء مع تخفيف النون وتخفيف التاء مع تشديد النون وتخفيفهما والمشهور عنه الأولى فقط وقوله: وكسرها لالتقاء الساكنين قال الزمخشري[1] تشبيهاً بنون التثنية والنون نون توكيد وإن خففت لا نون رفع؛ سواء جعلت «لا» ناهية وهو ظاهر أم نافية لوضع النفي هنا موضع النهي كما في: «لا تعبدون إلا الله» وقيل: إنْ الخفيفة ـ على جعل «لا» نافية ـ نون رفع بجعل الجملة مستأنفة.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/٣٤٨].

﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

حتى بلغوا الشط حافظين لهم، وقرئ (جَوَّزْنا) وهو من فعل المرادف لفاعل لـ(ضعف وضاعف). ﴿فَأَتْبَعَهُمْ﴾ فأدركهم؛ يقال: تبعته حتى أتبعته. ﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ باغين وعادين، أو للبغي والعدو، وقرئ (وَعُدُوًّا). ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ﴾ لحقه. ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ﴾؛ أي: بأنه. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ وقرأ حمزة والكسائي أنه بالكسر على إضمار القول، أو الاستئناف بدلاً وتفسيراً لـ(آمَنْتُ) فنكب عن الإيمان أَوَانَ القبول، وبالغ فيه حين لا يقبل. ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾ أتؤمن الآن وقد أيست من نفسك، ولم يبق لك اختيار؟! ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ قبل ذلك مدة عمرك ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ الضالين المضلين عن الإيمان.

﴿٩٢﴾ ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾ ننقذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافياً، أو نلقيك على نجوة من الأرض ليراك بنو إسرائيل. وقرأ يعقوب: (نُنْجِيْكَ) من: (أنجى)، وقرئ (نُنَحِّيك) بالحاء؛ أي: نلقيك بناحية من الساحل ﴿بِبَدَنِكَ﴾ في موضع الحال؛ أي: ببدنك عارياً عن الروح، أو

[يقال: تبعته واتبعته] في نسخة بدل «واتبعته» «حتى اتبعته» [على نجوة]؛ أي: مكان مرتفع ومثله النجاة، قاله الجوهري[1] [﴿بِبَدَنِكَ﴾ في موضع الحال]؛ أي: على كل من الأقوال الآتية والباء على الثالثة، الأول منها للتعدي وعلى الأخير للمصاحبة فالباء فيه بمعنى «مع» وإن فرق بينهما بأن مع لإثبات المصاحبة ابتداء والباء لاستدامتها مع أن في الفرق بذلك نظراً وقيل: إن الباء للسببية مجازاً؛ لأن بدنه سبب في تنحيته وعليه فلا يختص بالأخير.

---

(١) الصحاح، الجوهري [٨/ ٤٣٩].

۞ ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

كاملاً سويّاً، أو عرياناً من غير لباس. أو بدرعك؛ وكانت له درع من ذهب يعرف بها. وقرئ (بأبدانك)؛ أي: بأجزاء البدن كلها؛ كقولهم: هوى بإجرامه، أو بدروعك كأنه كان مظاهراً بينها. ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ لمن وراءك علامة وهم بنو إسرائيل إذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل إليهم أنه لا يهلك، حتى كذبوا موسى عليه السلام حين أخبرهم بغرقه إلى أن عاينوه مطرحاً على ممرهم من الساحل، أو لمن يأتي بعدك من القرون إذا سمعوا مآل أمرك ممن شاهدك عبرة ونكالاً عن الطغيان، أو حجة تدلهم على أن الإنسان على ما كان عليه من عظم الشأن وكبرياء الملك؛ مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية. وقرئ (لِمَنْ خَلَقَك)؛ أي: لخالقك آية؛ أي: كسائر الآيات، فإن إفراده إياك بالإلقاء إلى الساحل؛ دليل على أنه تعمد منه لكشف تزويرك وإماطة الشبهة في أمرك. وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وإرادته، وهذا الوجه أيضاً محتمل على المشهور. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها.

﴿٩٣﴾ ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾ أنزلنا. ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ منزلاً صالحاً مرضياً وهو الشأم ومصر. ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ من اللذائذ ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ فما اختلفوا في أمر دينهم ﴿إِلَّا مِنۢ﴾ [الشورى: ١٤] قرءوا التوراة وعلموا أحكامها، أو في أمر محمد ﷺ ﴿إِلَّا مِنۢ﴾ [الشورى: ١٤] علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ فيميز المحق من المبطل بالإنجاء والإهلاك.

[كأنه كان مظاهراً بينها]؛ أي: مطابقاً بينها يقال: ظاهر بين الدرعين؛ أي: لبس أحدهما على الأُخرى [وهذا الوجه محتمل أيضاً على المشهور]؛ أي: على المشهور

۞ ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾.

﴿٩٤﴾ - ﴿٩٥﴾ ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ من القصص على سبيل الفرض والتقدير. ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ فإنه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما ألقينا إليك، والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة، وأن القرآن مصدق لما فيها، أو وصف أهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل إليه، أو تهييج الرسول ﷺ وزيادة تثبيته لا إمكان وقوع الشك له، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «**لا أشك ولا أسأل**». وقيل: الخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته، أو لكل من يسمع؛ أي: إن كنت أيها السامع في شك مما نزلنا على لسان نبيّنا إليك، وفيه تنبيه على أن كل من خالجته شبهة في الدين ينبغي أن يسارع إلى حلها؛ بالرجوع إلى أهل العلم ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ واضحاً أنه لا مدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ بالتزلزل عما أنت عليه من الجزم واليقين ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ أيضاً من باب التهييج، والتثبيت، وقطع الأطماع عنه كقوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [القصص: ٨٦].

﴿٩٦﴾ - ﴿٩٧﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ﴾ ثبتت عليهم ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بأنهم يموتون على الكفر ويخلدون في العذاب ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ إذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه ﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ﴾ فإن السبب الأصلي لإيمانهم؛ وهو تعلق إرادة الله تعالى به مفقود ﴿حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ وحينئذ لا ينفعهم كما لا ينفع فرعون.

۞ ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾.

﴿٩٨﴾ ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾ فهلا كانت قرية من القرى التي أهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب، ولم تؤخر إليها كما أُخِّر فرعون ﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ بأن يقبله الله منها، ويكشف العذاب عنها. ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ لكن قوم يونس عليه السلام ﴿لَمَّآ ءَامَنُوا۟﴾ أول ما رأوا أمارة العذاب ولم يؤخروه إلى حلوله ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ويجوز أن تكون الجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه؛ فيكون الاستثناء متصلاً؛ لأن المراد من القرى أهاليها كأنه قال: ما آمن أهل قرية من القرى العاصية فنفعهم إيمانهم إلا قوم يونس، ويؤيده قراءة الرفع على البدل ﴿وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ إلى آجالهم. روي: (أن يونس عليه السلام بعث إلى أهل نينوى من الموصل، فكذبوه، وأصروا عليه فوعدهم بالعذاب إلى ثلاث، وقيل: إلى ثلاثين. وقيل: إلى أربعين، فلما دنا الموعد أغامت السماء غيماً أسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم، فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فأيقنوا صدقه، فلبسوا المسوح وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم، وفرقوا بين كل والدة وولدها؛ فحن بعضها إلى بعض، وعلت الأصوات والعجيج، وأخلصوا التوبة، وأظهروا الإيمان، وتضرعوا إلى الله تعالى، فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة).

﴿٩٩﴾ ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ﴾ بحيث لا يشذ منهم

من القِرات[1] [على البدل]؛ أي: «من قرية»؛ أي: «من أهلها» **[وفرقوا بين كل والدة وولدها]**؛ أي: ليزدادوا ضجيجاً ويحنَّ بعضهم على بعض شفقة **[بحيث لا يشد[2]]**

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [٤/ ٢٩٤].
(٢) هكذا وردت في جميع النسخ ولعل الصواب: (يشذ).

۞ ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾.

أحد. ﴿جَمِيعًاۚ﴾ مجتمعين على الإيمان لا يختلفون فيه، وهو دليل على القدرية في أنه تعالى لم يشأ إيمانهم أجمعين، وأن من شاء إيمانه يؤمن لا محالة، والتقييد بمشيئة الإلجاء خلاف الظاهر ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ﴾ بما لم يشأ الله منهم ﴿حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ وترتيب الإكراه على المشيئة بالفاء، وإيلاؤها حرف الاستفهام للإنكار، وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على أن خلاف المشيئة مستحيل؛ فلا يمكن تحصيله بالإكراه عليه فضلاً عن الحث والتحريض عليه؛ إذ روي أنه كان حريصاً على إيمان قومه شديد الاهتمام به، فنزلت.

﴿١٠٠﴾ ـ ﴿١٠١﴾ ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ﴾ بالله ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ إلا بإرادته وألطافه وتوفيقه؛ فلا تجهد نفسك في هداها فإنه إلى الله ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾ العذاب أو الخذلان فإنه سببه. وقرئ بالزاي، وقرأ أبو بكر: (ونجعل) بالنون ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات، أو لا يعقلون دلائله وأحكامه لما على قلوبهم من الطبع، ويؤيد الأول قوله: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ﴾؛ أي: تفكروا ﴿مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ من عجائب صنعه لتدلكم على وحدته وكمال قدرته، وماذا إن جعلت استفهامية علقت (انْظُرُوا) عن العمل. ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ في علم الله وحكمه (وَما) نافية أو استفهامية في موضع النصب.

﴿١٠٢﴾ ـ ﴿١٠٣﴾ ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾ مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم؛ إذ لا يستحقون غيره من قولهم: أيام العرب لوقائعها ﴿قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ لذلك أو: فانتظروا هلاكي ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ هلاككم ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾ عطف

۞ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾.

على محذوف دل عليه ﴿إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟﴾ كأنه قيل: نهلك الأمم ثم ننجي رسلنا ومن آمن بهم، على حكاية الحال الماضية. ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ كذلك الإنجاء، أو إنجاء. كذلك ننجي محمداً وصحبه حين نهلك المشركين، و﴿حَقًّا عَلَيْنَا﴾ اعتراض. ونصبه بفعله المقدر. وقيل: بدل من (كذلك). وقرأ حفص والكسائي (نُنْجِي) مخففاً.

﴿١٠٤﴾ ـ ﴿١٠٥﴾ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ خطاب لأهل مكة. ﴿إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى﴾ وصحته ﴿فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ فهذا خلاصة ديني اعتقاداً وعملاً؛ فاعرضوها على العقل الصرف، وانظروا فيها بعين الإنصاف لتعلموا صحتها، وهو أني لا أعبد ما تخلقونه وتعبدونه، ولكن أعبد خالقكم الذي هو يوجدكم ويتوفاكم. وإنما خص التوفي بالذكر للتهديد ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بما دل عليه العقل، ونطق به الوحي، وحذف الجار من أن يجوز أن يكون من المطرد مع (أن)، وأن يكون من غيره كقوله:

أَمَرْتُكَ الخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ ... فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَسَبِ

بكسر الشين وضمها؛ أي: لا ينفرد، بمعنى لا يخرج [**كذلك الإنجاء**] بالجر صفة لذلك.

[**أو «أنجا كذلك»**] أشار بالأول إلى أن «كذلك» مفعول «ينجي» وبالثاني إلا أنه منصوب صفة مصدر محذوف [**و«حقاً علينا» اعتراض**]؛ أي: بين المشبه والمشبه به [**وحذف الجار من «أنْ..»**] إلى آخره. تحريره ما قاله الطيبي أنه إن نظر إلى لفظ «أنْ» من غير اعتبار وقوعها بعد الأمر فالحذف مطرد أو مع اعتبار ذلك فغير مطرد كما في «أمرتك الخير» [**كقوله**]؛ أي: قول عمرو ابن معدي كرب أو غيره:

[**أَمَرْتُكَ الخيرَ فافْعَل ما أُمِرْتَ بِهِ** ....]

۞ ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾.

﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ عطف على (أَنْ أَكُونَ) غير (أَنْ) صلة (أَنْ) محكية بصيغة الأمر، ولا فرق بينهما في الغرض لأن المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر لتدل معه عليه، وصيغ الأفعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب، والمعنى: وأمرت بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه بأداء الفرائض، والانتهاء عن القبائح، أو في الصلاة باستقبال القبلة. ﴿حَنِيفًا﴾ حال من الدين أو الوجه. ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿١٠٦﴾ - ﴿١٠٧﴾ ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ بنفسه إن دعوته أو خذلته ﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ فإن دعوته ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ وإن يصبك به ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾ يرفعه ﴿إِلَّا هُوَ﴾ إلا الله ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ﴾ فلا دافع ﴿لِفَضْلِهِۦ﴾ الذي أرادك به، ولعله ذكر الإرادة مع الخير، والمس مع

تمامه:

.... فقد تركتُكَ ذا مالٍ وذا نَشَبِ

قال الجوهري(١): النشب المال والعقار، فسوغ عطف «ذا نشب» على «ذا مال» اختلاف اللفظ كما في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧]

[جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر] أشار به إلى ما ذكره ابن الحاجب كغيره من أن الجواب قد يكون جواباً بالمتكلم كقول الرجل لك: «أنا آتيك» فتقول: «إذاً أكرمك»، وقد يكون جواباً لتقدير ثبوت أمر كقولك: «لو أكرمتني إذاً أكرمك»؛ لأنه في تقدير جواب متكلم سأل «ماذا يكون مرتبطاً بإكرامي» فأجابه «بارتباط إكرامه به»(٢).

---

(١) الصحاح، الجوهري [٢/ ٦٤].
(٢) انظر: معاني القرآن، الفراء [١/ ٢٥٠].

۞ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾.

الضر، مع تلازم الأمرين؛ للتنبيه على أن الخير مراد بالذات، وأن الضر إنما مسهم لا بالقصد الأول، ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على أنه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه، ولم يستثن لأن مراد الله لا يمكن رده. ﴿يُصِيبُ بِهِۦ﴾ بالخير. ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية.

﴿١٠٨﴾ - ﴿١٠٩﴾ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ﴾ رسوله أو القرآن ولم يبق لكم عذر ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ بالإيمان والمتابعة ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦۖ﴾ لأن نفعه لها ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ بالكفر بهما ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَاۖ﴾ لأن وبال الضلال عليها ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ بحفيظ موكول إلى أمركم، وإنما أنا بشير ونذير ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ بالامتثال والتبليغ ﴿وَٱصْبِرْ﴾ على دعوتهم وتحمل أذيتهم ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُۚ﴾ بالنصرة أو بالأمر بالقتال ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ إذ لا يمكن الخطأ في حكمه لاطلاعه على السرائرِ اطلاعَهُ على الظواهر. عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (يونس) أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صَدَّقَ بيونس وكذب به، وبعدد من غرق مع فرعون**».

[**مع تلازم الأمرين**]؛ أي: إرادته تعالى ومشيئته [**ولم يستثن**]؛ أي: مع الإرادة كما استثنى مع المسّ بأن يقول: «إلا هو» [**لأن مراد الله لا يمكن رده**]؛ أي: لأن إرادته قديمة لا تتغير بخلاف مسّ الضر [**بالكفر بهما**]؛ أي: بالرسول والقرآن؛ بل أو بأحدهما [**عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة يونس..»**] إلى آخره. موضوع[1].

---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٢/ ١٤٢/ برقم: ٦٠٩].

سُورَةُ هُودٍ

(١١) مكية، وهي مائة وثلاث وعشرون آية

۞ ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ
إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ٢ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ
مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ٣﴾.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ﴿الٓر كِتَٰبٌ﴾ مبتدأ وخبر، أو ﴿كِتَٰبٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف. ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ نظمت نظماً محكماً لا يعتريه إخلال من جهة اللفظ والمعنى، أو منعت من الفساد والنسخ؛ فإن المراد آيات السورة وليس فيها منسوخ، أو أحكمت بالحجج والدلائل، أو جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم إذا صار حكيماً؛ لأنها مشتملة على أمهات الحكم النظرية والعملية ﴿ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ بالفوائد من العقائد والأحكام والمواعظ والأخبار، أو بجعلها سوراً، أو بالإنزال نجماً نجماً، أو فصل فيها ولخص ما يحتاج إليه. وقرئ: (ثُمَّ فَصَلَتْ)؛ أي: فَرَقَت بين الحق والباطل، وأحكمت آياته (ثُمَّ فَصَّلْتُ) على البناء للمتكلم، و﴿ثُمَّ﴾ للتفاوت في الحكم أو للتراخي في الإخبار ﴿مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ صفة أخرى لـ(كِتابٌ)، أو خبر بعد خبر، أو صلة ﴿أُحۡكِمَتۡ﴾ أو ﴿فُصِّلَتۡ﴾، وهو تقرير لإحكامها وتفصيلها على أكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر أمره وما خفي.

٢ - ٣ ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾ لأن لا تعبدوا. وقيل: (أن) مفسرة؛ لأن في تفصيل الآيات معنى القول، ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأ للإغراء على التوحيد، أو الأمر بالتبري من عبادة الغير؛ كأنه قيل: ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه، أو اتركوها تركاً. ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ﴾ من الله. ﴿نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ﴾

۞ ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾﴾.

بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ عطف على (ألا تعبدوا) ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ ثم توسلوا إلى مطلوبكم بالتوبة؛ فإن المعرض عن طريق الحق لا بد له من الرجوع. وقيل: استغفروا من الشرك ثم توبوا إلى الله بالطاعة، ويجوز أن يكون (ثمَّ) لتفاوت ما بين الأمرين. ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا﴾ يعيشكم في أمن ودعة ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو آخر أعماركم المقدرة، أو لا يهلككم بعذاب الاستئصال والأرزاق والآجال، وإن كانت متعلقة بالأعمار لكنها مسماة بالإضافة إلى كل أحد فلا تتغير ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا والآخرة، وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين. ﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾ وإن تتولوا ﴿فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ يوم القيامة، وقيل: يوم الشدائد، وقد ابتلوا بالقحط حتى أكلوا الجيف. وقرئ (وَإِنْ تُوَلُّوْا) من ولى.

﴿٤﴾ - ﴿٥﴾ ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ رجوعكم في ذلك اليوم، وهو شاذ عن

قوله: **[أولا يهلككم]** عطف على يعيشكم **[والأرزاق والآجال]** بمعنى: الأعمار **[متعلقة بالأعمال]**؛ أي: المأخوذة من قوله: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ بمعنى أنها مترتبة عليها عادة ولهذا قيل: إن فرعون عاش أربع مئة سنة مجازاة لما اشتهر عنه من الكرم **[لكنها مسماة]**؛ أي: معينة عند الله تعالى.

[بالإضافة إلى كل أحد فلا يتغير] بعمل ولا بتركه فالمفاد من الأعمال هو الراحة مدة العمر المكتوب لا الزيادة عليه وأما نحو خبر «**صلة الرحم تزيد العمر**»(١) فمحمول على زيادة البركة وعلى زيادة ما في اللوح المحفوظ لا ما في أم الكتاب

---

(١) شعب الإيمان، البيهقي [٣/ ٢٤٤/ برقم: ٣٤٤٣].

القياس. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على تعذيبكم أشد عذاب، وكأنه تقدير لكبر اليوم. ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ يثنونها عن الحق وينحرفون عنه، أو يعطفونها على الكفر وعداوة النبي ﷺ، أو يولون ظهورهم. وقرئ (يثنوني) بالياء والتاء من (اثنوني)، وهو بناء مبالغة. و(تثنون)، وأصله (تثنونن) من (الثن) وهو الكلأ الضعيف؛ أراد به ضعف قلوبهم، أو مطاوعة صدورهم للثني، و(يثنئن) من: (اثنأن) كابيأضّ بالهمزة و(تثنوي). ﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ من الله بسرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه. قيل: (إنها نزلت في طائفة من المشركين قالوا: إذا أرخينا ستورنا، واستغشينا ثيابنا، وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم؟). وقيل: نزلت في المنافقين، وفيه نظر! إذ الآية مكية، والنفاق حدث بالمدينة. ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ ألا حين يأوون إلى فراشهم ويتغطون بثيابهم ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ في قلوبهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بأفواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بالأسرار ذات الصدور أو بالقلوب وأحوالها.

وهو ما كتبه في الأزل، فـ«أمُّ الكتاب» تطلق على هذا كما هنا، وكما في ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وعلى المحكم كما في قوله: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧] **[يثنونها عن الحق وينحرفون عنه..]** إلى آخره. يريد: أن ثني الصدور كناية عن الإعراض والانحراف عن الحق **[وقرئ «تثنوني» بالتاء والياء]**؛ أي: بالتاء في أوله وبالياء في آخره ورفع ﴿صُدُورَهُمْ﴾ **[من اثنوني]**؛ أي: يثنوني مضارع اثنوني «افعوعل» من الثني كاحلولا من الحلاوة **[وتثنوي]** بوزن تَرْعَوي **[قيل: «نزلت في طائفة من المشركين»]** إلى آخره. في «صحيح البخاري»(١): «أنها نزلت في ناس من المسلمين كانوا يستحبون أن يَتَخَلَّوا أو يجامعوا فيفضوا بفروجهم إلى السماء» وعليه فثني الصدور لا تأويل فيه.

[﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾] الظرف متعلق بـ(يعلم) المذكور بعد أو بمحذوف؛

(١) صحيح البخاري [٤/١٧٢٣/ برقم: ٤٤٠٤].

۞ ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٞ مُّبِينٞ ﴿٧﴾﴾.

﴿٦﴾ ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ غذاؤها ومعاشها لتكفله إياه تفضلاً ورحمة، وإنما أتى بلفظ الوجوب تحقيقاً لوصوله وحملاً على التوكل فيه ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ﴾ أماكنها في الحياة والممات، أو الأصلاب والأرحام، أو مساكنها من الأرض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة. ﴿كُلٌّ﴾ كل واحد من الدواب وأحوالها. ﴿فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ مذكور في اللوح المحفوظ، وكأنه أريد بالآية بيان كونه عالماً بالمعلومات كلها، وبما بعدها، بيان كونه قادراً على الممكنات بأسرها تقريراً للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد.

﴿٧﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾؛ أي: خلقهما وما فيهما كما مرَّ بيانه في (الأعراف)، أو ما في جهتي العلو والسفل، وجمع السمٰوات دون الأرض لاختلاف العلويات بالأصل والذات دون السفليات. ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما، لا أنه كان موضوعاً على متن الماء، واستدل به على إمكان الخلاء، وأن

أي: يريدون الاستخفاء حين يستغشون كما قدره «الكشاف»(١) **[بلفظ الوجوب]**؛ أي: بلفظ يدل على الوجوب وهو على **[من المواد]** وهو كالمَنِيّ والعَلَقَة **[والمقار]** كالصلب والرحم **[وكأنه أراد بالآية]**؛ أي: وهي آية ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ﴾ **[وبما بعدها]**؛ أي: وهو قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ **[لاختلاف العُلْويَات بالأصل والذاتِ دون السُّفْلِيَات]**؛ أي: كما مرّ في سورة الأنعام.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٢٥٩].

الماء أول حادث بعد العرش من أجرام هذا العالم. وقيل: كان الماء على متن الريح، والله أعلم بذلك! ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ متعلق بـ(خَلَقَ)؛ أي: خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لأحوالكم كيف تعملون، فإن جملة ذلك أسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم، وما تحتاج إليه أعمالكم، ودلائل وأمارات تستدلون بها وتستنبطون منها، وإنما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث إنه طريق إليه كالنظر والاستماع، وإنما ذكر صيغة التفضيل والاختبار شامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض على أحاسن المحاسن، والتحضيض على الترقي دائماً في مراتب العلم والعمل؛ فإن المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح، ولذلك قال النبي ﷺ:

[وأن الماء أول حادث] إلخ مزيد على «الكشاف» وفيه نظر[1] [كخلق]؛ أي: كخلقه تعالى [من خلق] أشار به إلى تعميم خلقه وعدم قصوره على خلق السماوات والأرض ولو عبر فيه «بما» بدل «من» كان أعم [ليعاملكم معاملة المبتلي] أراد: أن التركيب من الاستعارة التبعية الواقعة على طريق التمثيل شبه حال المكلف الممكن المختار مع تعلق علم الله تعالى بأفعاله بحال المختبر، ثم استعير لجانب المشبه ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ موضع «ليعلم» وجعل قرينة الاستعارة «علم العالم الخبير بما ظهر وما بطن».

[وإنما جاز تعليق فعل البلوى]؛ أي: من العمل [لما فيه من العلم..] إلى آخره. اضطرب كلامه كالزمخشري[2] في ذلك حيث جعلا ما هنا تعليقاً، وما في نظيره في سورة «الملك» ليس تعليقاً؛ لأنه إنما يكون تعليقاً إذا وقع بعد العامل ما يسد مسد منصوبيه معاً كـ«علمت أيهما زيد وعلمت أزيدٌ منطلقٌ» واجيب عنه بما لا يجدي، مع أن للنظر في ذلك مجالاً [كالنظر والاستماع] نظير أن ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ في جواز التعليق [للتحريض على أحاسن المحاسن]؛ أي: على فعلها [قال النبي ﷺ:

---

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي [١٢/ ٤ ـ ٥].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٣٦١].

﴿وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ أَلَا يَوۡمَ
يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٨ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا
ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ٩ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ
بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ١٠ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١١﴾.

«أيكم أحسن عقلاً، وأورع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله». والمعنى: أيكم أكمل علماً وعملاً ﴿وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾؛ أي: ما البعث، أو القول به، أو القرآن المتضمن لذكره؛ إلا كالسحر في الخديعة أو البطلان. وقرأ حمزة والكسائي: (إلا ساحر) على أن الإشارة إلى القائل. وقرئ (أَنَّكُمْ) بالفتح على تضمن (قلت) معنى: (ذكرت) أو أن يكون أن بمعنى (علّ)؛ أي: ولئن قلت: علَّكم مبعوثون، بمعنى: توقعوا بعثكم ولا تبتوا بإنكاره؛ لعدُّوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في إنكاره.

٨ ﴿وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ﴾ الموعود ﴿إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ﴾ إلى جماعة من الأوقات قليلة ﴿لَّيَقُولُنَّ﴾ استهزاء. ﴿مَا يَحۡبِسُهُۥٓ﴾ ما يمنعه من الوقوع ﴿أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ﴾ كيوم بدر ﴿لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ﴾ ليس العذاب مدفوعاً عنهم، و(يَوْمَ) منصوب بخبر (لَيْسَ) مقدم عليه، وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها. ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ وأحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقاً ومبالغة في التهديد. ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾؛ أي: العذاب الذي كانوا به يستعجلون، فوضع (يَسْتَهْزِؤُنَ) موضع يستعجلون؛ لأن استعجالهم كان استهزاء.

٩ ـ ١١ ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ﴾ ولئن أعطيناه نعمة بحيث

«أيكم أحسن عقلاً..»] إلى آخره. رواه الحاكم وغيره بسند واه[1].

---

(١) مسند الحارث بن أبي أسامة [٢/ ٨٠٩/ برقم: ٨٣١].

﴿١٢﴾ ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾.

يجد لذتها ﴿ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ﴾ ثم سلبنا تلك النعمة منه ﴿إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ﴾ قطوع رجاءه من فضل الله تعالى لقلة صبره وعدم ثقته به ﴿كَفُورٌ﴾ مبالغ في كفران ما سلف له من النعمة ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾ كصحة بعد سقم، وغنى بعد عدم، وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى. ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓۚ﴾؛ أي: المصائب التي ساءتني ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ﴾ بطر بالنعم مغتر بها. ﴿فَخُورٌ﴾ على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها، وفي لفظ الإذاقة والمسِّ تنبيه على أن ما يجده الإنسان في الدنيا من النعم والمحن كالأنموذج لما يجده في الآخرة، وأنه يقع في الكفران والبطر بأدنى شيء؛ لأن الذوق إدراك الطعم والمسُّ مبتدأ الوصول ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على الضراء إيماناً بالله تعالى، واستسلاماً لقضائه ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ شكراً لآلائه سابقها ولاحقها ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ أقله الجنة والاستثناء من الإنسان؛ لأن المراد به الجنس فإذا كان محلى باللام أفاد الاستغراق، ومن حمله على الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعاً.

﴿١٢﴾ ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ تترك تبليغ بعض ما يوحى إليك، وهو ما يخالف رأي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به، ولا يلزم

[وفي اختلاف الفعلين]؛ أي: وهما «أذقناه» و«مسته» من حيث الإسناد إليه تعالى في الأول وإلى «الضراء» في الثاني.

[نُكْتَةٌ لا تخفى] هي أن النعمة صادرة من الله تفضّلاً منه لخبر **«ما أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله! قيل: ولا أنت يا رسول الله؟! قال: ولا أنا»**(١) والضرر صادر من العبد كسباً؛ لأنه السبب فيه باجتلابه إياه بالمعاصي غالباً لقوله تعالى: ﴿مَّآ

---

(١) مسند أحمد [٣/٥٢/برقم: ١١٥٠٤].

۞ ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾.

من توقع الشيء لوجود ما يدعو إليه وقوعه لجواز أن يكون ما يصرف عنه؛ وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والثقة في التبليغ ها هنا. ﴿وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ وعارض لك أحياناً ضيق صدرك بأن تتلوه عليهم مخافة ﴿أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ﴾ ينفقه في الاستتباع كالملوك ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾ يصدقه، وقيل: الضمير في (بِهِ) مبهم يفسره (أَنْ يَقُولُوا). ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾ ليس عليك إلا الإنذار بما أوحي إليك، ولا عليك ردوا أو اقترحوا؛ فما بالك يضيق به صدرك. ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ فتوكل عليه فإنه عالم بحالهم، وفاعل بهم جزاء أقوالهم وأفعالهم.

﴿١٣﴾ - ﴿١٤﴾ ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ (أَمْ) منقطعة والهاء لـ(ما يُوحى). ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ في البيان وحسن النظم، تحداهم أولاً بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الأمر عليهم وتحداهم بسورة، وتوحيد المثل باعتبار كل واحدة. ﴿مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ مختلقات من عند أنفسكم إن صح أني اختلقته من عند نفسي؛ فإنكم عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما أقدر عليه؛ بل أنتم أقدر لتعلمكم القصص والأشعار وتعودكم القريض والنظم

أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩] ولا ينافي ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨] فإن الكل منه إيجاداً غير أن الحسنة إحسان وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام لخبر: «**ما من مسلم يصيبه وَصَبٌ ولا نَصَبٌ حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله إلا بذنب وما يعفو الله أكثر**»(١).

[**ويعودكم القريض والنظم**] العطف للتفسير قال الجوهري والشعر

---

(١) أصله في الصحيحين. انظر: صحيح البخاري [٥/ ٢١٣٧/ برقم: ٥٣١٨]، صحيح مسلم [٤/ ١٩٩١/ برقم: ٢٥٧٢].

﴿وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ إلى المعاونة على المعارضة. ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ أنه مفترى ﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ﴾ بإتيان ما دعوتم إليه، وجمع الضمير إما لتعظيم الرسول ﷺ أو لأن المؤمنين كانوا أيضاً يتحدونهم، وكان أمر الرسول ﷺ متناولاً لهم من حيث إنه يجب أتباعه عليهم في كل أمر إلا ما خصه الدليل، وللتنبيه على أن التحدي مما يوجب رسوخ إيمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه؛ ولذلك رتب عليه قوله: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ﴾ ملتبساً بما لا يعلمه إلا الله ولا يقدر عليه سواه. ﴿وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ واعلموا أن لا إلٰه إلا الله؛ لأنه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره، ولظهور عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقة بإعجازه عليه، وفيه تهديد وإقناط من أن يجيرهم من بأس الله آلهتهم. ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ ثابتون على الإسلام، راسخون فيه، مخلصون إذا تحقق عندكم إعجازه مطلقاً، ويجوز أن يكون الكل خطاباً للمشركين والضمير في ﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ﴾ لمن استطعتم؛ أي: فإن لم يستجيبوا لكم إلى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من أنفسكم القصور عن المعارضة؛ فاعلموا أنه نظم لا يعلمه إلا الله، وأنه منزل من عنده، وأن ما دعاكم إليه من التوحيد حق، فهل أنتم داخلون في الإسلام بعد قيام الحجة القاطعة، وفي مثل هذا الاستفهام إيجاب

قريض[1] [وكان أمر الرسول]؛ أي: في قوله: «قل فأتوا» [متناولاً لهم]؛ أي: تقديراً [مما يوجب رسوخ إيمانهم]؛ أي: إيمان المؤمنين [فلا يغفلون عنه]؛ أي: عن إيمانهم [ولظهور عجز آلهتهم] عطف على «لأنه العالم» [ولتنصيص هذا الكلام]؛ أي: وهو قوله: ﴿وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ [الثابت صدقه] صفة لهذا الكلام [بإعجازه] متعلق بصدقه [عليه] متعلق بـ«تنصيص».

[﴿فَهَلۡ أَنتُم﴾] خطاب للمؤمنين أو للمشركين على ما يأتي[2] [ويجوز أن يكون الكل]؛ أي: كل من الضمائر السابقة.

---

(١) الصحاح، الجوهري [٥/ ٢٥٣].
(٢) انظر: الكليات، الكفومي [ص٦٦١].

۞ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾.

بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر.

﴿١٥﴾ - ﴿١٦﴾ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ بإحسانه وبرّه. ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾ نوصل إليهم جزاء أعمالهم في الدنيا من الصحة، والرئاسة، وسعة الرزق، وكثرة الأولاد. وقرئ (يُوَفِّ) بالياء؛ أي: (يوفِّ الله) و(تُوَفَّ) على البناء للمفعول و(نُوْفِي) بالتخفيف والرفع لأن الشرط ماض كقوله:

وَإِنْ أَتَاهُ كَرِيمٌ يَوْمَ مَسْغَبَةٍ يقولُ: لا غائبٌ مَالِي وَلَا حَرِمُ

﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ لا ينقصون شيئاً من أجورهم. والآية في أهل الرياء. وقيل: في المنافقين. وقيل: في الكفرة وغرضهم وبرهم. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾ مطلقاً في مقابلة ما عملوا؛ لأنهم استوفوا ما تقتضيه صور أعمالهم الحسنة، وبقيت لهم أوزار العزائم السيئة ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا﴾؛ لأنه لم يبق لهم ثواب في الآخرة، أو لم يكن لأنهم لم يريدوا به وجه الله، والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الإخلاص، ويجوز تعليق

[كقوله]؛ أي: قول زهير بن أبي سلمى:

[وإن أتاهُ خليلٌ يومَ مَسْغَبَةٍ ....]

أي: مجاعة:

[.............................. يقول لا غائبٌ مالي ولا حَرِمٍ][1]

بل يأتي كل خليل أتاه [لم يبق له]؛ أي: لما صنعوا [ويجوز أن يتعلق

---

(١) الكتاب، سيبويه [٣/٦٦].

۞ ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾.

الظرف بـ(صَنَعُوا) على أن الضمير لـ(الدُّنْيا). ﴿وَبَٰطِلٌ﴾ في نفسه ﴿مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ لأنه لم يعمل على ما ينبغي، وكأن كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها. وقرئ: (باطلاً) على أنه مفعول (يعملون) و(ما) إبهامية أو في معنى المصدر كقوله: (وَلَا خَارِجاً مِنْ فِيّ زُور كَلَامِ) وبطل على الفعل.

﴿١٧﴾ ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما يأتيه ويذره، والهمزة لإنكار أن يعقب من هذا شأنه هؤلاء المقصرين هممهم وأفكارهم على الدنيا، وأن يقارب بينهم في المنزلة، وهو الذي أغنى عن ذكر الخبر وتقديره. ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ كمن كان يريد الحياة الدنيا، وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص. وقيل: المراد به

الظرف]؛ أي: وهو «فيها» [بـ﴿صَنَعُواْ﴾ على أن الضمير «للدنيا»] وهو على الأول متعلق بـ«حبط» وضمير فيها «للآخرة» كما علم **[وكأن كل واحدة من الجملتين]**؛ أي: وهما ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا﴾ وما بعدها، فتكون الأولى منهما معللة للثانية وعلة لما قبلها **[أو في معنى المصدر]** عطف على قوله: «مفعول يعلمون»؛ أي: على أنه في معنى المصدر بمعنى وبطل بطلاناً ما كانوا يعملون **[كقوله:**

.... ولا خارجًا مِنْ فِيَّ زورُ كلامِ][1]

الشاهد في «خارجاً» فإنه بمعنى المصدر؛ أي: ولا خرج خروجاً مِنْ فِيَّ **[وهو]**؛ أي: الإنكار الواقع بعد همزته **[الذي أغنى عن ذكر الخبر]** وهذا كثير نحو ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ [فاطر: ٨] ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ﴾ [الزمر: ٩] **[وقيل: المراد به]**؛

---

(١) البيت للفرزدق:

على حِلفَةٍ لا أشتمُ الدّهرَ مسلماً ولا خارجاً مِنْ فِيَّ زور كلام»

المحكم، ابن سيده [٢/ ٢٧٩].

النبي ﷺ، وقيل: مؤمنو أهل الكتاب. ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل ﴿شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾ وَمن قَبل القرآن ﴿رَبَّكَ فَعَّالٌ﴾؛ يعني: التوراة؛ فإنها أيضاً تتلوه في التصديق، أو البينة هو القرآن ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ من التلاوة، و(الشاهد) جبريل، أو لسان الرسول ﷺ؛ على أن الضمير له، أو من التلو والشاهد ملك يحفظه. والضمير في (يَتْلُوهُ) إما لـ(من) أو للبينة باعتبار المعنى ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ جملة مبتدأة. وقرئ (كِتَابَ) بالنصب عطفاً على الضمير في (يَتْلُوهُ)؛ أي: يتلو القرآن شاهد ممن كان على بينة دالة على أنه حق كقوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأحقاف: ١٠] ويقرأ من قبل القرآن التوراة. ﴿إِمَامًا﴾ كتاباً مؤتماً به في الدين ﴿وَرَحْمَةً﴾ على المنزل عليهم لأنه الوصلة إلى الفوز بخير الدارين. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى من كان على بينة ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ من أهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله ﷺ ﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ يردها لا محالة ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ من الموعد، أو القرآن وقرئ: (مُرْيَةٍ) بالضم وهما الشك ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لقلة نظرهم واختلال فكرهم.

أي: المحكوم له بذلك [النبي ﷺ]؛ أي: لا كل مؤمن [يشهد بصحته]؛ أي: بصحة ذلك البرهان [وهو]؛ أي: الشاهد [أو البينة هو القرآن] عطف من حيث المعنى على قوله: ﴿بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [النساء: ١٧٤] والتقدير البينة برهان من الله أو القرآن ورتب على المعطوف قوله [﴿وَيَتْلُوهُ﴾ من التلاوة..] إلى آخره(١).

[ويقرأ]؛ أي: ويتلو [من قبل القرآن التوراة] شاهد [إماماً ورحمة] حالان من كتاب موسى [وهما]؛ أي: «مِرْية» بالكسر و«مُرْية» بالضم.

---

(١) الدر المصون، السمين الحلبي [١٠/ ٥٠].

۞ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَـٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿١٨﴾ - ﴿١٩﴾ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ كأن أسند إليه ما لم ينزله، أو نفى عنه ما أنزله ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾؛ أي: الكاذبون ﴿يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ في الموقف بأن يحبسوا وتعرض أعمالهم ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾ من الملائكة والنبيين، أو من جوارحهم، وهو جمع (شاهد) لـ(أصحاب)، أو (شهيد) لـ(أشراف) جمع (شريف). ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ عن دينه ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ يصفونها بالانحراف عن الحق والصواب، أو يبغون أهلها أن يعوجوا بالردة ﴿وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ والحال أنهم كافرون بالآخرة، وتكريرهم لتأكيد كفرهم واختصاصهم به.

﴿٢٠﴾ - ﴿٢٢﴾ ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: ما كانوا معجزين الله في الدنيا أن يعاقبهم ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ يمنعونهم من العقاب، ولكنه أخر عقابهم إلى هذا اليوم ليكون أشد وأدوم ﴿يُضَـٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ استئناف، وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب (يُضَعَّف) بالتشديد ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ لتصامهم عن الحق وبغضهم له. ﴿وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾ لتعاميهم عن آيات الله، وكأنه العلة لمضاعفة العذاب. وقيل: هو بيان ما نفاه من ولاية الآلهة بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ

[ما كانوا يستطيعون السمع] «ما» نافية أو مصدرية.

۞ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٣ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٤﴾.

﴿أَوۡلِيَآءَ﴾ فإن ما لا يسمع ولا يبصر؛ لا يصلح للولاية، وقوله: ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ﴾ اعتراض. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله تعالى ﴿وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ من الآلهة وشفاعتها، أو خسروا بما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوا؛ فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾ لا أحد أبين وأكثر خسراناً منهم.

٢٣ - ٢٤ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ اطمأنوا إليه وخشعوا له من: (الخبت) وهو الأرض المطمئنة. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ دائمون ﴿مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ﴾ الكافر والمؤمن ﴿كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ﴾ يجوز أن يراد به تشبيه الكافر بالأعمى لتعاميه عن آيات الله، وبالأصم لتصامه عن إسماع كلام الله تعالى وتأبيه عن تدبر معانيه، وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير؛ لأن أمره بالضد فيكون كل واحد منهما مشبهاً باثنين باعتبار وصفين، أو تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم،

[يجوز أن يراد به تشبيه الكافر بالأعمى..] إلى آخره. فرق بين التشبيهين بأن الأول وهو تشبيه الكافر بالأعمى والأصم يتفاوت فيه حال بعض أحد الفريقين فإن الأصم أهون حالاً من الأعمى والثاني بخلافه.

[أو تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم..] إلى آخره. التشبيه فيه بقسميه يحتمل أن يكون مركباً وهمياً أو عقلياً، فالوهمي من القسم الأول بأن يمثل حال فريق الكفار في تعاميهم وتصامِّهم بحال من اجتمع فيه الصفتان العمى والصمم. والعقلي منه بأن يؤخذ الزبدة والخلاصة من المجموع ويأتي ذلك في القسم الثاني

۞ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾.

والمؤمن بالجامع بين ضديهما، والعاطف لعطف الصفة على الصفة؛ كقوله: (الصّابح فالغانم فالآيبِ)؛ وهذا من باب اللف والطباق. ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ هل يستوي الفريقان. ﴿مَثَلًا﴾؛ أي: تمثيلاً، أو صفة، أو حالاً ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ بضرب الأمثال والتأمل فيها.

﴿٢٥﴾ - ﴿٢٦﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ﴾ بأني لكم. قرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على إرادة القول ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أبين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ بدل من (إِنِّي لَكُمْ)، أو مفعول مبين، ويجوز أن تكون أن مفسرة متعلقة بـ(أَرْسَلْنا) أو بـ(نَذِيرٌ). ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم، وهو في الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة: (جد جده)، و(نهاره صائم): للمبالغة.

[والعاطف]؛ أي: على التشبيه الثاني بقسميه **[كعطف الصفة على الصفة]**؛ أي: بخلافه على التشبيه الأول بقسميه فإنه كعطف الموصوف على الموصوف ويعبر عنه بعطف الذات على الذات **[وهذا من باب اللف والطباق]**(١) أما اللف ففي قوله: ﴿كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾ ومقابل اللف والنشر المشهور، وهو هنا ذكر الفريقين الكفار والمؤمنين في قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ إلى آخره. وفي قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [هود: ٢٣].. إلى آخره. وأما الطباق ففي مقابلة البصير بالأعمى والسميع بالأصم.

[ممثلاً] عبارة «الكشاف»(٢) تشبيهاً وكل منهما منصوب على التمييز **[أو صفة]**؛ أي: لمصدر محذوف؛ أي: استواء مثلاً **[أو حالاً]**؛ أي: من فاعل (يستويان) **[على طريقة «جدّ جدّه» و«نهارك صائم»]** حيث نزل في الأول: وصف الشخص منزلة

---

(١) انظر: اللباب، ابن عادل [١٠/٤٦٣].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٢/٣٦٧].

۞ ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿٢٧﴾ ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ أخسَّاؤنا، جمع (أرذل)؛ فإنه بالغلبة صار مثل الاسم كالأكبر، أو (أرذل) جمع (رذل). ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ ظاهر الرأي من غير تعمق من: (البدو)، أو أول الرأي من: (البدء)، والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها. وقرأ أبو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف؛ أي: وقت حدوث بادي الرأي، والعامل فيه (اتَّبَعَكَ). وإنما استرذلوهم لذلك أو لفقرهم فإنهم لما لم يعلموا إلا ظاهراً من الحياة الدنيا كان الأحظ بها أشرف عندهم، والمحروم منها أرذل. ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ﴾ لك ولمتبعيك ﴿عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ﴾ يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ إياك في دعوى النبوة وإياهم في دعوى العلم بصدقك؛ فغلب المخاطب على الغائبين.

الشخص وفي الثاني: الظرف منزلة الشخص لكثرة مباشرته الصوم فيه كأنه واقع منه [أو أراذُل] بضم الذال عطف على أرذَل بفتحها فأراذل جمع مفرد أو جمع جمع.

[وانتصابه بالظرف على حذف المضاف؛ أي: وقت حدوث بادي الرأي][١] مراده: ما صرح به «الكشاف» أن انتصابه على الظرف وأن أصله وقت حدوث ظاهر رأيهم، أو وقت حدوث أول رأيهم فحذف ذلك وأقيم المضاف إليه مقامه[٢] **[والعامل فيه ﴿ٱتَّبَعَكَ﴾]**؛ أي: ونراك أو الأراذل كما ذكرهما ابن عادل **[لذلك]**؛ أي: لاتباعهم نوحاً من غير رؤية ونظر في زعم مسترذليهم

---

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية [٣/١٧٨].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٢/٣٦٨].

۞ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿٢٨﴾ - ﴿٢٩﴾ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ حجة شاهدة بصحة دعواي ﴿وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾ بإيتاء البينة أو النبوة ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ فَخَفِيَت عليكم فلم تهدكم. وتوحيد الضمير لأن البينة في نفسها هي الرحمة، أو لأن خفاءها يوجب خفاء النبوة، أو على تقدير: فعميت بعد البينة، وحذفها للاختصار أو لأنه لكل واحدة منهما. وقرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿فَعَمِيَتْ﴾؛ أي: أُخفيت. وقرئ (فعماها) على أن الفعل لله. ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ أَنُكْرِهُكُم على الاهتداء بها. ﴿وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ لا تختارونها ولا تتأملون فيها، وحيث اجتمع ضميران وليس أحدهما مرفوعاً، وقدم الأعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل. ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على التبليغ، وهو وإن لم يذكر فمعلوم مما ذكر ﴿مَالًا﴾ جُعْلاً ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ فإنه المأمول منه ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ جواب لهم حين سألوا طردهم ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ فيخاصمون طاردهم عنده، أو أنهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف أطردهم ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ بلقاء ربكم، أو بأقدارهم، أو في التماس طردهم، أو تتسفهون عليهم بأن تدعوهم أراذل.

[وتوحيد الضمير]؛ أي: في «عُمِّيَت» دون تثنية لعوده إلى «البينة» و«الرحمة».

[أو لأن خفائها]؛ أي: خفاء «البينة» [أو لأن لكل واحدة منهما] عطف على «لأن البينة في نفسها» [جاز[1] في الثاني الفصل] كأن يقال بدل ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ أيلزمكم إياها [أو بأقدارهم]؛ أي: بأقدار من تطلبون طردهم.

---

(١) كما في نسخة [ج - ب] وفي نسخة [ز]: (جار) وفي نسخة [الأصل]: (حال).

۞ ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣٠ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣١﴾.

---

٣٠ - ٣١ ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ﴾ بدفع انتقامه ﴿إِن طَرَدتُّهُمۡۚ﴾ وهم بتلك الصفة والمثابة ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ لتعرفوا أن التماس طردهم وتوقيف الإيمان عليه ليس بصواب ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ رزقه وأمواله حتى جحدتم فضلي ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ عطف على ﴿عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ولا أقول لكم أنا أعلم الغيب حتى تكذبوني استبعاداً، أو حتى أعلم أن هؤلاء اتبعوني بادي الرأي من غير بصيرة وعقد قلب، وعلى الثاني: يجوز عطفه على (أقول). ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ﴾ حتى تقولوا: ما أنت إلا بشر مثلنا ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ﴾ لا أقول في شأن من استرذلتموهم لفقرهم ﴿لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ﴾ فإن ما أعده الله لهم في الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إن قلت شيئاً من ذلك، والازدراء به (افتعال) من زرى عليه إذا عابه؛ قلبت تاؤه، دالاً لتجانس الراء في الجهر وإسناده إلى الأعين للمبالغة، والتنبيه على أنهم استرذلوهم بادي الرؤية من غير روية بما عاينوا من رثاثة حالهم، وقلة منالهم دون تأمل في معانيهم وكمالاتهم.

[وعلى الثاني]؛ أي: وهو قوله: «أو حتى أعلم..» إلى آخره. **[يجوز عطفه على ﴿أَقُولُ﴾]**؛ أي: كما جاز عطفه على ﴿عِندِي﴾[1].

---

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي [١٢/٤٣].

﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿٣٢﴾ - ﴿٣٣﴾ ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا﴾ خاصمتنا ﴿فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ فأطلته أو أتيت بأنواعه ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في الدعوى والوعيد؛ فإن مناظرتك لا تؤثر فينا ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ﴾ عاجلاً أو آجلاً ﴿بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ بدفع العذاب أو الهرب منه.

﴿٣٤﴾ - ﴿٣٥﴾ ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾ شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله: ﴿إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ وتقدير الكلام: إن كان الله يريد أن يغويكم، فإن أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي، ولذلك نقول: لو قال الرجل أنت طالق إن دخلت الدار إن كلمت زيداً؛ فدخلت ثم كلمت؛ لم تطلق! وهو جواب لما أوهموا من جداله كلام بلا طائل. وهو دليل على أن إرادة الله تعالى يصح تعلقها بالإغواء، وأن خلاف مراده محال. وقيل: ﴿أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ أن يهلككم من (غوى الفصيل)

[شرط ودليل جواب]؛ أي: فيه شرط وهو قوله: ﴿إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾ ودليل جوابه وهو قوله: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي﴾ [والجملة دليل جواب قوله: ﴿إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾] جملة الكلام من باب اعتراض الشرط على الشرط، كمسألة الطلاق الآتية في كلامه فيشترط في وجوب الحكم وقوع الشرط الثاني قبل وقوع الأول [وهو]؛ أي: قوله: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي﴾ إلى آخره. [جواب..] إلى آخره [وهو]؛ أي: الجواب المذكور [دليل..] إلى آخره..

۞ ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾.

غوى إذا بشم فهلك ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾ هو خالقكم والمتصرف فيكم وفق إرادته. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فيجازيكم على أعمالكم ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى﴾ وباله؛ وقرئ (أَجْرامي) على الجمع. ﴿وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ من إجرامكم في إسناد الافتراء إلي.

﴿٣٦﴾ ـ ﴿٣٧﴾ ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ فلا تحزن ولا تتأسف ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ أقنطه الله تعالى من إيمانهم، ونهاه أن يغتم بما فعلوه من التكذيب والإيذاء ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ ملتبساً بأعيننا، عبّر بكثرة آلة الحس الذي يحفظ به الشيء ويراعى عن الاختلال، والزيغ عن المبالغة في الحفظ، والرعاية على طريق التمثيل. ﴿وَوَحْيِنَا﴾ إليك كيف تصنعها ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ ولا تراجعني فيهم، ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ محكوم عليهم بالإغراق فلا سبيل إلى كَفِّهِ.

﴿٣٨﴾ ـ ﴿٣٩﴾ ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ﴾ حكاية حال ماضية ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ﴾ استهزءوا به لعمله السفينة؛ فإنه كان يعملها في برية

[إذا بَشِمَ]؛ أي: من كثرة شرب اللبن، و«البَشَم»: التخمة قاله الجوهري(١)
[لن يؤمن من قومك]؛ أي: لن يستمر على إيمانه لقوله: ﴿إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾

(١) الصحاح، الجوهري [٧/ ١٧٥].

۞ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾.

بعيدة من الماء أوان عزته، وكانوا يضحكون منه ويقولون له: صرت نجاراً بعد ما كنت نبيّاً؟! ﴿قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ إذا أخذكم الغرق في الدنيا، والحرق في الآخرة. وقيل: المراد بالسخرية الاستجهال. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾؛ يعني به: إياهم وبالعذاب الغرق ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ﴾ وينزل عليه، أو يحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم وهو عذاب النار.

﴿٤٠﴾ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ غاية لقوله: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ﴾ [هود: ٣٨] وما بينهما حال من الضمير فيه، أو حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ نبع الماء منه وارتفع كالقدر تفور، و﴿ٱلتَّنُّورُ﴾ تنور الخبز؛ ابتدأ منه النبوع على خرق العادة، وكان في الكوفة في موضع مسجدها، أو في الهند، أو بعين وردة من أرض الجزيرة، وقيل: (التنور): وجه الأرض، أو أشرف موضع فيها ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا﴾ في السفينة ﴿مِن كُلٍّ﴾ من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها ﴿زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ ذكراً وأنثى هذا على قراءة حفص، والباقون أضافوا على معنى احمل اثنين من كل صنف ذكر وصنف أنثى ﴿وَأَهْلَكَ﴾ عطف على ﴿زَوْجَيْنِ﴾ أو ﴿ٱثْنَيْنِ﴾، والمراد: امرأته وبنوه ونساؤهم. ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ بأنه من المغرقين؛ يريد: ابنه كنعان وأمه واعلة؛ فإنهما كانا كافرين ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾ والمؤمنين من غيرهم ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قيل: كانوا تسعة وسبعين، زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة: سام،

[أو يحل عليه حلول الدَّين] أشار إلى أن في الكلام استعارة [﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾]؛ أي: عذابنا أو وقته أو كقولنا «كن» [على قراءة حفص]؛ أي: من تنوين «كُلّ» [و﴿وَأَهْلَكَ﴾ عطف على ﴿زَوْجَيْنِ﴾]؛ أي: على قراءة حفص [أو اثنين]؛ أي: على

۞ ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾.

وحام، ويافث، ونساؤهم واثنان وسبعون رجلاً وامرأة من غيرهم. روي أنه عليه الصلاة والسلام: اتخذ السفينة في سنتين من الساج، وكان طولها ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسين، وسمكها ثلاثين، وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في أسفلها الدواب والوحش، وفي أوسطها الإنس، وفي أعلاها الطير.

﴿٤١﴾ ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا﴾؛ أي: صيروا فيها وجعل ذلك ركوباً؛ لأنها في الماء كالمركوب في الأرض ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ متصل بـ(ارْكَبُوا) حال من (الواو)؛ أي: اركبوا فيها مسمين الله، أو قائلين باسم الله وقت إجرائها وإرسائها، أو مكانهما على أن المجرى والمرسى للوقت أو المكان أو المصدر، والمضاف محذوف كقولهم: (آتيك خفوق النجم)، وانتصابهما بما قدرناه حالاً ويجوز رفعهما بـ(بِسْمِ اللهِ) على أن المراد بهما المصدر أو جملة ﴿مَن﴾ مبتدأ وخبر؛ أي: إجراؤها ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ على أن ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ خبر أو صلة، والخبر محذوف؛ وهي إما جملة مقتضية لا تعلق لها بما قبلها، أو حال مقدرة من الواو، أو الهاء. وروي: أنه كان إذا أراد أن تجري قال: بسم الله، فَجَرَت، وإذا أراد أن ترسو قال: بسم الله،

قراءة الباقين [﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾[1]] عطف على ما عطف عليه «أهلك».

[أو للمصدر والمضاف محذوف] تقديره وقت إجرائها وإرسائها **[وانتصابهما بما قدرناه]**؛ أي: وهو «مسمين الله» أو قائلين: «بسم الله» **[ويجوز رفعهما]**؛ أي: على الفاعلية [بـ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾]؛ أي: استقر بـ«بسم الله إجراؤها وإرساؤها» **[أو صلة والخبر محذوف]** تقديره وإجراؤها وإرساؤها حاصلان بسم الله[2] **[أو حال مقدرة]** بمعنى: اركبوا فيها مقدرين الإجراء والإرساء؛ لأنهما لم يكونا حال الركوب فيها كقولك: «اركب الفرس سائراً على اسم الله».

---

(١) كما في نسخة [ز ـ ج ـ ب] وفي نسخة [الأصل]: (من أين).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [١٧/ ١٨٣].

۞ ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

فَرَسَت. ويجوز أن يكون الاسم مقحماً كقوله: «ثُم اسمُ السلامِ عليكُما». وقرأ حمزة والكسائي وعاصم برواية حفص (مَجْراها) بالفتح من جرى، وقرئ (مرساها) أيضاً من رسا، وكلاهما يحتمل الثلاثة و(مجريها ومرسيها) بلفظ الفاعل صفتين لله. ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته إياكم لَمَّا نَجَّاكُم.

﴿٤٢﴾ ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ﴾ متصل بمحذوف دل عليه (ارْكَبُوا) فركبوا مسمين، وهي تجري وهم فيها. ﴿فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ في موج من الطوفان، وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها، وما قيل: من أن الماء طبق ما بين السماء والأرض، وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت، والمشهور أنه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعاً، وإن صح فلعل ذلك قبل التطبيق. ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ كنعان، وقرئ (ابنها) و(ابنه) بحذف الألف على أن الضمير لامرأته، وكان ربيبه. وقيل: كان لغير رشدة، لقوله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ [هود: ١٠] وهو خطأ إذ

[**ويجوز أن يكون الاسم مقحماً**] بأن يراد بالله إجراؤها وإرساؤها؛ أي: بقدرته [**وكلاهما يحتمل الثلاثة**]؛ أي: الوقت والمكان والمصدر(١) [**وإن صح**]؛ أي: خبر التطبيق [**فلعل ذلك**]؛ أي: ما ذكر من علو الموج [**قبل التطبيق**] يوضح ذلك قول الزمخشري: فإن قلت: الموج ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره وكأن الماء قد التقى وطبق ما بين السماء والأرض وكانت الفلك تجري فيه جوف الماء(٢) كما تسبح السمكة فما معنى جريها في الموج؟ قلت: كان ذلك قبل التطبيق وقبل أن يغمر الطوفان الجبال(٣) [**وقيل: كان بغير رشدة**]؛ أي: بزنية [**لقوله**: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾

---

(١) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري [٤/ ٢٢].

(٢) في نسخة [ج ـ ب]: (السماء). (٣) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٣٧٤].

۞ ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

الأنبياء عصمن من ذلك، والمراد بالخيانة: الخيانة في الدين، وقرئ (ابناه) على الندبة، ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف. ﴿وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ﴾ عزل فيه نفسه عن أبيه، أو عن دينه مفعل للمكان من عزله عنه إذا أبعده ﴿يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا﴾ في السفينة، والجمهور كسروا الياء ليدل على ياء الإضافة المحذوفة في جميع القرآن، غير ابن كثير فإنه وقف عليها في (لقمان) في الموضع الأول باتفاق الرواة، وفي الثالث في رواية قنبل وعاصم؛ فإنه فتح ها هنا اقتصاراً على الفتح من الألف المبدلة من ياء الإضافة، واختلفت الرواية عنه في سائر المواضع، وقد أدغم الباء في الميم أبو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ في الدين والانعزال.

﴿٤٣﴾ - ﴿٤٤﴾ ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ أن يغرقني ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ إلا الراحم، وهو الله تعالى أَوْ إلّا

[التحريم: ١٦]] لا دلالة فيه على المطلوب؛ لأن خيانة المرأة لا تقتضي خيانة زوجها **[والمراد بالخيانة]**؛ أي: في قوله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ **[الخيانة في الدِّيْنِ]**؛ أي: لا في الفَرْجِ.

[ولكونها]؛ أي: الندبة **[حكاية سوغ حذف الحرف]**؛ أي: في قراءة من قرأ «ابنه» **[فإنه فتح ههنا اقتصاراً على الفتح من الألف المبدلة من ياء الإضافة]**؛ أي: في قولك: «يا بنيا» كما صرح به «الكشاف»(١) وذكر وجهاً آخر للكسر والفتح وهو سقوط الياء في الكسر والألف في الفتح **[إلا الراحم..]** إلى آخره. ذكر فيه

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٣٧٥].

مكان من رحمهم الله وهم المؤمنون، رد بذلك أن يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم اللائذ به؛ إلا معتصم المؤمنين وهو السفينة. وقيل: لا عاصم بمعنى: لا ذا عصمة؛ كقوله تعالى: ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة: ٧] وقيل: الاستثناء منقطع؛ أي: لكن من رحمه الله يعصمه. ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ﴾ بين نوح وابنه، أو بين ابنه والجبل ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ فصار من المهلكين بالماء. ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾ نوديا بما ينادي به أولو العلم، وأمرا بما يؤمرون به، تمثيلاً لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالأمر المطاع الذي يأمر المنقاد لحكمه المبادر إلى امتثال أمره، مهابة من عظمته وخشية من أليم عقابه، والبلع النشف والإقلاع الإمساك ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ نقص ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ وأنجز ما وعد من إهلاك الكافرين وإنجاء المؤمنين ﴿وَٱسْتَوَتْ﴾ واستقرت السفينة ﴿عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾ جبل بالموصل، وقيل: بالشام، وقيل: بآمل. روي: أنه ركب السفينة عاشر رجب، ونزل عنها عاشر المحرم، فصام ذلك اليوم فصار ذلك سُنَّة ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ هلاكاً لهم، يقال: بعد بعداً وبعداً، إذا بعد بعداً بعيداً بحيث لا يرجى عوده، ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء، والآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها، وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع

«الكشاف» أربعة احتمالات: لا عاصم إلا راحم، ولا معصوم إلا مرحوم، ولا عاصم إلا مرحوم، ولا معصوم إلا راحم[1]، والثلاثة الأول استثناءات متصلة بالتقدير الذي ذكره في الثاني والثالث والرابع منقطع كما ذكره فقوله: لا ذا عصمة بمعنى: «معصوم» كما أن «راضية» في «عيشة راضية» بمعنى: «مرضية».

[والبلع النَّشَف] استعار لغور الماء في الأرض البلع الذي هو إعمال الجاذبة في إدخال المطعوم في الحلق [يقال بعِد] بكسر العين [بُعْداً] بضم الباء وإسكان العين [وبَعَداً] بفتحهما [ثم استعير للهلاك] قد يمنع أنه استعارة بل أصل لقول

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٣٧٥].

۞ ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

الإيجاز الخالي عن الإخلال، وفي إيراد الأخبار على البناء للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل، وأنه متعين في نفسه مستغن عن ذكره، إذ لا يذهب الوهم إلى غيره للعلم بأن مثل هذه الأفعال لا يقدر عليها سوى الواحد القهار.

﴿٤٥﴾ - ﴿٤٦﴾ ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ﴾ وأراد نداءه بدليل عطف قوله: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ فإنه النداء ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾ وإن كل وعد تعده حق لا يتطرق إليه الخلف، وقد وعدت أن تنجي أهلي فما حاله، أو فما له لم ينج، ويجوز أن يكون هذا النداء قبل غرقه ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ لأنك أعلمهم وأعدلهم، أو لأنك أكثر حكمة من ذوي الحكم على أن الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع. ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ﴾ لقطع الولاية بين المؤمن والكافر، وأشار إليه بقوله: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ﴾ فإنه تعليل لنفي كونه من أهله، وأصله إنه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة:

ترتع مَا رتعت حَتى إِذَا ادَّكَرَت ... فَإِنَّمَا هي إقبالٌ وإِدْبَارٌ

ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحاً بالمناقضة بين وصفيهما،

الجوهري: والبَعَد الهلاك[1] [على أن الحاكم]؛ أي: بناء على أن الحاكم مأخوذ [من الحكمة..] إلى آخره. [ثم بدل]؛ أي: الله في الآية [بين وصفيهما]؛ أي: وصفي نوح وابنه.

(١) الصحاح، الجوهري [٣/ ٢٧].

۞ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾﴾.

وانتفاء ما أوجب النجاة لمن نجا من أهله عنه. وقرأ الكسائي ويعقوب (إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صالِحٍ)؛ أي: عمل عملاً غير صالح ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ﴾ ما لا تعلم أصواب هو أم ليس كذلك! وإنما سمي نداءه سؤالاً لتضمن ذكر الوعد بنجاة أهله استنجازه في شأن ولده، أو استفسار المانع للانجاز في حقه، وإنما سماه جهلاً وزجر عنه بقوله: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾؛ لأن استثناء من سبق عليه القول من أهله قد دله على الحال وأغناه عن السؤال، لكن أشغله حب الولد عنه حتى اشتبه عليه الأمر. وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون الشديدة؛ وكذلك نافع وابن عامر غير أنهما كسرا النون على أن أصله تسألنني فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء، ثم حذفت اكتفاء بالكسرة، وعن نافع برواية رويس إثباتها في الوصل.

﴿٤٧﴾ - ﴿٤٨﴾ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ﴾ فيما يستقبل ﴿مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ﴾ ما لا علم لي بصحته ﴿وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي﴾ وإن لم تغفر لي ما فرط مني في السؤال ﴿وَتَرۡحَمۡنِيٓ﴾ بالتوبة والتفضل علي ﴿أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ أعمالاً ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا﴾ انزل من السفينة مسلماً من المكاره من جهتنا أو مسلماً عليك ﴿وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ﴾ ومباركاً عليك أو زيادات في نسلك حتى تصير آدماً ثانياً.

[وانتفاء] عطف على «المناقضة» [ما أوجب النجاة] هو العمل الصالح [عنه]؛ أي: عن ابن نوح وهو متعلق بانتفاء [لتضمن ذكر الوعد] وفي نسخ: الموعد [بنجاة أهله] متعلق بالوعد أو الموعد [استنجازه] مفعول متضمن [لكن اشغله حب الولد عنه]؛ أي: عن ما يدل له على الحال [حتى تصير آدماً ثانياً][1]؛ أي: كآدم في كثرة

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [٣/٢٣٨].

۞ ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾﴾.

وقرئ (أُهبط) بالضم (وبركة) على التوحيد؛ وهو الخير النامي ﴿وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ وعلى أمم هم الذين معك، سموا أمماً لتحزبهم، أو لتشعب الأمم منهم، أو: وعلى أمم ناشئة ممن معك؛ والمراد بهم المؤمنون لقوله: ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾؛ أي: وممن معك أمم سنمتعهم في الدنيا. ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة والمراد بهم: الكفار من ذرية من معه. وقيل: هم قوم هود وصالح ولوط وشعيب، والعذاب ما نزل بهم.

﴿٤٩﴾ ﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى قصة نوح، ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها: ﴿مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ﴾؛ أي: بعضها ﴿نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ خبر ثان، والضمير لها؛ أي: موحاة إليك، أو حال من الـ﴿أَنبَاءِ﴾ أو هو الخبر و﴿مِنْ أَنبَاءِ﴾ متعلق به، أو حال من الهاء في (نُوحِيها). ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ﴾ هذا خبر آخر؛ أي: مجهولة عندك وعند قومك من قبل إيحائنا إليك، أو حال من الهاء في نوحيها أو الكاف في (إِلَيْكَ)؛ أي: جاهلاً أنت وقومك بها، وفي ذكرهم تنبيه على أنه لم يتعلمها إذ لم يخالط غيرهم، وأنهم مع كثرتهم لما لم يسمعوها فكيف بواحد منهم. ﴿فَاصْبِرْ﴾ على مشاق الرسالة، وأذية القوم كما صبر نوح ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ﴾ في الدنيا بالظفر وفي الآخرة بالفوز ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ عن الشرك والمعاصي.

﴿٥٠﴾ ـ ﴿٥١﴾ ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ عطف على قوله: ﴿نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾

نسله وإنما صرفه لأنه الآن في معنى النكرة [﴿وَعَلَىٰ أُمَمٍ﴾ **هم الذين معك**] أشار به إلى أن «مِنْ» بيانية [**أو على أمم ناشئة ممن معك**] أشار به إلى أن «من» ابتدائية

۞ ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

[هود: ٢٥] و﴿هُودٗاۚ﴾ عطف بيان ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وحده ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ﴾ وقرئ بالجر حملاً على المجرور وحده ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ﴾ على الله باتخاذ الأوثان شركاء وجعلها شفعاء ﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ﴾ خاطب كل رسول به قومه إزاحة للتهمة وتمحيضاً للنصيحة؛ فإنها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ أفلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطأ.

﴿٥٢﴾ - ﴿٥٣﴾ ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ اطلبوا مغفرة الله بالإيمان ثم توسلوا إليها بالتوبة؛ وأيضاً التبري من الغير إنما يكون بعد الإيمان بالله، والرغبة فيما عنده. ﴿يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا﴾ كثير الدر ﴿وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ﴾ ويضاعف قوتكم، وإنما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة؛ لأنهم كانوا أصحاب زروع وعمارات. وقيل: حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم ثلاثين سنة؛ فوعدهم هود عليه السلام على الإيمان والتوبة بكثرة الأمطار وتضاعف القوة بالتناسل ﴿وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ﴾ ولا تعرضوا عما أدعوكم إليه ﴿مُجۡرِمِينَ﴾ مصرين على إجرامكم. ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ﴾ بحجة تدل على صحة دعواك؛ وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات ﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا﴾ بتاركي عبادتهم ﴿عَن قَوۡلِكَ﴾ صادرين عن قولك؛ حال من الضمير في (تاركي) ﴿وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ إقناط له من الإجابة والتصديق.

[فإنها لا تنجع]؛ أي: لا تؤثر [مصرين] فسر به مجرمين؛ لأنهم كانوا مجرمين

۞ ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿٥٤﴾ ـ ﴿٥٦﴾ ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ﴾ ما نقول إلا قولنا: ﴿ٱعْتَرَىٰكَ﴾؛ أي: أصابك من عراه يعروه إذا أصابه ﴿بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ﴾ بجنونٍ لِسَبِّكَ إياها، وصدك عنها؛ ومن ذلك تهذي وتتكلم الخرافات. والجملة مقول القول، و(إلا) لغو لأن الاستثناء مفرغ ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ أجاب به عن مقالتهم الحمقاء بأن أشهد الله تعالى على براءته من آلهتهم، وفراغه عن إضرارهم تأكيداً لذلك وتثبيتاً له، وأمرهم بأن يشهدوا عليه استهانة بهم، وأن يجتمعوا على الكيد في إهلاكه من غير إنظار؛ حتى إذا اجتهدوا فيه، ورأوا أنهم عجزوا عن آخرهم؛ وهم الأقوياء الأشداء أن يضروه لم يبق لهم شبهة أن آلهتهم التي هي جماد لا يضر ولا ينفع لا تتمكن من إضراره انتقاماً منه، وهذا من جملة معجزاته فإن مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة، الفتاك، العطاش إلى إراقة دمه بهذا الكلام ليس إلا لثقته بالله، وتثبطهم عن إضراره ليس إلا بعصمته إياه، ولذلك عقبه بقوله: ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمۚ﴾ تقريراً له، والمعنى: أنكم وإن بذلتم غاية وسعكم لن تضروني؛ فإني متوكل على الله واثق بكلاءته، وهو مالكي ومالككم لا يحيق بي ما لم يرده، ولا تقدرون على ما لم يقدره، ثم برهن عليه بقوله: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾؛ أي: إلا وهو مالك لها قادر عليها، يصرفها على ما يريد بها

[والجملة]؛ أي: جملة ﴿ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ﴾ [وإلا لغو]؛ أي: لا عمل لها في اللفظ؛ لأنه يؤتى بها لمعاونة الفعل في الاستثناء المفرع وهو هنا مفرع أما في المعنى فلها عمل كما لا يخفى.

۞ ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔاۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾.

والأخذ بالنواصي تمثيل لذلك ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾؛ أي: أنه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم.

﴿٥٧﴾ ـ ﴿٥٨﴾ ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ فإن تتولوا. ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْۚ﴾ فقد أديت ما علي من الإبلاغ، وإلزام الحجة؛ فلا تفريط مني، ولا عذر لكم فقد أبلغتكم ﴿مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْۚ﴾ ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ استئناف بالوعيد لهم بأن الله يهلكهم، ويستخلف قوماً آخرين في ديارهم وأموالهم، أو عطف على الجواب بالفاء، ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع؛ كأنه قيل: وإن تتولوا يعذرني ربي ويستخلف ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ﴾ بتوليكم ﴿شَيْـًٔاۚ﴾ من الضرر، ومن جزم يستخلف أسقط النون منه. ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾ رقيب فلا تخفى عليه أعمالكم، ولا يغفل عن مجازاتكم، أو حافظ مستول عليه فلا يمكن أن يضره شيء ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ عذابنا، أو أمرنا العذاب. ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ وكانوا أربعة آلاف ﴿وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ تكرير لبيان ما نجاهم منه وهو السموم، كانت تدخل أنوف الكفرة وتخرج من أدبارهم فتقطع أعضاءهم، أو المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة أيضاً، والتعريض بأن المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ.

﴿٥٩﴾ ـ ﴿٦٠﴾ ﴿وَتِلْكَ عَادٌۖ﴾ أنث اسم الإشارة باعتبار القبيلة، أو لأن

[تمثيل لذلك]؛ أي: لكون كل دابة في قبضته [لا يضيع عنده معتصم]؛ أي:

۞ ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾.

الإشارة إلى قبورهم وآثارهم ﴿جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ كفروا بها ﴿وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ﴾ لأنهم عصوا رسولهم، ومن عصى رسولاً فكأنما عصى الكل؛ لأنهم أمروا بطاعة كل رسول ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾؛ يعني: كبراءهم الطاغين و﴿عَنِيدٍ﴾ من عند عنداً وعنداً وعنوداً إذا طغى، والمعنى: عصوا من دعاهم إلى الإيمان، وما ينجيهم، وأطاعوا من دعاهم إلى الكفر وما يرديهم ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾؛ أي: جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم في العذاب ﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ﴾ جحدوه، أو كفروا نعمه، أو كفروا به؛ فحذف الجار. ﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ﴾ دعاء عليهم بالهلاك، والمراد به: الدلالة على أنهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكي عنهم، وإنما كرر (ألا)، وأعاد ذكرهم تفظيعاً لأمرهم، وحثّاً على الاعتبار بحالهم. ﴿قَوْمِ هُودٍ﴾ عطف بيان لـ(عاد)، وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية (عاد إرم)، والإيماء إلى أن استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود.

﴿٦١﴾ ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ هو كونكم منها لا غيره فإنه خلق آدم ومواد النطف التي خلق نسله منها من التراب. ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ عمركم فيها واستبقاكم من العمر، أو أقدركم على عمارتها وأمركم بها، وقيل: هو من العمري بمعنى: أعمركم فيها دياركم، ويرثها منكم بعد انصرام أعماركم، أو جعلكم

به كما صرح به «الكشاف»[1] [تمييزهم عن عاد الثانية عادَ إِرَمْ]؛ أي: فعاد الأولى قوم هود [أو جعلكم] عطف على «أعمركم» والتقدير وقيل: من العمرى بمعنى:

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٣٨٣].

۞ ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾﴾.

معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ﴾ قريب الرحمة ﴿مُّجِيبٌ﴾ لداعيه.

﴿٦٢﴾ - ﴿٦٣﴾ ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ﴾ هذا لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد أن تكون لنا سيداً ومستشاراً في الأمور، أو أن توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك. ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ على حكاية الحال الماضية ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ من التوحيد والتبري عن الأوثان ﴿مُرِيبٍ﴾ موقع في الريبة من أرابه، أو ذي ريبة على الإسناد المجازي من: (أراب في الأمر). ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾ بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين. ﴿وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً﴾ نبوة ﴿فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ﴾ فمن يمنعني من عذابه ﴿إِنْ عَصَيْتُهُۥ﴾ في تبليغ رسالته والمنع عن الإشراك به ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِى﴾ إذن باستتباعكم إياي ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ غير أن تخسروني بإبطال ما منحني الله به والتعرض لعذابه، أو فما تزيدونني بما تقولون لي غير أن أنسبكم إلى الخسران.

﴿٦٤﴾ - ﴿٦٥﴾ ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ انتصب آية على

أعمركم أو بمعنى: جعلكم [معمرين..] إلى آخره. [موقع..] إلى آخره. أشار بالأول إلى أن «أَرَابَ» متعد وبالثاني إلى أنه قاصر، وقوله: على الإسناد المجازي راجع

۞ ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾ .

الحال وعاملها معنى الإشارة، و(لكم) حال منها تقدمت عليها لتنكيرها. ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ ترع نباتها وتشرب ماءها ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بالسوء إلا يسيراً، وهو ثلاثة أيام ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ﴾ عيشوا في منازلكم، أو في داركم الدنيا. ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ الأربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون ﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾؛ أي: غير مكذوب فيه، فاتسع فيه بإجرائه مجرى المفعول به كقوله: (وَيَوْماً شَهِدْنَاهُ سُلِيماً وَعَامِراً)، أو غير مكذوب على المجاز، وكأن الواعد قال له: أفي بك، فإن وفى به صدقة وإلا كذبه، أو وعد غير كذب؛ على أنه مصدر كالمجلود والمعقول.

﴿٦٦﴾ ـ ﴿٦٨﴾ ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ﴾؛ أي: ونجيناهم من خزي يومئذ، وهو هلاكهم

إليهما وإنما كان مجازاً؛ لأن الشك لا يوصف حقيقة بكونه مريباً [كقوله]؛ أي: الشاعر في وصف معركة:

[ويوم.. ....]

وربَّ يوم [شَهِدْنَاهُ]؛ أي: شهدنا فيه [سُلَيماً وعامِرا] تمامه:

.... **قليلٌ سِوَى الطَّعنِ الدِّراكِ نوافِلُه**[1]

وقليل صفة يوم، والدراك؛ أي: المتتابعة، ونوافله فاعل «قليل» والنافلة العطية إذا كانت تطوعاً [قال له]؛ أي: للوعد [فإن وفَّى]؛ أي: الواعد [به]؛ أي: بالوعد [صدَقَه] بالتخفيف؛ أي: صدق الواعد وعده.

---

(١) مجمع الأمثال، النيسابوري [١/ ١٢].

۞ ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾.

بالصيحة، أو ذلهم وفضيحتهم يوم القيامة. وعن نافع ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف إليه هنا، وفي (المعارج) في قوله: ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾ [المعارج: ١١] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ القادر على كل شيء والغالب عليه. ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ قد سبق تفسير ذلك في سورة (الأعراف). ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ﴾ نوَّنَهُ أبو بكر ها هنا، وفي (النجم) والكسائي في جميع القرآن، وابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو في قوله: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ ذهاباً إلى الحي أو الأب الأكبر.

﴿٦٩﴾ ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾؛ يعني: الملائكة، قيل: كانوا تسعة، وقيل: ثلاثة جبريل وميكائيل وإسرافيل. ﴿بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ ببشارة الولد. وقيل: بهلاك قوم لوط ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ﴾ سلمنا عليك سلاماً ويجوز نصبه بـ(قالُوا) على معنى ذكروا سلاماً ﴿قَالَ سَلَٰمٌ ۖ﴾؛ أي: أمركم، أو جوابي سلام، أو: وعليكم سلام، رفعه إجابة بأحسن من تحيتهم. وقرأ حمزة والكسائي (سِلْم) وكذلك في (الذاريات) وهما لغتان كـ(حرم) و(حرام)، وقيل: المراد به الصلح. ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ ....

[وعن نافع]؛ أي: والكسائي وأبو جعفر [سلام؛ أي: «أمركم»] يريد أن «سلام» خبر مبتدأ محذوف؛ أي: «أمركم سلام» كما صرح به «الكشاف»[1] وغيره، لكن غيرهما قدر «أمري» بدل «أمركم».

[رفعه] مبتدأ خبره أجابه أي ورفع «سلام» إجابة من إبراهيم عليه السلام [بأحسن من تحيتهم] فصار مندرجاً في قوله تعالى: ﴿فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ﴾ [النساء: ٨٦] فالباء متعلقة

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٣٨٦].

۞ ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾.

فما أبطأ مجيئه به، أو فما أبطأ في المجيء به، أو فما تأخر عنه والجار في ﴿أَنْ﴾ مقدر، أو محذوف، و(الحنيذ): المشوي بالرضف. وقيل: الذي يقطر ودكه؛ من حنذت الفرس إذا عرفته بالجلال لقوله: ﴿بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: ٢٦].

﴿٧٠﴾ - ﴿٧١﴾ ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ لا يمدون إليه أيديهم. ﴿نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أنكر ذلك منهم، وخاف أن يريدوا به مكروهاً، ونكر وأنكر واستنكر بمعنىً، والإيجاس الإدراك، وقيل: الإضمار، قالوا له لما أحسوا منه أثر الخوف: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ إنا ملائكة مرسلة إليهم بالعذاب، وإنما لم نمد إليه أيدينا لأنا لا نأكل. ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ﴾ وراء الستر تسمع محاورتهم، أو على رؤوسهم للخدمة ﴿فَضَحِكَتْ﴾ سروراً بزوال الخيفة، أو بهلاك أهل الفساد، أو بإصابة رأيها؛ فإنها كانت تقول لإبراهيم: اضمم إليك لوطاً؛ فإني أعلم أن العذاب ينزل بهؤلاء القوم. وقيل: فضحكت؛ فحاضت قال الشاعر:

بالإجابة [فما أبطأ مجيبه به..] إلى آخره. ذكر في تفسير الآية ثلاثة أوجه معروفة من كلامه في تفسير «لبث» وجهين: «أبطأ» و«تأخر» وفي فاعله وجهين أيضاً «أن جاؤوا إبراهيم» وذكر في الآخرين من تفاسير الآية أن الجار وهو «في» في أولهما، و«عن» في ثانيهما مقدر أو محذوف [بالرضف] هو الحجارة المحماة قاله الجوهري(١) [اضمم إليك لوطا] هو ابن أخيه كما في «الكشاف»(٢) [قال]؛ أي: الشاعر:

---

(١) الصحاح، الجوهري [٦/ ٥٥].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٣٨٨].

وَعَهْدِي بِسَلْمَى ضَاحِكاً فِي لُبَانَة وَلَمْ يَعْدُ حُقّاً ثَدْيِهَا أَنْ تَحَلَّمَا

ومنه: ضحكت السمرة إذا سال صمغها، وقرئ بفتح الحاء. ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره: ووهبناها من وراء إسحاق يعقوب. وقيل: إنه معطوف على موضع ﴿بِإِسْحَٰقَ﴾ [الصافات: ١١٢] أو على لفظ: ﴿إِسْحَٰقَ﴾، وفتحته للجر؛ فإنه غير مصروف، ورد للفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف. وقرأ الباقون بالرفع على أنه مبتدأ، وخبره الظرف؛ أي: ويَعْقُوبَ مولود من بعده. وقيل: الوراء ولد الولد، ولعله سمي به لأنه بعد الولد، وعلى هذا تكون إضافته إلى (إِسْحاقَ) ليس من حيث أن يعقوب عليه الصلاة والسلام وراءه؛ بل من حيث إنه وراء إبراهيم من جهته؛ وفيه نظر. والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيى، ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد أن ولدا فسميا به، وتوجيه البشارة إليها للدلالة على أن الولد

[وَعَهْدِي بِسَلْمَى ضاحكا.......... ....]

أي: حائضاً [في لِبَانَةٍ]؛ أي: في جماعة من النساء [ولم يَعْدُ]؛ أي: يجاوز(١) [حُقًّا ثَدْيِها أنْ تَحَلَّما] بالفوقية؛ أي: «سلمى» فالألف للإطلاق أو بالتحتية؛ أي: «الحقّان» فالألف للتثنية والمعنى: أن يسمن أو أن يسمنا. قال الجوهري: يحلم الصبي والضب إذا سمن واكتنز(٢) [من بعده]؛ أي: بعد إسحاق [ولعله]؛ أي: ولد الولد [به]؛ أي: بـ«الوراء» [تكون إضافته ليس من حيث أن يعقوب وراءه]؛ أي: وراء إسحاق بالمعنى المذكور فوراؤه مرفوع خبر «أَنَّ» [بل من حيث أنه وراء إبراهيم] فيكون ولد ولده.

[وفيه نظر]؛ أي: لما فيه من التعسف [والاسمان محتمل وقوعهما في البشارة]؛ أي: فتكون التسمية بهما واقعة في البشارة [بيحيى]؛ أي: في أن ولد زكريا سمي يحيى في البشارة [فسميا]؛ أي: مسمى الاسمين [به]؛ يعني: بما ذكر

---

(١) كما في نسخة [ز - ج - ب] وفي نسخة [الأصل]: (يحاذر).
(٢) الصحاح، الجوهري [٧/ ٢٠٥].

۞ ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾.

المبشر به يكون منها لا من هاجر؛ ولأنها كانت عقيمة حريصة على الولد.

﴿٧٢﴾ ـ ﴿٧٣﴾ ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ يا عجباً، وأصله في الشر فأطلق على كل أمر فظيع. وقرئ بالياء على الأصل ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾ ابنة تسعين أو تسع وتسعين ﴿وَهَٰذَا بَعْلِى﴾ زوجي، وأصله القائم بالأمر ﴿شَيْخًا﴾ ابن مائة أو مائة وعشرين، ونصبه على الحال والعامل فيها معنى اسم الإشارة. وقرئ بالرفع على أنه خبر محذوف؛ أي: هو شيخ، أو خبر بعد خبر، أو هو الخبر و(بَعْلِي) بدل. ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾؛ يعني: الولد من هَرِمَيْن، وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة، ولذلك: ﴿قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ منكرين عليها؛ فإن خوارق العادات باعتبار أهل بيت النبوة ومهبط المعجزات، وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بأن يستغربه عاقل فضلاً عمن نشأت وشابت في ملاحظة الآيات، و(أهل البيت) نصب على المدح، أو النداء؛ لقصد التخصيص كقولهم: اللَّهُمَّ اغفر لنا أيتها العصابة. ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ﴾ فاعل ما يستوجب به الحمد ﴿مَّجِيدٌ﴾ كثير الخير والإحسان.

﴿٧٤﴾ ـ ﴿٧٦﴾ ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ﴾؛ أي: ما أوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم ﴿وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ بدل (الروع). ﴿يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾

من الاسمين ولو قال بهما كان أَوْلَى [وبـ«على» بدل]؛ أي: من هذا [ما أوجس من الخيفة] تفسير للروع [واطمأن قلبه بعرفانهم] عطف على «ذهب» عطف تفسير(١)

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [١٨/ ٢٤].

۞ ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾.

يجادل رسلنا في شأنهم، ومجادلته إياهم قوله: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ﴾ [العنكبوت: ٣٢] وهو إما جواب لما جيء به مضارعاً على حكاية الحال، أو لأنه في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب (لو)، أو دليل جوابه المحذوف مثل: اجترأ على خطابنا، أو شرع في جدالنا، أو متعلق به أقيم مقامه مثل: أخذ أو أقبل يجادلنا. ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ غير عجول على الانتقام من المسيء إليه ﴿أَوَّٰهٌ﴾ كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس ﴿مُّنِيبٌ﴾ راجع إلى الله. والمقصود من ذلك: بيان الحامل له على المجادلة؛ وهو رقة قلبه وفرط ترحمه. ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ على إرادة القول؛ أي: قالت الملائكة: يَا إِبْراهِيمُ ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ﴾ الجدال ﴿إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ﴾ قدره بمقتضى قضائه الأزلي بعذابهم، وهو أعلم بحالهم ﴿وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ مصروف بجدال، ولا دعاء، ولا غير ذلك.

﴿٧٧﴾ - ﴿٧٨﴾ ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ﴾ ساءه مجيئهم لأنهم جاءوه في صورة غلمان، فظن أنهم أناس، فخاف عليهم أن يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ وضاق بمكانهم صدُره، وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه ﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ شديد، من: (عصبه) إذا شده. ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ يسرعون إليه كأنهم يدفعون دفعاً لطلب الفاحشة من أضيافه ﴿وَمِن قَبْلُ﴾؛ أي: ومن

[أو لأنه]؛ أي: المضارع إذا كان [في سياق الجواب] كما هنا يكون [بمعنى الماضي كجواب «لو»] إذا وقع مضارعاً [أو متعلق]؛ أي: يجادلنا [به]؛ أي: بالمحذوف الذي هو الجواب حقيقة.

۞ ﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾.

قبل ذلك الوقت ﴿كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الفواحش فتمرنوا بها، ولم يستحيوا منها حتى جاءوا يهرعون لها مجاهرين ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾ فدى بهن أضيافه كرماً وحمية، والمعنى: هؤلاء بناتي فتزوجوهن، وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم لخبثهم، وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار؛ فإنه شرع طارئ، أو مبالغة في تناهي خبث ما يرومونه حتى إن ذلك أهون منه، أو إظهاراً لشدة امتعاضه من ذلك كي يرقوا له. وقيل: المراد بالبنات نساؤهم؛ فإن كل نبي أبو أمته من حيث الشفقة والتربية وفي حرف ابن مسعود: (وَأَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ وهو أب لهم) ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ أنظف فعلاً وأقل فحشاً كقولك: (الميتة أطيب من المغصوب وأحل منه). وقرئ (أَطْهَرَ) بالنصب على الحال على أن ﴿هُنَّ﴾ خبر ﴿بَنَاتِي﴾ كقولك: (هذا أخي هو الأفضل فإنه لا يقع بين الحال وصاحبها). ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بترك الفواحش أو بإيثارهن عليهم ﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾ ولا تفضحوني؛ من الخزي، أو: ولا تخجلوني من الخزاية بمعنى الحياء ﴿فِي ضَيْفِيٓ﴾ في شأنهم؛ فإن إخزاء ضيف الرجل إخزاؤه ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ يهتدي إلى الحق ويرعوي عن القبيح.

﴿٧٩﴾ ـ ﴿٨٠﴾ ﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ وهو إتيان الذُّكران ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ لو قويت بنفسي على دفعكم ﴿أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ إلى قوي أتمنع به عنكم. شبهه بركن الجبل في شدته. وعن النبي ﷺ: «**رحم الله أخي لوطاً كان يأوي إلى ركن شديد**». وقرئ (أَوْ

[**امتعاضه**]؛ أي: غيظه [**وفي حرف ابن مسعود**]؛ أي: قراءته [**بالنصب**]؛ أي: على الحال [**لا فصل**]؛ أي: لا ضمير فصل [«**رحم الله أخي لوطاً**»] إلى آخره. رواه

۞ ﴿قَالُوا يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾.

آوِيَ) بالنصب بإضمار (أن) كأنه قال: لو أن لي بكم قوة أو أوياً، وجواب (لَوْ) محذوف تقديره: لدفعتكم. روي: (أنه أغلق بابه دون أضيافه وأخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار، فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب).

﴿٨١﴾ ﴿قَالُوا يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا إِلَيْكَ﴾ لن يصلوا إلى إضرارك بإضرارنا فهوِّن عليك ودعنا وإياهم، فخلاهم أن يدخلوا فضرب جبريل عليه السلام بجناحه وجوههم، فطمس أعينهم وأعماهم، فخرجوا يقولون: النجاء النجاء! فإن في بيت لوط سحرة. ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ بالقطع من الإسراء، وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع في القرآن من: (السرى). ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ بطائفة منه ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ ولا يتخلف أو لا ينظر إلى ورائه، والنهي في اللفظ: لأحد، وفي المعنى: للوط. ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ استثناء من قوله: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ ويدل عليه أنه قرئ: (فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك)، وهذا إنما يصح على تأويل الالتفات بالتخلف؛

الشيخان[1]، والركن الشديد نصر الله ومعونته، فكان النبي ﷺ استغرب من لوط عليه الصلاة والسلام قوله: ﴿أَوْ ءَاوِيٓ﴾، وعدّه نادرة إذ لا يمكن أشد من الركن الذي كان يأوي إليه [أوي] بضم الهمزة وكسر الواو وتشديد الياء مصدر أول به «آوى» مع «أن» المضمرة.

[استثناء من قوله: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾]؛ أي: فيكون المستثنى منصوباً وهي قراءة أكثر القراء كما يدل له كلامه بعد [ويدل عليه]؛ أي: على أن الاستثناء من ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ [أنه قرأ «فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك»]؛ أي: بحذف ولا

---

(١) صحيح البخاري [٣/١٢٣٩/ برقم: ٣٢٠٧]، صحيح مسلم [١/١٣٣/ برقم: ١٥١].

فإنه إن فسر بالنظر إلى الوراء في الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير وأبي عمرو بالرفع على البدل من (أحد)، ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين في أنه خلفها مع قومها، أو أخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت: يا قوماه! فأدركها حجر فقتلها. لأن القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة، والأولى جعل الاستثناء في القراءتين من قوله: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ﴾ مثله في قوله تعالى: ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٦٦] ولا يبعد أن يكون أكثر القراء على غير الأفصح، ولا يلزم من ذلك أمرها بالالتفات؛ بل عدم نهيها عنه استصلاحاً؛ ولذلك علل على طريقة الاستئناف بقوله: ﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾ ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعاً على قراءة الرفع. ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾ كأنه علة الأمر بالإسراء ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب.

يلتفت منكم أحد[1] [**فإنه إن فُسِّرَ بالنظر إلى الوراء في الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير**..] إلى آخره؛ لأن لوطاً إن سرى بامرأته فليست مستثناة إلا من قوله: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ [هود: ٨١] وإن لم يسر بها فليست مستثناة إلا من ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ فيلزم أنها «سرت ولم تَسْرِ» مع أن القصة واحدة؟!. ومن ثم قال: [**والأَوْلى**]؛ أي: بعد ما ذكر [**جعل الاستثناء في القراءتين**..] إلى آخره[2]. ومع ذلك فأجيب عن التناقض بأن النهي عن الإسراء بها لا يمنع بأنها سرت بنفسها، وبأن الإسراء مقيد في المعنى بعدم الالتفات؛ أي: أسري بأهلك إسراء لا التفات فيه إلا امرأتك فإنك تسري بها إسراء مع الالتفات، فالاستثناء من كل من الأمرين صحيح، إذ المعنى: «فأسر بأهلك إسراءً لا التفات فيه ولا يلتفت منكم أحد في الإسراء إلا امرأتك فيهما».

[**ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعاً على قراءة الرفع**]؛ أي: لدخولها في عموم

---

(١) الحجة في القراءات، ابن خالويه [٢/٩].
(٢) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١٠/١٠٦].

۞ ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾.

﴿٨٢﴾ - ﴿٨٣﴾ ﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ عذابنا، أو أمرنا به، ويؤيده الأصل وجعل التعذيب مسبباً عنه بقوله: ﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ فإنه جواب (لما) وكان حقه: جعلوا عاليها سافلها؛ أي: الملائكة المأمورون به، فأسند إلى نفسه من حيث إنه المسبب تعظيماً للأمر فإنه روي: (أن جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت مدائنهم، ورفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة؛ ثم قلبها عليهم). ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾ على المدن أو على شُذَّاذها ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ من طين متحجر لقوله: ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ [الذاريات: ٣٣] وأصله (سنك كل) فَعُرِّب. وقيل: إنه من أسجله إذا أرسله أو أدر عطيته، والمعنى: من مثل الشيء المرسل أو من مثل العطية في الإدرار، أو من السجل؛ أي: مما كتب الله أن يعذبهم به، وقيل: أصله من سجين؛ أي: من جهنم فأبدلت نونه لاماً ﴿مَّنضُودٍ﴾ نُضِّدَ مُعَدّاً لعذابهم، أو نضد في الإرسال بتتابع بعضه بعضاً كقطار الأمطار، أو نضد بعضه على بعض وألصق به. ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ معلمة للعذاب. وقيل: معلمة ببياض وحمرةً. أو بسيما تتميز به عن حجارة الأرض، أو باسم من يرمى بها. ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ في خزائنه. ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ فإنهم بظلمهم حقيق بأن تمطر عليهم، وفيه وعيد لكل ظالم. وعنه عليه الصلاة والسلام: **«أنه سأل جبريل عليه السلام فقال: - يعني: ظالمي أمتك - ما من ظالم منهم إلا**

أحد[1] [أي: مما كتب الله أن يعذبهم به] قيل: وهذا أجود الأقوال وأحسنها لقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين: ٧ - ٩] وسجيل في معنى سجين كما يشير إليه قوله: «وقيل أصله من سجين..» إلى

---

(١) انظر: المقتضب، المبرد [٢/ ٢٨٢].

۞ ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة». وقيل: الضمير للقرى؛ أي: هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في أسفارهم إلى الشام، وتذكير البعيد على تأويل الحجر أو المكان.

﴿٨٤﴾ ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ﴾ أراد أولاد مدين بن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، أو أهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ﴾ أمرهم بالتوحيد أولاً؛ فإنه ملاك الأمر، ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ بسعة تغنيكم عن البخس، أو بنعمة حقها أن تتفضلوا على الناس شكراً عليها لا أن تنقصوا حقوقهم، أو بسعة فلا تزيلوها بما أنتم عليه؛ وهو في الجملة علة للنهي ﴿وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ لا يشذ منه أحد منكم. وقيل: عذاب مهلك من قوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ [الكهف: ٤٢]. والمراد: عذاب يوم القيامة، أو عذاب الاستئصال، ووصف اليوم بالإحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله عليه.

﴿٨٥﴾ ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ صرح بالأمر بالإيفاء بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيهاً على أنه لا يكفيهم الكف عن تعمدهم التطفيف؛ بل يلزمهم السعي في الإيفاء ولو بزيادة لا يتأتى بدونها. ﴿بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾ بالعدل والسوية من غير زيادة ولا نقصان، فإن الازدياد إيفاء وهو مندوب غير

آخره. [**وقيل: الضمير**]؛ أي: ضمير «هي» [**للقُرى**]؛ أي: بخلاف الأول فإنه «للحجارة» [**وتذكير «بعيد» على تأويل الحجر أو المكان**]؛ أي: أو على أن «فعيلاً»

۞ ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾.

مأمور به وقد يكون محظوراً. ﴿وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ تعميم بعد تخصيص؛ فإنه أعم من أن يكون في المقدار، أو في غيره وكذا قوله: ﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ فإن العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من أنواع الفساد. وقيل: المراد بالبخس المكس كأخذ العشور في المعاملات، و(العثو): السرقة وقطع الطريق والغارة. وفائدة الحال إخراج ما يقصد به الإصلاح؛ كما فعله الخضر عليه السلام. وقيل معناه: ولا تعثوا في الأرض مفسدين في أمر دينكم ومصالح آخرتكم.

﴿٨٦﴾ ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ﴾ ما أبقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما تجمعون بالتطفيف ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بشرط أن تؤمنوا فإن خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالإيمان. أو إن كنتم مصدقين لي في قولي لكم. وقيل: البقية الطاعة؛ كقوله: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ [الكهف: ٤٦] وقرئ (تقية الله) بالتاء، وهي تقواه التي تكف عن المعاصي ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ أحفظكم عن القبائح، أو أحفظ عليكم أعمالكم فأجازيكم عليها، وإنما أنا ناصح مبلغ وقد أعذرت حين أنذرت، أو لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم.

﴿٨٧﴾ ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ من الأصنام، أجابوا به آمرهم بالتوحيد على الاستهزاء به، والتَّهَكُّم بصلواته، والإشعار بأن مثله لا يدعو إليه داع عقلي، وإنما دعاك إليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه. وكان شعيب كثير الصلاة فلذلك جمعوا وخصوا الصلاة بالذكر. وقرأ حمزة والكسائي وحفص على الإفراد

۞ ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾.

والمعنى: أصلواتك تأمرك بتكليف أن نترك، فحذف المضاف لأن الرجل لا يؤمر بفعل غيره. ﴿أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ﴾ عطف على (ما)؛ أي: وأن نترك فعلنا ما نشاء في أموالنا. وقرئ بالتاء فيهما على أن العطف على (أَنْ نَتْرُكَ) وهو جواب النهي عن التطفيف والأمر بالإيفاء. وقيل: كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فأرادوا به ذلك. ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك، أو عللوا إنكار ما سمعوا منه واستبعاده؛ بأنه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة إلى أمثال ذلك.

٨٨ ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي﴾ إشارة إلى ما آتاه الله

يستوي فيه المذكر والمؤنث [وقد يكون محذوراً]؛ أي: كما في الربا. [وقرئ بالتاء فيهما]؛ أي: في «تفعل» و«تشاء»(١).

[لأن الرجل لا يؤمر بفعل غيره] تعليل لتقدير المضاف وهو تكلف لأن الترك فعل الكفار والمأمور بصلواتك تأمرك «شعيب»؛ أي: لصلواتك تأمرك بتكليفك «إيانا» أن نترك [وهو جواب النهي عن التطفيف والأمر بالإيفاء]؛ أي: متضمن لجواب ذلك وقوله: والأمر عطف على النهي(٢) [وقيل: كان ينهاهم..] إلى آخره. ظاهره أنه مقابل لما ذكر في القراءة بالتاء، ويحتمل أن يكون مقابلاً لما ذكر بالقراءة بالنون.

[وأراد]؛ أي: شعيب [به]؛ أي: بالنهي عن النقض [ذلك]؛ أي: النهي عن

---

(١) جامع البيان، القرطبي [١٥/ ٤٥٢].
(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [١٨/ ٣٦].

من العلم والنبوة. ﴿وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ إشارة إلى ما آتاه الله من المال الحلال. وجواب الشرط محذوف تقديره: فهل يسع مع هذا الإنعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية أن أخون في وحيه، وأخالفه في أمره ونهيه. وهو اعتذار عما أنكروا عليه من تغيير المألوف، والنهي عن دين الآباء، والضمير في (مِنْهُ) لله؛ أي: من عنده وبإعانته بلا كدٍّ مني في تحصيله. ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾؛ أي: وما أريد أن آتي ما أنهاكم عنه لأستبد به دونكم، فلو كان صواباً لآثرته ولم أعرض عنه؛ فضلاً عن أن أنهى عنه، يقال: خالفت زيداً إلى كذا؛ إذا قصدته وهو مُوَلٍّ عنه، وخالفته عنه: إذا كان الأمر بالعكس ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَـٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ ما أريد إلا أن أصلحكم بأمري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت أستطيع الإصلاح، فلو وجدت الصلاح فيما أنتم عليه لما نهيتكم عنه، ولهذه الأجوبة الثلاثة على هذا النسق شأن: وهو التنبيه على أن العاقل يجب أن يراعي في كل ما يأتيه ويذره أحد حقوق ثلاثة أهمها وأعلاها: حق الله تعالى، وثانيها: حق النفس، وثالثها: حق الناس. وكل ذلك

تقطيع الدراهم والدنانير [وجواب الشرط محذوف..] إلى آخره. عدل عن قول «الكشاف»[1] جواب «إن أنتم» إلى ما قاله؛ لأن ما قاله هو المقصود. وأما «أرأيتم» فيطلب مفعولين والغالب في مثل ذلك أن تكون جملة استفهامية نحو «ماذا أفعل»؛ أي: «أخبروني به».

[يقال: خالفت زيداً إلى كذا إذا قصدته وهو مولٍّ عنه][2] الضمير في قصدته وعنه لـ«كذا» [ولهذه الأجوبة الثلاثة]؛ أي: أجوبة شعيب لقومه وهي قوله: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ [هود: ٨٨] إلى آخره. وقوله: ﴿وَمَآ أُرِيدُ﴾ إلى آخره. وقوله: ﴿إِنْ أُرِيدُ﴾ إلى آخره. [هذا النسق]؛ أي: وهو عطف بعضها على بعض بعد الآيات السابقة [شأن: وهو التنبيه..] إلى آخره؛ أي: التنبيه بالأجوبة مع ما سبقها على وجوب

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٣٩٦].

(٢) لسان العرب، ابن منظور [٩/ ٨٢].

۞ ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾﴾.

يقتضي أن آمركم بما أمرتكم به وأنهاكم عما نهيتكم عنه. و(ما) مصدرية واقعة موقع الظرف، وقيل: خبرية بدل من (الْإِصْلَاحَ)؛ أي: المقدار الذي استطعته، أو إصلاح ما استطعته فحذف المضاف ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ وما توفيقي لإصابة الحق والصواب إلا بهدايته ومعونته. ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ فإنه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز في حد ذاته؛ بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار، وفيه إشارة إلى محض التوحيد الذي هو أقصى مراتب العلم بالمبدأ. ﴿وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ إشارة إلى معرفة المعاد، وهو أيضاً يفيد الحصر بتقديم الصلة على الفعل. وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لإصابة الحق فيما يأتيه ويذره من الله تعالى، والاستعانة به في مجامع أمره والإقبال عليه بشراشره، وحسم أطماع الكفار وإظهار الفراغ عنهم، وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع إلى الله للجزاء.

﴿٨٩﴾ - ﴿٩٠﴾ ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ﴾ لا يكسبنكم ﴿شِقَاقِيٓ﴾ معاداتي ﴿أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ﴾ من الغرق ﴿أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ﴾ من الريح ﴿أَوۡ قَوۡمَ

المراعاة التي ذكرها، وأول الحقوق التي ذكرها مفاد من قوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [هود: ٨٤]، وثانيها من قوله: ﴿وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ﴾ [هود: ٨٤]، وثالثها من قوله: ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾[1] [وقيل: خبرية]؛ أي: موصولة.

[بدل من «الإصلاح»..] إلى آخره. «بدل اشتمال» على أول التفسيرين، و«بدل بعض» على ثانيهما [فيما يأتي]؛ أي: به العبد [ويذره]؛ أي: يتركه [من الله] متعلق بطلب التوفيق [والاستعانة] عطف على التوفيق أو على إصابة الحق [وحسم] هو مع

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [١٨/٣٨].

صَٰلِحٖۚ﴾ من الرجفة و(أَنْ) بصلتها ثاني مفعولي (جرم)، فإنه يُعَدّى إلى واحد، وإلى اثنين كـ(كسب). وعن ابن كثير (يُجْرِمَنَّكُم) بالضم وهو منقول من المتعدي إلى مفعول واحد، والأول أفصح؛ فإن (أجرم) أقل دوراناً على ألسنة الفصحاء. وقرئ: (مَثَلُ) بالفتح لإضافته إلى المبنى كقوله:

لَمْ يَمْنَعِ الشُّرْبَ مِنْهَا غَيْرَ أَنْ نَطَقَت حَمَامَةٌ فِي غُصُون ذات أَوْقَال

﴿وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ﴾ زماناً أو مكاناً فإن لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم، أو ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم ما أصابهم، وإفراد البعيد لأن المراد وما إهلاكهم، أو: وما هم بشيء بعيد، ولا يبعد أن يسوي في أمثاله بين المذكر والمؤنث؛ لأنها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ﴾ عما أنتم عليه ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ﴾ عظيم الرحمة للتائبين ﴿وَدُودٞ﴾ فاعل بهم من اللطف والإحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده، وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الإصرار.

ما بعده عطف على طلب التوفيق [كقوله]؛ أي: قول أبي قيس بن رفاعة أو قول الشماخ أو غيرهما:

[لـم يمنَعِ الشُّربَ منها غيرَ أَنْ نطقَتْ حـمـامـةٌ فـي غـصـونٍ ذاتِ أَوْقَـالِ][1]

ضمير منها للراحلة وفي عبارته قلب؛ أي: لم يمنعها من الشرب إلا أنها سمعت صوت حمامة فنفرت، يريد أنها حديدة الحس وهو محمود فيها والأوقال جمع وقل وهو الحجر؛ أي: في غصون نابتة بأرض ذات أحجار وقيل: الوقل شجر المقل[2] [ولا يبعد أن يسوي في أمثاله..] إلى آخره. يعبر عن هذا بأن فعيلاً يستوي فيه المذكر والمؤنث كما مرّ، ويجوز تذكيره للفظ قوم ففي «الصحاح»: القوم تذكر وتؤنث وكذا أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها إذا كان للآدميين كـ«رهط ونفر».

---

(١) الكتاب، سيبويه [٢/٣٢٩].

(٢) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده [٣/١٠١].

۞ ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾﴾.

﴿٩١﴾ ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ﴾ ما نفهم ﴿كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ كوجوب التوحيد وحرمة البخس وما ذكرت دليلاً عليهما، وذلك لقصور عقولهم وعدم تفكرهم. وقيل: قالوا ذلك استهانة بكلامه، أو لأنهم لم يلقوا إليه أذهانهم لشدة نفرتهم عنه ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ﴾ لا قوة لك فتمتنع منا إن أردنا بك سوءاً، أو مهيناً لا عزّ لك، وقيل: أعمى ـ بلغة حمير ـ، وهو مع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف، ومنع بعض المعتزلة استنباء الأعمى قياساً على القضاء والشهادة والفرق بين ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾ قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم، فإن الرهط: من الثلاثة إلى العشرة، وقيل: إلى التسعة. ﴿لَرَجَمْنَٰكَ ۖ﴾ لقتلناك برمي الأحجار أو بأصعب وجه ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ فتمنعنا عزتك عن الرجم، وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد. وفي إيلاء ضميره حرف النفي تنبيه على أن الكلام فيه لا في ثبوت العزة، وأن المانع لهم عن إيذائه

[وهو مع عدم مناسبته للمعنى]؛ أي: للمعنى المراد [يرده التقييد بالظرف] قال الزمخشري: لأن الأعمى أعمى فيهم وفي غيرهم، ولذلك قللوا قومه بقولهم: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾[1] [والفرق بين] لأن القضاء والشهادة يعتبر فيهما غالباً رؤية المقضي والمشهود عليه بخلاف الاستباحة [وإيلاء ضمير حرف النفي تنبيه على أن الكلام فيه لا في ثبوت العزة]؛ أي: في كون التردد في الفاعل لا في الفعل بأن يكون هناك وجود فعل أو شبهة وعالم به لكنه يخطئ في فاعله وأنت تقصد أن ترده إلى الصواب، وهذا يقتضي أن يكون أصل الكلام «ما عززت أنت» فقدم «أنت» للاختصاص، وإنما التزم التقديم؛ لأن «ما» لنفي الحال وللحال اختصاص بالزمان

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٣٩٩].

۞ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾﴾.

عزة قومه؛ ولذلك:

﴿٩٢﴾ - ﴿٩٣﴾ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر بإشراككم به والإهانة برسوله فلا تبقون علي لله وتبقون علي لرهطي، وهو يحتمل الإنكار والتوبيخ والرد والتكذيب و﴿ظِهْرِيًّا﴾ منسوب إلى الظهر؛ والكسر من تغييرات النسب. ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ فلا يخفى عليه شيء منها فيجازي عليها ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ سبق مثله في سورة (الأنعام) والفاء في فـ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ثمة للتصريح بأن الإصرار والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك، وحذفها ها هنا لأنه جواب سائل قال: فماذا يكون بعد ذلك؟ فهو أبلغ في التهويل. ﴿وَمَنْ هُوَ

والقياس أن يكون مدخولها فعلاً أو شبهة، وحيث وجد الاسم لا سيما الضمير دل على أن التقديم للاهتمام والاختصاص(١).

[ولذلك]؛ أي: ولكون المانع لهم عن إيذائه عزةُ قومه [قال]؛ أي: في جوابهم [﴿أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم﴾] إلى آخره. [والكسر من تغييرات النسب] نظيره قوله في النسبة إلى الأمس: أمسيّ [للتصريح بأن الإصرار]؛ أي: منهم على ما هم عليه [والتمكن]؛ أي: منه ﷺ [فيما عليه سبب لذلك]؛ أي: للجر المفاد بقوله: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [لأنه جواب سائل] هو المسمى في علم البيان بالاستئناف البياني [فهو أبلغ في التهويل(٢)](٣)؛ أي: لأنه استئناف.

---

(١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٥/ ٢١٢].
(٢) في نسخة [ب]: (التنزيل).
(٣) انظر: روح المعاني، الألوسي [١٢/ ١٢٧].

۞ ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾﴾.

كَٰذِبٌ﴾ عطف على (من يأتيه) لا لأنه قسيم له كقولك: (ستعلم الكاذب والصادق)؛ بل لأنهم لما أو عدوه وكذبوه قال: سوف تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم. وقيل: كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الأول: إليهم، والثاني إليه، لكنهم لما كانوا يدعونه كاذباً قال: ومن هو كاذب ـ على زعمهم ـ. ﴿وَٱرْتَقِبُوٓاْ﴾ وانتظروا ما أقول لكم ﴿إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ منتظر، (فعيل) بمعنى: الراقب كالصريم، أو المراقب كالعشير، أو المرتقب كالرفيع.

﴿٩٤﴾ ـ ﴿٩٥﴾ ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ إنما ذكره بالواو كما في قصة عاد إذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط؛ فإنه ذكر بعد الوعد وذلك قوله: ﴿وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٥] وقوله: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾ [هود: ٨١] فلذلك جاء بفاء السببية. ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ﴾ قيل: صاح بهم جبريل عليه السلام فهلكوا ﴿فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ ميتين، وأصل (الجثوم): اللزوم في المكان ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ﴾ كأن لم يقيموا فيها ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ شبههم بهم لأن عذابهم كان أيضاً بالصيحة، غير أن صيحتهم كانت من تحتهم، وصيحة مدين كانت من فوقهم. وقرئ (بَعُدَتْ) بالضم على الأصل؛ فإن الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك، والبعد مصدر لهما، والبعد مصدر المكسور.

﴿٩٦﴾ ـ ﴿٩٧﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بالتوراة أو المعجزات

۞ ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾.

﴿وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ﴾ وهو المعجزات القاهرة أو العصا، وإفرادها بالذكر لأنها أبهرها، ويجوز أن يراد بهما واحد؛ أي: ولقد أرسلناه بالجامع بَيَّنَ كونه آياتنا وسلطاناً له على نبوته واضحاً في نفسه أو موضحاً إياها، فإن (أَبَانَ) جاء لازماً ومتعدياً، والفرق بينهما أن الآية تعم الأمارة والدليل القاطع؛ والسلطان يخص بالقاطع، والمبين يخص بما فيه جلاء. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ﴾ فاتبعوا أمره بالكفر بموسى، أو فما تبعوا موسى الهادي إلى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة، واتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان، الداعي إلى ما لا يخفى فساده على من له أدنى مسكة من العقل؛ لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم ﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ مرشد، أو ذي رشد، وإنما هو غَيٌّ مَحْضٌ، وضلال صريح.

﴿٩٨﴾ - ﴿٩٩﴾ ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ إلى النار كما كان يقدمهم في الدنيا إلى الضلال، يقال: قدم بمعنى تقدم ﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ﴾ ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه، ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى إتيانها مورداً، ثم قال: ﴿وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾؛ أي: بئس المورد الذي وردوه؛ فإنه يراد لتبريد الأكباد وتسكين العطش، والنار بالضد. والآية كالدليل على قوله: ﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: ٩٧] فإن من كان هذه عاقبته لم يكن في أمره رشد، أو تفسير له على أن المراد بالرشيد ما يكون مأمون العاقبة

[**هو المعجزات القاهرة**] عليه يكون عطف (سلطان) على (الآيات) عطف تجريد نحو: مررت بالرجل الكريم والنسمة المباركة، كأنه جرد من الآيات الحجة وجعلها غيرها وعطفها عليها وهي هي. [**وأفردها**]؛ أي: أفرد «السلطان» بالذِّكر وأنَّثه باعتبار المعنى [**أن يراد بهما**]؛ أي: بالآيات والسلطان [**أو تفسير له**]؛ أي: لقوله: ﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾.

۞ ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾﴾.

حميدها ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؛ أي: يلعنون في الدنيا والآخرة ﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾ بئس العون المعان، أو العطاء المعطى، وأصل (الرفد): ما يضاف إلى غيره ليعمده، والمخصوص بالذم محذوف؛ أي: رفدهم، وهو اللعنة في الدارين.

﴿١٠٠﴾ - ﴿١٠١﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ذلك النبأ ﴿مِنْ أَنبَآءِ ٱلْقُرَىٰ﴾ المهلكة ﴿نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ﴾ مقصوص عليك ﴿مِنْهَا قَآئِمٌ﴾ من تلك القرى باق كالزرع القائم ﴿وَحَصِيدٌ﴾ ومنها عافي الأثر كالزرع المحصود، والجملة مستأنفة،

[**بئس العون المعان**] سميت اللعنة عوناً؛ لأنها إذا تبعتهم في الدنيا أبعدتهم عن رحمة الله وأعانتهم على ما هم فيه من الضلال، وسميت «رفداً»؛ أي: «عوناً» لهذا المعنى على التَّهَكُّمِ كقوله:

«.......................... تَحِيَّةُ بَيْنِهِم ضربٌ وجيع»(١)

وسميت «معاناً»؛ لأنها أرفدت في الآخرة بلعنة أُخْرى ليكونا هاديتين إلى طريق الجحيم! قيل: وكأن القياس أن يسند إلى المرفود إليه بأن يقال: «بئس المرفود»؛ لأن اللعنة تبعته في الدنيا وفي الآخرة، لكن أسند إلى «الرفد» الذي هو «اللعنة» على الإسناد المجازي نحو «جدّ جده» قلت: في ذلك نظر؛ لأن الإسناد في الحقيقة إلى «المرفود» لوصف الرفد به.

[**والجملة مستأنفة**]؛ أي: لأنه تعالى لما ذكر أنباء القرى المهلكة اتجه لسائل

---

(١) البيت لعمرو بن معديكرب:
«وخيلٌ قد دلَفْتُ لها بخيلٍ تَحِيَّةُ بَيْنِهِم ضربٌ وجيعُ»
المقتضب، المبرد [١/ ١١٤].

۞ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾.

وقيل: حال من الهاء في نقصه وليس بصحيح؛ إذ لا واو ولا ضمير. ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ بإهلاكنا إياهم ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بأن عرضوها له بارتكاب ما يوجبه ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ﴾ فما نفعتهم ولا قدرت أن تدفع عنهم بل ضرتهم ﴿ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ حين جاءهم عذابه ونقمته ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ هلاك أو تخسير.

﴿١٠٢﴾ ـ ﴿١٠٣﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل ذلك الأخذ ﴿أَخْذُ رَبِّكَ﴾ وقرئ (أَخَذَ رَبُّكَ) بالفعل، وعلى هذا يكون محل الكاف النصب على المصدر ﴿إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ﴾؛ أي: أهلكها وقرئ (إذا) لأن المعنى على المضي. ﴿وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾ حال من (الْقُرى) وهي في الحقيقة لأهلها لكنها لما أقيمت مقامه أجريت عليها، وفائدتها الإشعار بأنهم أخذوا بظلمهم وإنذار كل ظالم ظلم نفسه، أو غيره من وخامة العاقبة. ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ وجيع غير مرجو الخلاص منه، وهو مبالغة في التهديد والتحذير ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾؛ أي: فيما نزل بالأمم الهالكة أو فيما قصه الله تعالى من قصصهم ﴿لَءَايَةً﴾ لعبرة ﴿لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ يعتبر به عظمته لعلمه بأن ما حاق بهم أنموذج مما أعد الله للمجرمين في الآخرة، أو ينزجر به عن موجباته لعلمه بأنها من إله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء. فإن من أنكر الآخرة، وأحال فناء هذا العالم؛ لم يقل بالفاعل المختار، وجعل تلك الوقائع لأسباب فلكية اتفقت في تلك الأيام لا لذنوب المهلكين بها. ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى يوم القيامة وعذاب الآخرة، دل عليه. ﴿يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾ [التغابن: ٩]؛ أي:

أن يقول: ما حال هذه القرى أباقية آثارها أم لا؟[1] **[وقيل: حال من الهاء..]** إلى

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١٠/ ١٢٣].

يجمع له: الناس، والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم، وأنه من شأنه لا محالة، وأن الناس لا ينفكون عنه، فهو أبلغ من قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة. ﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾؛ أي: مشهود فيه أهل السمٰوات والأرضين؛ فاتسع فيه بإجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله: (في مَحفَلٍ مِنْ نَوَاصِي النَّاس مَشْهُودِ)؛ أي: كثير شاهدوه، ولو جعل اليوم مشهوداً في نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه؛ فإن سائر الأيام كذلك.

آخره. يجوز كما قال الطيبي أن يكون حالاً من «القرى» [والتعبير]؛ أي: بالعدول من الفعل إلى اسم المفعول [للدلالة..] إلى آخره؛ يعني: في وصف اليوم باسم المفعول وإسناده إلى الناس دلالة على أن اليوم موصوف بذلك الوصف وصفاً لازماً، وإن الناس لا ينفكون عن الجمع لأن كِلَا الأسلوبين مجري على غير الظاهر للمبالغة ومقتضى الظاهر أن يقال ذلك: «يوم يجمع له الناس» فإن الفعل مترقب والناس غير مجموعين الآن [كقوله:

.... **في محفل من نواصي الناسِ...]**

أي: رؤسائهم [مشهود][1]؛ أي: فيه، وأوله:

ومشهد قد كفيت الغائبين به ....

أي: ورب مشهد عظيم الشأن تكلمت فيه ونبتُ عن الغائبين وكان ذلك في مجتمع للرؤساء مشهود فيه وإليه أشار بقوله [**أي: كثير شاهدوه**]؛ أي: المحفل [**ولو جعل اليوم..**] إلى آخره. راجع إلى تفسير الآية بقوله: أي: ﴿يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ فيه لا يقال في قوله: «لبطل الغرض من تعظيم اليوم. .» إلى آخره. فيه نظر لأنه يقال في سائر الأيام مشهود فيها أيضاً؛ لأنا نقول الفرق بين المشهود والمشهود فيه ظاهر إذ لا يقال يوم مشهود فيه، إلا ليوم تشهد فيه الخلائق من كل أوب لأمر له شأن نحو أيام الأعياد، وأيام عرفة وأيام الحرب، وقدوم السلطان[2]، وأما يوم مشهود

(١) الفائق في غريب الحديث، الزمخشري [٣/ ٤٣٤].
(٢) انظر: أحكام القرآن، القاضي ابن العربي [٨/ ٢٤].

۞ ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعۡدُودٍ ۝١٠٤ يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ۝١٠٥ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝١٠٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٠٧﴾.

۝١٠٤ - ۝١٠٥ ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ﴾؛ أي: اليوم ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعۡدُودٍ﴾ إلا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف المضاف، وإرادة مدة التأجيل كلها بالأجل لا منتهاها فإنه غير معدود ﴿يَوۡمَ يَأۡتِ﴾؛ أي: الجزاء أو اليوم كقوله: ﴿أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [يوسف: ١٠٧] على أن (يَوْمَ) بمعنى: (حين) أو (الله) ﷻ كقوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ﴾ [البقرة: ٢١٠] ونحوه. وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسر. ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ﴾ لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب أو شفاعة، وهو الناصب للظرف، ويحتمل نصبه بإضمار (اذكر) أو بالانتهاء المحذوف. ﴿إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ إلا بإذن الله كقوله: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [النبأ: ٣٨] وهذا في موقف وقوله: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦] في موقف آخر، أو المأذون فيه هي الجوابات الحقة والممنوع عنه هي الأعذار الباطلة. ﴿فَمِنۡهُمۡ شَقِيٌّ﴾ وجبت له النار بمقتضى الوعيد. ﴿وَسَعِيدٌ﴾ وجبت له الجنة بموجب الوعد، والضمير لأهل الموقف وإن لم يذكر؛ لأنه معلوم مدلول عليه بقوله: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ﴾ أو للناس.

۝١٠٦ - ۝١٠٧ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ الزفير إخراج النفس والشهيق رده، واستعمالهما في أول النهيق وآخره، والمراد

فمعناه: مدرك كما تقول: أدركت يوم فلان وشهد فلان ومنه ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

[أو بالانتهاء المحذوف]؛ أي: في قوله: ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعۡدُودٍ﴾ أن ينتهي الأجل يوم يأتي [مدلول عليه بقوله: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ﴾]؛ أي: لأن «النفس» في معنى

بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه، أو تشبيه صراخهم بأصوات الحمير، وقرئ (شُقُوا) بالضم. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامهما؛ فإن النصوص دالة على تأبيد دوامهم وانقطاع دوامهما؛ بل التعبير عن التأبيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل، ولو كان للارتباط لم يلزم أيضاً من زوال السمٰوات والأرض زوال عذابهم، ولا من دوامه دوامهما إلا من قبيل المفهوم؛ لأن دوامهما كالملزوم لدوامه، وقد عرفت أن المفهوم لا يقاوم المنطوق. وقيل: المراد سماوات الآخرة وأرضها، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨] وإن أهل الآخرة لا بد لهم من مُظِلٍّ ومُقِلٍّ، وفيه نظر؛ لأنه تشبيه بما لا يعرف أكثر الخلق وجوده ودوامه، ومن عرفه فإنما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدي له التشبيه! ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ استثناء من الخلود في النار؛ لأن بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها، وذلك كاف في صحة الاستثناء لأن زوال

الجمع وهي نكرة، والنكرة في سياق النفي تعم [بدوامها]؛ أي: بدوام السماوات والأرض، وهو المراد في قوله بعد: «وانقطاع دوامها» ولو ثنى الضمير فيهما كان أَوْلَى [**وقد عرفت أن المفهوم لا يقاوم المنطوق**] المنطوق هنا قوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ والمفهوم ما فهم من التقييد «بدوام السماوات والأرض»(١) [**لا بد لهم من مُظِلّ ومُقِلّ**]؛ أي: يُظِلُّهُم ويُقِلُّهُم الأول: إشارة إلى السماء والثاني: إلى الأرض لأن كلما أظلك فهو سماء وكلما أقلك فهو أرض.

[**وفيه نظر لأنه تشبيه بما لا يعرف الخلق وجوده..**] إلى آخره. ردَّ بأنه ليس تشبيه ما يعرف بما لا يعرف بل عكسه؛ لأنه شبه تلك الدار بهذه الدار وأثبت لها ما لهذه من المظلة والمقلة والجامع كونهما جسمين، وإثبات الدوام للمشبه به مبني على

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [١٨/ ٥١].

الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض، وهم المراد بالاستثناء الثاني فإنهم مفارقون عن الجنة أيام عذابهم، فإن التأبيد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء، وهؤلاء وإن شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بإيمانهم، ولا يقال: فعلى هذا لم يكن قوله: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥] تقسيماً صحيحاً لأن من شرطه أن تكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه؛ لأن ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقي أو مانع من الجمع، وها هنا المراد أن أهل الموقف لا يخرجون عن القسمين، وأن حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الأمرين في شخص باعتبارين، أو لأن أهل النار ينقلون منها إلى الزمهرير وغيره من العذاب أحياناً، وكذلك أهل الجنة ينعمون بما هو أعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله ولقائه، أو من أصل الحكم، والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب؛ لأن ظاهره يقتضي أن يكونوا في النار حين يأتي اليوم، أو مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ إن كان الحكم مطلقاً غير مقيد باليوم، وعلى هذا التأويل يحتمل أن يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت. وقيل هو من قوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ وقيل: (إلا) ها هنا بمعنى (سوى) كقولك: عليَّ ألف إلا الألفان القديمان! والمعنى: سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها على

العرف والعادة. [**فإن التأبيد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء**] يريد بالمبدأ الدخول الناشئ عنه الخلود وبالانتهاء انتهاء الدخول وهو الخلود، ففساق الموحدين كما استثنوا من الانتهاء في هذا الشق استثنوا أيضاً من الابتداء في الشق الثاني[1] [**أو لأن أهل النار ينقلون منها..**] إلى آخره. هو عطف على لأن من شرطه.

[**أو من أصل الحكم**]؛ أي: وهو كونهم في النار عطف على أن من الخلود

---

(١) انظر: معاني القرآن، الفراء [٢/ ١٧٢].

۞ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾﴾.

مدة بقاء السموات والأرض. ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ من غير اعتراض.

﴿١٠٨﴾ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾، غير مقطوع؛ وهو تصريح بأن الثواب لا ينقطع، وتنبيه على أن المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع، ولأجله فرق بين الثواب والعقاب بالتأبيد. وقرأ حمزة والكسائي وحفص (سُعِدُوا) على البناء للمفعول من: سعده الله بمعنى أسعده، (وعَطاءً) نصب على المصدر المؤكد؛ أي: أعطوا عطاء، أو الحال من الجنة.

﴿١٠٩﴾ ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ﴾ شك بعد ما أنزل عليك من مآل أمر الناس ﴿مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ من عبادة هؤلاء المشركين في أنها ضلال مؤد إلى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم، أو من حال ما يعبدونه في أنه يضر ولا ينفع. ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ﴾ استئناف معناه تعليل النهي عن المرية؛ أي: هم وآباؤهم سواء في الشرك؛ أي: ما يعبدون عبادة إلا كعبادة آبائهم، أو ما يعبدون شيئاً إلا مثل ما عبدوه من الأوثان، وقد بلغك ما لحق آباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله؛ لأن التماثل في الأسباب يقتضي التماثل في المسببات، ومعنى (كَما يَعْبُدُ): كما كان يعبد فحذف للدلالة من قبل عليه. ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ حظهم من العذاب كآبائهم، أو من الرزق فيكون عذراً لتأخير العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه. ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ حال من (النصيب) لتقييد التوفية فإنك تقول: وفيته حقه! وتريد به وفاء بعضه ولو مجازاً.

في النار [ولأجله فرق بين الثواب والعقاب بالتأبيد] حيث ذكر في الثواب دون

۞ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ
لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ
بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾.

﴿١١٠﴾ ـ ﴿١١١﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾؛ يعني: كلمة الإنظار إلى يوم القيامة. ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ بإنزال ما يستحقه المبطل ليتميز به عن المحق ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ وإن كفار قومك ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ من القرآن ﴿مُرِيبٍ﴾ موقع في الريبة ﴿وَإِنَّ كُلًّا﴾ وإن كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين، والتنوين بدل من المضاف إليه. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر بالتخفيف مع الإعمال اعتباراً للأصل. ﴿لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ اللام الأولى: موطئة لقسم، والثانية: للتأكيد أو بالعكس، و(ما) مزيدة بينهما للفصل. وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ﴿لَّمَّا﴾ بالتشديد على أن أصله (لمن ما) فقلبت النون ميماً للإدغام، فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت أولاهن، والمعنى: لمن الذين يوفينهم ربك جزاء أعمالهم. وقرئ: (لمّاً) بالتنوين؛ أي: جميعاً كقوله: ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾ [الفجر: ١٩] ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا﴾ [يس: ٣٢] على أن (إنْ) نافية، و(لَمّا) بمعنى (إلا) وقد قرئ به ﴿إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فلا يفوته شيء منه وإن خفي.

﴿١١٢﴾ ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ لمّا بيَّن أمر المختلفين في التوحيد والنبوة، وأطنب في شرح الوعد والوعيد أمر رسوله ﷺ بالاستقامة مثل ما أمر بها، وهي شاملة للاستقامة في العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصوناً من الطرفين، والأعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما

العقاب فإنه قد لا يكون مؤبداً [وقد قرئ به]؛ أي: بالإبدال لما [مثلما أمر بها]؛ أي: مثل الاستقامة التي أمر بها النبي على طريقة الحق غير عادل عنها [والأعمال] هو مع

۞ ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾.

أنزل، والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وإفراط مفوت للحقوق ونحوها، وهي في غاية العسر، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «**شيبتني سورة هود**». ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾؛ أي: تاب من الشرك والكفر وآمن معك، وهو عطف على المستكن في (استقم) وإن لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه. ﴿وَلَا تَطْغَوْاْ﴾ ولا تخرجوا عما حد لكم ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ مجازيكم عليه، وهو في معنى التعليل للأمر والنهي. وفي الآية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان.

﴿١١٣﴾ ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ ولا تميلوا إليهم أدنى ميل؛ فإن الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم، وتعظيم ذكرهم واستدامته. ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ بركونكم إليهم، وإذا كان الركون إلى من وجد منه ما يسمى ظلماً كذلك؛ فما ظنك بالركون إلى الظالمين؛ أي: الموسومين بالظلم، ثم بالميل إليهم كل الميل، ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه، ولعل الآية أبلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه، وخطاب الرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل، فإن الزوال عنها بالميل إلى أحد طرفي إفراط وتفريط فإنه ظلم على نفسه، أو غيره؛ بل ظلم في نفسه. وقرئ (تِرْكَنُواْ) (فَتِمَسَّكُمُ) بكسر التاء على لغة

قوله: والقيام عطف على العقائد [«**شيبتني سورة هود**»][1] رواه الترمذي وحسنه بلفظ: «**شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت**»[2].

[بمنفصل]؛ أي: بضمير منفصل [لقيام الفاصل]؛ أي: بغير الضمير

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني [١٧/ ٢٨٦/برقم: ٧٩٠].

(٢) سنن الترمذي [٥/ ٤٠٢/ برقم: ٣٢٩٧].

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾.

تميم، و(تُرْكَنُواْ) على البناء للمفعول من أركنه. ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ من أنصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال. ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾؛ أي: ثم لا ينصركم الله إذ سبق في حكمه أن يعذبكم ولا يبقي عليكم، و(ثم) لاستبعاد نصره إياهم، وقد أوعدهم بالعذاب عليه وأوجبه لهم، ويجوز أن يكون منزلاً منزلة الفاء لمعنى الاستبعاد، فإنه لما بيَّن أن الله معذبهم، وأن غيره لا يقدر على نصرهم أنتج ذلك أنهم لا ينصرون أصلاً.

﴿١١٤﴾ - ﴿١١٥﴾ ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لأنه مضاف إليه. ﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ وساعات منه قريبة من النهار، فإنه من: (أزلفه) إذا قربه، وهو جمع زلفة، و(صلاة الغداة): صلاة الصبح؛ لأنها أقرب الصلاة من أول النهار، و(صلاة العشية): صلاة العصر، وقيل: الظهر والعصر؛ لأن ما بعد الزوال عشي، وصلاة الزلف المغرب والعشاء. وقرئ (زُلُفا) بضمتين، وضمة وسكون كـ(بسر وبسر) في بسرة، و(زلفى) بمعنى: (زلفة) كـ(قربى وقربة). ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ يُكَفِّرْنَها. وفي الحديث: «**إن الصلاة إلى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر**».

[**وانتصابه**]؛ أي: طرفي النهار [**على الظرف؛ لأنه مضاف إليه**]؛ أي: النهار يوضح ذلك قول «الكشاف»: وانتصاب طرفي النهار على الظرف؛ لأنهما مضافان إلى الوقت كقولك: «أقمت عنده جميع النهار وأتيته نصف النهار وأوله وآخره» تنصب هذا كله على إعطاء المضاف حكم المضاف إليه[1] [**وقرئ «وزُلُفى» بضمتين**] قد قرأ به أبو جعفر [«**الصلاة إلى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر**»] رواه مسلم بلفظ: «**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما اجتنبت**

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٤١٠].

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾.

وفي سبب النزول: (أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: إني قد أصبت من امرأة غير أني لم آتها فنزلت). ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى قوله: ﴿فَٱسْتَقِمْ﴾ [هود: ١١٢] وما بعده، وقيل: إلى القرآن ﴿ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ عظة للمتعظين ﴿وَٱصْبِرْ﴾ على الطاعات وعن المعاصي ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ عدول عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود، ودليلاً على أن الصلاة والصبر إحسان، وإيماء بأنه لا يعتد بهما دون الإخلاص.

﴿١١٦﴾ - ﴿١١٧﴾ ﴿فَلَوْلَا كَانَ﴾ فهلّا كان ﴿مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا۟ بَقِيَّةٍ﴾ من الرأي والعقل، أو أولو فضل، وإنما سمي (بَقِيَّةٍ) لأن الرجل يستبقي أفضل ما يخرجه، ومنه يقال: فلان من بقية القوم؛ أي: من خيارهم، ويجوز أن يكون مصدراً كالتقية؛ أي: ذوو إبقاء على أنفسهم وصيانة لها من العذاب، ويؤيده أنه قرئ (بَقْيَة) وهي المرة من مصدر (بقاه يبقيه) إذا راقبه. ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ لكن قليلاً منهم أنجيناهم؛ لأنهم كانوا كذلك، ولا يصح اتصاله إلا إذا جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض. ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ﴾ ما أنعموا فيه من الشهوات واهتموا

الكبائر»[1].

[**وفي سبب النزول: «أن رجلاً أتي النبي..»**] إلى آخره. رواه الشيخان[2] [**ولا يصح اتصاله إلا إذا جعل استثناء من النفي اللازم للتخصيص**]؛ أي: بأن يقال: «ما كان من القرون أُلو بقية إلا قليلاً» بخلاف ما إذا جعل استثناء من ظاهر الكلام فإنه فاسد؛ لأنه

---

(١) صحيح مسلم [١/٢٠٩/ برقم: ٢٣٣].

(٢) صحيح البخاري [١/١٩٦/ برقم: ٥٠٣]، صحيح مسلم [٤/٢١١٥/ برقم: ٢٧٦٣].

۞ ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾.

بتحصيل أسبابها وأعرضوا عما وراء ذلك. ﴿وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ كافرين كأنه أراد أن يبين ما كان السبب لاستئصال الأمم السالفة، وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى، وترك النهي عن المنكرات مع الكفر، وقوله: ﴿وَٱتَّبَعَ﴾ على معطوف مضمر دل عليه الكلام إذا المعنى: فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين، عطف على (اتَّبَعَ) أو اعترض. وقرئ (واتبع)؛ أي: وأتبعوا جزاء ما أترفوا فتكون الواو للحال، ويجوز أن تفسر به المشهورة ويعضده تقدم الإنجاء. ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ بشرك ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ فيما بينهم لا يضمون إلى شركهم فساداً وتباغياً، وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد. وقيل: الملك يبقى مع الشرك ولا يبقى مع الظلم.

﴿١١٨﴾ - ﴿١١٩﴾ ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ﴾ مسلمين كلهم، وهو دليل ظاهر على أن الأمر غير الإرادة، وأنه تعالى لم يرد الإيمان من كل أحد، وأن ما أراده يجب وقوعه. ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان مطلقاً ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ﴾ إلا ناساً هداهم الله من فضله، فاتفقوا على ما هو أصول دين الحق والعمدة فيه. ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾ إن كان الضمير لـ(النَّاسِ) فالإشارة إلى الاختلاف، و(اللام) للعاقبة، أو إليه، وإلى الرحمة، وإن كان لـ(من) فإلى (الرحمة). ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ وعيد أو قوله للملائكة. ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾؛ أي: من عصاتهما ﴿أَجْمَعِينَ﴾ أو منهما أجمعين لا من أحدهما.

يكون تخصيصاً لأولي البقية على النهي عن الفساد إلا للقليل من الناجين منهم فلا ينهون عنه [ويعضده تقدم الإنجاء]؛ أي: إنجاء الناهين؛ لأن تقدمه يناسب أن يبين هلاك الذين

۞ ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾.

﴿١٢٠﴾ ﴿وَكُلًّا﴾ وكل نبأ ﴿نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾ نخبرك به ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ بيان لـ(كُلاًّ) أو بدل منه، وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص، وهو زيادة يقينه، وطمأنينة قلبه، وثبات نفسه على أداء الرسالة، واحتمال أذى الكفار، أو مفعول و﴿وَكُلًّا﴾ منصوب على المصدر بمعنى: كل نوع من أنواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فؤادك من أنباء الرسل ﴿وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ﴾ السورة أو الأنباء المقتصة عليك ﴿ٱلْحَقُّ﴾ ما هو حق ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ إشارة إلى سائر فوائده العامة.

﴿١٢١﴾ ـ ﴿١٢٢﴾ ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ على حالكم ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾ على حالنا ﴿وَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ بنا الدوائر ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ أن ينزل بكم نحو ما نزل على أمثالكم.

﴿١٢٣﴾ ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيهما. ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ فيرجع لا محالة أمرهم وأمرك إليه. وقرأ نافع وحفص (يُرْجَعُ) على البناء للمفعول. ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ فإنه كافيك. وفي تقديم الأمر بالعبادة على التوكل تنبيه على أنه إنما ينفع العابد. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أنت وَهُم فيجازي كلاًّ ما يستحقه. وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء هنا وفي آخر (النمل). عن رسول الله ﷺ: «**من قرأ سورة (هود) أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح، ومن كَذَّبَ به، وهود وصالح وشعيب ولوط وإبراهيم وموسى، وكان يوم القيامة من السعداء إن شاء الله تعالى**».

لم ينهوا [أو مفعول]؛ أي: لنقص [«من قرأ سورة هود..»] إلى آخره. موضوع[1].

---

(١) انظر: الفتح السماوي، المناوي [٢/ ٧٢٤/ برقم: ٦١٢].

سُورَةُ يُوسُفَ

(١٢) مكية، وآيها مائة وإحدى عشرة آية

۞ ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿١﴾ ـ ﴿٢﴾ ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ ﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى آيات السورة وهي المراد بـ(الْكِتابِ)؛ أي: تلك الآيات آيات السورة الظاهر أمرها في الإعجاز، أو الواضحة معانيها، أو المبينة لمن تدبرها أنها من عند الله، أو لليهود ما سألوا؛ إذ روي: (أن علماءهم قالوا لكبراء المشركين: سلوا محمداً لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر؟ وعن قصة يوسف عليه السلام؟ فنزلت). ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾؛ أي: الكتاب ﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ سمى البعض ﴿قُرْءَٰنًا﴾؛ لأنه في الأصل اسم جنس يقع على الكل والبعض، وصار علماً للكل بالغلبة، ونصبه على الحال وهو في نفسه إما توطئة للحال التي هي (عَرَبِيّاً) أو حال لأنه مصدر بمعنى مفعول، و(عَرَبِيّاً) صفة له أو حال من الضمير فيه، أو حال بعد حال، وفي كل ذلك خلاف. ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ علة لإنزاله بهذه الصفة؛ أي: أنزلناه مجموعاً أو مقروءاً بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه، أو تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا أن اقتصاصه كذلك ـ ممن لم يتعلم القصص ـ معجز لا يتصور إلا بالإيحاء.

﴿٣﴾ ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ أحسن الاقتصاص؛ لأن اقتص

قوله: [لأنه مصدر بمعنى مفعول]؛ أي: مجموعاً أو مجتمعاً.

(٤) ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾.

على أبدع الأساليب، أو أحسن ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والعبر، فعل بمعنى: مفعول كالنقض والسلب، واشتقاقه من: (قص أثره) إذا تبعه. ﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾؛ أي: بإيحائنا ﴿هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾؛ يعني: السورة، ويجوز أن يجعل هذا مفعول (نقُصّ) على أن (أحسن) نصب على المصدر. ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ عن هذه القصة لم تخطر ببالك، ولم تقرع سمعك قط، وهو تعليل لكونه موحى. و(إن) هي المخففة من الثقيلة، و(اللام) هي الفارقة.

(٤) ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ﴾ بدل من (أَحْسَنَ الْقَصَصِ) إن جعل مفعولاً بدل الاشتمال، أو منصوب بإضمار (اذكر) و(يُوسُفُ) عبري، ولو كان عربيّاً لصُرِف. وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على أنه مضارع بني للمفعول، أو الفاعل من: (آسف)؛ لأن المشهورة شهدت بعجمته. ﴿لِأَبِيهِ﴾ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وعنه عليه الصلاة السلام: «**الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم**».

﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ أصله: (يا أبي) فعوض عن الياء تاء التأنيث لتناسبهما في الزيادة، ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب، وكسرها لأنها عوض حرف يناسبها، وفتحها ابن عامر في كل القرآن؛ لأنها حركة أصلها، أو لأنه كان (يا أبتا) فحذف الألف وبقي الفتحة. وإنما جاز (يا أبتا) ولم

[﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ﴾] الباء سببية متعلقة بـ﴿نَقُصُّ﴾ [**ويجوز أن يجعل** ﴿هَٰذَا﴾ **مفعول** ﴿نَقُصُّ﴾]؛ أي: ومفعول ﴿أَوْحَيْنَآ﴾ محذوف؛ أي: «أوحينا إليك قصة يوسف» وهو عكس القول الأول [**لأن المشهورة**]؛ أي: من القراءات [**ولذلك**]؛ أي: ولأجل أنها تاء تأنيث [**وكسرها**] بإسكان السين؛ أي: وكسر التاء جائز [**لأنها عوض حرف يناسبها**]؛ أي: وهو الباء [**لأنها**]؛ أي: فتحه التاء [**حركة أصلها**]؛ أي: وهو الياء؛

يجز (يا أبتي) لأنه جمع بين العوض والمعوض. وقرئ بالضم إجراء لها مجرى الأسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض، وإنما لم تسكن كأصلها؛ لأنها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب. ﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾ من الرؤيا لا من الرؤية لقوله: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ﴾ [يوسف: ٥] ولقوله: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠] ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾. روي عن جابر رضي الله تعالى عنه: «أن يهودياً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: أخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهن يوسف؟ فسكت! فنزل جبريل عليه السلام فأخبره بذلك فقال: «**إذا أخبرتك هل تسلم؟**» قال: نعم! قال: «**جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له**»، فقال اليهودي: إي والله إنها لأسماؤها». ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ استئناف لبيان حالهم التي رآهم عليها فلا تكرير، وإنما أجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم.

لأن أصلها التحريك وإنما سكنت تحقيقاً؛ لأنها حرف لين بخلاف الياء لما ذكر بعد(١).

﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ فسروا الكواكب بإخوته وكانوا أحد عشر والشمس والقمر بأبيه وأمه؛ بجعل الشمس للأم والقمر للأب [**«وروي أن يهودياً..»**] إلى آخره. رواه الحاكم والبيهقي وغيرهما(٢) لكنه ليس بثابت كما نقله شيخنا شيخ الإسلام ابن حجر بل قال: وذكر ابن أبي حاتم في العلل عن أبي زرعة أنه قال: (حديث منكر)، وقال ابن الجوزي: إنه موضوع.

[**وإنما أجريت مجرى العقلاء**]؛ أي: بعود ضمير «هم» إليها وبجمعها بجمعهم [**لوصفها بصفاتهم**]؛ أي: وهو السجود.

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١٠/ ١٦٥].

(٢) مجمع الزوائد، الهيثمي [٧/ ١٢١/ برقم: ١١٠٨٤].

۞ ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٦﴾.

---

(٥) ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ﴾ تصغير ابن، صغّرهَ للشفقة، أو لصغر السن؛ لأنه كان ابن اثنتي عشرة سنة. وقرأ حفص هنا وفي (الصافات) بفتح الياء. ﴿لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ﴾ فيحتالوا لإهلاكك حيلة، فَهِم يعقوب عليه السلام من رؤياه أن الله يصطفيه لرسالته، ويفوقه على إخوته، فخاف عليه حسدهم وبغيهم. و(الرؤيا) كـ(الرؤية) غير أنها مختصة بما يكون في النوم، فرق بينهما بحرفي التأنيث كـ(القربة) و(القربى)، وهي انطباع الصورة المنحدرة من أفق المتخيلة إلى الحس المشترك، والصادقة منها إنما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن أدنى فراغ، فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك، ثم إن المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها إلى الحس المشترك فتصير مشاهدة، ثم إن كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت إلا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير وإلا احتاجت إليه؛ وإنما عدى (كاد) باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يعدى به تأكيداً، ولذلك أكد بالمصدر وعلله بقوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ ظاهر العداوة لما فعل بآدم عليه السلام وحواء، فلا يألوا جهداً في تسويلهم وإثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد.

(٦) ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾؛ أي: وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعزٍّ وكمال نفس ﴿يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ للنبوة والملك أو لأمور عظام،

[لتضمينه معنى فعل يعدى به]؛ أي نحو: فيضمروا لك.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ٧﴾.

و(الاجتباء): من (جبيت الشيء) إذا حصلته لنفسك. ﴿وَيُعَلِّمُكَ﴾ كلام مبتدأ خارج عن التشبيه؛ كأنه قيل: وهو يعلمك. ﴿مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ من تعبير الرؤيا؛ لأنها أحاديث الملك إن كانت صادقة، وأحاديث النفس أو الشيطان إن كانت كاذبة، أو من تأويل غوامض كتب الله تعالى وسنن الأنبياء وكلمات الحكماء، وهو اسم جمع للحديث كأباطيل اسم جمع للباطل. ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ بالنبوة، أو بأن يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة ﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ يريد به سائر بنيه، ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب أو نسله ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ﴾ بالرسالة، وقيل: على إبراهيم بالخلة والإنجاء من النار، وعلى إسحاق بانقاذه من الذبح، وفدائه بذبح عظيم ﴿مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من قبلك، أو من قبل هذا الوقت ﴿إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾ عطف بيان لـ(أبويك). ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بمن يستحق الاجتباء ﴿حَكِيمٌ﴾ يفعل الأشياء على ما ينبغي.

٧ ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ﴾؛ أي: في قصتهم. ﴿ءَايَٰتٌ﴾ دلائل قدرة الله تعالى وحكمته، أو علامات نبوتك، وقرأ ابن كثير: (آية). ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ لمن سأل عن قصتهم، والمراد بإخوته بنو علاته العشرة وهم: يهوذا، وروبيل، وشمعون، ولاوى، وزبالون، ويشخر، ودينة ـ من بنت خالته (ليا) تزوجها يعقوب أولاً فلما توفيت تزوج أختها (راحيل) فولدت له بنيامين ويوسف ـ. وقيل: جمع بينهما ولم يكن الجمع محرماً حينئذ، وأربعة آخرون: دان، ونفتالي، وجاد، وأشر؛ من سريتين: (زلفة) و(بلهة).

[أو من تأويل غوامض كتب الله..] إلى آخره. عطف على من يعبر الرؤيا [وهو]؛ أي: لفظ الأحاديث [أو نسله] بالنصب عطفاً على سائر بنيه.

۞ ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾.

﴿٨﴾ ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ بنيامين؛ وتخصيصه بالإضافة لاختصاصه بالأخوة من الطرفين ﴿أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا﴾ وحده؛ لأن (أفعل) من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه، والمذكر وما يقابله بخلاف أخويه، فإن الفرق واجب في المحلي، جائز في المضاف. ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ والحال أنا جماعة أقوياء أحق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما، و(العصبة والعصابة): العشرة فصاعداً؛ سموا بذلك لأن الأمور تعصب بهم. ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ لتفضيله المفضول، أو لترك التعديل في المحبة. روي: (أنه كان أحب إليه لما يرى فيه من المخايل وكان إخوته يحسدونه، فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه، فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له).

﴿٩﴾ ـ ﴿١٠﴾ ﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾ من جملة المحكي بعد قوله: ﴿إِذْ قَالُواْ﴾ كأنهم اتفقوا على ذلك الأمر إِلَّا مِن قال: (لا تقتلوا يوسف). وقيل: إنما قاله شمعون، أو دان، ورضي به الآخرون. ﴿أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ منكورة بعيدة

[والمراد بإخوته علّاته العشرة] قيد بالعلات المراد بها الإخوة للأب[1] ليخرج بنيامين فإنه أخو يوسف شقيقه؛ لكن قوله: العشرة سبقُ قلم، وصوابه الأحد عشر لقوله: «وهم يهودا . .» إلى آخره. بإخراج بنيامين منهم لتقييدهم قيل بالعلات [**بخلاف أخويه**]؛ أي: أخوي أفعل من وهما المحلى بأل كالأفضل والمضاف كأفضل القوم [**من المخائل**] جمع مخيلة وهي المظنة.

(١) انظر: المصباح المنير، الفيومي [٢/٤٢٦].

﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ١١ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢﴾.

من العمران، وهو معنى تنكيرها وإبهامها؛ ولذلك نصبت كالظروف المبهمة. ﴿يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ﴾ جواب الأمر. والمعنى: يصف لكم وجه أبيكم فيقبل بكليته عليكم، ولا يلتفت عنكم إلى غيركم، ولا ينازعكم في محبته أحد. ﴿وَتَكُونُواْ﴾ جزم بالعطف على (يَخْلُ) أو نصب بإضمار (أن). ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ من بعد يوسف، أو الفراغ من أمره، أو قتله، أو طرحه. ﴿قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ﴾ تائبين إلى الله تعالى عما جنيتم، أو صالحين مع أبيكم بصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه، أو صالحين في أمر دنياكم فإنه ينتظم لكم بعده بِخُلُوِّ وجه أبيكم. ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ﴾ يعني: يهوذا، وكان أحسنهم فيه رأياً. وقيل: روبيل ﴿لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ﴾ فإن القتل عظيم ﴿وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾ في قعره، سمي بها لغيبوبته عن أعين الناظرين، وقرأ نافع في (غيابات) في الموضعين على الجمع؛ كأنه لتلك الجب غيابات. وقرئ (غيبة) و(غيَّابات) بالتشديد. ﴿يَلۡتَقِطۡهُ﴾ يأخذه ﴿بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾ بعض الذين يسيرون في الأرض ﴿إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ بمشورتي، أو إن كنتم على أن تفعلوا ما يفرق بينه وبين أبيه.

١١ - ١٢ ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ لم تخافنا عليه. ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾ ونحن نشفق عليه ونريد له الخير، أرادوا به استنزاله عن رأيه في حفظه منهم لما تنسم من حسدهم، والمشهور ﴿تَأۡمَ۫نَّا﴾ بالإدغام بإشمام. وعن نافع بترك الإشمام، ومن الشواذ ترك الإدغام؛ لأنهما من

[ولذلك]؛ أي: ولأجل تنكيرها وإبهامها نصب [كالظروف المبهمة] وهي ما ليس له حدود تحصره ولا أقطار تحويه و﴿أَرۡضٗا﴾ في الآية من هذا القبيل(١) [لما تنسم]

---

(١) انظر: الكتاب، سيبويه [٣/ ٢٨٥].

۞ ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾.

كلمتين و(تِيْمَنَّا) بكسر التاء. ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾ إلى الصحراء. (نرتع): نتسع في أكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهي الخصب. ونلعب: بالاستباق والانتضال. وقرأ ابن كثير (نرتعِ) بكسر العين على أنه من: (ارتعى يرتعي)، ونافع بالكسر والياء فيه وفي (يَلْعَبْ). وقرأ الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون على إسناد الفعل إلى يوسف. وقرئ ﴿يَرْتَعْ﴾ من أرتع ماشيته، و(يَرْتَعِ) بكسر العين ﴿وَيَلْعَبُ﴾ بالرفع على الابتداء. ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ من أن يناله مكروه.

﴿١٣﴾ - ﴿١٤﴾ ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ﴾ لشدة مفارقته عليَّ، وقلة صبري عنه ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾؛ لأن الأرض كانت مذأبة. وقيل: رأى في المنام أن الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره عليه، وقد همزها على الأصل ابن كثير ونافع في رواية قالون، وفي رواية اليزيدي وأبو عمرو؛ وقفاً، وعاصم وابن عامر وحمزة؛ درجاً، واشتقاقه من: (تذاءبت الريح) إذا هبت من كل جهة. ﴿وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾ لاشتغالكم بالرتع واللعب، أو لقلة اهتمامكم بحفظه ﴿قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ (اللام) موطئة للقسم وجوابه: ﴿إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ ضعفاء مغبونون، أو مستحقون لأن يدعى عليهم بالخسار و(الواو) في (وَنَحْنُ عُصْبَةٌ) للحال.

علة لحفظه منهم لا لاستنزاله عن رأيه **[وقد همزها في الأصل ابن كثير ونافع في رواية قالون وعاصم وابن عامر درجا ووقفا وحمزة درجا]** نسخ الكتاب هنا مختلفة بزيادة ونقص وأقربها إلى الصحة ما ذكرته مع أن أبا عمرو يهمز من رواية الدوري[1] **[واشتقاقه تذاءبت الريح إذا هبت من كل جهة]**؛ أي: فكما أن الريح تأتي من كل جهة

---

(١) انظر: إتحاف فضلاء البشر، الدمياطي [ص٤٦٧].

۞ ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾.

﴿١٥﴾ ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ﴾ وعزموا على إلقائه فيها، والبئر: بئر بيت المقدس، أو بئر بأرض الأردن، أو بين مصر ومدين، أو على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب. وجواب (لما) محذوف مثل: فعلوا به ما فعلوا من الأذى. فقد روي: (أنهم لما برزوا به إلى الصحراء أخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه، فجعل يصيح ويستغيث؛ فقال يهوذا: أما عاهدتموني أن لا تقتلوه! فأتوا به إلى البئر، فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على أبيهم، فقال: يا إخوتاه! ردوا علي قميصي أتوارى به! فقالوا: ادع الأحد عشر كوكباً والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك، فلما بلغ نصفها ألقوه، وكان فيها ماء فسقط فيه، ثم آوى إلى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي؛ فجاءه جبريل بالوحي) كما قال: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ وكان ابن سبع عشرة سنة. وقيل: كان مراهقاً أوحي إليه في صغره كما أوحي إلى يحيى وعيسى عليهم الصلاة والسلام. وفي القصص: (أن إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار جرد عن ثيابه؛ فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه، فدفعه إبراهيم إلى إسحاق، وإسحاق إلى يعقوب، فجعله في تميمة علقها بيوسف، فأخرجه جبريل عليه السلام وألبسه إياه. ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ﴾ هذا. لتحدثنهم بما فعلوا بك ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنك يوسف لعلو شأنك وبعده عن أوهامهم! وطول العهد المغير للحلى والهيئات؛ وذلك إشارة إلى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين: ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [يوسف: ٥٨]. بشَّره بما يؤول إليه أمره إيناساً له وتطييباً لقلبه. وقيل: (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) متصل بـ(أَوْحَيْنا)؛ أي: آنسناه بالوحي وهم لا يشعرون ذلك.

۞ ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ١٦ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾.

---

١٦ ـ ١٧ ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً﴾؛ أي: آخر النهار. وقرئ (عُشَيّاً) وهو تصغير عشي، و(عُشى): ـ بالضم والقصر ـ جمع أعشى؛ أي: عشوا من البكاء. ﴿يَبْكُونَ﴾ متباكين. روي: أنه لما سمع بكاءهم فزع وقال: ما لكم يا بني! وأين يوسف؟! ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ نتسابق في العَدْوِ أو في الرمي؛ وقد يشترك الافتعال والتفاعل كـ(الانتضال والتناضل). ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ بمصدق لنا ﴿وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ﴾ لِسُوءِ ظَنِّكَ بنا، وفرط محبتك ليوسف.

١٨ ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ﴾؛ أي: ذي كذب، بمعنى: مكذوب فيه، ويجوز أن يكون وصفاً بالمصدر للمبالغة، وقرئ بالنصب على الحال من الواو؛ أي: جاءوا كاذبين و(كدب) بالدال غير المعجمة؛ أي: كدر أو طري. وقيل: أصله البياض الخارج على أظفار الأحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص. و(على قميصه) في موضع النصب على الظرف؛ أي: فوق قميصه، أو على الحال من الدم إن جوز تقديمها على المجرور. روي: (أنه لما سمع بخبر يوسف صاح وسأل عن قميصه؟! فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص! وقال: ما رأيت كاليوم ذئباً أحلم من هذا! أكل ابني ولم يمزق عليه قميصه؟! ولذلك

فكذلك الذئب [وقيل: أصله]؛ أي: أصل كدب بالمهملة [البياض الخارج على أظفار الأحداث]؛ أي: الصغار.

[و﴿عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ﴾ في موضع النصب]؛ أي: على الظرف لـ«دم» [وسأل قميصه]؛

۞ ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَـٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ﴾؛ أي: سهلت لكم أنفسكم وهوَّنت في أعينكم أمراً عظيماً ـ من: (السول) وهو الاسترخاء. ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ﴾؛ أي: فأمري صبر جميل، أو فصبر جميلٌ أَجْمَل، وفي الحديث: «**الصبر الجميل: الذي لا شكوى فيه إلى الخلق**». ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ على احتمال ما تصفونه من إهلاك يوسف. وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم إن صحَّ.

﴿١٩﴾ ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ رفقة يسيرون من مدين إلى مصر، فنزلوا قريباً من الجبِّ ـ وكان ذلك بعد ثلاث من إلقائه فيه ـ. ﴿فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ﴾ الذي يرد الماء ويستقي لهم ـ وكان مالك بن ذعر الخزاعي ـ. ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ﴾ فأرسلها في الجب ليملأها، فتدلى بها يوسف فلما رآه ﴿قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ ۚ﴾ نادى البشرى؛ بشارة لنفسه، أو لقومه، كأنه قال: تعالي فهذا أوانكِ. وقيل: هو اسم لصاحب له ناداه ليعينه على إخراجه. وقرأ غير الكوفيين (يا بُشْرَاي) بالإِضافة، وأمال فتحة الراء حمزة والكسائي. وقرأ ورش بين اللفظين، وقرئ (يَا بُشْرَيَّ) بالإِدغام وهو لغة و(بُشْرايْ) بالسكون على قصد الوقف. ﴿وَأَسَرُّوهُ﴾؛ أي: الوارد وأصحابه من سائر الرفقة. وقيل: أخفوا أمره وقالوا لهم: دفعه إلينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر. وقيل: الضمير لإخوة يوسف؛ وذلك أن يهوذا كان يأتيه كل يوم بالطعام، فأتاه يومئذ فلم يجده فيها؛ فأخبره إخوته فأتوا الرفقة وقالوا: هذا غلامنا أَبَقَ مِنَّا فاشترُوه! فسكت يوسف مخافة أن يقتلوه! ﴿بِضَـٰعَةً ۚ﴾ نصب على الحال؛ أي: أخفوه متاعاً للتجارة، واشتقاقه من: (البضع) فإنه ما بضع من المال للتجارة. ﴿وَٱللَّهُ

أي: طلبه [من السَّوَال] بفتح السين والواو [وهو الاسترخاء] قال الجوهري:

۞ ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾.

عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ لم يَخْفَ عليه أسرارهم، أو صنيع إخوة يوسف بأبيهم وأخيهم.

﴿٢٠﴾ ﴿وَشَرَوْهُ﴾ وباعوه؛ وفي مرجع الضمير الوجهان. أو اشتروه من اخوته ﴿بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾ مبخوس؛ لزيفه أو نقصانه. ﴿دَرَٰهِمَ﴾ بدل من الثمن ﴿مَعْدُودَةٍ﴾ قليلة؛ فإنهم يَزِنُونَ ما بلغ الأوقية وَيَعُدُّونَ ما دونها. قيل: كان عشرين درهماً، وقيل: كان اثنين وعشرين درهماً ﴿وَكَانُوا۟ فِيهِ﴾ في يوسف ﴿مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ الراغبين عنه، والضمير في (وَكانُوا) إن كان للـ(إخوة) فظاهر، وإن كان للـ(رفقة) وكانوا بائعين فزهدهم فيه؛ لأنهم التقطوه، والملتقط للشيء متهاون به، خائف من انتزاعه، مستعجل في بيعه. وإن كانوا مبتاعين؛ فلأنهم اعتقدوا أنه آبق. و(فيه) متعلق بـ(الزاهدين) إن جعل اللام للتعريف، وإن جعل بمعنى: (الذي) فهو متعلق بمحذوف يبينه (الزَّاهِدِينَ) لأن متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول.

﴿٢١﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ﴾ وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر؛ واسمه (قطفير) أو (إطفير)، وكان الملك يومئذ: ريان بن الوليد العمليقي؛ وقد آمن بيوسف عليه السلام ومات في حياته. وقيل: كان فرعون موسى عاش أربعمائة سنة بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ

و«السَّوَال»: استرخاء ما تحت السرة من البطن[1] [﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ﴾]؛ أي: من الذين اشتروه أولاً [وقيل كان]؛ أي: الملك [عاش]؛ أي: فرعون موسى

---

(١) الصحاح، الجوهري [٧/ ٢٨].

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [غافر: ٣٤]. والمشهور: أنه من أولاد فرعون يوسف. والآية من قبيل خطاب الأولاد بأحوال الآباء. روي: (أنه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة، ولبث في منزله ثلاث عشرة سنة، واستوزره الريان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة). واختلف فيما اشتراه به من جعل شراءه به غير الأول: عشرون ديناراً، وزوجا نعل، وثوبان أبيضان. وقيل: ملؤه فضة، وقيل: ذهباً. ﴿لِٱمْرَأَتِهِۦٓ﴾ (راعيل) أو (زليخا) ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾ اجعلي مقامه عندنا كريماً؛ أي: حسناً، والمعنى: أحسني تعهده ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ في ضِيَاعِنا وأموالنا، ونستظهر به في مصالحنا ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ نتبناه؛ ـ وكان عقيماً ـ لما تفرس فيه من الرشد، ولذلك قيل: أفرس الناس ثلاثة: عزيز مصر، وابنة شعيب التي قالت: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ [القصص: ٢٦]، وأبو بكر حين استخلف عمر رضي الله

[بدليل] متعلق بـ«قيل» أو بـ«كان» [والآية]؛ أي: وهو قوله: «ولقد جاءكم يوسف من قبيل بالبينات» [واستوزره الريان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة] فيه حذف وتغيير وعبارة غيره: «واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين سنة، وآتاه الله العلم والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة»(١).

[وتوفي]؛ أي: يوسف [واختلف فيما اشتراه به]؛ أي: في قدر ما اشتراه به العزيز [من جعل شراه] فاعل «اختلف» [غير الأول]؛ أي: غير الشراء الأول، وهذا مع ما قبله لا حاجة إليه؛ لأن شراء(٢) العزيز معلوم أنه غير شراء الوارد وأصحابه؛ فكان يكفيه أن يقول: «واختلف فيما اشتراه به العزيز» أما قدر ما اشتراه به الوارد وأصحابه فيقدم في كلامه [وقيل مثله]؛ أي: في الزِّنة [«راعيل» أو «زليخا»] قيل: والظاهر أن «زليخا» لقبها [ولذلك قيل: «أفرس الناس ثلاثة: عزيز مصر..»] رواه الحاكم وصححه(٣).

---

(١) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٥/٢٤٣].
(٢) كما في نسخة [ز ـ ج ـ ب] وفي نسخة [الأصل]: (الشراء).
(٣) مستدرك الحاكم [٢/٣٧٦/ برقم: ٣٣٢٠].

۞ ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

تعالى عنهما. ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وكما مكنا محبته في قلب العزيز، أو كما مكناه في منزله، أو كما أنجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها. ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ﴾ عطف على مضمر تقديره: ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه؛ أي: كان القصد في إنجائه وتمكينه إلى أن يقيم العدل ويدبر أمور الناس، ويعلم معاني كتب الله تعالى وأحكامه فينفذها، أو تعبير المنامات المنبهة على الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل أن تحل؛ كما فعل لسنيه. ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ لا يرده شيء ولا ينازعه فيما يشاء، أو على أمر يوسف أراد به إخوته شيئاً وأراد الله غيره؛ فلم يكن إلا ما أراده. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الأمر كله بيده، أو لطائف صنعه وخفايا لطفه.

﴿٢٢﴾ ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾ منتهى اشتداد جسمه وقوته؛ وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين والأربعين، وقيل: سن الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ حكمة: وهو العلم المؤيد بالعمل، أو حكماً بين الناس. ﴿وَعِلْمًاۚ﴾؛ يعني: علم تأويل الأحاديث. ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ تنبيه على أنه تعالى إنما آتاه ذلك جزاء على إحسانه في عمله، وإتقانه في عنفوان أمره.

﴿٢٣﴾ ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ طلبت منه وتمحلت أن يواقعها، من: (راد يرود) إذا جاء وذهب لطلب شيء؛ ومنه: (الرائد). ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ قيل: كانت سبعة؛ والتشديد للتكثير أو للمبالغة في الإيثاق. ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَۚ﴾؛ أي: أقبل وبادر، أو تهيأت؛ والكلمة على

[في عنفوان أمره]؛ أي: في أَوَّلِه؛ قال الجوهري: عنفوان الشيء أوله يقال: هو

۞ ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

الوجهين: اسم فعل بني على الفتح كـ(أين)، و(اللام) للتبيين؛ كالتي في: سقياً لك. وقرأ ابن كثير بالضم وفتح الهاء تشبيهاً له بـ(حيث)، ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كـ(عيط). وقرأ هشام كذلك إلا أنه يهمز. وقد روي عنه ضم التاء؛ وهو لغة فيه. وقرئ (هَيْتَ) كجير، و(هِئْت) كـ(جئت) من: (هاء يهيء) إذا تهيأ وقرئ: (هيئت) وعلى هذا فـ(اللام) من صلته. ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ أعوذ بالله معاذاً ﴿إِنَّهُۥ﴾ إن الشأن ﴿رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ سيدي (قطفير) أحسن تعهدي؛ إذ قال لك فيَّ: (أَكْرِمِي مَثْواهُ)، فما جزاؤه أن أخونه في أهله. وقيل: الضمير لله تعالى؛ أي: إنه خالقي أحسن منزلتي بأن عطف عليَّ قلبَهُ فلا أعصيه. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ المجازُون الحسن بالسيئ. وقيل: الزناة؛ فإن الزنا ظلم على الزاني والمزني بأهله.

﴿٢٤﴾ ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾ وقصدت مخالطته وقصد مخالطتها، و(الهم بالشيء): قصده، والعزم عليه؛ ومنه الهُمَام: وهو الذي إذا هم بالشيء أمضاه، والمراد بـ(همه) عليه السلام ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري، وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والأجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهمّ، أو مشارفة الهم كقولك: قتلته لو لم أخف الله. ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ في قبح الزنا وسوء مغبته؛ لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة، ....

في عنفوان شبابه[1] [وابن عامر]؛ أي: من رواية هشام [كعيط] هو صوت للفتيان إذا تصايحوا في اللعب [وقصد مخالطتها] وقيل: قصد دفعها [أو مشارفة الهم] عطف على ميل الطبع [وسوء مغبته]؛ أي: عاقبته [لشبق الغلمة]؛ أي: لشدة شهوة

(١) الصحاح، الجوهري [٦/ ٩٩].

۞ ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

ولا يجوز أن يجعل (وَهَمَّ بِها) جواب (لَوْلا) فإنها في حكم أدوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها؛ بل الجواب محذوف يدل عليه. وقيل: رأى جبريل عليه الصلاة والسلام. وقيل: تمثل له يعقوب عاضّاً على أنامله. وقيل: قطفير. وقيل: نودي يا يوسف أنت مكتوب في الأنبياء وتعمل عمل السفهاء. ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: مثل ذلك التثبيت ثبتناه، أو الأمر مثل ذلك. ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوٓءَ﴾ خيانة السيد ﴿وَالْفَحْشَآءَ﴾ الزنا. ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ الذين أخلصهم الله لطاعته. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر في كل القرآن إذا كان في أوله الألف واللام؛ أي: الذين أخلصوا دينهم لله.

﴿٢٥﴾ ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾؛ أي: تسابقا إلى الباب، فحذف الجار أو ضمن الفعل معنى الابتدار؛ وذلك أن يوسف فرَّ منها ليخرج وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ﴾ اجتذبته من ورائه فانقد قميصه؛ و(القد): الشق طولاً، و(القط): الشق عرضاً. ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾ وصادفا زوجها ﴿لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إيهاماً بأنها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها، وتغييره على يوسف، وإغراءه به انتقاماً منه (وَمَا) نافية أو استفهامية بمعنى: أي شيء جزاءه إلا السجن.

﴿٢٦﴾ ـ ﴿٢٧﴾ ﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾ طالبتني بالمؤاتاة؛ وإنما قال

الضراب [ولا يجوز أن يجعل ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ جواب ﴿لَوْلَآ﴾]؛ أي: عند جمهور البصريين وإلا فغيرهم يجوزه.

ذلك دفعاً لما عرضته له من السجن أو العذاب الأليم، ولو لم تكذب عليه لما قاله. ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ قيل: ابن عم لها. وقيل: ابن خال لها صبيّاً في المهد. وعن النبي ﷺ: «**تكلم أربعة صغاراً: ابن ماشطة فرعون، وشاهد يوسف، وصاحب جُرَيْج، وعيسى ابن مريم** عليه السلام». وإنما ألقى الله الشهادة على لسان أهلها لتكون ألزم عليها. ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ لأنه يدل على أنها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها، أو أنه أسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه. ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ لأنه يدل على أنها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته. والشرطية محكية على إرادة القول، أو على أن فعل الشهادة من القول، وتسميتها شهادة لأنها أدت مؤداها. والجمع بين (إن) و(كان) على تأويل أن يعلم أنه كان ونحوه، ونظيره قولك: إن أحسنت إليَّ اليوم فقد أحسنتُ إليك من قبل؛ فإن معناه: إن تَمْنُنْ عَلَيَّ بإحسانِكَ أَمْنُنْ

[**وعن النبي ﷺ: «تكلم في المهد أربعة..»**] إلى آخره. رواه الإمام أحمد والحاكم وابن حبان وصححاه من حديث ابن عباس[1] وروى الحاكم أيضاً من حديث أبي هريرة: «**لم يتكلم في المهد إلا أربعة عيسى وشاهد يوسف وصاحب جريج وابن ماشطة فرعون**» وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة: «**لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى ابن مريم وصاحب جريج وصبي كان يَرْضَعُ أُمَّهُ فمرَّ راكب حسن الهيئة، فقالت أمه: اللَّهُمَّ اجعل ابني مثل هذا! فقال الصبي: اللَّهُمَّ لا تجعلني مثله**»[2] وبهذا الاعتبار صاروا خمسة وزاد الثعلبي سادساً وهو «يحيى بن زكريا» وزاد غيره على ذلك، ولعل الحصر فيما ذكر في الحديث كان قبل العلم بالزيادة فلا تناقض.

[**والجمع بين «أنْ» و«كان»**] من حيث أنَّ «أنْ» للاستقبال و«كان» للماضي

---

(١) مسند أحمد [١/٣٠٩/برقم: ٢٨٢٢]، صحيح ابن حبان [٧/ ١٦٤/برقم: ٢٩٠٤]، مستدرك الحاكم [٢/ ٦٥٠/برقم: ٤١٦١].

(٢) صحيح البخاري [٣/١٢٦٨/ برقم: ٣٢٥٣]، صحيح مسلم [٤/ ١٩٧٦/ برقم: ٢٥٥٠].

۞ ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَاۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾.

عليك بإحساني لك السابق. وقرئ: (مِن قُبُلُ) (وَمِنْ دُبُرُ) بالضم لأنهما قطعا عن الإضافة كـ(قبل وبعد)، وبالفتح كأنهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف، وبسكون العين.

﴿٢٨﴾ ـ ﴿٢٩﴾ ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ﴾ إن قولك: (مَا جَزاءُ مَنْ أرادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً)، أو إن السوء، أو إن هذا الأمر ﴿مِن كَيْدِكُنَّ﴾ من حيلتكن؛ والخطاب لها ولأمثالها، أو لسائر النساء ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ فإن كيد النساء ألطف وأعلق بالقلب، وأشد تأثيراً في النفس؛ ولأنهن يواجهن به الرجال، والشيطان يوسوس به مسارقة. ﴿يُوسُفُ﴾ حذف منه حرف النداء؛ لقربه وتفطنه للحديث ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَاۚ﴾ اكتمه ولا تذكره ﴿وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِۖ﴾ يا (راعيل) ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ من القوم المذنبين، من: (خطئ) إذا أذنب متعمداً، والتذكير للتغليب.

﴿٣٠﴾ ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ هي اسم لجمع امرأة، وتأنيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي؛ ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها. ﴿فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ ظرف لـ(قال)؛ أي: أشعن الحكاية في مصر، أو صفة (نسوة) وكنَّ خمساً: زوجة الحاجب، والساقي، والخباز، والسجان، وصاحب الدواب. ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦۖ﴾ تطلب مواقعة غلامها إياها و﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ بلسان العرب:

[فمنع الصرف]؛ أي: للعلمية والتأنيث **[لقربه وتعطفِهِ]**[1]؛ أي: وهو لم يكن بعيداً

(١) في نسخة [ز ـ ج ـ ب]: (يقظته).

۞ ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾.

الملك، وأصل (فتى) فتي؛ لقولهم: فتيان، و(الفتوة) شاذة. ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ شقَّ شغاف قلبها ـ وهو حجابه ـ حتى وصل إلى فؤادها حبّاً، ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه. وقرئ (شَعَفَها) من: (شعف البعير) إذا هَنَأَهُ بالقطران فأحرقه. ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب.

﴿٣١﴾ ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ باغتيابهن، وإنما سماه مكراً؛ لأنهن أخفينه كما يخفي الماكر مكره، أو قلن ذلك لتريهن يوسف، أو لأنها استكتمتهن سرها فأفشينه عليها. ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ تدعوهن! قيل: دعت أربعين امرأة فيهن الخمس المذكورات ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ ما يتكئن عليه من الوسائد ﴿وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ حتى يتكئن والسكاكين بأيديهن؛ فإذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها فيُبَكَّتْنَ بالحجة، أو يهاب يوسف مكرها إذا خرج وحده على أربعين امرأة في أيديهن الخناجر. وقيل: (متكأ) طعاماً، أو مجلس طعام؛ فإنهم كانوا يتكئون للطعام والشراب ترفاً، ولذلك نهي عنه. قال جميل:

مكاناً ولا تعطفاً حتى يؤتى بـ«يا» [لصرف الفعل]؛ أي: وهو شغف [عنه]؛ أي: عن الحب فهو محول عن الفاعل والأصل شغفها حبه [من شغف البعير إذا هنأه بالقطران] هنَأه بنون مخففة فهمزة؛ أي: طلاه به قال الجوهري: هَنَأْتُ البعيرَ أَهْنَؤُهُ إذا طَلَيْتُهُ بالهِنَاءِ وهو القَطِرَان[1] [أو يهاب] عطف على (يَتَّكِئْنَ) قال جميل:

---

(١) الصحاح، الجوهري [١/ ٢٠٤].

فَـظَـلِـلْـنـا بِـنِـعْـمَـةٍ وَاتَّـكَـأْنَـا وَشَـرِبْـنَـا الـحَـلَالَ مِـنْ قُـلَـلِـهْ

وقيل: (المُتَّكَأُ) طعام يحزُّ حَزّاً؛ كأن القاطع يتكئ عليه بالسكين. وقرئ (مُتَّكاً) بحذف الهمزة، و(مُتَّكَاءً) بإشباع الفتحة كـ(منتزاح)، و(مُتْكاً) وهو الأُتْرُجُّ أو ما يقطع من: (مَتَكَ الشيء) إذا بتكه، و(مَتْكَأً) من تكئ يتكأ إذا اتكأ. ﴿وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾ عظَّمْنَه وهِبْنَ حُسْنَهُ الفائق. وعن النبي ﷺ: «**رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر**». وقيل: كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران. وقيل: (أكبرن) بمعنى: حضن، من: (أكبرت المرأة) إذا حاضت؛ لأنها تدخل الكبر بالحيض، والهاء ضمير للمصدر، أو ليوسف عليه الصلاة والسلام على حذف اللام؛ أي: حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي:

خَفِ اللَّهَ وَاسْتُرْ ذَا الجَمَالَ بِبرقُع فَإِنَ لُحْتَ حَاضَتْ فِي الخُدُورِ العَوَاتِقُ

﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ تنزيهاً له من صفات العجز، وتعجباً من قدرته على خلق مثله، وأصله (حاشا)

[**فَـظَـلَـلْـنـا بِـنـعـمـةٍ وَاتَّـكَـأْنَـا** ....]

أي: «طعمنا» أو «أخذنا»، متكئ يتكؤ عليه [**وشرِبنا الحلالَ**]؛ أي: النبيذ [**مِنْ قُلَلِه**][1] جمع: قلة وهي الجرة [**كمنزاح**] بمعنى: منتزح؛ أي: بعد قال الجوهري: يقول أنت بمنتزح من كذا وكذا؛ أي: تبتعد منه [**مِنْ بَتَكَ الشيءَ إذا بَتَكَه**]؛ أي: قطعه [**«رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر»**] رواه الحاكم وغيره[2] [**والهاء ضمير المصدر**]؛ أي: أكبرن الإكبار وما قاله أَوْلَى من قول «الكشاف» والهاء للسكت إذ قيل تحريك هاء السكت لحن، وإن اعتذر عنه بأنه أجرى الوقف مجرى الوصل [**قال المتنبي**:

خف اللّه واستر ذا الجمال ببرقع فــإن لــحــت..................]

أي: لمحت [**حاضت في الخدور العواتق**][3] هو فاعل «حاضت» ومفرده

---

(١) انظر: غريب الحديث، ابن قتيبة [١/١٢]. (٢) مستدرك الحاكم [٢/٦٢٣/برقم: ٤٠٨٧].

(٣) شرح ديوان المتنبي، الواحدي [ص٦٥].

۞ ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

كما قرأ أبو عمرو في الدرج؛ فحذفت ألفه الأخيرة تخفيفاً، وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء، فوضع موضع التنزيه، و(اللام) للبيان كما في قولك: سقيا لك. وقرئ: (حاشَ اللهِ) بغير لام بمعنى: براءة الله، و(حاشاً لله) بالتنوين؛ على تنزيله منزلة المصدر. وقيل: (حاشا) فاعل من: (الحشا) الذي هو الناحية، وفاعله ضمير يوسف؛ أي: صار في ناحية الله مما يتوهم فيه. ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ لأن هذا الجمال غير معهود للبشر، وهو على لغة الحجاز؛ في إعمال (ما) عمل (ليس) لمشاركتها في نفي الحال. وقرئ (بَشَرٌ) بالرفع على لغة تميم و(بِشِرًى)؛ أي: بعبد مشترى لئيم. ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ فإن الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة، أو لأن جماله فوق جمال البشر ولا يفوقه فيه إلا الملك.

﴿٣٢﴾ ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾؛ أي: فهو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني في الافتنان به قبل أن تتصورنه حق تصوره؛ ولو تصورتنه بما عاينتن لعذرتنني، أو فهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع (ذلك) موضع (هذا) رفعاً لمنزلة المشار إليه. ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ فامتنع طلباً للعصمة، أقرَّت لهن حين عرفت أنهن يعذرنها كي يعاونها على إلانة

«عاتق» وهي الجارية البالغة التي لم تتزوج، وقيل: هي التي قاربت البلوغ سميت «عاتقة»: لأنها عتقت من قهر أبويها واشتغلت ببيت زوجها، وفي «الخدور»؛ أي: الستور حال من «العواتق» أو متعلق بـ«حاضت» **[على تنزيله منزلة المصدر]** جواب ما يقال: إن «حاشا» كما مرّ والحرف لا يدخله تنوين؟ فأجاب: بأنه إنما دخله التنوين بعد تنزيله منزلة المصدر[1] **[أو فهذا هو الذي لمتنني فيه]** الفرق بينه وبين

---

(١) انظر: منازل الحروف، الرماني [ص١٤].

۞ ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾.

عريكته. ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ﴾؛ أي: ما آمر به؛ فحذف الجار، أو أمري إياه بمعنى: موجب أمري؛ فيكون الضمير ليوسف. ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ من الإذلاء، وهو من: (صغِر) بالكسر يصغر صغراً وصغاراً؛ والصغير من: (صغُر) بالضم صغراً. وقرئ: (لَّيَكُونُنَّ) وهو يخالف خط المصحف؛ لأن النون كتبت فيه بالألف (كنسفعاً) على حكم الوقف؛ وذلك في الخفيفة لشبهها بالتنوين.

﴿٣٣﴾ - ﴿٣٤﴾ ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ﴾ وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر. ﴿أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾؛ أي: آثر عندي من مؤاتاتها زناً؛ نظراً إلى العاقبة، وإن كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه، وإسناد الدعوة إليهن جميعاً؛ لأنهن خوفنه من مخالفتها وزَيَّنَّ له مطاوعتها، أو دعونه إلى أنفسهن، وقيل: إنما ابتلي بالسجن لقوله هذا! وإنما كان الأولى به أن يسأل الله العافية، ولذلك رد رسول الله ﷺ على من كان يسأل الصبر.

الأول أن المحذوف هنا بعض الخبر وتنزيله «هذا» منزلة «ذلك» وفي الأول المحذوف المبتدأ وذلك على معناه [**عريكته**]؛ أي: طبيعته [**وقيل: إنما ابتلي بالسجن لقوله هذا، وإنما كان الأولى به أن يسأل الله العافية**] أشار الإمام الرازي إلى رد ذلك حيث قال: إنما أجاب بهذا قولها ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وتقديره إن كان لا بد من الإلزام بأحد الأمرين الزنا أو السجن فهذا أولى [**ولذلك رد رسول الله ﷺ على من كان يسأل: «الصبر..»**]؛ أي: بقوله: «**له سألت الله البلاء فاسأله العافية**» رواه الترمذي(١).

---

(١) سنن الترمذي [٥/ ٥٤١/ برقم: ٣٥٣٧].

۞ ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ٣٥ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦﴾.

﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي﴾ وإن لم تصرف عني ﴿كَيۡدَهُنَّ﴾ في تحبيب ذلك إليَّ وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة ﴿أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ﴾ أمل إلى جانبهن، أو إلى أنفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي، و(الصبوة): الميل إلى الهوى، ومنه: (الصَّبَا)؛ لأن النفوس تستطيبها وتميل إليها. وقرئ (أَصَبُّ) من الصبابة وهي الشوق. ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ من السفهاء؛ بارتكاب ما يدعونني إليه فإن الحكيم لا يفعل القبيح، أو من الذين لا يعملون بما يعلمون فإنهم والجهال سواء. ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ فأجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ﴾ ... ﴿فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّ﴾ فثبته بالعصمة حتى وَطَّن نفسه على مشقة السجن، وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ لدعاء الملتجئين إليه ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بأحوالهم وما يصلحهم.

٣٥ - ٣٦ ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ ثم ظهر للعزيز وأهله من بعد ما رأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف؛ كشهادة الصبي، وقد القميص، وقطع النساء أيديهن، واستعصامه عنهن، وفاعل (بَدا) مضمر يفسره ﴿لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ﴾ وذلك لأنها خدعت زوجها وحملته على سجنه زماناً حتى تبصر ما يكون منه، أو يحسب الناس أنه المجرم فلبث في السجن سبع سنين. وقرئ بالتاء على أن بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم، أو العزيز ومن يليه. و(عَتَّى) بلغة هذيل. ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ

[وفاعل «بدا» المضمر يفسره ليسجننه] عبر عنه غيره بقوله: مضمر يعود على «السجن» بفتح السين؛ أي: ظهر لهم حبسه وقيل: فاعله جملة «لَيُسْجَنَنَّ» وقيل: مضمر يعود إلى مصدر «بدا»؛ أي: «بدا لهم بدأ» [وقرئ بالياء]؛ أي: في ليسجننه

۞ ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

فَتَيَانِ﴾؛ أي: أدخل يوسف السجن، واتفق أنه أدخل حينئذ آخران من عبيد الملك، شرابيه وخبازه للاتهام بأنهما يريدان أن يُسِمَّاه. ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ﴾؛ يعني: الشرابي: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ﴾ أي في المنام، وهي حكاية حال ماضية ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾؛ أي: عنباً، وسماه خمراً باعتبارِ ما يؤول إليه ﴿وَقَالَ ٱلْأَخَرُ﴾؛ أي: الخباز: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ﴾ تنهش منه ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ من الذين يحسنون تأويل الرؤيا، أو من العالمين! وإنما قالا ذلك؛ لأنهما رأياه في السجن يذكّر الناس ويعبّرُ رؤياهم، أو من المحسنين إلى أهل السجن فأحسن إلينا بتأويل ما رأينا إن كنت تعرفه.

﴿٣٧﴾ - ﴿٣٨﴾ ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ﴾؛ أي: بتأويل ما قصصتما علي، أو بتأويل الطعام؛ يعني: بيان ماهيته وكيفيته فإنه يشبه تفسير المشكل، كأنه أراد أن يدعوهما إلى التوحيد ويرشدهما إلى الطريق القويم قبل أن يسعف إلى ما سألاه منه؛ كما هو طريقة الأنبياء والنازلين منازلهم من العلماء في الهداية والإرشاد، فقدم ما يكون معجزة له

[أن يسماه]؛ أي: الملك **[تنهش]** بالمهملة والمعجمة **[فإنه]**؛ أي: تأويل ما ذكر **[شبه تفسير المشكل]**؛ أي: بجامع غموض كل منهما **[كأنه أراد أن يدعوهما إلى التوحيد..]** إلى آخره[1]؛ أي: أراد أن يدعوهما إليه بقوله: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ﴾ [يوسف: ٣٧]. . إلى آخره **[ما سألا منه]**؛ أي: طلبا منه.

---

(١) انظر: معالم التنزيل، البغوي [٤/ ٢٤١].

۞ ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠﴾.

من الإخبار بالغيب ليدلهما على صدقه في الدعوة والتعبير. ﴿قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا﴾ ذلك التأويل ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ﴾ بالإلهام والوحي وليس من قبيل التكهن أو التنجيم ﴿إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ تعليل لما قبله؛ أي: علمني ذلك لأني تركت ملة أولئك ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ﴾ أو كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة، وإظهار أنه من بيت النبوة؛ لتقوى رغبتهما في الاستماع إليه والوثوق عليه، ولذلك جوز للخامل أن يصف نفسه حتى يُعْرَف فيقتبس منه. وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم، وتأكيد كفرهم بالآخرة ﴿مَا كَانَ لَنَآ﴾ ما صح لنا معشر الأنبياء ﴿أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ﴾؛ أي: شيء كان ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: التوحيد ﴿مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا﴾ بالوحي ﴿وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾ وعلى سائر الناس، يبعثنا لإرشادهم وتثبيتهم عليه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ المبعوث إليهم ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ هذا الفضل فيعرضون عنه ولا يتنبهون، أو من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل وإنزال الآيات؛ ولكن أكثرهم لا ينظرون إليها ولا يستدلون بها، فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها.

٣٩ - ٤٠ ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾؛ أي: يا ساكنيه، أو: يا صَاحِبَيَّ فيهِ، فأضافهما إليه على الاتساع كقوله: (يَا سَارِقَ اللَّيْلَةَ أَهْلَ الدَّارِ) ﴿ءَأَرۡبَابٞ

[**أو كلام**] عطف على تعليل [**لتمهيد الدعوة**]؛ أي: إلى التوحيد [**فأضافهما إليه**]؛ أي: إلى السجن [**كقوله: يا سارقَ الليلةِ أَهْلَ الدار**][1]؛ أي: فكما أن الليلة

---

(١) انظر: شرح الكافية، الاسترابادي [١/ ٥٠٢].

۞ ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ٤١﴾.

مُّتَفَرِّقُونَ﴾ شتى متعددة متساوية الأقدام ﴿خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ﴾ المتوحد بالألوهية ﴿ٱلۡقَهَّارُ﴾ الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ خطاب لهما ولمن على دينهما من أهل مصر ﴿إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ﴾؛ أي: إلا أشياء باعتبار أسامٍ أطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها؛ فكأنكم لا تعبدون إلا الأسماء المجردة. والمعنى: أنكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الألوهية ـ عقل ولا نقل ـ آلهة، ثم أخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ﴾ ما الحكم في أمر العبادة ﴿إِلَّا لِلَّهِۚ﴾؛ لأنه المستحق لها بالذات من حيث إنه الواجب لذاته، الموجد للكل، والمالك لأمره. ﴿أَمَرَ﴾ على لسان أنبيائه ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾ الذي دلت عليه الحجج ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ الحق، وأنتم لا تميزون المعوج عن القويم؛ وهذا من التدرج في الدعوة وإلزام الحجة، بيَّن لهم أولاً رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق الخطابة، ثم برهن على أن ما يسمونها آلهة ويعبدونها لا تستحق الإلهية؛ فإن استحقاق العبادة إما بالذات، وإما بالغير، وكلا القسمين منتف عنها، ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم، الذي لا يقتضي العقل غيره، ولا يرتضي العلم دونه. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ فيخبطون في جهالاتهم.

٤١ ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾؛ يعني: الشرابي ﴿فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ

مسروق فيها غير مسروقة فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب، وإنما المصحوب غيره وهو يوسف [وهذا]؛ أي: قوله: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾ إلى آخره. كما يدل له كلامه بعد [**من التدرج وإلزام الحجة**]؛ أي: لمن عبد غير الله [**بين لهم..**] إلى آخره؛ أي: بقوله: «أرباب. .» إلخ والخطابة الدليل الإقناعي [**ثم برهن..**] إلى آخره؛ أي: بقوله: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ﴾ إلى آخره [**ثم نص**]. . إلخ؛ أي: بقوله: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ﴾ إلخ.

﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

خَمْرًا﴾ كما كان يسقيه قبل ويعود إلى ما كان عليه ﴿وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ﴾ يريد به الخباز ﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ﴾ فقالا: كذبنا، فقال: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾؛ أي: قطع الأمر الذي تستفتيان فيه؛ وهو ما يؤول إليه أمركما ولذلك وحَّدَه، فإنهما وإن استفتيا في أمرين لكنهما أرادا استبانة عاقبة ما نزل بهما.

﴿٤٢﴾ ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ الظان: يوسف، إن ذَكَرَ ذلك عن اجتهاد وإن ذَكَرَه عن وحي؛ فهو الناجي إلا أن يؤول الظن باليقين ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ اذكر حالي عند الملك كي يخلصني ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ فأنسى الشرابي أن يذكره لربه؛ فأضاف إليه المصدر لملابسته له، أو على تقدير ذكر أخبار ربِّه، أو أَنْسَى يوسُفَ ذِكْرَ اللهِ حتى استعان بغيره، ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام: «**رحم الله أخي يوسف لو لم يقل ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ لما لبث في السجن سبعاً بعد الخمس**». والاستعانة بالعباد في كشف الشدائد وإن كانت محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الأنبياء. ﴿فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ البضع ما بين الثلاث إلى التسع، من: (البضع) وهو القطع.

﴿٤٣﴾ - ﴿٤٤﴾ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ

[«**رحم الله أخي يوسف..**»] إلى آخره. رواه بمعناه ابن المنذر وغيره(١)

---

(١) انظر: صحيح ابن حبان [١٤/ ٨٦/ برقم: ٦٢٠٦].

﴿عِجَافٌ﴾ لما دنا فَرَجُهُ رأى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس، وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان ﴿وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ﴾ قد انعقد حَبُّها ﴿وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ﴾ وسبعاً أخر يابسات قد أدركت فالْتَوَتِ اليابسات على الخضر حتى غلبت عليها؛ وإنما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات، وأجرى (السمان) على المميز دون المميز؛ لأن التمييز بها ووصف السبع الثاني بـ(العجاف) لتعذر التمييز بها مجرداً عن الموصوف فإنه لبيان الجنس، وقياسه (عجف)؛ لأنه جمع عجفاء؛ لكنه حمل على (سِمانٍ)؛ لأنه نقيضه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ﴾ عبروها ﴿إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ﴾ إن كنتم عالمين بعبارة الرؤيا؛ وهي الانتقال من الصور الخيالية إلى المعاني النفسانية التي هي مثالها من العبور وهي المجاوزة، وعبرت الرؤيا عبارة أثبت، من: (عبرتها تعبيراً) واللام للبيان، أو لتقوية العامل؛ فإن الفعل لما أخر عن مفعوله ضعف فقوي باللام كاسم الفاعل، أو لتضمن ﴿تَعۡبُرُونَ﴾ معنى فعل يُعَدَّى باللام كأنه قيل: إن كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا. ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ﴾؛ أي: هذه أضغاث أحلام وهي تخاليطها؛ جمع (ضغث) وأصله ما جمع من أخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة؛ وإنما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم:

[**وإنما استغنى عن بيان حالها**]؛ أي: حال السنبلات من أن اليابسات التَوَت على الخضر [**وأجرى «السمان» على المميز**] بكسر الياء وهو «بقرات» [**دون المميز**] بفتحها وهو «سبع» [**لأن التمييز بها**]؛ أي: بالسمان من البقرات [**ووصف «السبع» الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها**]؛ أي: لتعذر الوصف بـ«العجاف» [**مجرداً عن الموصوف**]؛ أي: وهو بقرات [**فإنه**]؛ أي: التمييز [**لبيان الجنس**]؛ أي: والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده[1] [**التي هي**]؛ أي: الصور الخالية [**مثالها**]؛ أي: المعاني النفسانية [**كأنه**]؛ أي: كأن قولهم: ﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١١/ ٥٧].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

فلان يركب الخيل، أو لتضمنه أشياء مختلفة ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ يريدون بالأحلام المنامات الباطلة خاصة؛ أي: ليس لها تأويل عندنا، وإنما التأويل للمنامات الصادقة، فهو كأنه مقدمة ثانية للعذر في جهلهم بتأويله.

﴿٤٥﴾ - ﴿٤٦﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا﴾ من صاحبي السجن وهو الشرابي. ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة؛ أي: مدة طويلة. وقرئ (إِمَّة) بكسر الهمزة وهي النعمة؛ أي: بعد ما أنعم عليه بالنجاة، و(أَمِهٍ)؛ أي: نسيان، يقال: أَمِه يَأمَه أمَها إذا نسي، والجملة اعتراض ومقول القول. ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ﴾؛ أي: إلى من عنده علمه أو إلى السجن. ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾؛ أي: فأرسل إلى يوسف فجاءه فقال: يا يوسف؛ وإنما وصفه بالصديق وهو المبالغ في الصدق لأنه جرب أحواله، وعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه ﴿أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾؛ أي: في رؤيا ذلك ﴿لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ أعود إلى الملك ومن عنده، أو إلى أهل البلد؛ إذ قيل: إن السجن لم يكن فيه ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ تأويلها، أو فضلك ومكانك. وإنما لم يبت الكلام فيهما لأنه لم يكن جازماً بالرجوع، فربما اخترم دونه ولا يعلمهم.

﴿٤٧﴾ - ﴿٤٩﴾ ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾؛ أي: على عادتكم المستمرة،

[يقال: أَمَهَ يَأْمَهُ أَمْهاً] بفتح الميم وأَخْطَأَ مَنْ سَكَّنَها.

وانتصابه على الحال بمعنى: دائبين، أو المصدر بإضمار فعله؛ أي: (تدأبون دأباً) وتكون الجملة حالاً. وقرأ حفص ﴿دَأَبًا﴾ بفتح الهمزة، وكلاهما مصدر دأب في العمل. وقيل: ﴿تَزْرَعُونَ﴾ أمر أخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ لئلا يأكله السوس، وهو على الأول نصيحة خارجة عن العبارة ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ في تلك السنين ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾؛ أي: يأكل أهلهن ما ادخرتم لأجلهن؛ فأسند إليهن على المجاز تطبيقاً بين المعبر والمعبر به ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ تحرزون لبذور الزراعة ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ يمطرون؛ من: (الغيث)، أو يغاثون من القحط؛ من: (الغوث). ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار. وقيل: يحلبون الضروع. وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على تغليب المستفتي، وقرئ على بناء المفعول من: (عصره) إذا أنجاه، ويحتمل أن يكون المبني للفاعل منه؛ أي: يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضاً، أو من: (أعصرت السحابة عليهم)؛

[**أخرجه في صورة الخبر مبالغة**]؛ أي: في إيجاب إيجاد المأمور به فيجعل كأنه يوجد فهو يخبر عنه [**لقوله**: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾] دليل على كون ﴿تَزْرَعُونَ﴾ في معنى الأمر لوقوع ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ﴾ إلى آخره[1]. جواباً له [**وهو**]؛ أي: فما حصدتم. إلى آخره. [**على الأول**]؛ أي: وهو بقاء «تزرعون» على الإخبار [**نصيحة**] للمخاطبين [**فأسند**]؛ أي: الأكل [**إليهن**]؛ أي: السنين [**على المجاز تطبيقاً بين المعبر**]؛ أي: وهو ﴿يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ [**والمعبر به**]؛ أي: وهو «يأكلن ما قدمتم لهن».

[**من الغيث**]؛ أي: وهو المطر [**من الغوث**]؛ أي: وهو طلب النصرة [**من عصره إذا أنجاه**] بمعنى: أغاثه [**أو من أعصرت السحابة عليهم**] ظاهره عطف على منه فيكون مفرعاً على قراءة المبني للفاعل والموافق لكلام «الكشاف»[2] وغيره أن يكون عطفاً

---

(١) انظر: اللباب، ابن عادل [١١/١٢١].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٢/٤٤٩].

۞ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۝٥٠﴾.

فعدي بنزع الخافض أو بتضمينه معنى المطر. وهذه بشارة بشرهم بها بعد أن أوَّلَ البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة، والعجاف واليابسات بسنين مجدبة، وابتلاع العجاف السمان بأكل ما جمع في السنين المخصبة في السنين المجدبة، ولعله علم ذلك بالوحي، أو بأن انتهاء الجدب بالخصب، أو بأن السُّنَّة الإلٰهية على أن يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم.

۝٥٠ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ﴾ بعد ما جاءه الرسول بالتعبير ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ﴾ ليخرجه ﴿قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ إنما تأنى في الخروج وقدم سؤال النسوة، وفحص حالهن؛ لتظهر براءة ساحته، ويعلم أنه سجن ظلماً فلا يقدر الحاسد أن يتوسل به إلى تقبيح أمره. وفيه دليل على أنه ينبغي أن يجتهد في نفي التهم ويتقي مواقعها. وعن النبي ﷺ: «**لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث؛ لأسرعت الإجابة**» وإنما قال: ﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ﴾ ولم يقل فاسأله أن يفتش عن

على من عصره فيكون مفرعاً على قراءة المبني للمفعول وهو الظاهر لقوله [فعدّيَ]؛ أي: إلى المفعول وهو واو «يعصرون» [**بنزع الخافض**] وتقديره: «يعصر عليهم».

[وهذه]؛ أي: كلمة ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ﴾ إلى آخره. [**بعد أن أوَّلَ البقراتِ**]؛ أي: عبر رؤياه [**أو بأن السُّنَّة الإلٰهية على أن يوسع على عباده**]؛ أي: نصت على أن يوسع عليهم [**وعن النبي ﷺ: «لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لأسرعت الإجابة»**] رواه الطبراني وأصله في «الصحيحين»[١] وأشار النبي ﷺ بما قاله إلى وصف يوسف بالأناة والصبر لا إلى وصف نفسه بالعجلة والمبادرة في أموره، وإنما قال ذلك تواضعاً كما قال: «**لا تفضلوني على يونس بن متى**»[٢]

---

(١) صحيح البخاري [٣/١٢٣٣/برقم: ٣١٩٢]، صحيح مسلم [١/١٣٣/برقم: ١٥١].
(٢) صحيح البخاري [٣/١٢٥٤/برقم: ٣٢٣٣]، صحيح مسلم [٤/١٨٤٦/برقم: ٢٣٧٤].

۞ ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

حالهن؟ تهييجاً له على البحث، وتحقيق الحال؛ وإنما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرماً ومراعاة للأدب، وقرئ (النُّسوة) بضم النون. ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ حين قلن لي: أطع مولاتك، وفيه تعظيم كيدهن، والاستشهاد بعلم الله عليه، وعلى أنه بريء مما قذف به، والوعيد لهن على كيدهن.

﴿٥١﴾ - ﴿٥٢﴾ ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾ قال الملك لهن: ما شأنكن والخطب أمر يحق أن يخاطب فيه صاحبه؟ ﴿إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله. ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍۚ﴾ من ذنب ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ ثبت واستقر، من: (حصحص البعير) إذا ألقى مباركهُ ليناخ قال:

فَحَصْحَصَ فِي صُمِّ الصفَا ثَفِنَاتِه وَنَاءَ بِسَلْمَى نَوأَة ثُمَّ صَمَّمَا

[تهييجاً له على البحث وتحقيق الحال]؛ أي: لأن قوله: ﴿فَسْـَٔلْهُ﴾ يحتمل كما قال الطيبي: أن يكون بمعنى اسأله عن حقيقة شأنهن، وأن يكون بمعنى اسأله أن يفتش عن شأنهن فحسن إتيانه «بما» التي يسأل بها عن حقيقة الشيء لتهييجه؛ أي: تحركه للتفتيش عن حالهن؛ لأن الإنسان حريص على تحصيل تحقيق الشيء ويستنكف أن ينسب إلى الجهل به بخلاف ما لو قال: «سله أن يفتش»؛ أي: اطلب منه فإنه لا يبالي بهذا الطلب ولا يلتفت إليه لا سيما الملوك. [قرف به]؛ أي: عيب به قال الجوهري: يقال: قرفت الرجل إذا عبته[1] [قال]؛ أي: الشاعر [فَحَصْحَصَ]؛ أي: البعير.

[فـي صُـمِّ الـصَّـفَـا ثَـفِـنَاتِـهِ ونـاءٍ بسلمى نـوأَةً ثُـمَّ صَـمَّـما][2]

---

(١) الصحاح، الجوهري [٦/ ١٠٧].

(٢) البيت لحميد بن ثور بن حَزن بن عمرو بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة. انظر: منتهى الطلب من أشعار العرب، محمد بن المبارك ابن ميمون [ص٣٣٨].

۞ ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾﴾.

أو ظهر من: (حَصَّ شَعْرَهُ) إذا استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه. وقرئ على البناء للمفعول ﴿أَنَاْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في قولهِ: ﴿هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ﴾ [يوسف: ٢٦] ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ﴾ قاله يوسف لما عاد إليه الرسول وأخبره بكلامهن؛ أي: ذلك التثبت ليعلم العزيز ﴿أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ بظهر الغيب؛ وهو حال من الفاعل أو المفعول؛ أي: لم أخنه وأنا غائب عنه أو وهو غائب عني، أو ظرف؛ أي: بمكان الغيب وراء الأستار والأبواب المغلقة. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ لا ينفذه ولا يسدده، أو لا يهدي الخائنين بكيدهم فأوقع الفعل على الكيد مبالغة. وفيه تعريض براعيل في خيانتها زوجها، وتوكيد لأمانته، ولذلك عقبه بقوله:

﴿٥٣﴾ ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ﴾؛ أي: لا أنزهها؛ تنبيهاً على أنه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله؛ بل إظهار ما أنعم الله عليه من العصمة والتوفيق. وعن ابن عباس أنه لما قال: ﴿لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [يوسف: ٥٢] قال له جبريل: ولا حين هممت؟! فقال ذلك. ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ من حيث إنها بالطبع مائلة إلى الشهوات فَتَهِمُّ بها، وتستعمل القوى والجوارح في أثرها كل الأوقات. ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾ إلا وقت رحمة ربي، أو إلا ما رحمه الله من النفوس فعصمه من ذلك. وقيل: الاستثناء منقطع؛ أي: ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة. وقيل: الآية حكاية قول

أي: مضى في سيره والصفا اسم موضع «والنفثات المبارك» جمع: نفثة وهي ما ولي الأرض من كل ذي أربع إذا برك؛ يعني: ركبت عليه سلمى ونهض بها وسار [**أو ظهر**] عطف على ثبت [**إلا وقت رحمة ربي**] التقدير: «أنها أمارة بالسوء في كل وقت وأوان إلا وقت العصمة» [**أو: إلا ما رحمه الله من النفوس**]؛ أي: كالملائكة [**وقيل: الآية**]؛ أي: وهو قوله: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ﴾ [يوسف: ٥٢] إلى آخره. [**حكاية قول**

۞ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾.

(راعيل)، والمستثنى نفس يوسف وأضرابه. وعن ابن كثير ونافع (بِالسُّو) على قلب الهمزة واواً ثم الإدغام. ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يغفر هَمَّ النفس ويرحم من يشاء بالعصمة، أو يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه.

﴿٥٤﴾ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِيۖ﴾ أجعله خالصاً لنفسي. ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾؛ أي: فلما أتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء. ﴿قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ﴾ ذو مكانة ومنزلة. ﴿أَمِينٌ﴾ مؤتمن على كل شيء. روي: (أنه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثياباً جدداً، فلما دخل على الملك قال: اللَّهُمَّ إني أسألك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره، ثم سلم عليه ودعا له بالغبرية فقال الملك: ما هذا اللسان؟! قال: لسان آبائي ـ وكان الملك يعرف سبعين لساناً ـ فكلمه بها، فأجابه بجميعها! فتعجب منه! فقال: أحب أن أسمع رؤياي منك، فحكاها ونعت له البقرات والسنابل وأماكنها على ما رآها، فأجلسه على السرير، وفوض إليه أمره. وقيل: توفي (قطفير) في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوج منه (راعيل) فوجدها عذراء، وولد له منها (أفرائيم) و(ميشا).

راعيل]؛ أي: امرأة العزيز ذلك الذي قلته من أني راودته ليعلم يوسف أني لم أخنه ولم أكذب عليه في حال غيبته.

[وعن ابن كثير]؛ أي: من رواية البزي **[ونافع]**؛ أي: من رواية قالون(١) **[والدهاء]** بالمد جودة الرأي **[وقيل: توفي قطفير]**؛ أي: وزير الملك.

---

(١) انظر: إبراز المعاني، أبو شامة [١/ ٢٠٠].

﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٥٧ وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٥٨﴾.

---

٥٥ ـ ٥٧ ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ وَلِّـنِـي أمـرهـا ـ والأرض أرض مصر ـ. ﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾ لها ممن لا يستحقها ﴿عَلِيمٞ﴾ بوجوه التصرف فيه، ولعله عليه السلام لما رأى أنه يستعمله في أمره لا محالة آثر ما تعم فوائده وتجل عوائده، وفيه دليل على جواز طلب التولية، وإظهار أنه مستعد لها والتولي من يد الكافر إذا علم أنه لا سبيل إلى إقامة الحق، وسياسة الخلق إلا بالاستظهار به. وعن مجاهد أن الملك أسلم على يده. ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ في أرض مصر. ﴿يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ﴾ ينزل من بلادها حيث يهوى، وقرأ ابن كثير (نشاء) بالنون. ﴿نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ﴾ في الدنيا والآخرة. ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ بل نوفي أجورهم عاجلاً وآجلاً. ﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ الشرك والفواحش لعظمه ودوامه.

٥٨ ﴿وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ﴾ روي: أنه لما استوزره الملك أقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات وضبط الغلات، حتى دخلت السنون المجدبة، وعمَّ القحط مصر والشأم ونواحيهما، وتوجه إليه الناس فباعها أولاً بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شيء منها، ثم بالحلي والجواهر، ثم بالدواب، ثم بالضياع والعقار، ثم برقابهم حتى استرقهم جميعاً ثم عرض الأمر على الملك فقال: الرأي رأيك فأعتقهم ورد عليهم أموالهم، وكان قد أصاب كنعان ما أصاب سائر البلاد فأرسل يعقوب بنيه ـ غير بنيامين ـ إليه

[لِعظَمِهِ]؛ أي: لِعَظمَةِ أَجرِ الآخرة.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَـٰعِلُونَ ﴿٦١﴾﴾.

للميرة. ﴿فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾؛ أي: عرفهم يوسف ولم يعرفوه؛ لطول العهد ومفارقتهم إياه في سن الحداثة ونسيانهم إياه، وتوهمهم أنه هلك، وبعد حاله التي رأوه عليها من حاله حين فارقوه، وقلة تأملهم في حلاه من التهيب والاستعظام.

﴿٥٩﴾ ـ ﴿٦١﴾ ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ أصلحهم بعدتهم وأوقر ركائبهم بما جاءوا لأجله، والجهاز ما يعد من الأمتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة إلى أخرى، وما تزف به المرأة إلى زوجها، وقرئ (بِجِهَازِهِمْ) بالكسر. ﴿قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ روي: (أنهم لما دخلوا عليه قال: من أنتم؟ وما أمركم؟ لعلكم عيون؟! قالوا: معاذ الله إنما نحن بنو أب واحد، وهو شيخ كبير صديق نبي من الأنبياء اسمه يعقوب، قال: كم أنتم؟ قالوا: كنا اثني عشر؛ فذهب أحدنا إلى البرية فهلك، قال: فكم أنتم ها هنا؟ قالوا: عشرة، قال: فأين الحادي عشر؟ قالوا: عند أبينا يتسلى به عن الهالك، قال: فمن يشهد لكم؟ قالوا: لا يعرفنا أحد ها هنا فيشهد لنا، قال: فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني بأخيكم من أبيكم حتى أصدقكم، فاقترعوا فأصابت شمعون). وقيل: كان يوسف يعطي لكل نفر حملاً؛ فسألوه حملاً زائداً لأخ لهم من أبيهم فأعطاهم، وشرط عليهم أن يأتوه به ليعلم صدقهم ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ﴾ أتمه. ﴿وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ للضيف والمضيفين لهم، وكان أحسن إنزالهم وضيافتهم. ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ﴾؛ أي: ولا

[في سن الحداثة]؛ أي: الشبوبية [والمضيفين لهم]؛ أي: للضيف وجمع

﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

تقربوني ولا تدخلوا دياري، وهو إما نهي أو نفي معطوف على الجزاء. ﴿قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ سنجتهد في طلبه من أبيه ﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾ ذلك لا نتوانى فيه.

﴿٦٢﴾ ﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ﴾ لغلمانه الكيالين؛ جمع (فتى). وقرأ حمزة والكسائي وحفص (لِفِتْيانِهِ) على أنه جمع الكثرة ليوافق قوله: ﴿ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾ فإنه وكّل بكل رحل واحداً يعبئ فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام، وكانت نعالاً وأدماً؛ وإنما فعل ذلك توسيعاً وتفضلاً عليهم، وترفعاً من أن يأخذ ثمن الطعام منهم، وخوفاً من أن لا يكون عند أبيه ما يرجعون به. ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ﴾ لعلهم يعرفون حق ردها، أو لكي يعرفوها ﴿إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ﴾ انصرفوا ورجعوا ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ﴾ وفتحوا أوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ لعل معرفتهم ذلك تدعوهم إلى الرجوع.

﴿٦٣﴾ - ﴿٦٤﴾ ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾ حكم بمنعه بعد هذا إن لم نذهب ببنيامين ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ﴾ نرفع المانع من الكيل، ونكتل ما نحتاج إليه. وقرأ حمزة والكسائي بالياء على إسناده إلى الأخ؛ أي: يكتل لنفسه فينضم اكتياله إلى اكتيالنا. ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ من أن يناله مكروه ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ

ضميره نظراً للمعنى [نكتل] جواب الأمر وأصله «نكتيل» قلبت الياء ألفا لتحريكها وانفتاح ما قبلها فالتقى ساكنان فحذفت الألف. وماضيه «اكتال» وأصله «اكتيل»(١).

---

(١) انظر: المنصف، ابن جني [١/ ٣٤٠].

۞ ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِىۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَاۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾﴾.

﴿أَخِيهِ مِن قَبْلُۖ﴾ وقد قلتم في يوسف: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾. ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًاۖ﴾ فأتوكل عليه وأفوض أمري إليه، وانتصاب (حفظاً) على التمييز، و(حافِظاً) ـ على قراءة حمزة والكسائي وحفص ـ يحتمله، والحال كقوله: لله دره فارساً، وقرئ (خير حافظ) و(خير الحافظين). ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ فأرجو أن يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين.

﴿٦٥﴾ ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْۖ﴾ وقرئ (رِدَّتْ) بنقل كسرة الدال المدغمة إلى الراء نقلها في (بيع) و(قيل). ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِىۖ﴾ ماذا نطلب؟ هل من مزيد على ذلك! أكرَمَنا، وأَحسَنَ مثوانا، وباع منّا، ورد علينا متاعنا! أو لا نطلب وراء ذلك إحساناً، أو لا نبغي في القول ولا نزيد فيما حكينا لك من إحسانه. وقرئ (ما تبغي) على الخطاب؛ أي: أي شيء تطلب وراء هذا من الإحسان؟! أو من الدليل على صدقنا؟ ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَاۖ﴾ استئناف موضح لقوله: ﴿مَا نَبْغِىۖ﴾. ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ معطوف على محذوف؛ أي: ردت إلينا فنستظهر بها ونمير أهلنا بالرجوع إلى الملك. ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ عن المخاوف في ذهابنا وإيابنا. ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍۖ﴾ وسق بعير باستصحاب أخينا، هذا إذا كانت مَا

[يحتمله]؛ أي: و(حافظاً) في قراءة من قرأ به يحتمل التمييز **[والحال]**؛ أي: حالاً لازمة **[بنقل كسرة الدال المدغمة]**؛ أي: كسرتها قبل الإدغام إذ الأصل ردت **[أولا نطلب]** هو مع ما بعده عطف على «ماذا نطلب» والحاصل: أنه جوز في «ما» أن تكون استفهامية أو نافية وبتقدير أنها نافية جواز أن يكون المعنى لا نطلب زيادة على مدحنا له[1] **[هذا]**؛ أي: ما ذكر من كون جملة «هذه بضاعتنا» موضحة لـ«ما

(١) الدر المصون، السمين الحلبي [١١/ ٧٣].

۝ ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾﴾.

استفهامية فأما إذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل أن تكون الجمل معطوفة على ﴿مَا نَبْغِى﴾؛ أي: لا نبغي فيما نقول ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾. ﴿ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾؛ أي: مكيل قليل لا يكفينا، استقلوا ما كيل لهم فأرادوا أن يضاعفوه بالرجوع إلى الملك، ويزدادوا إليه ما يكال لأخيهم، ويجوز أن تكون الإشارة إلى كيل بعير؛ أي: ذلك شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه، وقيل: إنه من كلام يعقوب ومعناه؛ إن حمل بعير شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد.

﴿٦٦﴾ ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ﴾ إذ رأيت منكم ما رأيت ﴿حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ حتى تعطوني ما أتوثق به مِنْ عِندِ الله؛ أي: عهداً مؤكداً بذكر الله ﴿لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ﴾ جواب القسم إذ المعنى: حتى تحلفوا بالله لتأتنني به ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ إلا أن تغلبوا فلا تطيقوا ذلك، أو إلا أن تهلكوا جميعاً؛ وهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال والتقدير: لتأتنني به على كل حال إلا حال الإحاطة بكم، أو من أعم العلل على أن قوله: لتأتنني به، في تأويل النفي؛ أي: لا تمتنعون من الإتيان به إلا للإحاطة بكم كقولهم: أقسمت بالله إلا فعلت؛ أي: ما أطلب إلا فعلك. ﴿فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ عهدهم ﴿قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ من طلب الموثق وإتيانه. ﴿وَكِيلٌ﴾ رقيب مطلع.

نبغي» ومن جعل «نمير» معطوفاً على مقدر [فأما إذا كانت]؛ أي: «ما» [نافية احتمل ذلك]؛ أي: ما ذكر.

[واحتمل أن تكون الجمل]؛ أي: وهي «نمير» إلى آخره. [أو من أعم العلل..] إلى آخره. اختص هذا بالنفي؛ لأن المستثنى منه مسكوت عنه، والنفي عام إذ يلزم من نفي الإثبات نفي عوارضه فإنها مذكورة بخلاف الإثبات.

۞ ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ٦٧ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٖ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٦٨﴾.

---

٦٧ - ٦٨ ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾ لأنهم كانوا ذوي جمال وأبهة، مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند الملك، فخاف عليهم أن يدخلوا كوكبة واحدة فيُعَانُوا! ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة الأولى لأنهم كانوا مجهولين حينئذ، أو كان الداعي إليها خوفه على بنيامين. وللنفس آثار منها العين؛ والذي يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام في عوذته: «**اللَّهُمَّ إني أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة**». ﴿وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۖ﴾ مما قضى عليكم بما أشرت به إليكم فإن الحذر لا يمنع القدر ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ﴾ يصيبكم لا محالة إن قضي عليكم سوءاً ولا ينفعكم ذلك. ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ جمع بين الحرفين في عطف الجملة

[كوكبة]؛ أي: دفعة [في عوذته]؛ أي: تعويذة نفسه أو غيره [«**اللَّهُمَّ إني أعوذ بكلمات الله**..»] إلى آخره. رواه البخاري وغيره[1] قال ابن الأثير: «الهامة»: واحدة الهوام، وهي الحيات وكل ذي سم يقتل وواحدتها سامة كالعقرب والزنبور وقد تقع الهوام على كل ما يدب من الحيوان[2]. و«اللَّامة»: ذات اللمم ولم يقُل: (مُلِمَّة) طلباً للازدواج بـ(هامة) ويجوز أن تكون على ظاهرها بمعنى جامعة الشر [جمع بين الحرفين] هما الواو والفاء.

---

(١) صحيح البخاري [٣/١٢٣٣/ برقم: ٣١٩١]، سنن أبي داود [٢/٦٤٨/ برقم: ٤٧٢٧].
(٢) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير [٩/٤٤١].

۞ ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ﴿٧١﴾﴾.

على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص؛ كأن الواو للعطف والفاء لإفادة التسبب، فإن فعل الأنبياء سبب لأن يقتدى بهم ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم﴾؛ أي: من أبواب متفرقة في البلد ﴿مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم﴾ رأي يعقوب واتباعهم له ﴿مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ﴾ مما قضاه عليهم كما قال يعقوب عليه السلام. فسُرِقُوا، وَأخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله، وتضاعفت المصيبة على يعقوب ﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ﴾ استثناء منقطع؛ أي: ولكن حاجة في نفسه؛ يعني: شفقته عليهم وحرازته من أن يعانوا. ﴿قَضَىٰهَاۚ﴾ أظهرها ووصى بها ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٍ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ﴾ بالوحي ونصب الحجج، ولذلك قال: ﴿وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ﴾ ولم يغتر بتدبيره ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ سر القدر؛ وأنه لا يغني عنه الحذر.

﴿٦٩﴾ ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ﴾ ضم إليه بنيامين على الطعام أو في المنزل، روي: (أنه أضافهم فأجلسهم مثنى مثنى؛ فبقي بنيامين وحيداً، فبكى وقال: لو كان أخي يوسف حيّاً لجلس معي، فأجلسه معه على مائدته ثم قال: لينزل كل اثنين منكم بيتاً، وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات عنده وقال له: أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك؟! قال: من يجد أخاً مثلك! ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل! فبكى يوسف، وقام إليه وعانقه ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ﴾ فلا تحزن افتعال من البؤس ﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ في حقنا فيما مضى.

﴿٧٠﴾ - ﴿٧١﴾ ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ﴾ المشربة ﴿فِي رَحۡلِ

[على الجملة]؛ أي: هي «وعليه توكلت» [للاختصاص] علة لتقدم الصلة

﴿قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾.

أَخِيهِ﴾ قيل: كانت مشربة؛ جعلت صاعاً يكال به. وقيل: كانت تسقى الدواب بها، ويكال بها، وكانت من فضة. وقيل: من ذهب. وقرئ (وجعل) على حذف جواب (فلما) تقديره: أمهلهم حتى انطلقوا ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى منادٍ ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ﴾ لعله لم يقله بأمر يوسف عليه الصلاة والسلام، أو كان تعبية السقاية والنداء عليها بِرِضَا بنيامين. وقيل معناه: إنكم لسارقون يوسف من أبيه، أو أإنكم لسارقون؟ و(العير): القافلة، وهو اسم الإبل التي عليها الأحمال؛ لأنها تعير؛ أي: تتردد، فقيل لأصحابها؛ كقوله عليه الصلاة والسلام: «**يا خيل الله اركبي**». وقيل: جمع عير، وأصله (فعل) كـ(سقف) فعل به ما فعل بـ(بيض) تجوز به لقافلة الحمير، ثم استعير لكلِّ قافلة ﴿قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾ أي شيء ضاع منكم؟ و(الفقد): غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه، وقرئ (تُفْقِدُونَ) من أفقدته إذا وجدته فقيداً.

﴿٧٢﴾ ـ ﴿٧٣﴾ ﴿قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾ وقرئ (صَاعَ) و(صَوْعَ) بالفتح

[أراينكم لسارقون] في نسخ: «أو إنكم لسارقون»، وهو تكرار لعلمه من أول الكلام **[«كقوله ﷺ»]** في حديث رواه الحازمي **[«يا خيل الله اركبي»]**؛ أي: يا فرسان خيل الله اركبوا[1] **[وأصلها فعل كـ«سُقف»]** بضم السين **[ما فعل ببيض]** إذ أصله بُيض بضم أوله جمع أبيض فأبدلت الضمة كسرة لتصبح الباء.

[تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة] أوله يقتضي أنه في الأصل لغير قافلة الحمير وهو مخالف لقول «الكشاف»[2] وغيره، وقيل: هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة «عير» **[والفقد غيبة الشيء..]** إلى آخره؛ أي: فقده بعد وجوده

---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٢/ ٢٧٤/ برقم: ٧١٤].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٤٦٢].

۞ ﴿قَالُوا فَمَا جَزَآؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَآؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَآؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

والضم، والعين والغين و(صُواَغ) من الصياغة. ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ من الطعام جعلاً له ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾ كفيل أؤديه إلى من رده. وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل ﴿قَالُوا تَٱللَّهِ﴾ قسم فيه معنى التعجب؛ التاء بدل من الباء مختصة باسم الله تعالى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ﴾ استشهدوا بعلمهم على براءة أنفسهم لما عرفوا منهم في كرَّتي مجيئهم، ومداخلتهم للملك؛ مما يدل على فرط أمانتهم كرد البضاعة التي جعلت في رحالهم، وَكِعْمُ الدواب؛ لئلا تتناول زرعاً أو طعاماً لأحد.

﴿٧٤﴾ ـ ﴿٧٥﴾ ﴿قَالُوا فَمَا جَزَآؤُهُۥٓ﴾ فما جزاء السارق، أو السرق، أو الصُّواعَ؛ على حذف المضاف ﴿إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ﴾ في ادعاء البراءة ﴿قَالُوا جَزَآؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَآؤُهُۥ﴾؛ أي: جزاء سرقته أخذ من وجد في رحله واسترقاقه؛ هكذا كان شرع يعقوب عليه الصلاة والسلام. وقوله: ﴿فَهُوَ جَزَآؤُهُۥ﴾ تقرير للحكم وإلزام له، أو خبر ﴿مَن﴾ والفاء لتضمنها معنى الشرط، أو جواب لها على أنها شرطية. والجملة ـ كما هي ـ خبر (جَزاؤُهُ)

كما قاله غيره ليتميز عن العدم [وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل] وهو عند الشافعي على المشهور في الأول وعلى قول ضعيف في الثاني [قسم فيه معنى التعجب]؛ أي: مما أضيف إليهم [وَكِعْمُ الدواب] بسكون المهملة؛ أي: ربط أفواهها قال الجوهري: يقال: كَعَمْتُ البعير إذا شددت فمه في هياجه؛ أي: شهوته الضراب[1] [أو السَّرق] بفتحِ مصدر سَرَقَ [والصاع على حذف المضاف]؛ أي: سارق الصاع.

[والجملة]؛ أي: الجملة الشرطية [كما هي]؛ أي: بجملتها [خبر جزاؤه

---

(١) الصحاح، الجوهري [٢/ ١١٧].

۞ ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾.

على إقامة الظاهر فيها مقام الضمير؛ كأنه قيل: جزاؤه من وجد فى رحله فهو هو. ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ بالسرقة.

﴿٧٦﴾ ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾ فبدأ المؤذن. وقيل: يوسف لأنهم ردوا إلى مصر ﴿قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ بنيامين نفياً للتهمة. ﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا﴾؛ أي: السقاية، أو الصواع ـ لأنه يذكر ويؤنث ـ. ﴿مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ﴾ وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الكيد ﴿كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ﴾ بأن علمناه إياه، وأوحينا به إليه ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ ملك مصر؛ لأن دينه الضرب، وتغريم ضعف ما أخذ؛ دون الاسترقاق ـ وهو بيان للكيد ـ. ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ

على إقامة الظاهر فيها مقام الضمير كأنه قيل: جزاؤه من وجد في رحله فهو هو] زاد «الكشاف»(١): «فوضع الجزاء موضع «هو» كما تقول لصاحبك: «من أخو زيد»؟ فيقول لك: «أخوه من يقعد إلى جنبه فهو هو»، مرجع الضمير الأول إلى «من»، والثاني إلى «الأخ». ثم يقول: «فهو أخوه» مقيماً للمظهر مقام المضمر ويحتمل أن يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: المسؤول عنه جزاؤه ثم أفتوا بقولهم: ﴿مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ﴾، كما يقول: «من يستفتي في جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم، ثم يقول: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ [المائدة: ٩٥]. انتهى [وهو بيان للكيد]؛ أي: وهو المكر والخديعة بأن توهم غيرك خلاف ما تخفيه وهو في حقه تعالى محمول على التمثيل وكأن صورة صنع الله في تعليمه يوسف هذا الحكم صورة صنع من توهم الغير خلاف ما يخفيه(٢).

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٤٦٣].

(٢) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٥/ ٢٧٢].

﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧﴾.

ٱللَّهُۚ﴾ أن يجعل ذلك الحكم حكم الملك، فالاستثناء من أعم الأحوال، ويجوز أن يكون منقطعا؛ أي: لكن أخذه بمشيئة الله تعالى وإذنه ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ بالعلم كما رفعنا درجته ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾ أرفع درجة منه، واحتج به من زعم أنه تعالى عالم بذاته؛ إذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو أعلم منه. والجواب: أن المراد كل ذي علم من الخلق؛ لأن الكلام فيهم، ولأن العليم هو الله ﷻ، ومعناه: الذي له العلم البالغ لغة؛ ولأنه لا فرق بينه وبين قولنا: فوق كل العلماء عليم؛ وهو مخصوص.

(٧٧) ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ﴾ بنيامين. ﴿فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾ يعنون: يوسف. قيل: ورثت عمته من أبيها منطقة إبراهيم عليه السلام، وكانت تحضن يوسف وتحبه، فلما شبَّ أراد يعقوب انتزاعه منها؛ فشدت المنطقة على وسطه، ثم أظهرت ضياعها، فتفحصُ عنها، فوجدت محزومة عليه، فصارت أحق به في حكمهم. وقيل: كان لأبي أمه صنم؛ فسرقه، وكسره، وألقاه في الجيف. وقيل: كان في البيت عناق، أو دجاجة، فأعطاها السائل. وقيل: دخل كنيسة وأخذ تمثالاً صغيراً من الذهب ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ﴾ أَكَنَّهَا ولم يظهرها لهم، والضمير للإجابة، أو المقالة، أو نسبة السرقة إليه. وقيل: إنها كناية بشريطة التفسير يفسرها قوله: ﴿قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ﴾ فإنه بدل من (أسرَّها). والمعنى: قال في نفسه:

[**فالاستثناء من أعم الأحوال**]؛ أي: فهو متصل والتقدير ما كان ليأخذ أخاه في كل حال إلا في حال التباسه بمشيئة الله [**واحتج به من زعم أنه تعالى عالم بذاته**] وهم المعتزلة. [**وهو**]؛ أي: علمتم [**مخصوص**]؛ أي: بالله تعالى [**فأعطى السائل**]؛ أي: العتاق والدجاجة. [**وقيل: إنها**] الأولى أنه؛ أي: ضمير أسرها [**كناية**]؛ أي: ضمير [**بشرطية التفسير وتفسرها**]؛ أي: الكناية التي هي الضمير

۞ ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾﴾.

أنتم شر مكاناً! أي: منزلة في السرقة لسرقتكم أخاكم، أو في سوء الصنيع مما كنتم عليه، وتأنيثها باعتبار الكلمة أو الجملة، وفيه نظر! إذ المفسر بالجملة لا يكون إلا ضمير الشأن. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ وهو يعلم أن الأمر ليس كما تصفون.

﴿٧٨﴾ ـ ﴿٧٩﴾ ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾؛ أي: في السن أو القدر، ذكروا له حاله استعطافاً له عليه. ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ بدله؛ فإن أباه ثكلان على أخيه الهالك مستأنس به ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ إلينا فأتمم إحسانك، أو من المتعودين بالإحسان فلا تغير عادتك. ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ﴾ فإن أخذ غيره ظلم على فتواكم، فلو أخذنا أحدكم مكانه ﴿إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ﴾ في مذهبكم هذا، وإن مراده: إن الله أذن في أخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحته ورضاه عليه؛ فلو أخذت غيره كنت ظالماً.

﴿٨٠﴾ ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ﴾ يئسوا من يوسف وإجابته إياهم، وزيادة السين والتاء للمبالغة. ﴿خَلَصُوا﴾ انفردوا واعتزلوا. ﴿نَجِيًّا﴾ متناجين؛ وإنما وَحَّده لأنه مصدر، أو بزنته كما قيل: هو صديق، وجمعه أنجيه كندي وأندية ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ في السن؛ وهو روبيل، أو في الرأي وهو شمعون،

[وتأنيثها] الأولى وتأنيثه **[ثكلان على أخيه]** بمثلثة؛ أي: حزين عليه لفقده **[لمصلحته]**؛ أي: لمصلحة من وجد الصاع في رحله **[ورضاه]**؛ أي: رضى الله تعالى

وقيل: يهوذا. ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ عهداً وثيقاً، وأنما جعل حلفهم بالله موثقاً منه لأنه بإذن منه، وتأكيد من جهته. ﴿وَمِن قَبْلُ﴾ ومن قبل هذا ﴿مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ﴾ قصرتم في شأنه، و(ما) مزيدة، ويجوز أن تكون مصدرية في موضع النصب بالعطف على مفعول (تعلموا)، ولا بأس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف، أو على اسم (أَنَّ) وخبره (في يُوسُفَ) أو (مِنْ قَبْلُ)، أو الرفع بالابتداء والخبر (مِنْ قَبْلُ) وفيه نظر؛ لأن (قَبْلُ) إذا كان خبراً أو صلة؛ لا يقطع عن الإضافة حتى لا ينقص، و(أن) تكون موصولة؛ أي: ما فرطتموه بمعنى: ما قدمتموه في حقه من الجناية، ومحله ما تقدم. ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾ فلن أفارق أرض مصر ﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ﴾ في الرجوع ﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى﴾ أو يقضي لي بالخروج منها، أو بخلاص أخي منهم، أو بالمقاتلة معهم لتخليصه. روي: (أنهم كلموا العزيز في إطلاقه فقال (روبيل): أيها الملك! والله لتتركنا، أو لأصيحن صيحة تضع منها الحوامل، ووقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف عليه السلام لابنه: قم إلى جنبه فمسَّه ـ وكان بنو يعقوب عليه السلام إذا غضب أحدهم فمسه الآخر ذهب غضبه ـ. فقال روبيل: من هذا؟! إنَّ في هذا البلد لبزراً من بزر يعقوب. ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾؛ لأن حكمه لا يكون إلا بالحق.

[أو الرفع] عطف على النصب [وفيه نظر لأن فعل إذا كان خبراً أو أصله]؛ أي: أو صفة أو حالاً [لا تقطع عن الإضافة حتى لا ينقص]؛ أي: فلا يحصل به الفائدة، ومن ثم قيل: إنما امتنع ذلك لعدم الفائدة بعدم العلم بالمضاف إليه فينبغي أنه إذا علم يجوز ذلك وهو هنا كذلك[1] [وأن تكون موصولة] عطف على «أن تكون مصدرية» [ومحله]؛ أي: محل كونها موصولة [ما تقدم]؛ أي: من أنها في موقع النصب أو الرفع بما ذكر [لبِزار] بكسر الباء وفتحها[2].

---

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي [١٣/ ٣٦].

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري [١٦/ ٢٠١].

۞ ﴿ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَـٰفِظِينَ (٨١) وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ (٨٢) قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ (٨٣) وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤)﴾.

---

(٨١) ـ (٨٢) ﴿ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ﴾ على ما شاهدناه من ظاهر الأمر. وقرئ (سُرِّقَ)؛ أي: نسب إلى السرقة. ﴿وَمَا شَهِدْنَآ﴾ عليه ﴿إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ بأن رأينا أن الصواع استخرج من وعائه ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ﴾ لباطن الحال ﴿حَـٰفِظِينَ﴾ فلا ندري أنه سرق، أو سرق، ودس الصواع في رحله، أو: وما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين أعطيناك الموثق أنه سيسرق، أو أنك تصاب به كما أصبت بيوسف ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ يعنون مصر، أو قرية بقربها لحقهم المنادي فيها، والمعنى: أرسل إلى أهلها واسألهم عن القصة ﴿وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ وأصحاب العير التي توجهنا فيهم وكنا معهم. ﴿وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ﴾ تأكيد في محل القسم.

(٨٣) ـ (٨٤) ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾؛ أي: فلما رجعوا إلى أبيهم وقالوا له ما قال لهم أخوهم قال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾؛ أي: سولت وسهلت. ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ أردتموه فقدرتموه، وإلا فما أدرى الملك أن السارق يؤخذ بسرقته! ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾؛ أي: فأمري صبر جميل، أو فصبر جميل أجمل. ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا﴾ بيوسف وبنيامين وأخيهما الذي توقف بمصر ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بحالي وحالهم ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في تدبيرهما ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ وأعرض عنهم كراهة لما صادف منهم ﴿وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾؛ أي: يا

[ما قال لهم أخوهم] هو كبيرهم المسمى بما قاله المصنف قيل:

۞ ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

أسفا تعال فهذا أوانك! و(الأسف): أشد الحزن والحسرة. والألف بدل من ياء المتكلم. وإنما تأسف على يوسف دون أخويه والحادث رزؤهما؛ لأن رزأه كان قاعدة المصيبات، وكان غضّاً آخذاً بمجامع قلبه، ولأنه كان واثقاً بحياتهما دون حياته، وفي الحديث: «**لَمْ تُعْطَ أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمْ: (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ) عند المصيبة إلا أمة محمد ﷺ**». ألا ترى إلى يعقوب عليه الصلاة والسلام حين أصابه ما أصابه لم يسترجع ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ﴾. ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾ لكثرة بكائه من الحزن؛ كأن العبرة محقت سوادهما. وقيل: ضعف بصره. وقيل: عمي، وقرئ (مِنَ الحَزَن) وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند التفجع، ولعل أمثال ذلك لا تدخل تحت التكليف؛ فإنه قل من يملك نفسه عند الشدائد، ولقد بكى رسول الله ﷺ على ولده إبراهيم وقال: «**القلب يجزع، والعين تدمع، ولا نقول ما يسخط الرب، وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون**». ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مملوء من الغيظ على أولاده، ممسك له في قلبه لا يظهره، (فعيل) بمعنى (مفعول) كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨] من كظم السقاء إذا شده على ملئه، أو بمعنى (فاعل) كقوله: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] مِنْ: كَظَمَ الغيظَ إذا اجترعه، وأصله: (كظم البعير جرته) إذا ردها في جوفه.

﴿٨٥﴾ ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾؛ أي: لا تفتأ، ولا تزال

[**والحادث رزءهما**] الرُّزْءُ المصيبة؛ أي: والمتجدد من المصيبة إنما هو مصيبة أخويه [**وكان غضاً**]؛ أي: طرياً لاصقاً بالقلب [**وفي الحديث**: «**لَمْ تُعْطَ أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمْ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ..**»] إلى آخره. رواه الطبراني[1] [**ولقد «بكى رسول الله ﷺ..»**]

---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٢/ ١٧٣/ برقم: ٦٣٧].

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

تذكره تفجعاً عليه، فحذف (لا) كما في قوله: (فَقُلْتُ يَمينَ اللهِ أَبْرَح قَاعِداً) لأنه لا يلتبس بالإثبات؛ فإن القسم إذا لم يكن معه علامات الإثبات كان على النفي. ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ مريضاً مشفياً على الهلاك. وقيل: الحرض الذي أذابه هم أو مرض، وهو في الأصل مصدر؛ ولذلك لا يؤنث ولا يجمع. و(النعت): بالكسر كـ(دنف ودنف). وقد قرئ به وبضمتين كـ(جنب). ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ من الميتين.

﴿٨٦﴾ - ﴿٨٧﴾ ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ﴾ همي الذي لا أقدر الصبر عليه من: (البث) بمعنى النشر ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ لا إلى أحد منكم ومن غيركم،

إلى آخره. رواه الشيخان[1] **[كما في قوله]**؛ أي: في قول امرئ القيس ابن حجر الكندي:

[فقلتُ يمينَ اللّهِ............................ ....**]**

بالنصب؛ أي: الزم وبالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: «علّي» **[أَبْرَحُ قاعداً]** تمامه:

.... **ولو قطعوا رأسي لديكِ وأوصَالي**

جمع «وِصل»: بكسر الواو وهي الأعضاء، وقيل: المفاصل وهي ملتقى كل عظمين في الجسد. **[إذا لم يكن معه علامة الإثبات]** هي اللام والنون كما في «الكشاف»[2] **[والنعت بالكسر]**؛ أي: والنَّعتُ بـ«حَرِض» يكون بالكسر **[كدَنِف ودَنِف]**؛ أي: فإنه بالفتح مصدرٌ وبالكسر نعتٌ **[هو الذي لا أقدر الصبر عليه]**؛ أي:

---

(١) صحيح البخاري [١/ ٤٣٩/ برقم: ١٢٤١]، صحيح مسلم [٤/ ١٨٠٧/ برقم: ٢٣١٥].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٤٧٠].

۞ ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

فخلوني وشكايتي ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ من صنعه ورحمته؛ فإنه لا يخيب داعيه، ولا يدع الملتجئ إليه، أو من الله بنوع من الإلهام ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من حياة يوسف. قيل: (رأى ملك الموت في المنام فسأله عنه! فقال: هو حَيّ! وقيل: علم من رؤيا يوسف أنه لا يموت حتى يخر له إخوته سجداً).

﴿يَـٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ فتعرفوا منهما، وتفحصوا عن حالهما، والتحسس تطلب الإحساس: ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ ولا تقنطوا من فرجه وتنفيسه. وقرئ (مِن رُّوْح الله)؛ أي: من رحمته التي يحيي بها العباد ﴿إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ بالله وصفاته؛ فإن العارف المؤمن لا يقنط من رحمته في شيء من الأحوال.

﴿٨٨﴾ ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ﴾ بعد ما رجعوا إلى مصر رجعة ثانية. ﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ شدة الجوع ﴿وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾ رديئة، أو قليلة؛ ترد وتدفع رغبة عنها، من أزجيته إذا دفعته، ومنه تزجية الزمان. قيل: كانت دراهم زيوفاً. وقيل: صوفاً وسمناً. وقيل: الصنوبر والحبة الخضراء. وقيل: الأقط وسويق المقل. ﴿فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ﴾ فأتمم لنا الكيل ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ بِرَدِّ أخينا، أو بالمسامحة وقبول المزجاة، أو بالزيادة على ما يساويها. واختلف في أن حرمة الصدقة تعم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أو تختص بنبيِّنا ﷺ. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ أحسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقاً، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في القَصْر: «هذه

لا أستطيعه [ومنه تزجية[1] الزمان]؛ أي: دفع بعضه بعضاً [وحبة الخضراء] قيل: هي الفستق [ومنه قوله ﷺ في القصر: ..] إلى آخره. رواه البخاري.

---

(١) كما في نسخة [ج ـ ب] وفي نسخة [الأصل]: (زحية).

۞ ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَـٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَـٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾﴾.

صدقة تصدق الله بها عليكم؛ فاقبلوا صدقته». لكنه اختص عرفاً بما يبتغي به ثواب من الله تعالى.

﴿٨٩﴾ ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾؛ أي: هل علمتم قبحه فتبتم عنه؛ وفعلهم بأخيه: إفراده عن يوسف، وإذلاله؛ حتى لا يستطيع أن يكلمهم إلا بعجز وذلة. ﴿إِذْ أَنتُمْ جَـٰهِلُونَ﴾ قبحه فلذلك أقدمتم عليه، أو عاقبته؛ وإنما قال ذلك تنصيحاً لهم، وتحريضاً على التوبة، وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريباً. وقيل: أعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين، وذكروا له ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف وأخيه؛ فقال لهم ذلك! وإنما جهلهم لأن فعلهم كان فعل الجهال، أو لأنهم كانوا حينئذ صبياناً طياشين.

﴿٩٠﴾ ـ ﴿٩١﴾ ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ استفهام تقرير؛ ولذلك حقق بـ(أن) ودخول اللام عليه. وقرأ ابن كثير على الإيجاب. قيل: عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به، وقيل: تبسم فعرفوه بثناياه. وقيل: رفع التاج عن رأسه؛ فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء، وكانت لسارة ويعقوب مثلها.

[**ولذلك حقق بأن واللام عليه**]؛ أي: على التقرير والجار متعلق بـ«حقق» أو بمحذوف؛ أي: للدلالة عليه [بزُوائه] بضم الزاي؛ بمنظره [وشمائله] جمع شمأل وهو الخلق قاله الجوهري[1] [به]؛ أي: بما ذكر من قوله لهم: ﴿هَلْ عَلِمْتُم﴾ إلخ [وكانت] الأولى وكان [لسارة]؛ أي: وهي جدته زوجة إبراهيم.

---

(١) الصحاح، الجوهري [٧/ ٣٩].

۞ ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي﴾ من أبي وأمي؛ ذكره تعريفاً لنفسه به، وتفخيماً لشأنه، وإدخالاً له في قوله: ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾؛ أي: بالسلامة والكرامة ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ﴾؛ أي: يتق الله ﴿وَيَصْبِرْ﴾ على البليات أو على الطاعات وعن المعاصي ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ وضع (المحسنين) موضع الضمير للتنبيه على أن المحسن من جمع بين التقوى والصبر. ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة ﴿وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ والحال أن شأننا إنا كنا مذنبين بما فعلنا معك.

﴿٩٢﴾ - ﴿٩٣﴾ ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾ لا تأنيب عليكم؛ (تفعيل) من: (الثرب): وهو الشحم الذي يغشى الكرش للإزالة كالتجليد؛ فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض، ويذهب ماء الوجه. ﴿الْيَوْمَ﴾ متعلق بال (تَثْرِيبَ) أو بالمقدر للجار الواقع خبراً لـ(لَا تَثْرِيبَ) والمعنى: لا أثربكم اليوم الذي هو

[لا تأنيب]؛ أي: لا تعنيف ولا لوم **[للإزالة]**؛ أي: إزالة الثرب أشار به إلى أن بناء التثريب للإزالة **[كالتجليد]** بدال أو بلام في آخره على ما في النسخ؛ أي: في أن كلّاً منهما للإزالة، يقال: جلدت الشاة أزلت جلدها وجلّلت البعير أزلت جلّه.

[فاستعير]؛ أي: التثريب **[للتقريع]** وحاصل كلامه: أن التثريب لغة: إزالة الثرب، ثم استعمل في التقريع الذي ذكره **[اليوم متعلق بالتثريب]** تبع فيه «الكشاف»[1] واعترض بأن «تثريب» حينئذٍ شبيه بالمضاف فيجب نصبه وبأنه مصدر وقد فصل بينه وبين معموله بـ«عليكم» وذلك ممتنع؛ لأن معمول المصدر من تمامه **[والمعنى: لا أثربكم اليوم..]** إلى آخره. بيان للقول الأول وقد عرفت ما فيه.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٤٧٤].

۞ ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾.

مظنته فما ظنكم بسائر الأيام أو بقوله: ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ لأنه صفح عن جريمتهم حينئذ، واعترفوا بها. ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ فإنه يغفر الصغائر والكبائر، ويتفضل على التائب. ومن كرم يوسف عليه السلام أنهم لما عرفوه أرسلوا إليه وقالوا: إنك تدعونا بالبكرة والعشي إلى الطعام، ونحن نستحي منك لما فرط منا فيك، فقال: إن أهل مصر كانوا ينظرون إلي بالعين الأولى ويقولون: سبحان من بلغ عبداً بيع بعشرين درهماً ما بلغ! ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا أنكم إخوتي، وأني من حفدة إبراهيم عليه السلام. ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى﴾ هذا القميص الذي كان عليه. وقيل: القميص المتوارث الذي كان في التعويذ. ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا﴾؛ أي: يرجع بصيراً؛ أي: ذا بصر ﴿وَأْتُونِى﴾ أنتم وأبي ﴿بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ بنسائكم وذراريكم ومواليكم.

﴿٩٤﴾ - ﴿٩٥﴾ ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ﴾ من مصر وخرجت من عمرانها. ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ لمن حضره ﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ أوجده الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه - حين أقبل به إليه يهوذا - من ثمانين فرسخاً. ﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ تنسبوني إلى (الفند): وهو نقصان عقل يحدث من هَرَم، ولذلك لا يقال: عجوز مفندة؛ لأن نقصان عقلها ذاتي. وجواب (لَوْلا) محذوف تقديره لصدقتموني، أو لقلت إنه قريب. ﴿قَالُوا۟﴾؛ أي:

[الذي كان في التعويذ] قال في «الكشاف»: في تعويذ يوسف؛ أي: في تميمته التي علقت عليه لحفظه قال: وكان من الجنة أمره جبريل أن يرسله إليه فإن فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم إلا عوفي(١).

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٤٤٧].

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾.

الحاضرون. ﴿تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ لفي ذهابك عن الصواب قدماً بالإفراط في محبة يوسف، وإكثار ذكره والتوقع للقائه.

﴿٩٦﴾ ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ يهوذا. روي: أنه قال: كما أحزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم إليه فأفرحه بحمل هذا إليه. ﴿أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ طرح البشير القميص على وجه يعقوب عليه السلام أو يعقوب نفسه. ﴿فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾ عاد بصيراً لما انتعش فيه من القوة ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من حياة يوسف عليه السلام، وإنزال الفرح. وقيل: (إني أعلم) كلام مبتدأ والمقول ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧]، أو ﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾.

﴿٩٧﴾ - ﴿٩٨﴾ ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ﴾ ومن حق المعترف بذنبه أن يصفح عنه ويسأله المغفرة ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أَخَّرَهُ إلى السحر، أو إلى صلاة الليل، أو إلى ليلة الجمعة؛ تحرياً لوقت الإجابة، أو إلى أن يستحل لهم من يوسف أو يعلم أنه عفا عنهم؛ فإن عفو المظلوم شرط المغفرة. ويؤيده ما روي: أنه استقبل القبلة قائماً يدعو، وقام يوسف خلفه، وقاموا خلفهما أذلة خاشعين حتى نزل جبريل وقال: إن الله قد أجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة! وهو إن صح فدليل على نبوتهم، وأن ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم.

﴿٩٩﴾ ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ روي: (أنه وجه إليه رواحل وأموالاً ليتجهز إليه بمن معه، واستقبله يوسف والملك بأهل مصر، وكان أولاده

۞ ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾.

الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلاً وامرأة، وكانوا حين خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلاً ـ سوى الذرية والهرمى ـ). ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ ضم إليه أباه وخالته، واعتنقهما نزلها منزلة الأم؛ تنزيل العم منزلة الأب في قوله: ﴿وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [البقرة: ١٣٣] أو لأن يعقوب عليه السلام تزوجها بعد أمه، والرابة تدعى أماً ﴿وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ من القحط وأصناف المكاره، والمشيئة متعلقة بالدخول المكيف بالأمن، والدخول الأول كان في موضع خارج البلد حين استقبلهم.

(١٠٠) ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ تحية وتكرمة له فإن السجود كان عندهم يجري مجراها. وقيل معناه: خروا لأجله سجداً لله شكراً. وقيل: الضمير لله تعالى والواو لأبويه وإخوته، والرفع مؤخر عن الخرور؛ وإن قدم لفظاً للاهتمام بتعظيمه لهما. ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾ التي رأيتها أيام الصبا ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾ صدقاً ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ ولم يذكر الجبّ لئلا يكون تثريباً عليهم ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ من البادية؛ لأنهم كانوا أصحاب المواشي، وأهل البدو ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾ أفسد بيننا وَحَرَّشَ؛ من: (نزغ الرائض الدابة) إذا نخسها وحملها على الجري. ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ لطيف التدبير له؛ إذ ما من صعب إلا وتنفذ فيه مشيئته

[سوى الذرية]؛ يعني: الصغار منها وإلا فالكل ذرية [لطيف التدبير له]؛ أي: لما يشاء واللام إن علقت بلطيف فهي للتعليل أو بالتدبير الذي قدره فهي صلة له

۞ ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾.

ويتسهل دونها ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بوجود المصالح والتدابير ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي يفعل كل شيء في وقته وعلى وجه يقتضي الحكمة. روي: (أن يوسف طاف بأبيه عليهما الصلاة والسلام في خزائنه فلما أدخله خزانة القراطيس قال: يا بني ما أعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت إلي على ثمان مراحل! قال: أمرني جبريل عليه السلام! قال: أو ما تسأله؟ قال: أنت أبسط مني إليه فاسأله؟! فقال جبريل: الله أمرني بذلك. لقولك: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ [يوسف: ١٣] قال: فهلا خفتني.

﴿١٠١﴾ ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ بعض الملك؛ وهو ملك مصر ﴿وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ الكتب أو الرؤيا، و(من) أيضاً للتبعيض؛ لأنه لم يؤت كل التأويل ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مبدعهما وانتصابه على أنه صفة المنادى أو منادى برأسه ﴿أَنتَ وَلِىِّۦ﴾ ناصري ومتولي أمري. ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ أَوْ الذي يتولاني بالنعمة فيهما ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا﴾ اقبضني ﴿وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ من آبائي، أو بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة. روي: (أن يعقوب عليه السلام أقام معه أربعاً وعشرين سنة ثم توفي وأوصى أن يدفن بالشام إلى جنب أبيه، فذهب به ودفنه ثَمَّةَ، ثم عاد وعاش بعده ثلاثاً وعشرين سنة، ثم تاقت نفسه إلى الملك المخلد فتمنى الموت؛ فتوفاه الله طيباً

[ويتسهل دونها]؛ أي: دون المشيئة؛ أي: عندها [فلما ادخله خزانة للقراطيس]؛ أي: الأوراق [ما أعقك] من الإعاقة لا من العقوق؛ أي: تعقيب ما أعاقك، وفي رواية: «ما أقل اهتمامك لأبيك» ويؤيدها قوله في نسخة: «ما أعقلك».

[قال: فهلا خِفتَني] فيه اختصار إذ المعنى: فقال يعقوب لجبريل: سل الله فسأله فقال: قل لعبدي يعقوب: أرأيت اليوم الذي قال لك فيه بنوك: أرسله معنا غداً يرتع ويلعب، وأنت قلت: إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب

۞ ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾.

طاهراً، فتخاصم أهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال، فرأوا أن يجعلوه في صندوق من مَرْمَر ويدفنوه في النيل؛ بحيث يمرّ عليه الماء، ثم يصل إلى مصر ليكونوا شرعاً فيه، ثم نقله موسى عليه الصلاة والسلام إلى مدفن آبائه، وكان عمره مائة وعشرين سنة، وقد ولد له من (راعيل): (افرائيم) و(ميشا) وهو جد يوشع بن نون، ورحمة امرأة أيوب عليه السلام.

﴿١٠٢﴾ ـ ﴿١٠٣﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما ذكر من نبأ يوسف عليه السلام، والخطاب فيه للرسول ﷺ وهو مبتدأ. ﴿مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ خبران له. ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ كالدليل عليهما، والمعنى: أن هذا النبأ غيب لم تعرفه إلا بالوحي؛ لأنك لم تحضر إخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به من أن يجعلوه في غيابة الجب، وهم يمكرون به وبأبيه ليرسله معهم، ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك؛ أنك ما لقيت

ولم تذكرني فهلا خفتني إذ ذاك [**فتخاصم أهل مصر في مدفنه**]؛ أي: أحبّ كلٌّ أن يدفن في محلته [**من مرمر**]؛ أي: من رخام [**ثم يصل**]؛ أي: الماء [**يكونوا شرعاً فيه**] بسكون الراء وفتحها؛ أي: «بأجا أو سواء واحداً» قال في «القاموس»: الناس شرع واحد ويحرك؛ أي: بأجٌ[1] واحد، والناس في هذا شرع واحد ويحرك؛ أي: سواء[2]. انتهى. والغرض من ذلك استواؤهم في بركة مدفنه [**«ثم نقله موسى عليه السلام»**] بعد مجيئه [**إلى مدفن آبائه**]؛ أي: بالشام [**وهو جد يوشع**] ظاهره عود الضمير لميشا فيكون نون ولده وليس كذلك والذي في «الكشاف»[3] وغيره أنه ولد إفرائيم فيتعين عود الضمير لإفرائيم.

---

(١) قال الفراهيدي: البأجُ: البيان. انظر: العين، الفراهيدي [١/ ٤٩٣].

(٢) القاموس المحيط، الفيروزآبادي [٤/ ٨٥]. (٣) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٤٧٧].

۞ ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ
ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ
أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ
ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠
وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾.

أحداً سمع ذلك فتعلمته منهم وإنما حذف هذا الشق استغناء بذكره في غير هذه القصة كقوله: ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ﴾ [هود: ٤٩] هذا. ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ على إيمانهم، وبالغتَ في إظهار الآيات عليهم ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾ لعنادهم وتصميمهم على الكفر.

﴿١٠٤﴾ - ﴿١٠٥﴾ ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ﴾ على الإنباء أو القرآن. ﴿مِنْ أَجْرٍۚ﴾ من جُعْلٍ كما يفعله حَمَلةُ الأخبار. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة من الله تعالى. ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ عامة. ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ﴾ وكم من آية. والمعنى: وكأي عدد شئت من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ على الآيات ويشاهدونها ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها. وقرئ (وَالْأَرْضُ) بالرفع على أنه مبتدأ خبره ﴿يَمُرُّونَ﴾، فيكون لها الضمير في (عَلَيْها) وبالنصب على: ويطئون الأرض. وقرئ و(الأرض يمشون عليها)؛ أي: يترددون فيها؛ فيرون آثار الأمم الهالكة.

﴿١٠٦﴾ - ﴿١٠٨﴾ ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ﴾ في إقرارهم بوجوده وخالقيته. ﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ بعبادة غيره أو باتخاذ الأحبار أرباباً. ونسبة التبني إليه تعالى، أو القول بالنور والظلمة أو النظر إلى الأسباب ونحو ذلك. وقيل: الآية في مشركي مكة، وقيل: في المنافقين. وقيل: في أهل الكتاب.

[وإنما حذف هذا الشق]؛ أي: وهو عدم تعلمه ذلك من أحد وحاصل الشقين

١٠٩ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩﴾.

﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ﴾ عقوبة تغشاهم وتشملهم. ﴿أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ﴾ فجأة من غير سابقة علامة. ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ بإتيانها غير مستعدين لها. ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾؛ يعني: الدعوة إلى التوحيد والإعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله: ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ وقيل: هو حال من الياء. ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ بيان وحجة واضحة غير عمياء. ﴿أَنَا۠﴾ تأكيد للمستتر في (أَدْعُوا أو عَلى بَصِيرَةٍ) لأنه حال منه، أو مبتدأ خبره (عَلى بَصِيرَةٍ). ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ عطف عليه. ﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ وأنزهه تنزيهاً من الشركاء.

١٠٩ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا﴾ ردّ لقولهم: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ﴾ [المؤمنون: ٢٤] وقيل معناه: نفي استنباء النساء (يُوحَي إِلَيْهِمُ) كما يوحي إليك، ويميزون بذلك عن غيرهم. وقرأ حفص (نُوحِي) في كل القرآن ووافقه حمزة والكسائي في سورة (الأنبياء). ﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾؛ لأن أهلها أعلم وأحلم من أهل البدو. ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ﴾ مّن المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك، أو من من المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها. ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ ولدار؛ الحال، أو الساعة، أو الحياة الآخرة ﴿خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ﴾ الشرك والمعاصي ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ يستعملون عقولهم ليعرفوا أنها خير. وقرأ نافع

أن علمه بذلك إما بالوحي أو بتعلمه من غيره والأول مثبت والثاني منفي [والإعداد] بالنصب عطف على «الدعوة» وبالجر عطف على «التوحيد» [أو على بصيرة]؛ أي: أو تأكيد للمستتر في «على بصيرة» [لأنه]؛ أي: على بصيرة [حال منه]؛ أي: من المستتر في «ادعوا» [عطف عليه]؛ أي: على «أنا» [وتميزوا بذلك]؛ أي: بالإيحاء [أو الحياة الآخرة] لفظ الآخرة قُيد في الثلاثة قبله كما يدل له كلام

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾.

وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملاً على قوله: (قُلْ هذِهِ سَبِيلِي)؛ أي: قل لهم: أفلا تعقلون.

﴿١١٠﴾ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ غاية محذوف دل عليه الكلام؛ أي: لا يغررهم تمادي أيامهم؛ فإن من قبلهم أمهلوا حتى أيس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا، أو عن إيمانهم لانهماكهم في الكفر مترفهين متمادين فيه من غير وازع. ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ﴾؛ أي: كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بأنهم ينصرون، أو كذبهم القوم بوعد الإيمان. وقيل: الضمير للمرسل إليهم؛ أي: وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد. وقيل: الأول: للمرسل إليهم، والثاني: للرسل؛ أي: وظنوا أن الرسل قد كذبوا وأخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخلط الأمر عليهم. وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الرسل ظنوا أنهم أخلفوا ما وعدهم الله من النصر. إن صح فقد أراد بالظن ما يهجس في القلب على طريق الوسوسة.

«الكشاف»[(١)]؛ أي: ولدار «الحال الآخرة» أو «الساعة الآخرة» أو «الحياة الآخرة».

[من غير وازع]؛ أي: كافّ يكفهم عما ارتكبوه [وظنوا أنهم قد كذبوا] بتخفيف الذال وبالبناء للمفعول كما يعرف من كلامه، وحاصله مع ما رتبه عليه: أن الضمائر الثلاثة للرسل، وقيل: ثانيها «لهم» والآخران للمرسل إليهم، وقيل: الأول للمرسل إليهم والآخران للرسل، فقوله في الثاني: وقيل الضمير؛ أي: ضمير «ظنوا وكذبوا» وقوله في الثالث، وقيل الأول: أي: ضمير ظنوا، والثاني؛ أي: ضمير كذبوا [«وما روي عن ابن عباس..»] إلى آخره. رواه البخاري[(٢)].

[على طريق الوسوسة] هذا كما قيل لا يجوز أيضاً؛ لأن الرسل معصومون من

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٤٨٠].
(٢) صحيح البخاري [٤/ ١٦٤٤/ برقم: ٤٢٥٢].

۞ ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾.

هذا وأن المراد به المبالغة في التراخي والإمهال على سبيل التمثيل. وقرأ غير الكوفيين بالتشديد؛ أي: وظن الرسل أن القوم قد كذبوهم فيما أوعدوهم. وقرئ (كَذَبُواْ) بالتخفيف وبناء الفاعل؛ أي: وظنوا أنهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له أثراً. ﴿جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ﴾ النبي والمؤمنين؛ وإنما لم يعينهم للدلالة على أنهم الذين يستأهلون إن يشاء نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم. وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي المبني للمفعول، وقرئ (فَنَجا). ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ إذا نزل بهم؛ وفيه بيان للمشيئين.

﴿١١١﴾ ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾ في قصص الأنبياء وأممهم، أو في قصة يوسف وإخوته ﴿عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ لذوي العقول المبرأة من شوائب الإلف، والركون إلى الحس ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ ما كان القرآن حديثاً يفترى ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب الإلـهية ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج اليه في الدين؛ إذ ما من أمر ديني إلا وله سند من القرآن ـ بوسط أو بغير وسط ـ. ﴿وَهُدًى﴾ من الضلال ﴿وَرَحْمَةً﴾ ينال بها خير الدارين ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقونه. وعن النبي ﷺ: «**عَلِّمُوا أَرِقَّاءَكُم سورة (يوسف)؛ فإنه أيما مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه هوَّن الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلماً**».

وسوسة الشيطان [للمَنْشيّن] بميم مفتوحة ونون ساكنة وشين معجمة وياء مشددة مكسورة وهم المفادون بقوله: ﴿مَن نَّشَآءُ﴾ [«عَلِّمُوا أَرِقَّاءَكُم سورة يوسف..»] إلى آخره. موضوع[1].

---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٢/ ١٧٩/ برقم: ٦٤٤].

سورة الرعد

(١٣) مدنية، وقيل: مكية إلا قوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾... الآية [الرعد: ٧]،
وهي ثلاث وأربعون آية

۞ ﴿الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ ﴿الٓمٓرۚ﴾ قيل معناه: أنا الله أعلم وأرى ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ﴾؛ يعني: بالكتاب السورة و﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى آياتها؛ أي: تلك الآيات آيات السورة الكاملة أو القرآن. ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ هو القرآن كله، ومحله الجر بالعطف على (الْكِتابِ) عطف العام على الخاص، أو إحدى الصفتين على الأخرى، أو الرفع بالابتداء، وخبره ﴿ٱلْحَقُّ﴾، والجملة كالحجة على الجملة الأولى، وتعريف الخبر وإن دل على اختصاص المنزل بكونه حقّاً؛ فهو أعم من المنزل صريحاً أو ضمناً، كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لإخلالهم بالنظر والتأمل فيه.

﴿٢﴾ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مبتدأ وخبر، ويجوز أن يكون الموصول صفة والخبر ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾. ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ أساطين؛ جمع (عماد) كـ(إهاب وأهب)؛ أو (عمود) كـ(أديم وأدم) وقرئ (عُمُدٍ) كـ(رُسُل).

قوله: [آيات السورة الكاملة] أخذ الكمال من تعريف الكتاب بأل؛ لأن خبر المبتدأ إذا عرف بلام الجنس أفاد المبالغة [أو القرآن] بالنصب عطفاً على السورة في قوله؛ يعني: بالكتاب السورة [كإهاب] هو الجلد ما لم يدبغ [وأَهَب] بفتحتين جمع إهاب والقياس

۞ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۡهَٰرًاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِى ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنۡ أَعۡنَٰبٍ وَزَرۡعٌ وَنَخِيلٌ صِنۡوَانٌ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٍ يُسۡقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٍ فِى ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾﴾.

﴿تَرَوۡنَهَاۖ﴾ صفة لـ﴿عَمَدٍ﴾ أو استئناف للاستشهاد برؤيتهم السمٰوات كذلك. وهو دليل على وجود الصانع الحكيم؛ فإن ارتفاعها على سائر الأجسام السماوية لها في حقيقة الجرمية، واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد، وأن يكون بمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بإرادته، وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الآيات. ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ بالحفظ والتدبير. ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ﴾ ذللهما لما أراد منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة ينفع في حدوث الكائنات وبقائها. ﴿كُلٌّ يَجۡرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾ لمدة معينة يتم فيها أدواره، أو لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره، وهي ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾ [التكوير: ١، ٢]. ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ﴾ أمر ملكوته من الإيجاد، والإعدام، والإحياء، والإماتة، وغير ذلك. ﴿يُفَصِّلُ ٱلۡأَيَٰتِ﴾ ينزلها ويبينها مفصلة، أو يحدث الدلائل واحداً بعد واحد ﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ﴾ لكي تتفكروا فيها، وتتحققوا كمال قدرته؛ فتعلموا أن من قدر على خلق هذه الأشياء وتدبيرها قدر على الإعادة والجزاء.

﴿٣﴾ - ﴿٤﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ﴾ بسطها طولاً وعرضاً لتثبت عليها

أُهَب بضمتين [يرونها صفة لعمد] على جعل النفي متناً ولا للموصوف والصفة معا كقوله:

.... **ولا تَـرَى الـضَّـبَّ فـيـهـا يَـنْـجَـحِـر**(١)

[واستئناف للاستشهاد برؤيتهم السماوات كذلك]؛ أي: بغير عمد **[بإرادته]**

---

(١) صدره:

لا تُــفْــزِعُ الأرانــبَ أهْــوالُــهــا

انظر: شرح أدب الكاتب، الجواليقي [ص٧٩].

الأقدام وينقلب عليها الحيوان. ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالاً ثوابت، من: (رسا الشيء) إذا ثبت، جمع (راسية) والتاء للتأنيث على أنها صفة (أجبل) أو للمبالغة. ﴿وَأَنْهَارًا﴾ ضمها إلى (الجبال)، وعلق بهما فعلاً واحداً من حيث إن الجبال أسباب لتولدها. ﴿وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ متعلق بقوله: ﴿جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾؛ أي: وجعل فيها من جميع أنواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض، والأسود والأبيض، والصغير والكبير. ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ يلبسه مكانه فيصير الجو مظلماً بعد ما كان مضيئاً، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر (يُغَشِّي) بالتشديد. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها؛ فإن تكونها وتخصصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دَبَّرَ أمرها، وهيأ أسبابها. ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ﴾ بعضها طيبة وبعضها سبخة، وبعضها رخوة وبعضها صلبة، وبعضها تصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس. ولولا تخصيص قادر موقع لأفعاله على وجه دون وجه لم تكن كذلك، لاشتراك تلك القطع في الطبيعة الأرضية، وما يلزمها، ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الأسباب السماوية، من حيث أنها متضامة متشاركة في النسب والأوضاع. ﴿وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ﴾ وبساتين فيها أنواع الأشجار والزروع، وتوحيد (الزرع)؛ لأنه مصدر في أصله. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وحفص (وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ) بالرفع عطفاً على ﴿وَجَنَّاتٌ﴾. ﴿صِنْوَانٌ﴾ نخلات أصلها واحد. ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ متفرقات، مختلفات الأصول. وقرأ حفص بالضم وهو لغة بني تميم كـ(قُنْوانٌ) في جمع (قنو). ﴿يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾ في الثمر؛ شكلاً وقدراً ورائحة وطعماً، وذلك أيضاً مما يدل على الصانع الحكيم؛ فإن اختلافها مع اتحاد الأصول والأسباب لا يكون إلا بتخصيص قادر مختار.

متعلق بيرجح [صيغة أجبل] الأولى صفة جبال [**لتولدها**]؛ أي: الأنهار [**يلبسه**]؛ أي: يلبس الليل النهار [**مكانه**]؛ أي: مكان النهار وهو الظلمة [**وبساتين..**] إلى آخره. تفسير لقوله: ﴿وَجَنَّاتٌ﴾ إلى آخره. [**وقرأ حفص بالضم**]؛ أي: بضم الصاد

۞ ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾﴾.

وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب (يُسْقى) بالتذكير على تأويل ما ذكر، وحمزة والكسائي يفضل بالياء ليطابق قوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يستعملون عقولهم بالتفكر.

﴿٥﴾ ﴿وَإِن تَعْجَبْ﴾ يا محمد من إنكارهم البعث. ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ حقيق بأن يتعجب منه؛ فإن من قدر على إنشاء ما قص عليك كانت الإعادة أيسر شيء عليه، والآيات المعدودة كما هي دالة على وجود المبدأ؛ فهي دالة على إمكان الإعادة من حيث إنها تدل على كمال علمه وقدرته، وقبول المواد لأنواع تصرفاته. ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بدل من (قولهم) أو مفعول له، والعامل في (إذا) محذوف دل عليه: (أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ). ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ﴾ لأنهم كفروا بقدرته على البعث. ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾ مقيدون بالضلال لا يرجى خلاصهم، أو يغلون يوم القيامة. ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ لا ينفكون عنها، وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار.

[في الثمر] تفسير للأكل قال الجوهري: الأكل ثمر النخل والشجر وكل ما يؤكل فهو أكل[1].

[وإن تعجب يا محمد من إنكارهم البعث..] إلى آخره. تبع فيه «الكشاف»[2] واعترض بأن ذلك ليس مدلول اللفظ لما فيه من اتحاد الجزاء والشرط وإنما مدلوله إن يقع منك عجب فليكن من قولهم «أإذا متنا..» إلى آخره. وكأنه قيل: إن تعجب من مطلق إنكارهم البعث فاعجب من قولهم هذا المذكور العظيم فهو كقولهم: «شعري شعري» **[والعامل في «إذا» محذوف دل عليه ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾]** تقديره

---

(١) الصحاح، الجوهري [١/ ١٧].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٤٨٣].

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾.

﴿٦﴾ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ بالعقوبة قبل العافية، وذلك لأنهم استعجلوا ما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء. ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾ عقوبات أمثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها! ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم؟! و(المثَلة) بفتح الثاء وضمها كـ(الصَّدُقَة والصَّدُقَات)؛ العقوبة لأنها مثل المعاقب عليه، ومنه المثال للقصاص، وأمثلت الرجل من صاحبه إذا اقتصصته منه. وقرئ (المَثْلات) بالتخفيف و(المُثُلات) بإتباع الفاء العين و(المُثْلات) بالتخفيف بعد الاتباع، و(المُثَلات) بفتح الثاء على أنها جمع مُثْلة كركبة وركبات. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ مع ظلمهم أنفسهم؛ ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل على جواز العفو قبل التوبة، فإن التائب ليس على ظلمه، ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر، أو أول المغفرة بالستر والإمهال. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ للكفار أو لمن شاء، وعن النبي ﷺ: «**لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ أحد العيش، ولولا وعيده وعقابه لاتَّكَلَ كُلُّ أَحَد**».

﴿٧﴾ ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة عليه، واقتراحاً لنحو ما أوتي موسى وعيسى عليهما السلام. ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ﴾ مرسل للإنذار كغيرك من الرسل، وما عليك إلا الإتيان بما تصح

«نبعث» [لأنها مثل المعاقب عليه]؛ أي: في أن كُلّاً منهما مذموم [ومنه المثال للقصاص] لما فيه من المماثلة.

[ومحله]؛ أي: محل ﴿عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [ما هنا] هو بالهمز.

۞ ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ٨﴾.

به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك. ﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم إلى الحق ويدعوهم إلى الصواب، أو قادر على هدايتهم؛ وهو الله تعالى لكن لا يهدي إلا من يشاء هدايته بما ينزل عليك من الآيات. ثم أردف ذلك بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره؛ تنبيهاً على أنه تعالى قادر على إنزال ما اقترحوه، وإنما لم ينزل لعلمه بأن اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد، وأنه قادر على هدايتهم وإنما لم يهدهم لسبق قضائه بالكفر فقال:

٨ ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾؛ أي: حملها، أو ما تحمله على أي حال هو من الأحوال الحاضرة والمترقبة. ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ﴾ وما تنقصه وما تزداده في الجنة والمدة والعدد، وأقصى مدة الحمل أربع سنين عندنا، وخمس عند مالك، وسنتان عند أبي حنيفة. روي: (أن الضحاك ولد لسنتين، وهرم بن حيان لأربع سنين، وأعلى عدده لا حد له. وقيل: نهاية ما عرف به أربعة، وإليه ذهب أبو حنيفة رضي الله عنه، وقال الشافعي رحمه الله: أخبرني شيخ باليمن أن امرأته ولدت بطوناً في كل بطن خمسة. وقيل: المراد نقصان دم الحيض وازدياده، و(غاض) جاء متعدياً ولازماً، وكذا ازداد قال تعالى: ﴿وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾ [الكهف: ٢٥] فإن جعلتهما لازمين تعين إما أن تكون مصدرية وإسنادهما إلى الأرحام على المجاز؛

[وأعلى عدده]؛ أي: الحمل [لا حدَّ له وقيل: نهاية ما عرف أربعة..][(١)] إلى آخره. قد حكيت في شرحي الفصول أن امرأة جاءت بخمسة في بطن وأُخرَى بسبعة

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد [٦/ ٣٠٠].

۞ ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ۝٩ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠﴾.

فإنهما لله تعالى أو لما فيها. ﴿وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ﴾ بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [القمر: ٤٩] فإنه تعالى خصَّ كل حادث بوقت وحال معينين، وهيأ له أسباباً مسوقة إليه تقتضي ذلك. وقرأ ابن كثير (هادٍ) و(والٍ) و(واقٍ) ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖ﴾ [النحل: ٩٦] بالتنوين في الوصل؛ فإذا وقف وقف بالياء في هذه الأحرف الأربعة حيث وقعت لا غير، والباقون يصلون بالتنوين، ويقفون بغير ياء.

۝٩ - ۝١٠ ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ الغائب عن الحس ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ الحاضر له ﴿ٱلۡكَبِيرُ﴾ العظيم الشأن الذي لا يخرج عن علمه شيء ﴿ٱلۡمُتَعَالِ﴾ المستعلي على كل شيء بقدرته، أو الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه. ﴿سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ﴾ في نفسه ﴿وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ لغيره ﴿وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ﴾ طالب للخفاء في مختبأ بالليل ﴿وَسَارِبُۢ﴾ بارز ﴿بِٱلنَّهَارِ﴾ يراه كل أحد من: (سرب سروباً) إذا برز، وهو عطف على (من) أو (مستخف) على أن (من) في معنى الإثنين كقوله: (نكن مثل من يا ذئب يصطحبان) كأنه قال: سواء منكم اثنان: مستخف بالليل وسارب بالنهار، والآية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله.

وأُخرَى باثني عشر وأُخرَى بسبعة عشر وأُخرَى بأربعين [**وهو عطف على من أي الأخيرة**] أو مستخف [**على أن من في معنى الاثنين**] بتقديره بعد [**كقوله**]؛ أي: الفرزدق في وصف ذئب أتاه في قفر وألقى إليه ما يأكله:

[.................... **نَكُنْ مثلُ مَنْ يا ذئبُ يصطحبانِ**][1]

---

(١) الكتاب، سيبويه [٢/٤١٦].

۞ ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾.

﴿١١﴾ ﴿لَهُۥ﴾ لمن أسر أو جهر أو استخفى أو سرب. ﴿مُعَقِّبَٰتٌ﴾ ملائكة تعتقب في حفظه، جمع (معقبة) من: (عقبه) مبالغة، (عقبه): إذا جاء على عقبه؛ كأن بعضهم يعقب بعضاً، أو لأنهم يعقبون أقواله وأفعاله فيكتبونها، أو اعتقب فأدغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة، أو لأن المراد بالمعقبات جماعات. وقرئ (مَعَاقِيبُ) جمع معقب، أو معقبة؛ على تعويض الياء من حذف إحدى القافين. ﴿مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ من جوانبه، أو من الأعمال ما قدم وأخّر. ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ من بأسه متى أذنب بالاستمهال أو الاستغفار له، أو يحفظونه من المضار، أو يراقبون أحواله

أوله: تعالَ ـ وروي ـ: نَعِش فإن عاهدتني لا تخونني. و«يصطحبان» صلة من «يا ذئب» معترض بينهما وتثنية الضمير في «يصطحبان» على معنى «مَنْ»؛ لأن معناه: التثنية؛ أي: إن عاهدتني لا تخونني كنا مثل رجلين يصحبان **[فيكتبونه]**؛ أي: ما يقوله أو يفعله والأنسب بكلامه فيكتبونها؛ أي: أقواله وأفعاله **[أو أعقبت]**؛ أي: ومن اعتقب **[فأدغمت التاء في القاف]**؛ أي: في معقبات إذ أصله معتقبات، وردَّ بأن التاء لا تدغم في القاف ولا عكسه، والتاء؛ أي: في مفرد معقبات وهو معقبة[1].

[للمبالغة]؛ أي: كـ«علَّامة ونسّابة»؛ أي: ملك معقب ثم جمع هذا الجمع كعلامات ونسابات أو هي للتأنيث كما ذكره بقوله **[أو لأن المراد..]** إلى آخره. جمع **[جمع مُعَقِّب أو مُعَقِّبَة]** بضم الميم وتشديد القاف فيهما **[على تعويض التاء]**؛ أي: في معاتيب **[من حذف إحدى القافين]**؛ أي: الكائنتين في

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١١/ ١٣٥].

۞ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾.

من أجل أمر الله تعالى. وقد قرئ به، وقيل: (من) بمعنى الباء. وقيل: من أمر الله صفة ثانية لـ(مُعَقِّباتٌ). وقيل: (المعقبات): الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله تعالى. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ من العافية والنعمة. ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ من الأحوال الجميلة بالأحوال القبيحة ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ فلا راد له؛ فالعامل في (إذا) ما دل عليه الجواب. ﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ ممن يلي أمرهم فيدفع عنهم السوء، وفيه دليل على أن خلاف مراد الله تعالى محال.

﴿١٢﴾ - ﴿١٣﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا﴾ من أذاه. ﴿وَطَمَعًا﴾ في الغيث؛ وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف؛ أي: إرادة خوف وطمع، أو التأويل بالإخافة والإطماع، أو الحال من (الْبَرْقَ)، أو المخاطبين على إضمار (ذو)، أو إطلاق المصدر بمعنى المفعول، أو الفاعل للمبالغة. وقيل: يخاف المطرَ من يضرُه ويطمع فيه من ينفعه. ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ﴾ الغيم

المفرد **[من أجل أمر الله]**؛ أي: من أجل أن الله أمرهم بحفظه **[الحرس والجلاوزة]** قال الجوهري: الحرس حرس السلطان الواحد حرس؛ لأنه قد صار اسم جنس فنسب إليه، والجلاوزة أعوان السلطان جمع جلواز وهو الشرطي(١).

[أو الحال من البرق]؛ أي: ذا خوف وطمع قال في «الكشاف»(٢) كأنه في نفسه خوف وطمع **[أو المخاطبين على إضمار ذوي]**؛ أي: ذوي خوف وطمع **[أو إطلاق المصدر بمعنى المفعول أو الفاعل]** أو مخوفين وخائفين **[للمبالغة]** علة لإطلاق المصدر على المفعول أو الفاعل **[وقيل: يخاف المطر من يضره..]** إلى

---

(١) الصحاح، الجوهري [٥/ ٧٥].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٤٨٨].

المنسحب في الهواء. ﴿ٱلثِّقَالَ﴾ وهو جمع (ثقيلة)؛ وإنما وصف به السحاب لأنه اسم جنس في معنى الجمع. ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ﴾ ويسبح سامعوه ﴿بِحَمۡدِهِۦ﴾ ملتبسين به فيضجون بـ(سبحان الله) و(الحمد لله)، أو يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله وكمال قدرته ملتبساً بالدلالة على فضله ونزول رحمته. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: سئل النبي ﷺ عن الرعد فقال: «**ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب**». ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ﴾ من خوف الله تعالى وإجلاله، وقيل: الضمير لـ(الرَّعْدُ). ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ فيهلكه. ﴿وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ﴾ حيث يكذبون رسول الله ﷺ فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة، والتفرد بالألوهية وإعادة الناس ومجازاتهم، والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل، و(الواو) إما لعطف الجملة على الجملة، أو للحال فإنه روي: (أن عامر بن الطفيل، وأربد بن ربيعة ـ أخا لبيد ـ وفدا على رسول الله ﷺ قاصدين لقتله، فأخذه عامر بالمجادلة، ودار أربد من خلفه ليضربه بالسيف، فتنبه له رسول الله ﷺ وقال: «**اللَّهُمَّ اكفنيهما بما شئت**» فأرسل الله على أربد صاعقة فقتلته، ورمى عامراً بغدة فمات في بيت سلولية؛ وكان يقول: غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية، فنزلت). ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾ المماحلة: المكايدة لأعدائه، من: (محل فلان بفلان) إذا كايده وعرضه للهلاك، ومنه: تمحل إذا تكلف استعمال الحيلة، ولعل أصله (المحل) بمعنى: القحط. وقيل: فعال من المحل بمعنى: القوة. وقيل: (مفعل) من الحول أو الحيلة؛ أعل على غير قياس، ويعضده أنه قرئ بفتح الميم على أنه (مفعل) من حال يحول إذا

آخره. مقابل القول الأول لأن الخائف والطامع فيه متحد وفي هذا مختلف [وعن ابن عباس: «سئل النبي ﷺ..»] إلى آخره. رواه الترمذي وصححه[1]، قال ابن الأثير: «المخاريق»: جمع مخراق وهو في الأصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان

---

(١) سنن الترمذي [٥/ ٢٩٤/ برقم: ٣١١٧].

۞ ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿١٤﴾﴾.

احتال، ويجوز أن يكون بمعنى الفقار فيكون مثلاً في القوة والقدرة كقولهم: (فساعد الله أشد وموساه أحد).

﴿١٤﴾ ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ﴾ الدعاء الحق؛ فإنه الذي يحق أن يعبد ويدعى إلى عبادته دون غيره، أو له الدعوة المجابة؛ فإن من دعاه أجابه، ويؤيده ما بعده. و(الْحَقِّ) على الوجهين ما يناقض الباطل وإضافة (الدَّعْوَةُ) لما بينهما من الملابسة، أو على تأويل دعوة المدعو الحق. وقيل: (الْحَقِّ) هو الله تعالى، وكل دعاء إليه دعوة الحق، والمراد بالجملتين إن كانت الآية في أربد وعامر؛ أن إهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله إجابة لدعوة رسوله ﷺ، أو دلالة على أنه على الحقز وإن كانت عامة فالمراد: وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله ﷺ بحلول محاله بهم وتهديدهم بإجابة دعاء الرسول ﷺ عليهم، أو بيان ضلالهم وفساد رأيهم. ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾؛ أي: والأصنام الذين يدعوهم المشركون؛ فحذف الراجع، أو: والمشركون الذين يدعون الأصنام؛ فحذف المفعول لدلالة ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ عليه. ﴿لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ﴾ من الطلبات ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ﴾ إلا استجابة كاستجابة: من بسط كفيه. ﴿إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ﴾ يطلب منه أن يبلغه ﴿وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ﴾ لأنه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على إجابته والإتيان بغير ما جبل عليه، وكذلك آلهتهم.

بعضهم بعضاً، وهي آلة تزجر بها الملائكة السحاب وتسوقه[1] [**كقولهم: فساعد الله أشدّ وموساه أحدّ**] هو نظير ما ذكر كونه مثلاً في القوة والقدرة [**على الوجهين**] هما الدعاء الحق والدعوة المجابة [**والمراد بالجملتين**] هما: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾ ﴿دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ﴾ [**الدعاء الحق**] بيَّن به أنَّ دعوة الحق من إضافة الموصوف إلى الصفة.

---

(١) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير [٣/ ٢٩].

۞ ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾.

وقيل: شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن أراد أن يغترف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه. وقرئ (تدعون) بالتاء و(باسطٍ) بالتنوين. ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ في ضياع، وخسار، وباطل.

﴿١٥﴾ ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ يحتمل أن يكون السجود على حقيقته؛ فإنه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين ﴿طَوْعًا﴾ حالتي الشدة والرخاء. والكفرة كرهاً حال الشدة والضرورة. ﴿وَظِلَٰلُهُم﴾ بالعرض وأن يراد به انقيادهم لإحداث ما أراده منهم شاؤوا أو كرهوا، وانقياد ظلالهم لتصريفه إياها بالمد والتقليص وانتصاب ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ بالحال أو العلة، وقوله: ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ ظرف لـ(يَسْجُدُ) والمراد بهما الدوام، أو حال من الظلال، وتخصيص الوقتين لأن الظلال إنما تعظم وتكثر فيهما، و(الغدو): جمع (غداة) كـ(قنى) جمع (قناة). و(الْآصالِ) جمع أصيل، وهو ما بين العصر والمغرب. وقيل: (الغدو) مصدر، ويؤيده أنه قد قرئ و(الإِيصال) وهو الدخول في الأصيل.

﴿١٦﴾ ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خالقهما ومتولي أمرهما. ﴿قُلِ ٱللَّهُ ۚ﴾ أجب عنهم بذلك إذ لا جواب لهم سواه، ولأنه البين الذي لا يمكن المراء

[وقيل: شُبِّهوا بقلة جدوى دعائهم..] إلى آخره. الفرق بينه وبين الأول أن المشبه فيه هم أنفسهم وفي الأول عدم استجابة دعائهم وباء «بقلة» سببية أو ظرفية [وإظلالهم بالعرض]؛ أي: تسجد أيضاً تبعاً لهم.

فيه، أو لقنهم الجواب به. ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ﴾ ثم ألزمهم بذلك؛ لأن اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل ﴿أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ لا يقدرون على أن يجلبوا إليها نفعاً أو يدفعوا عنها ضرّاً، فكيف يستطيعون إنفاع الغير ودفع الضر عنه، وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم في اتخاذهم أولياء رجاء أن يشفعوا لهم. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجِبِ لها، والموحد العالم بذلك. وقيل: المعبود الغافل عنكم، والمعبود المطلع على أحوالكم! ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ الشرك والتوحيد. وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالياء. ﴿أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ بل أجعلوا؛ والهمزة للإنكار وقوله: ﴿خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ﴾ صفة لشركاء داخلة في حكم الإنكار. ﴿فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ خلق الله وخلقهم، والمعنى: أنهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا: هؤلاء خلقوا كما خلق الله، فاستحقوا العبادة كما استحقها؟! ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلاً عما يقدر عليه الخالق. ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾؛ أي: لا خالق غيره فيشاركه في العبادة، جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ﴾ المتوحد بالألوهية ﴿ٱلْقَهَّٰرُ﴾ الغالب على كل شيء.

[إنفاع الغير] بنون ثم فاء هذا ليس بمسموع فكان حقه أن يقول فكيف يستطيعون نفع الغير أو فكيف يستطيعونه لغيرهم كما عبر به «الكشاف»[(١)] [جعل الخلق موجب العبادة..] إلى آخره؛ أي: بقوله: ﴿خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ﴾ كما تقرر [ثم نفى من سواه]؛ أي: من سوى الله بقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ كما تقرر.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٤٩٢].

۞ ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿١٧﴾ ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ من السحاب، أو من جانب السماء، أو من السماء نفسها؛ فإن المبادئ منها. ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ﴾ أنهار، جمع (واد) وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه، واستعمل للماء الجاري فيه وتنكيرها؛ لأن المطر يأتي على تناوب بين البقاع. ﴿بِقَدَرِهَا﴾ بمقدارها الذي علم الله تعالى أنه نافع غير ضار، أو بمقدارها في الصغر والكبر. ﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا﴾ رفعه، و(الزبد): وضرُ الغليان. ﴿رَّابِيًا﴾ عالياً. ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ﴾ يعم الفلزات؛ كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها إظهاراً لكبريائه. ﴿ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ﴾؛ أي: طلب حلى ﴿أَوْ

[فإن المبادئ]؛ أي: مبادئ الماء [منه]؛ أي: من السماء وهي تؤنث وتذكر كما استعمل المصنف الأول في قوله: أو السماء نفسها، والثاني في قوله: منه [وضر[١] **الغليان**]؛ أي: دسمه [**الفلزات**] جمع فِلِزّ وهو بكسر الفاء واللام وتشديد الزاي ما ينفيه الكير مما يذاب من جواهر الأرض قاله الجوهري[٢]. وقال ابن الأثير: هو ما في الأرض من الجواهر المعدنية كالذهب والفضة والنحاس والرصاص. قلت: وهو المشهور الموافق لكلام المصنف كـ«الكشاف»[٣]، ومن ثم قال الطيبي ما حاصله: والفلز ما في الأرض من الجواهر المعدنية، وقيل: ما ينفيه الكير مما يذاب منها.

[على وجه التهاون] مأخوذ من قوله: ﴿يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ﴾؛ لأن العدول إليه من أن يقول: ومن الجواهر وتصويرها بأخسّ حالاتها وهو الوقود عليها في النار

---

(١) كما في نسخة [ب] وفي نسخة [الأصل]: (ونضر) وفي نسخة [ز]: (وضمير) وفي نسخة [ج]: (وصف).

(٢) الصحاح، الجوهري [٥/ ٧٥].

(٣) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٤٩٣].

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾.

﴿مَتَٰعٍ﴾؛ كالأواني وآلات الحرب والحرث، والمقصود من ذلك بيان منافعها. ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾؛ أي: ومما يوقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه، (ومِنْ) للابتداء، أو للتبعيض، وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء على أن الضمير للناس، وإضماره للعلم به. ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ﴾ مثل الحق والباطل؛ فإنه مثل الحق في إفادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء، فتسيل به الأودية على قدر الحاجة والمصلحة؛ فينتفع به أنواع المنافع، ويمكث في الأرض بأن يثبت بعضه في منافعه، ويسلك بعضه في عروق الأرض إلى العيون والقنى والآبار، وبالفلز: الذي ينتفع به في صوغ الحلى، واتخاذ الأمتعة المختلفة، ويدوم ذلك مدة متطاولة، والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ﴾ يجفأ به؛ أي: يرمي به السبيل والفلز المذاب. وانتصابه على الحال، وقرئ: (جفالاً) والمعنى واحد. ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ كالماء وخلاصة الفلز ﴿فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِۚ﴾ ينتفع به أهلها ﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ لا لإيضاح المشتبهات.

﴿١٨﴾ ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ﴾ للمؤمنين الذين استجابوا ﴿لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰۚ﴾ الاستجابة الحسنى ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ﴾ وهم الكفرة، واللام متعلقة بـ(يضرب) على أنه جعل ضرب المثل لشأن الفريقين ضرب المثل لهما. وقيل: للذين استجابوا خبر الحسنى؛ وهي المثوبة، أو الجنة، و(الذين لم

يدل على استهجانها وامتهانها عنده تعالى وإن كنتم تعظمونها [في مناقعه] بالقاف جمع منقع بالكسر وهو محل نقع الماء؛ أي: اجتماعه وفي نسخة: في منابعه بالباء، وكل هنا صحيح؛ لأنه محل نقع الماء ونبعه [وبالفلز] عطف على «بالماء» [والباطل] بالنصب عطف على «الحق» [واللام]؛ أي: في قوله: ﴿لِلَّذِينَ﴾ [على أنه جعل ضرب المثل لشأن الفريقين ضرب المثل لهما]؛ أي: ففي قوله: ﴿لِلَّذِينَ﴾ تجوز إذ المعنى لشأنهم.

۞ ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾
ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ
وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾.

يستجيبوا) مبتدأ خبره: ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓ ۚ﴾ وهو على الأول كلام مبتدأ لبيان مآل غير المستجيبين. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ وهو المناقشة فيه؛ بأن يحاسب الرجل بذنبه لا يغفر منه شيء. ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ﴾ مرجعهم ﴿جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ المستقر، والمخصوص بالذم محذوف.

﴿١٩﴾ - ﴿٢٠﴾ ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ فيستجيب. ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ﴾ عمى القلب لا يستبصر فيستجيب، والهمزة لإنكار أن تقع شبهة في تشابههما بعد ما ضرب من المثل. ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ذوو العقول المبرأة عن مشايعة الألف ومعارضة الوهم ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ ما عقدوه على أنفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا: بلى، أو ما عهد الله تعالى عليهم في كتبه. ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله تعالى وبين العباد؛ وهو تعميم بعد تخصيص.

﴿٢١﴾ - ﴿٢٢﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ من الرحم، وموالاة المؤمنين، والإيمان بجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ويندرج في ذلك مراعاة جميع حقوق الناس. ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ وعيده عموماً ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ خصوصاً فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا. ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على ما تكرهه النفس ويخالفه الهوى ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ طلباً لرضاه لا لجزاء وسمعة ونحوهما. ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضة ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ بعضه الذي وجب عليهم إنفاقه ﴿سِرًّا﴾ لمن لم يعرف بالمال ﴿وَعَلَانِيَةً﴾ لمن عرف به ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ ويدفعونها بها فيجازون الإساءة بالإحسان، أو

۞ ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤﴾.

يتبعون السيئة الحسنة فتمحوها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ عاقبة الدنيا وما ينبغي أن يكون مآل أهلها؛ وهي الجنة، والجملة خبر الموصولات إن رفعت بالابتداء، وإن جعلت صفات لأولي الألباب فاستئناف بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات.

٢٣ - ٢٤ ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ بدل من ﴿عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ أو مبتدأ خبره ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾ و(العدن): الإقامة؛ أي: جنات يقيمون فيها، وقيل: هو بطنان الجنة. ﴿وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ﴾ عطف على المرفوع في (يدخلون)، وإنما ساغ للفصل بالضمير الآخر، أو مفعول معه، والمعنى: أنه يلحق بهم من صلح من أهلهم؛ وإن لم يبلغ مبلغ فضلهم، تبعاً لهم وتعظيماً لشأنهم، وهو دليل على أن الدرجة تعلو بالشفاعة، أو أن الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في أنسهم، وفي التقييد بالصلاح دلالة على أن مجرد الأنساب لا تنفع. ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ﴾ من أبواب المنازل،

[وقيل: **هو بطنان الجنة**]؛ أي: وسطها قاله الجوهري [**متعلق بـ**﴿عَلَيۡكُم﴾]؛ أي: متعلق «عليكم» [**لا بـ**﴿سَلَٰمٌ﴾ **فإن الخبر فاصل**] تبع فيه قول أبي البقاء لا يتعلق بـ«سلام»؛ لأنه لا يفصل بين المصدر ومعموله بالخبر، وهو مخالف لما في «الكشاف» من جواز ذلك وما في «الكشاف»(١) أظهر وردَّ الأول بأن الممنوع منه إنما هو في المصدر المؤول بحرف مصدري وفعل والمصدر هنا ليس كذلك [**والباء للسببية أو البدلية**]؛ أي: هذا الثواب بسبب صبركم أو بدل ما احتملتم من مشاق الصبر.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/٤٩٦].

۞ ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ أُولَٰٓئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا۟ بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا فِى الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾﴾.

أو من أبواب الفتوح والتحف قائلين: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ بشارة بدوام السلامة ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ متعلق بـ(عَلَيْكُمْ) أو بمحذوف؛ أي: هذا بما صبرتم لا بـ(سَلامٌ)، فإن الخبر فاصل، والباء للسببية، أو للبدلية. ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢] وقرئ (فَنَعْمَ) بفتح النون، والأصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها إلى الفاء وبغيره.

﴿٢٥﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾؛ يعني: مقابلي الأولين. ﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِۦ﴾ من بعد ما أوثقوه به من الإقرار والقبول ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ﴾ بالظلم وتهييج الفتن ﴿أُولَٰٓئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ﴾ عذاب جهنم، أو سوء عاقبة الدنيا؛ لأنه في مقابلة ﴿عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤].

﴿٢٦﴾ ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ يوسعه ويضيقه ﴿وَفَرِحُوا۟﴾؛ أي: أهل مكة ﴿بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ بما بسط لهم في الدنيا ﴿وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا فِى الْآخِرَةِ﴾؛ أي: في جنب الآخرة ﴿إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ إلا متعة لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي، والمعنى: أنهم أشروا بما نالوا من الدنيا، ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة، واغتروا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال.

[والأصل]؛ أي: في القراءتين [نَعِم] بفتح النون وكسر العين [فسكن العين] فيهما [بنقل حركتها إلى الفاء]؛ أي: في الأولى [وبغيره]؛ أي: بغير نقل في الثانية [كعجالة الراكب] قال الزمخشري(١): وهي ما يتعجله من تميرات أو شربة سويق أو نحو ذلك [أنهم أشروا]؛ أي: بطروا.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٤٩٧].

۞ ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿٢٧﴾ ـ ﴿٢٩﴾ ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ أقبل إلى الحق ورجَع عن العناد، وهو جواب يجري مجرى التعجب من قولهم: كأنه قال: قل لهم: ما أعظم عنادكم! إن الله ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ ممن كان على صفتكم، فلا سبيل إلى اهتدائهم وإن أنزلت كل آية، ويهدي إليه من أناب بما جئت به بل بأدنى منه من الآيات. ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بدل من (مَنْ) أو خبر مبتدأ محذوف ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أنساً به واعتماداً عليه ورجاء منه، أو بذكر رحمته بعد القلق من خشيته، أو بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته، أو بكلامه؛ يعني: القرآن الذي هو أقوى المعجزات. ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ تسكن إليه. ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مبتدأ خبره: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ وهو فعلى من الطيب، قلبت ياؤه واواً لضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى،

[وهو]؛ أي: قوله: قل إن الله يضل(١) ما يشاء.. إلى آخره. **[جواب يجري مجرى التعجب..]** إلى آخره. [﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ **بدل من «مَنْ»**]؛ أي: في قوله: ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ [﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ **مبتدأ خبره** ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾] قال في «الكشاف»(٢): ويجوز أن يكون بدلاً من «القلوب» على تقدير حذف المضاف؛ أي: تطمين القلوب «قلوب الذين آمنوا» قال: ومعنى طوبى لك: أصبت خيراً وطيباً.

---

(١) كما في نسخة [ز ـ ج ـ ب] وفي نسخة [الأصل]: (يفعل).
(٢) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٤٩٧].

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾.

ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ: ﴿وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ بالنصب.

﴿٣٠﴾ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك؛ يعني: إرسال الرسل قبلك ﴿أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ﴾ تقدمتها ﴿أُمَمٌ﴾ أرسلوا إليهم فليس ببدع إرسالك إليهم ﴿لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ لتقرأ عليهم الكتاب الذي أوحيناه إليك ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ وحالهم أنهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذي أحاطت بهم نعمته، ووسعت كل شيء رحمته، فلم يشكروا نعمه وخصوصاً ما أنعم عليهم بإرسالك إليهم، وإنزال القرآن الذي هو مناط المنافع الدينية والدنياوية عليهم. وقيل: نزلت في مشركي أهل مكة حين قيل لهم: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٦٠]. ﴿قُلْ هُوَ رَبِّى﴾؛ أي: الرحمٰن خالقي ومتولي أمري ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا مستحق للعبادة سواه ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ في نصرتي عليكم ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ مرجعي ومرجعكم.

﴿٣١﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شأن القرآن، أو المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم؛ أي: ولو أن

[ويجوز فيه الرفع والنصب]؛ أي: النصب على أنه مصدر لـ«طاب» وحينئذ فخبر المبتدأ طاب لا طوبى ففي قوله أولاً خبره «طوبى» تجوز **[وحالهم أنهم يكفرون بالبليغ الرحمة]** أشار بالبليغ إلى فائدة ذكر الرحمٰن بدل الضمير لأن قوله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ حال من فاعل ﴿أَرْسَلْنَٰكَ﴾ إذ التقدير أرسلناك والحالة أنهم يكفرون

كتاباً زعزعت به الجبال عن مقارها. ﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾ تصدعت من خشية الله عند قراءته، أو شققت فجعلت أنهاراً وعيوناً. ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ فتسمع فتقرؤه، أو فتسمع وتجيب عند قراءته؛ لكان هذا القرآن؛ لأنه الغاية في الإعجاز والنهاية في التذكير والإنذار، أو لما آمنوا به كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ الآية [الأنعام: ١١١]. وقيل: (إن قريشاً قالوا: يا محمد! إن سرك أن نتبعك فسير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا؛ فنتخذ فيها بساتين وقطائع، أو سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر إلى الشام، أو ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك، فنزلت). وعلى هذا فتقطيع الأرض قطعها بالسير. وقيل: الجواب مقدم وهو قوله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠] وما بينهما اعتراض، وتذكير (كُلِّمَ) خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي. ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ بل لله القدرة على كل شيءٍ؛ وهو إضراب عما تضمنته (لَوْ) من معنى النفي؛ أي: بل الله قادر على الإتيان بما اقترحوه من الآيات إلا أن إرادته لم تتعلق بذلك، لعلمه بأنه لا تلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ عن إيمانهم مع ما رأوا من أحوالهم، وذهب أكثرهم إلى أن معناه: أفلم يعلم؛ لما روي: أن علياً وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين قرءوا (أفلم يتبين)، وهو تفسيره، وإنما استعمل اليأس بمعنى العلم؛ لأنه مسبب عن العلم، فإن الميئوس عنه لا يكون إلا

بنا[1] [فنقرأه] فاعله ضمير «الموتى» [أو سخر لنا به]؛ أي: بالقرآن [وقيل: الجواب]؛ أي: جواب «لو» [مقدم]؛ أي: هو على مذهب الكوفيين أو دليله على مذهب البصريين.

[وهو قوله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾]؛ يعني: هم يكفرون بالرحمٰن إذ لا دخل للواو في الجواب [لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي]؛ أي: وهو الميت بخلاف

---

(١) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٥/٣١٨].

۞ ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾.

معلوماً ولذلك علقه بقوله: ﴿أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ فإن معناه: نفي هدى بعض الناس لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم، وهو على الأول متعلق بمحذوف تقديره: أفلم ييأس الذين آمنوا عن إيمانهم علماً منهم أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً أو بـ(آمَنُوا). ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟﴾ من الكفر وسوء الأعمال ﴿قَارِعَةٌ﴾ داهية تقرعهم وتقلقلهم ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ فيفزعون منها ويتطاير إليهم شررها. وقيل: الآية في كفار مكة؛ فإنهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله ﷺ، فإنه عليه الصلاة والسلام كان لا يزال يبعث السرايا عليهم فتغير حواليهم وتختطف مواشيهم. وعلى هذا يجوز أن يكون (تحل) خطاباً للرسول عليه الصلاة والسلام؛ فإنه حَلَّ بجيشه قريباً من دارهم عام الحديبية. ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ﴾ الموت، أو القيامة، أو فتح مكة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩] لامتناع الكذب في كلامه.

﴿٣٢﴾ ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ تسلية لرسول الله ﷺ. ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه، والإملاء أن يترك ملاوة من الزمان في دعة وأمن. ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾؛ أي: عقابي إياهم.

ما قبلها [ولذلك علقه]؛ أي: ﴿أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [وهو] أن لو يشاء الله [على الأول]؛ أي: وهو أن ييأس باق على معناه [متعلق بمحذوف]؛ أي: وهو عَلَماً في قوله [تقديره ﴿أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ﴾] إلى آخره(١) [أو بـ﴿ءَامَنُوٓا۟﴾] عطف على «بمحذوف» [ملاوة]

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١١/١٥٦].

۞ ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿٣٣﴾ - ﴿٣٤﴾ ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ﴾ رقيب عليها ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ من خير أو شر ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: ٥] من أعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم؛ والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك. ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ استئناف أو عطف على ﴿كَسَبَتْ﴾ إن جعلت (ما) مصدرية، أو لم يوحدوه وجعلوا عطف عليه، ويكون الظاهر فيه موضع الضمير لتنبيه على أنه المستحق للعبادة، وقوله: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ تنبيه على أن هؤلاء الشركاء لا يستحقونها، والمعنى: صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة! ﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ﴾؛ بل أتنبئونه. وقرئ (تُنْبِئُونه) بالتخفيف. ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم، أو بصفات لهم يستحقونها لأجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شيء. ﴿أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ أم تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى؛ كتسمية الزنجي كافوراً، وهذا احتجاج بليغ على أسلوب عجيب ينادي على

بتثليث الميم؛ أي: برهة من الزمان؛ أي: مدة طويلة منه **[أو لم يوحدوه]** عطف على «ليس كذلك» تقديره كمن ليس كذلك، أو كمن لم يوحدوه **[ويكون الظاهر فيه]**؛ أي: وهو «الله» **[موضع المضمر]**؛ أي: «وجعلوا له» **[تنبيهاً]** الأَوْلَى «تنبيه».

[والمعنى: صفوهم] حمل التسمية على الوصف، وكلام «الكشاف» يقتضي أنها باقية على معناها حيث قال: فسموهم له من هم ونبؤوه بأسمائهم[1] **[وهذا احتجاج بليغ..]** إلى آخره. قال الطيبي: أي: هذا الاحتجاج مبني على فنون من علم البيان

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٥٠٠].

نفسه بالإعجاز. ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ﴾ تمويههم فتخيلوا أباطيل ثم خالوها حقّاً، أو كيدهم للإسلام بشركهم. ﴿وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ سبيل الحق، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر (وَصَدُّوا) بالفتح؛ أي: وصدوا الناس عن الإيمان، وقرئ بالكسر (وَصِدٍ) بالتنوين. ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ يخذله ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ يوفقه للهدى ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل والأسر وسائر ما يصيبهم من المصائب. ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ﴾ لشدته ودوامه ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ مِن عذابه أو من رحمته. ﴿مِن وَاقٍ﴾ حافظ.

أولها: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ كمن هو ليس كذلك، احتجاج عليهم وتوبيخ لهم على القياس الفاسد لفقدان الجهة الجامعة **[ثانيها]**: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ من وضع المظهر موضع المضمر للتنبيه على أنهم جعلوا شركاء لمن هو فرد واحد لا يشاركه أحد في اسمه لقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] **[ثالثها]**: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾؛ أي: عيّنوا أساميهم فقولوا: فلان وفلان، فهو إنكار لوجودها على وجه برهاني، كما تقول: إن كان الذي تدعيه موجود فسمه؛ لأن المراد بالاسم العلم الذي علق على الشيء بعينه فما لم يكن موجوداً لم يكن معيناً فلا تعلق عليه الاسم؛ لأنه ليس بشيء وهو من أسلوب الكناية الإيمائية[1] **[رابعها]**: ﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾ احتجاج من باب نفي الشيء ينفي لازمه وهو نوع من الكناية **[خامسها]**: ﴿أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ احتجاج من باب الاستدراج والهمزة للتقدير لبعثهم على التفكر يعني: «أتقولون بأفواهكم من غير رؤيا وأنتم ألِبَّاء فتفكروا فيه لتقفوا على بطلانه» **[سادسها]**: التدرج في كل من الاضرابات على ألطف وجه وحيث كانت الآية مشتملة على هذه الأساليب البديعية مع اختصارها على أبلغ ما يكون كان الاحتجاج المذكور منادياً على نفسه بالإعجاز وأنه ليس من كلام البشر[2].

[خالوها]؛ أي: ظنوها **[حقّاً]** ساقط من نسخ **[وصدوا بالفتح]**؛ أي: بفتح الصاد وبه علم أن القراءة الأولى بضمها **[وقُرأ بالكسر]**؛ أي: بكسر الصاد بنقل

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [١٩/ ٤٥].
(٢) انظر: البحر المحيط، أبو حيان [٥/ ٣٢١].

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴿٣٦﴾﴾.

---

(٣٥) ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ صفتها التي هي مثل في الغرابة، وهو مبتدأ خبره محذوف ـ عند سيبويه ـ؛ أي: فيما قصصنا عليكم مثل الجنة، وقيل: خبره ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ على طريقة قولك: صفة زيد أسمر، أو على حذف موصوف؛ أي: مثل الجنة جنة تجري من تحتها الأنهار، أو على زيادة المثل؛ وهو على قول سيبويه: حال من العائد، أو المحذوف، أو من الصلة. ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾ لا ينقطع ثمرها. ﴿وَظِلُّهَا﴾؛ أي: وظلها، وكذلك لا ينسخ في الدنيا بالشمس ﴿تِلْكَ﴾؛ أي: الجنة الموصوفة ﴿عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ مآلهم ومنتهى أمرهم. ﴿وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ لا غير، وفي ترتيب النظمين إطماع للمتقين وإقناط للكافرين.

(٣٦) ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾؛ يعني: المسلمين من أهل الكتاب كابن سلام وأصحابه ومن آمن من النصارى، وهم ثمانون رجلاً؛ أربعون بنجران، وثمانية باليمن، واثنان وثلاثون بالحبشة، أو عامتهم فإنهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم. ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾؛ يعني: كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ بالعداوة ككعب بن الأشرف وأصحابه، والسيد، والعاقب، وأشياعهما. ﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ﴾ وهو ما يخالف

حركة الدال في الأصل إليها [وقيل: خبره ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾]؛ أي: بتقدير الجنة تجري من تحتها الأنهار بزيادة مثل **[على طريقة قولك: صفة زيد أسمر]**؛ أي: بتقدير زيد أسمر بزيادة صفة **[وهو]**؛ أي: تجري من تحتها الأنهار **[وفي ترتيب النظمين]** هما: **﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾** **[والسيد والعاقب]**

۞ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾.

شرائعهم، أو ما يوافق ما حرفوه منها ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾ جواب للمنكرين؛ أي: قل لهم: إني أمرت فيما أنزل إلي بأن أعبد الله وأوحِّدَه، وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم إلى إنكاره، وأما ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الإلٰهية في جزئيات الأحكام. وقرئ (وَلَا أُشْرِكُ) بالرفع على الاستئناف. ﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا۟﴾ لا إلى غيره. ﴿وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾ وإليه مرجعي للجزاء لا إلى غيره، وهذا هو القدر المتفق عليه بين الأنبياء، وأما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالأعصار، والأمم فلا معنى لإنكاركم المخالفة فيه.

﴿٣٧﴾ - ﴿٣٨﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل ذلك الإنزال المشتمل على أصول الديانات المجمع عليها ﴿أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا﴾ يحكم في القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة ﴿عَرَبِيًّا﴾ مترجماً بلسان العرب ليسهل لهم فهمه، وحفظه وانتصابه على الحال ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ التي يدعونك إليها، كتقرير دينهم والصلاة إلى قبلتهم بعد ما حولت عنها. ﴿بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ بنسخ ذلك ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ ينصرك ويمنع العقاب عنك، وهو حسم لأطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات في دينهم ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾ بشراً مثلك. ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾ نساء وأولاداً كما هي لك. ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ وما يصح له ولم يكن في وسعه. ﴿أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ﴾

زاد «الكشاف»(١): أسقفي نجران.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٥٠١].

﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾.

تقترح عليه وحكم يلتمس منه ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ فإنه الملي بذلك. ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ لكل وقت وأمد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم.

﴿٣٩﴾ ـ ﴿٤٠﴾ ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ ينسخ ما يستصوب نسخه ﴿وَيُثْبِتُ﴾ ما تقتضيه حكمته. وقيل: يمحو سيئات التائب، ويثبت الحسنات مكانها. وقيل: يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء، ويترك غيره مثبتاً، أو يثبت ما رآه وحده في صميم قلبه. وقيل: يمحو قرناً ويثبت آخرين. وقيل: يمحو الفاسدات الكائنات. وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ﴿وَيُثَبِّتُ﴾ بالتشديد. ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أصل الكتب وهو اللوح المحفوظ؛ إذ ما من كائن إلا وهو مكتوب فيه ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ وكيفما دارت الحال أريناك بعض ما أوعدناهم، أو توفيناك قبله. ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ لا غير ﴿وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ للمجازاة لا عليك فلا تحتفل بإعراضهم، ولا

[أو يثبت] عطف على «ونترك غيره» [ما رآه]؛ أي: الله [وجده]؛ أي: دون الملائكة [في صميم قلبه]؛ أي: قلب العبد [﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾]؛ أي: [أصل الكتب وهو]؛ يعني: الكتاب [اللوح المحفوظ] ومرّ بسط الكلام على أم الكتاب في أول سورة هود.

[فلا نحتفل بأغراضهم..] إلى آخره. فيه إشارة خفية إلى صحة جواب الشرط المتضمن لأحد الشرطين اللذين هما إراءتك بعض ما نعدهم ونوفيك بقوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ وأَوْلَى منه ما قدره أبو حيان من جواب الشرط الأول: فذلك شافيك من أعدائك وجواب الثاني: فلا لوم عليك ولا عتب[1]

---

(١) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٥/ ٣٢٥].

۞ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾﴾.

تستعجل بعذابهم فإنا فاعلون له وهذا طلائعه.

﴿٤١﴾ ـ ﴿٤٢﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾ أرض الكفرة. ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بما نفتحه على المسلمين منها. ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشيء بالإبطال، ومنه قيل لصاحب الحق: معقب؛ لأنه يقفو غريمه بالاقتضاء، والمعنى: أنه حكم للإسلام بالقبال وعلى الكفر بالإدبار وذلك كائن لا يمكن تغييره، ومحل مع المنفي النصب على الحال؛ أي: يحكم نافذاً حكمه. ﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ فيحاسبهم عما قليل في الآخرة بعد ما عذبهم بالقتل والإجلاء في الدنيا. ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ بأنبيائهم والمؤمنين منهم. ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ إذ لا يؤبه بمكر دون مكره؛ فإنه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ فيعد جزاءها ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ من الحزبين حيثما يأتيهم العذاب المعد لهم، وهم في غفلة منه، وهذا كالتفسير لمكر الله تعالى بهم، واللام تدل على أن المراد بالعقبى: العاقبة المحمودة. مع ما في الإضافة إلى الدار كما عرفت. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو الكافر على إرادة الجنس، وقرئ (الكافرون) و(الذين كفروا) و(الكفر)؛ أي: أهله وسيعلم من أعلمه إذا أخبره.

﴿٤٣﴾ ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ قيل: المراد بهم رؤساء

[وهذا]؛ أي: ما ذكر من إراءتنا لك في الدنيا بعض الذي نعدهم [طلائعه]؛ أي: العذاب في الآخرة [كما عرفت]؛ أي: في تفسير قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢] [﴿وَسَيَعْلَمُ﴾ مِنْ أعلمه إذا أخبره]؛ أي: فالمعنى: وسيخبر الكافر

اليهود. ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ فإنه أظهر من الأدلة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ علم القرآن، وما ألف عليه من النظم المعجز، أو علم التوراة وهو ابن سلام وأضرابه، أو علم اللوح المحفوظ وهو الله تعالى؛ أي: كفى بالذي يستحق العبادة، وبالذي لا يعلم ما في اللوح المحفوظ إلا هو شهيداً بيننا فيخزي الكاذب منا، ويؤيده قراءة من قرأ ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ بالكسر و﴿عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وعلى الأول مرتفع بالظرف فإنه معتمد على الموصول، ويجوز أن يكون مبتدأ والظرف خبره، وهو متعين على الثاني. وقرئ (وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الكتاب) على الحرف والبناء للمفعول. عن رسول الله ﷺ: **«من قرأ سورة (الرعد) أعطي من الأجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى، وكل سحاب يكون إلى يوم القيامة، وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله»**.

[**أي: وكفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في الغيب إلا هو**] رتبه على القول الأخير جواب ما يقال إذا فسر من في ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣] بالله تعالى يلزم عطف الشيء على نفسه فأجاب بأن المتعاطفين وإن اتحدا ذاتاً فهما متغايران باعتبار الصفة الحاصلة في الأول: من لفظه لأنه لا يكون إلٰهاً حتى يكون معبوداً وفي الثاني: من صلته[١] [**وعلم الكتاب على الأول**] الأَوْلَى على الأُوْلَى؛ أي: القراءة الأُوْلَى ليناسب قوله بعد [**وهو متعين للثانية**]؛ أي: للقراءة الثانية [**على الحرف**]؛ أي: على أنَّ «من» حرفية [**والبناء**]؛ أي: في علم [**«من قرأ سورة الرعد..»**] إلى آخره. موضوع[٢].



---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١١/ ١٦٤].

(٢) تخريج أحاديث الكشاف، الزمخشري [٢/ ١٩٥/ برقم: ٦٥٤].

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

(١٤) مكية، وهي اثنتان وخمسون آية

﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ۝٢ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ۝٣﴾.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ﴾؛ أي: هو كتاب ﴿أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ﴾ بدعائك إياهم إلى ما تضمنه ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ من أنواع الضلال ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ إلى الهدى ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾ بتوفيقه وتسهيله مستعار من الإذن الذي هو تسهيل الحجاب، وهو صلة (لِتُخْرِجَ) أو حال من فاعله أو مفعوله. إلى ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ بدل من قوله: ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ بتكرير العامل أو استئناف على أنه جواب لمن يسأل عنه، وإضافة الصراط إلى الله تعالى إما لأنه مقصده، أو المظهر له، وتخصيص الوصفين للتنبيه على أنه لا يذل سالكه ولا يخيب سابله.

(٢) ـ (٣) ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر، أو (اللَّهِ) خبر مبتدأ محذوف والذي صفته، وعلى قراءة الباقين عطف بيان لـ(الْعَزِيزِ) لأنه كالعلم لاختصاصه بالمعبود

قوله: [على أنه جواب لمن يسأل عنه]؛ أي: عن النور كأنه قيل: إلى أي نور؟ فقيل: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إما لأنه]؛ أي: الله تعالى [مقصده]؛ أي: الصراط [أو المظهر له]؛ أي: للصراط.

۞ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾.

على الحق. ﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ﴾ وعيد لمن كفر بالكتاب، ولم يخرج به ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾، و(الويل) نقيض (الوأل) وهو النجاة، وأصله النصب؛ لأنه مصدر إلا أنه لم يشتق منه فعل لكنه رفع لإفادة الثبات. ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ يختارونها عليها؛ فإن المختار للشيء يطلب من نفسه أن يكون أحب إليها من غيره. ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بتعويق الناس عن الإيمان. وقرئ (ويصدون) من أصده وهو منقول من صد صدوداً؛ إذا تنكب وليس فصيحاً؛ لأن في صده مندوحة عن تكلف التعدية بالهمزة. ﴿وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ﴾ ويبغون لها زيغاً، ونكوباً عن الحق ليقدحوا فيه، فحذف الجار وأوصل الفعل إلى الضمير، والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين، والنصب على الذم، والرفع عليه أو على أنه مبتدأ خبره: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ﴾؛ أي: ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل، والبعد في الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة، أو للأمر الذي به الضلال فوصف به لملابسته.

﴿٤﴾ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ إلا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم. ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ ما أمروا به، فيفقهوه عنه بيسر وسرعة، ثم ينقلوه ويترجموه إلى غيرهم؛ فإنهم أولى الناس إليه بأن يدعوهم وأحق بأن ينذرهم، ولذلك أمر النبي ﷺ بإنذار عشيرته أولاً، ولو نزل على من بعث إلى أمم مختلفة كتب على ألسنتهم استقل ذلك بنوع من الإعجاز، لكن أدى إلى اختلاف الكلمة وإضاعة فضل الاجتهاد في تعلم

[أن يكون]؛ أي: الشيء [أحب إليها]؛ أي: إلى نفسه [من غيره]؛ أي: الشيء [فإنهم]؛ أي: قوم الرسول [أَوْلَى الناس]؛ أي: أقربهم [إليه]؛ أي: فخص

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾.

الألفاظ ومعانيها، والعلوم المتشعبة منها وما في اتعاب القرائح وكد النفوس من القرب المقتضية لجزيل الثواب. وقرئ (بلسن) وهو لغة فيه كـ(ريش) و(رياش). و(لُسُن) بضمتين وضمة وسكون على الجمع كـ(عمد) و(عمد). وقيل: الضمير في (قومه) لمحمد ﷺ، وأن الله تعالى أنزل الكتب كلها بالعربية، ثم ترجمها جبريل عليه السلام، أو كل نبي بلغة المنزل عليهم، وذلك ليس بصحيح يرده قوله: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ فإنه ضمير (القوم)، والتوراة والإنجيل ونحوهما لم تنزل لتبين للعرب. ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ فيخذله عن الإيمان. ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ بالتوفيق له. ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فلا يغلب على مشيئته. ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي لا يضل ولا يهدي إلا لحكمة.

﴿٥﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ يعني: اليد، والعصا، وسائر معجزاته. ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ بمعنى: أي: أخرج؛ لأن في (الإرسال) معنى (القول)، أو: بأن أخرج؛

إرساله إليهم بلسانهم[1] **[وما في إتعاب القرائح]** عطف على «فضل الاجتهاد» وكذا **[النفس]**؛ أي: شدتها في العمل **[من القرب]** بيان لـ«ما».

[وذلك]؛ أي: إنزال الكتب كلها بالصحة **[يؤيده]**؛ أي: عدم صحة هذا القول وفي نسخة: «يرده»؛ أي: هذا القول **[فإنه]**؛ أي: ضمير «لهم» **[ضمير القوم]** وهم العرب فيؤدي إلى أن الله تعالى أنزل التوراة بالعربية ليبين للعرب وهذا فاسد كما أشار إليه بقوله: **[والتوراة والإنجيل..]** إلى آخره. **[لأن في الإرسال معنى القول]** كأنه قيل: أرسلناه وقلنا له اخرج **[أو بأن اخرج]**؛ أي: وإن كان فيه صلة «أو أن» بفعل

---

(١) انظر: أحكام القرآن، ابن العربي [٨/٣٨].

۞ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾﴾.

فإن صيغ الأفعال سواء في الدلالة على المصدر فيصح أن توصل بها (أن) الناصبة. ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ بوقائعه التي وقعت على الأمم الدارجة، و(أيام العرب): حروبها. وقيل: بنعمائه وبلائه. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ يصبر على بلائه، ويشكر على نعمائه؛ فإنه إذا سمع بما أنزل على من قبل من البلاء وأفيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر. وقيل: المراد لكل مؤمن؛ وإنما عبر عنه بذلك تنبيهاً على أن الصبر والشكر عنوان المؤمن.

﴿٦﴾ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: اذكروا نعمته عليكم وقت إنجائه إياكم، ويجوز أن ينتصب بـ(عَلَيْكُمْ) إن جعلت مستقرة غير صلة للنعمة، وذلك إذا أريدت بها العطية دون الأنعام، ويجوز أن يكون بدلاً من (نِعْمَةَ اللهِ) بدل الاشتمال. ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ أحوال من آل فرعون، أو من ضمير المخاطبين، والمراد بالعذاب ها هنا غير المراد به في سورة (البقرة) و(الأعراف)؛ لأنه مفسر بالتذبيح والقتل ثَمَّةَ، ومعطوف عليه التذبيح ها هنا، وهو إما جنس العذاب، أو استعبادهم، أو استعمالهم

الأمر [فإن صيغ الأفعال سواء في الدلالة على المصدر فيصح أن يوصل بها «أنْ» الناصبة][1] وإن كان الفعل بصيغة الأمر [ويجوز أن ينتصب]؛ أي: ﴿إِذْ أَنجَاكُم﴾. [بـ﴿عَلَيْكُمْ﴾ إن جعلت]؛ أي: «عليكم».

[مستقرة]؛ أي: متعلقة به، والمعنى: اذكروا نعمة مستقرة عليكم وقت أنجاكم

---

(١) انظر: اللباب، ابن عادل [١١/ ٣٤٠].

۞ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾﴾.

بالأعمال الشاقة. ﴿وَفِي ذَٰلِكُم﴾ من حيث إنه بإقدار الله إياهم وإمهالهم فيه. ﴿بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ ابتلاء منه، ويجوز أن تكون الإشارة إلى الإنجاء، والمراد بالبلاء النعمة.

﴿٧﴾ ـ ﴿٨﴾ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ أيضاً من كلام موسى ﷺ، و﴿تَأَذَّنَ﴾ بمعنى: آذن؛ كـ(توعد وأوعد)، غير أنه أبلغ لما في (التفعل) من معنى التكلف والمبالغة. ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ يا بني إسرائيل ما أنعمت عليكم من الإنجاء وغيره بالإيمان والعمل الصالح. ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ نعمة إلى نعمة. ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ ما أنعمت عليكم. ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ فلعلي أعذبكم على الكفران عذاباً شديداً، ومن عادة أكرم الأكرمين أن يصرح بالوعد ويعرِّضَ بالوعيد، والجملة: مقول قول مقدر، أو مفعول (تَأَذَّنَ) على أنه جار مجرى (قَالَ) لأنه ضرب منه. ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ من الثقلين ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ﴾ عن شكركم ﴿حَمِيدٌ﴾ مستحق للحمد في ذاته، محمود تحمده الملائكة، وتنطق بنعمته ذرات المخلوقات، فما ضررتم بالكفر إلا أنفسكم؛ حيث حرمتموها مزيد الأنعام وعرضتموها للعذاب الشديد.

﴿٩﴾ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ من

[والجملة مقول قول مقدر]؛ أي: وإذ تأذن ربكم فقال: لإنْ شكرتم [ذرات المخلوقات] جمع ذرة وهي أصغر النملة.

۞ ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (١٠)﴾.

كلام موسى عليه الصلاة والسلام، أو كلام مبتدأ من الله. ﴿وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ جملة وقعت اعتراضاً، أو (الذين من بعدهم) عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض، والمعنى: أنهم لكثرتهم لا يعلم عددهم إلا الله، ولذلك قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: (كذب النسابون). ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ فعضوها غيظاً مما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام كقوله تعالى: ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [آل عمران: ١١٩]. أو وضعوها عليها تعجباً منه، أو استهزاء عليه؛ كمن غلبه الضحك، أو إسكاتاً للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأمراً لهم بإطباق الأفواه، أو أشاروا بها إلى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا﴾ تنبيهاً على أن لا جواب لهم سواه، أو ردوها في أفواه الأنبياء يمنعونهم من التكلم، وعلى هذا يحتمل أن يكون تمثيلاً. وقيل: الأيدي بمعنى: الأيادي؛ أي: ردوا أيادي الأنبياء التي هي مواعظهم وما أوحى إليهم من الحكم والشرائع في أفواههم؛ لأنهم إذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردوها إلى حيث جاءت منه. ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ﴾ على زعمكم ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ﴾ من الإيمان، وقرئ (تدعونا) بالإدغام. ﴿مُرِيبٍ﴾ موقع في الريبة، أو ذي ريبة؛ وهي قلق النفس وأن لا تطمئن إلى الشيء.

(١٠) ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ أدخلت همزة الإنكار على

[ولذلك]؛ أي: لقوله: لا يعلمهم إلا الله [قال ابن مسعود: «كذب النسابون..»][١]؛ أي: في دعواهم علم الأنساب، وعن ابن عباس بين عدنان

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد [٥٦/١].

الظرف؛ لأن الكلام في المشكوك فيه لا في الشك؛ أي: إنما ندعوكم إلى الله، وهو لا يحتمل الشك لكثرة الأدلة وظهور دلالتها عليه. وأشاروا إلى ذلك بقولهم: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ وهو صفة أو بدل، (وشَكٌّ) مرتفع بالظرف. ﴿يَدۡعُوكُمۡ﴾ إلى الإيمان ببعثه إيانا. ﴿لِيَغۡفِرَ لَكُم﴾ أو يدعوكم إلى المغفرة كقولك: دعوته لينصرني؛ على إقامة المفعول له مقام المفعول به. ﴿مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ بعض ذنوبكم، وهو ما بينكم وبينه تعالى، فإن الإسلام يجبُّهُ دونَ المظالم. وقيل: جيء بمن في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بين الخطابين، ولعل المعنى فيه: أن المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الإيمان. وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة، والتجنب عن المعاصي، ونحو ذلك؛ فتتناول الخروج عن المظالم. ﴿وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾ إلى وقت سماه الله تعالى وجعله آخر أعماركم. ﴿قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا، ولو شاء الله أن يبعث إلى البشر رسلاً لبعث من جنس أفضل ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ بهذه الدعوى ﴿فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية، أو على صحة ادعائكم النبوة؛ كأنهم لم يعتبروا ما جاءوا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية أخرى تعنتاً ولجاجاً.

وإسماعيل ثلاثون أباً لا يعرفون[1] [لأن الكلام في المشكوك فيه لا في الشك] إذ الشك موجود لا شك فيه [وهو لا يحتمل الشك]؛ أي: فلهذا أدخل عليه همزة الإنكار [بحبه]؛ أي: ما بينكم وبينه تعالى [من جنس أفضل]؛ أي: من البشر في زعم القائلين وقول «الكشاف»: وهم الملائكة جاز على مذهبه.

---

(١) معاني القرآن، النحاس [٣/٥١٨].

۞ ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾.

---

(١١) - (١٢) ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنّه عليهم. وفيه دليل على أن النبوة عطائية. وأن ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيئة الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ليس إلينا الإتيان بالآيات، ولا تستبد به استطاعتنا حتى نأتي بما اقترحتموه، وإنما هو أمر يتعلق بمشيئة الله تعالى فيخص كل نبي بنوع من الآيات ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ فلنتوكل عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم. عمموا الأمر للإشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به أنفسهم قصداً أوليّاً؛ ألا ترى قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: أي عذر لنا في أن لا نتوكل عليه ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾ التي بها نعرفه ونعلم أن الأمور كلها بيده. وقرأ أبو عمرو بالتخفيف هاهنا وفي (العنكبوت). ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا﴾ جواب قسم محذوف، أكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم. ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن إيمانهم.

(١٣) - (١٤) ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ

[وقصدوا به أنفسهم قصداً أوليّاً] زاد «الكشاف» وأمروا به كأنهم قالوا: «ومن

۞ ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾.

لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ حلفوا على أن يكون أحد الأمرين، إما إخراجهم للرسل أو عودهم إلى ملتهم، وهو بمعنى الصيرورة لأنهم لم يكونوا على ملتهم قط، ويجوز أن يكون الخطاب لكل رسول ومن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد. ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾؛ أي: إلى رسلهم. ﴿لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ على إضمار القول، أو إجراء الايحاء مجراه لأنه نوع منه. ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾؛ أي: أرضهم وديارهم كقوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧]. وقرئ (ليهلكن) (وليسكننكم) بالياء اعتباراً لأوحى كقولك: أقسم زيد ليخرجن. ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الموحى به وهو إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ موقفي؛ وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة، أو قيامي عليه وحفظي لأعماله، وقيل: المقام مقحم ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾؛ أي: وعيدي بالعذاب، أو عذابي الموعود للكفار.

﴿١٥﴾ ـ ﴿١٧﴾ ﴿وَاسْتَفْتَحُوا﴾ سألوا من الله الفتح على أعدائهم، أو القضاء بينهم وبين أعدائهم من الفتاحة كقوله: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩] وهو معطوف على ﴿فَأَوْحَىٰ﴾ [إبراهيم: ١٣] والضمير للأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وقيل: للكفرة، وقيل: للفريقين. فإن كلهم سألوه

حقنا أن نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم»[1] [وهو]؛ أي: العود [بمعنى: الصيرورة]؛ أي: مع تضمينه الدخول لتعديته بـ«في» ولولا التضمين لعدي بـ«إلى» [من الفتاحة] متعلق بمحذوف؛ أي: مأخوذ منها وهي بضم الفاء الحكم

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٥١١].

أن ينصر المحق ويهلك المبطل. وقرئ بلفظ الأمر عطفاً على (ليهلكن). ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾؛ أي: ففتح لهم فأفلح المؤمنون، وخاب كل جبار عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح. ومعنى الخيبة إذا كان الاستفتاح من الكفرة أو من القبيلين كان أوقع. ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾؛ أي: من بين يديه فإنه مرصد بها، واقف على شفيرها في الدنيا، مبعوث إليها في الآخرة. وقيل: من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك. ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ﴾ عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ﴾. ﴿صَدِيدٍ﴾ عطف بيان لـ(ماءٍ) وهو ما يسيل من جلود أهل النار. ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ يتكلف جرعه، وهو صفة لـ(ماء)، أو حال من الضمير في ﴿وَيُسْقَىٰ﴾ ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ ولا يقارب أن يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه، و(السوغ): جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس. ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾؛ أي: أسبابه من الشدائد فتحيط به من جميع الجهات. وقيل: من كل مكان من جسده حتى من أصول شعره وإبهام رجله. ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ فيستريح. ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾ ومن بين يديه. ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾؛ أي: يستقبل في كل وقت عذاباً أشد مما هو عليه. وقيل: هو الخلود في النار. وقيل: حبس الأنفاس. وقيل: الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة في أهل مكة؛ طلبوا الفتح الذي هو المطر في سنِيِّهم التي أرسل الله تعالى عليهم بدعوة رسوله، فخيبَ رجاءهم فلم

[عطف على لنهلكن] قال «الكشاف»[1]: أي: أوحى إليهم ربهم وقال لهم: «لنهلكن» وقال لهم: «استفتحوا» [فإنه مرصد بها]؛ أي: بجهنم تبع في تعبيره بالباء في «بها» «الكشاف»[2] وكأنهما بنياه على فتح الميم من مرصد، وإلا فضمها يقتضي أن يقال «لها» لا «بها» [وقيل: الآية منقطعة]؛ أي: وهي قوله: ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟﴾ إلى آخره [التي أرسل الله عليهم]؛ أي: أرسلها عليهم.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٥١٢].

(٢) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٥١٣].

۞ ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾.

يسقهم ووعد لهم أن يسقيهم في جهنم بدل سقياهم صديد أهل النار.

﴿١٨﴾ ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ مبتدأ خبره محذوف؛ أي: فيما يتلى عليكم صفتهم التي هي مثل في الغرابة، أو قوله: ﴿أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ وهو على الأول جملة مستأنفة لبيان مثلهم. وقيل: (أَعْمالُهُمْ) بدل من الـ(مَثَلُ) والخبر (كَرَمادٍ). ﴿ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ حملته وأسرعت الذهاب به، وقرأ نافع (الرياح). ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ (العصف): اشتداد الريح، وصف به زمانه للمبالغة؛ كقولهم: (نهاره صائم وليله قائم)، شبه صنائعهم من الصدقة، وصلة الرحم، وإغاثة الملهوف، وعتق الرقاب، ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها وذهابها هباء منثوراً، لبنائها على غير أساس من معرفة الله تعالى والتوجه بها إليه، أو أعمالهم للأصنام برماد طيرته الريح العاصف. ﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾ يوم القيامة ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ من أعمالهم ﴿عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ لحبوطه فلا يرون له أثراً من الثواب وهو فذلكة التمثيل. ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ضلالهم مع حسبانهم أنهم محسنون ﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ فإنه الغاية في البعد عن طريق الحق.

﴿١٩﴾ ـ ﴿٢٠﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ خطاب للنبي ﷺ، والمراد به أمته. وقيل: لكل واحد من الكفرة على التلوين. ﴿أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾

[أو قوله: ﴿أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ﴾] عطف على قوله: «محذوف» **[وقيل: أعمالهم بدل من المثل]**؛ أي: بدل اشتمال، وبدل كل بالتقدير مثل أعمالهم **[لبنائها]** على «لحبوطها» **[وأعمالهم]** عطف على «صنائعهم» **[برماد]** متعلق بـ«شبه» **[على التلوين]**؛ أي:

(٢١) ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ (٢١)﴾.

بالحكمة والوجه الذي يحق أن تخلق عليه، وقرأ حمزة والكسائي (خالق السمٰوات). ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ﴾ يعدمكم ويخلق خلقاً آخر مكانكم؛ رتب ذلك على كونه خالقاً للسموات والأرض استدلالاً به عليه، فإن من خلق أصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم، ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبائع، قدر أن يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال: ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ﴾ بمتعذر، أو متعسر؛ فإنه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور، ومن كان هذا شأنه كان حقيقاً بأن يؤمن به ويعبد؛ رجاء لثوابه وخوفاً من عقابه يوم الجزاء.

(٢١) ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾؛ أي: يبرزون من قبورهم يوم القيامة لأمر الله تعالى ومحاسبته، أو ﴿لِلَّهِ﴾ على ظنهم فإنهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش، ويظنون أنها تخفى على الله تعالى، فإذا كان يوم القيامة انكشفوا لله تعالى عند أنفسهم، وإنما ذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه. ﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾ الأتباع، جمع (ضعيف): يريد به ضعاف الرأي، وإنما كتبت بالواو على لفظ من يفخم الألف قبل الهمزة فيميلها إلى الواو. ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ﴾ لرؤوسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم. ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا﴾ في تكذيب الرسل والإعراض عن نصائحهم، وهو جمع تابع كغائب وغيب، أو مصدر نعت به للمبالغة، أو على إضمار مضاف. ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا﴾ دافعون عنا. ﴿مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾ (من) الأولى: للبيان واقعة موقع الحال،

الالتفات [على ظنهم]؛ أي: أنهم يخفون عليه قبل البروز [أو على إضمار مضاف]؛ أي: ذوي تبع [واقعة موقع الحال]؛ أي: من شيء وتقديم الحال على المجرور

والثانية: للتبعيض واقعة موقع المفعول؛ أي: بعض الشيء الذي هو عذاب الله. ويجوز أن تكونا للتبعيض؛ أي: بعض شيء هو بعض عذاب الله، والإعراب ما سبق. ويحتمل أن تكون الأولى مفعولاً والثانية مصدراً؛ أي: فهل أنتم مغنون بعض العذاب بعض الإغناء. ﴿قَالُوا۟﴾؛ أي: (الذين استكبروا) جواباً عن معاتبة الأتباع واعتذاراً عما فعلوا بهم. ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ للإيمان ووفقنا له ﴿لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾ ولكن ضللنا فأضللناكم؛ أي: اخترنا لكم ما اخترناه لأنفسنا، أو لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم وأغنيناه عنكم كما عرضناكم له، لكن سدَّ دوننا طريق الخلاص. ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا﴾ مستويان علينا الجزع والصبر. ﴿مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ منجى ومهرب من العذاب، من: (الحيص): وهو العدل على جهة الفرار، وهو يحتمل أن يكون مكاناً كـ(المبيت)، ومصدراً كـ(المغيب)، ويجوز أن يكون قوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ﴾ من كلام الفريقين، ويؤيده ما روي: أنهم يقولون: تعالوا نجزع! فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم، فيقولون: تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ﴾.

جائز عند ابن مالك[1] وإن منعه غيره **[والثانية: للتبعيض]** واقعة موقع المفعول؛ أي: بعض الشيء الذي هو عذاب الله، ويجوز أن يكونا للتبعيض؛ أي: «بعض شيء هو بعض عذاب الله» هكذا ينبغي أن يقرر الكلام ليوافق ما في «الكشاف»[2] وغيره وبه علم أن قوله: **[أي: بعض شيء هو بعض عذاب الله]** تفسير للقول بأن «من» في الموضعين للتبعيض لا للقول بأن الأولى: للبيان والثانية: للتبعيض على ما اقتضاه كلامه **[ويحتمل أن تكون الأولى مفعولاً]**؛ أي: بجعلها بعضية **[ولكن ضللنا]** الموافق لهدانا أضلنا وكأنه عدل عنه رعاية للأدب في عدم نسبة أمثاله إليه تعالى.

[وأغشيناه]؛ أي: العذاب؛ أي: ولدفعناه **[عنكم]** ويحتمل أن في الكلام قلباً؛

---

(١) شرح ألفية ابن مالك، ابن عقيل [٢/ ٢٦٤]. (٢) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٥١٥].

﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ (٢٢)﴾.

---

(٢٢) ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ أحكم وفرغ منه، ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار خطيباً في الأشقياء من الثقلين. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ﴾ وعداً من حقه أن ينجز، أو وعداً أنجزه؛ وهو الوعد بالبعث والجزاء. ﴿وَوَعَدتُّكُمۡ﴾ وعد الباطل؛ وهو أن لا بعث ولا حساب وإن كانا فالأصنام تشفع لكم ﴿فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ﴾ جعل تبين خلف وعده كالإخلاف منه ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾ تسلط فألجئكم إلى الكفر والمعاصي. ﴿إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ﴾ إلا دعائي إياكم إليها بتسويلي؛ وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة قولهم: (تحية بَيْنَهِمْ ضَرْبٌ وجيع). ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعاً. ﴿فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ﴾ أسرعتم إجابتي ﴿فَلَا تَلُومُونِي﴾ بوسوستي؛ فإن من صرح العداوة لا يلام بأمثال ذلك ﴿وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ﴾ حيث أطعتموني إذ دعوتكم، ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم. واحتجت المعتزلة بأمثال ذلك على استقلال العبد بأفعاله، وليس فيها ما يدل عليه؛ إذ يكفي لصحتها أن يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب الذي يقوله أصحابنا. ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ﴾ بمغيثكم من العذاب ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ﴾ بمغيثي. وقرأ حمزة بكسر الياء على الأصل في التقاء الساكنين، وهو أصل مرفوض في مثله لما

أي: وأغنيناكم عنه وعبارة «الكشاف»: لأغنينا عنكم **[على الأصل في التقاء الساكنين]** قال الزمخشري[1]: وكأنه قدر بالإضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة فحركها بالكسر لالتقاء الساكنين **[وهو أصل مرفوض]**؛ أي: متروك عند النحاة لما ذكره؛

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/٥١٧].

فيه من اجتماع ياءين وثلاث كسرات، مع أن حركة ياء الإضافة الفتح؛ فإذا لم تكسر وقبلها ألف فبالحري أن لا تكسر وقبلها ياء، أو على لغة من يزيد ياء على ياء الإضافة؛ إجراء لها مجرى الهاء والكاف في: ضربته، وأعطيتكه، وحذف الياء اكتفاء بالكسرة. ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُۗ﴾ (ما) إما مصدرية و(مِنْ) متعلقة بـ(أشركتموني)؛ أي: كفرت اليوم بإشراككم إياي من قبل هذا اليوم؛ أي: في الدنيا بمعنى: تبرأت منه واستنكرته كقوله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْۚ﴾ [فاطر: ١٤]. أو موصولة بمعنى (من) نحو ما في قولهم: سبحان ما سخركن لنا، و(مِنْ) متعلقة بـ(كَفَرْتُ)؛ أي: كفرت بالذي أشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم إياي فيما دعوتكم إليه من عبادة الأصنام وغيرها من قبل إشراككم، حين رددت أمره بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام. وأشرك منقول من: (شركت زيداً) للتعدية إلى مفعول ثان. ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ تتمة كلامه، أو ابتداء كلام من الله تعالى، وفي حكاية أمثال ذلك لطف للسامعين وإيقاظ لهم حتى يحاسبوا أنفسهم ويتدبروا عواقبهم.

وإلا فهو قراءة متواترة عند القراء ونقل جماعة كما قال أبو حيان: إنها لغة[1] [أجراً لها] تعليل لصحة قراءة حمزة [مجرى الهاء والكاف في ضربته وأعطيتكه]؛ أي: في أنَّ كُلّاً مِنْ هاء الضمير وكافه يتبع بحرف لين من حركته يسمى صلة فيقال: في إلٰهاً له وهي وفي الكاف أعطيتكاه وأعطيتكه.

[وحذف الياء اكتفاء بالكسرة] فيه مع ما قبله خفاء وتحريره ما قاله غيره: إذ أصل «مصرخي»: «مصرخيي» بثلاث ياءات ياء الجمع، وياء الإضافة، وياء الصلة، لكنها حذفت لاجتماع الياءات وبقيت الكسرة لتدل على الياء المحذوفة كما في عليه وإليه، وإنما كسرت الياء لاجتماع سكون ياء الجمع، وياء المتكلم بعد سقوط النون بالإضافة فحركت ياء المتكلم بالكسر على الأصل في التحريك لالتقاء الساكنين[2] [إلى مفعول ثاني] وهو الهاء المقدرة في أشركتموني كما قدرها بقوله:

---

(١) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٥/ ٣٤١]. (٢) انظر: اللباب، ابن عادل [١١/ ٣٧١].

۞ ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿٢٣﴾ ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ بإذن الله تعالى وأمره، والمدخلون هم الملائكة. وقرئ (وَأُدْخِلُ) على التكلم فيكون قوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ متعلقاً بقوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾؛ أي: تحييهم الملائكة فيها بالسلام بإذن ربهم.

﴿٢٤﴾ - ﴿٢٥﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ كيف اعتمده ووضعه. ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾؛ أي: جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة، وهو تفسير لقوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾، ويجوز أن تكون (كَلِمَةً) بدلاً من (مَثَلاً) و(كَشَجَرَةٍ) صفتها أو خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هي (كَشَجَرَةٍ)، وأن تكون أول مفعولي (ضرب) إجراء له مجرى (جعل) وقد قرئت بالرفع على الابتداء. ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ في الأرض ضارب بعروقه فيها. ﴿وَفَرْعُهَا﴾ وأعلاها. ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ ويجوز أن يريد و(فروعها)؛ أي: أفنائها؛ على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الإضافة. وقرئ (ثابت أصلها) والأول على أصله ....

«أشركتمونيه» [كيف اعتمده]؛ أي: اعتمد مثلاً؛ أي: جعله [ووصفه] كأنه عطف تفسير [وأن يكون]؛ أي: كلمة [أول مفعولي «ضرب»]؛ أي: وثانيهما مثلاً [ضارب بعروقه]؛ أي: بعروق أصلها [والأول]؛ أي: من القراءتين [على أصله]؛ أي: وضعه من حيث إفادته المعنى الأقوى لأنك إذا قلت: «مررت برجل أبوه قائم» فهو أقوى معنى من قولك: «مررت برجل قائم أبوه»؛ لأن المخبر عنه إنما هو الأب لا رجل، وإن وصف في التركيب الثاني بقائم، وهذا ما في

۞ ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾.

ولذلك قيل: إنه أقوى، ولعل الثاني أبلغ. ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا﴾ تعطي ثمرها. ﴿كُلَّ حِينٍ﴾ وَقَّتَهُ الله تعالى لإثمارها. ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ بإرادة خالقها وتكوينه. ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾؛ لأنَّ في ضربها زيادة إفهام وتذكير، فإنه تصوير للمعاني وإدناء لها من الحسِّ.

﴿٢٦﴾ ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ كمثل شجرة خبيثة ﴿ٱجْتُثَّتْ﴾ استؤصلت وأخذت جثتها بالكلية. ﴿مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ﴾؛ لأن عروقها قريبة منه ﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ استقرار. واختلف في الكلمة والشجرة! ففسرت الكلمة الطيبة: بكلمة التوحيد ودعوة الإسلام والقرآن، والكلمة الخبيثة: بالشرك بالله تعالى والدعاء إلى الكفر وتكذيب الحق، ولعل المراد بهما ما يعم ذلك؛ فالكلمة الطيبة: ما أعرب عن حق أو دعا إلى صلاح، والكلمة الخبيثة: ما كان على خلاف ذلك. وفسرت الشجرة الطيبة: بالنخلة. وروي ذلك مرفوعاً،

«الكشاف»[1] وقد حكاه المصنف مع ترجيحه خلافه بقوله **[ولذلك قيل: إنه أقوى ولعل الثاني أبلغ]** وقد يقال: لا مخالفة بين كون التركيب أقوى وكونه أبلغ؛ لأن أقوَويَّته بياء من حيث الإسناد والإخبار، وأبلغيته من حيث أفادته المعنى المراد من التشبيه وتحرير كون التركيب الأول أقوى في الآية إن قوله ثابت متعلق في المعنى بقوله: «أصلها» لا بـ«شجرة»؛ لأنه المحكوم عليه بالثبوت دونها، وعليه فتعليقه به في اللفظ بأن يجعل مرفوعاً خبراً له أَوْلَى من تعليقه بها بأن يجعل مجروراً تابعاً لها.

[وروي ذلك مرفوعاً] رواه الترمذي[2] والنسائي[3] وابن حبان[4] والحاكم[5]

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٥١٩]. (٢) سنن الترمذي [٥/ ٢٩٥/ برقم: ٣١١٩].
(٣) السنن الكبرى، النسائي [٦/ ٣٧١/ برقم: ١١٢٦٢].
(٤) صحيح ابن حبان [٢/ ٢٢٢/ برقم: ٤٧٥]. (٥) مستدرك الحاكم [٢/ ٣٨٣/ برقم: ٣٣٤١].

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾.

وبشجرة في الجنة، والخبيثة: بالحنظلة والكَشُوث، ولعل المراد بهما أيضاً ما يعم ذلك.

﴿٢٧﴾ ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فلا يزالون إذا فتنوا في دينهم كزكريا ويحيى عليهما السلام وجرجيس وشمعون والذين فتنهم أصحاب الأخدود ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ فلا يتلعثمون إذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف، ولا تدهشهم أهوال يوم القيامة. وروي أنه ﷺ ذكر قبض روح المؤمن فقال: «**ثم تعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ؛ فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي**». فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾. ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون إلى الحق، ولا يثبتون في مواقف الفتن.

وصححاه [والكَشُوث] بمثلثة في آخره قال الجوهري: نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض، قال الشاعر:

هو الكَشُوث فلا أصلٌ ولا ورَقٌ ... ولا نسيمٌ ولا ظِلٌّ ولا ثَمَرُ(١)

[فلا يتلعثمون]؛ أي: يتوقفون ويتأنون قال الجوهري وغيره: تلعثم الرجل في الأمر إذا تمكث فيه وتأنى(٢) [روي أنه عليه السلام: «**ذكر قبض روح المؤمن..**»] إلى آخره. رواه أبو داود(٣) والحاكم(٤) وصححه [**في مواقف الفتن**]؛

---

(١) الصحاح، الجوهري [٢/ ١١٦].
(٢) الصحاح، الجوهري [٢/ ١٤٢].
(٣) سنن أبي داود [٢/ ٦٥٢/ برقم: ٤٧٥٣].
(٤) مستدرك الحاكم [١/ ٩٣/ برقم: ١٠٧].

۞ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ من تثبيت بعض وإضلال آخرين من غير اعتراض عليه.

﴿٢٨﴾ ـ ﴿٣٠﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾؛ أي: شكر نعمته كفراً؛ بأن وضعوه مكانه. أو بدلوا نفس النعمة كفراً؛ فإنهم لما كفروها سلبت منهم، فصاروا تاركين لها محصلين للكفر بدلها كأهل مكة؛ خلقهم الله تعالى وأسكنهم حرمه، وجعلهم قوّام بيته، ووسع عليهم أبواب رزقه، وشرفهم بمحمد ﷺ، فكفروا ذلك؛ فقحطوا سبع سنين، وأسروا وقتلوا يوم بدر، وصاروا أذلاء، فبقوا مسلوبي النعمة وموصوفين بالكفر. وعن عمر وعلي رضي الله تعالى عنهما: (هم الأفجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية، فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر، وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين). ﴿وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ﴾ الذين شايعوهم في الكفر ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ دار الهلاك بحملهم على الكفر. ﴿جَهَنَّمَ﴾ عطف بيان لها. ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ حال منها، أو من (القوم)؛ أي: داخلين فيها مقاسين لحرها، أو مفسر لفعل مقدر ناصب لـ(جهنم). ﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾؛ أي: وبئس المقر جهنم. ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ الذي هو التوحيد. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء، وليس الضلال ولا الإضلال غرضهم في اتخاذ الأنداد لكن لما كان نتيجته جعل كالغرض. ﴿قُلْ تَمَتَّعُواْ﴾ بشهواتكم أو بعبادة

أي: الحروف [أي: **شكر نعمته كفر..**] إلى آخره. التبديل على الأول: تعبير في الوصف فالنعمة باقية لكنها موصوفة بالكفران، وعلى الثاني: يعتبر في الذات فالنعمة زائلة مبدلة بالكفر [**الأفجران**] بالجيم تثنية أفجر [**أو مفسر**] عطف على حال

۞ ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾.

الأوثان؛ فإنها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها، وفي التهديد بصيغة الأمر إيذان بأن المهدد عليه كالمطلوب لإفضائه إلى المهدد به، وأن الأمرين كائنان لا محالة، ولذلك علله بقوله: ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ وأن المخاطب لانهماكه فيه كالمأمور به من آمر مطاع.

﴿٣١﴾ ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ خصهم بالإضافة تنويهاً لهم، وتنبيهاً على أنهم المقيمون لحقوق العبودية، ومفعول (قُلْ) محذوف يدل عليه جوابه؛ أي: قل لعبادي الذين آمنوا أقيموا الصلاة وأنفقوا. ﴿يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ فيكون إيذاناً بأنهم لفرط مطاوعتهم للرسول ﷺ بحيث لا ينفك فعلهم عن أمره، وأنه كالسبب الموجب له، ويجوز أن يقدرا بلام الأمر ليصح تعلق القول بهما، وإنما حسن ذلك ها هنا ولم يحسن في قوله:

مـحَـمَّـدُ تَـفْـدِ نَـفْـسَـكَ كُـلُّ نَـفْـسٍ إِذَا مَـا خِـفْـتَ مِـنْ أَمْـرٍ تَـبَـالَا

[بأن المهدد عليه]؛ أي: وهو تمتعهم بشهواتهم [كالمطلوب]؛ أي: منهم [لإفضائه إلى المهدد به]؛ أي: وهو مصيرهم إلى النار [تنويهاً بهم]؛ أي: رفعاً لهم [وإنه]؛ أي: أمره لهم [كالسبب الموجب له]؛ أي: لفعلهم [ويجوز أن يقدر..] إلى آخره. قال الزمخشري(١): وإنما جاز حذف اللام؛ لأن الأمر الذي هو قل عوض منه [ولم يحسن قوله] الأولى في قوله:

[محـمد تَفْدِ.............................. ....]

أي: لتفد:

[......نـفـسَـكَ كـلُّ نـفـسٍ إذا ما خِفْتَ من أمرٍ تَبالا](٢)

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٥٢٢]. (٢) الكتاب، سيبويه [٣/ ٨].

۞ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾.

لدلالة (قل) عليه. وقيل: هما جوابا (أقيموا) و(أنفقوا) مُقَامين مقامهما؛ وهو ضعيف لأنه لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه، ولأن أمر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة إذا كان الفاعل واحداً. ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ منتصبان على المصدر؛ أي: إنفاق سرٍّ وعلانية، أو على الحال؛ أي: ذوي سرٍّ وعلانية، أو على الظرف؛ أي: وقتي سرٍّ وعلانية، والأحب إعلان الواجب وإخفاء المتطوع به. ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره، أو يفدى به نفسه. ﴿وَلَا خِلَٰلٌ﴾ ولا مخالة فيشفع لك خليل، أو من قبل أن يأتى يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة؛ وإنما ينتفع فيه بالإنفاق لوجه الله تعالى. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي العام.

﴿٣٢﴾ ـ ﴿٣٤﴾ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ مبتدأ وخبر ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ تعيشون به، وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لأخرج و﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ بيان له ....

أي: تتبالا به؛ أي: تكثرت [لدلالة قل عليه] تعليل لأحسنية تقدير اللام في الآية دون البيت، والبيت أنشده سيبويه ثم خصه بالشعر.

[ومن الثمرات بيان له]؛ أي: لرزقا كذا اقتصر عليه الزمخشري(١) واعترض بأن «من» التي للبيان إنما تجيء بعد المبهم، وأجيب بأنه أراد البيان من حيث

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٥٢٣].

وحال منه، ويحتمل عكس ذلك، ويجوز أن يراد به المصدر فينتصب بالعلة، أو المصدر؛ لأن أخرج في معنى رزق. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ بمشيئته إلى حيث توجهتم. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ﴾ فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم، وقيل: تسخير هذه الأشياء تعليم كيفية اتخاذها. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ يدأبان في سيرهما وإنارتهما وإصلاح ما يصلحانه من المكونات. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم. ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾؛ أي: بعض جميع ما سألتموه؛ يعني: من كل شيء سألتموه شيئاً، فإن الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله تعالى، ولعل المراد بـ(مَا سَأَلْتُمُوهُ) ما كان حقيقاً بأن يسأل لاحتياج الناس إليه سئل أو لم يسأل، و(ما) يحتمل أن تكون موصولة، وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول. وقرئ (مِنْ كُلٍّ) بالتنوين؛ أي: وآتاكم من كل شيء ما احتجتم إليه وسألتموه بلسان الحال، ويجوز أن تكون (ما) نافية في موقع الحال؛ أي: وآتاكم من كل شيء غير سائليه. ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ لا تحصروها ولا تطيقوا عد أنواعها فضلاً عن أفرادها؛ فإنها غير متناهية. وفيه دليل على أن المفرد يفيد الاستغراق بالإضافة. ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ﴾ يظلم النعمة بإغفال شكرها، أو يظلم نفسه بأن يعرضها للحرمان. ﴿كَفَّارٌ﴾ شديد الكفران. وقيل: ظلوم في الشدة: يشكو ويجزع، كفار في النعمة: يجمع ويمنع.

المعنى لا الإعراب وإليه أشار المصنف بقوله [حال منه]؛ أي: من رزقاً **[ويحتمل عكس ذلك]**؛ أي: جعل من الثمرات مفعولاً لـ«أخرج» و«رزقاً» بيان حالاً منه **[ويجوز أن يراد به المصدر]** عبر بـ«يراد» ليفيد أن كون «رزقاً» بكسر الراء مصدراً مجازاً إذ المصدر حقيقة إنما هو بفتحها **[لأن أخرج في معنى رزق]** تعليل لجواز أن يراد به المصدر.

[يدأبان]؛ أي: «يجدّان فيه» يقال: «دأب في العمل» جد وتعب قاله

۞ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿٣٥﴾ - ﴿٣٦﴾ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ﴾ بلدة مكة. ﴿ءَامِنًا﴾ ذا أمن لمن فيها، والفرق بينه وبين قوله: ﴿ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ أن المسؤول في الأول: إزالة الخوف عنه وتصييره آمناً، وفي الثاني: جعله من البلاد الآمنة. ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ﴾ بَعِّدْنِي وإياهم ﴿أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ واجعلنا منها في جانب، وقرئ (وأَجْنِبْنِي) وهما على لغة نجد، وأما أهل الحجاز فيقولون: جنبني شره. وفيه دليل على أن عصمة الأنبياء بتوفيق الله وحفظه إياهم وهو بظاهره، لا يتناول أحفاده وجميع ذريته. وزعم ابن عيينة أن أولاد إسماعيل عليه الصلاة والسلام لم يعبدوا الصنم محتجاً به؛ وإنما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون: البيت حجر! فحيثما نصبنا حجراً فهو بمنزلته. ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ فلذلك سألت منك العصمة واستعذت بك من إضلالهن، وإسناد الإضلال إليهن باعتبار السببية كقوله تعالى: ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٧٠] ﴿فَمَن تَبِعَنِى﴾ على ديني. ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾؛ أي: بعضي لا ينفك عني في أمر الدين. ﴿وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ

الجوهري(١) [وقرئ «وأجنبني»]؛ أي: بقطع الهمزة وسكون النون [وهما]؛ أي: لغتا «جنَّب» و«أجنَب» [جنبني شرَّه] فصار في المادة ثلاث لغات «جنب» و«أجنب» و«جنّب» [**يدورون بها**]؛ أي: يطوفون بها أسابيع تشبيهاً لها بالبيت [**يسمونه الدُّوار**] بضم الدال مشددة، وقد تفتح قال الجوهري: دُوار بالضم صنم وقد يفتح(٢).

[**فإنه منّي**]؛ أي: بعضي لا تريد، كما قال الطيبي: إنَّ «من» تبعيضية وإنْ صرح بالبعض بل هي اتصالية كما في قوله: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾

---

(١) الصحاح، الجوهري [١/ ٣١٢].
(٢) الصحاح، الجوهري [٤/ ٢٩].

﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾.

رَّحِيمٌ﴾ تقدر أن تغفر له وترحمه ابتداء، أو بعد التوفيق للتوبة. وفيه دليل على أن كل ذنب فلِلَّهِ أن يغفره حتى الشرك؛ إلا أن الوعيد فرق بينه وبين غيره.

٣٧ ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾؛ أي: بعض ذريتي أو ذرية من ذريتي؛ فحذف المفعول، وهم إسماعيل ومن ولد منه؛ فإن إسكانه متضمن لإسكانهم. ﴿بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾؛ يعني: وادي مكة؛ فإنها حجرية لا تنبت. ﴿عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ الذي حرمت التعرض له والتهاون به، أو لم يزل معظماً ممنعاً يهابه الجبابرة، أو منع منه الطوفان فلم يستول عليه؛ ولذلك سمي عتيقاً؛ أي: أُعْتِقَ منه. ولو دعا بهذا الدعاء أول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان، أو ما سيؤول إليه. روي: (أن هاجر كانت لسارة رضي الله عنها فوهبتها لإبراهيم عليه السلام فولدت منه إسماعيل عليه السلام، فغارت عليهما فناشدته أن يخرجهما من عندها فأخرجهما إلى أرض مكة فأظهر الله عين زمزم، ثم إن جرهم رأوا ثَمَّ طيوراً فقالوا: لا طير إلا على الماء، فقصدوه فرأوهما وعندهما عين فقالوا: أشركينا في مائك نشركك في ألباننا؛ ففعلت). ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ اللام (لام كي) وهي متعلقة بـ(أَسْكَنْتُ)؛ أي: ما أسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق إلا لإقامة الصلاة عند بيتك المحرم. وتكرير النداء وتوسيطه للإشعار بأنها المقصودة بالذات من إسكانهم ثَمَّةَ، والمقصود من

[فحذف المفعول]؛ أي: على القول الثاني في كلامه **[اعتق منه]**؛ أي: من الطوفان **[ودعا بهذا الدعاء]** المقيد بعندية البيت **[أول ما قَدِمَ]** إليه مع أنه لم يكن إذ ذاك بيتاً؛ لأنه رفع وقت الطوفان وإنما بناه إبراهيم بعد ذلك لما تضمنه قوله **[فلعله قال ذلك باعتبار ما كان]**؛ أي: قبل طوفان فإنه رفع وقته كما مرّ **[أو]** باعتبار **[ما يسول إليه]** من نبأ إبراهيم له.

[ففارت عليهما]؛ أي: على إسماعيل وهاجر **[البلقع]** هو الأرض القفر الذي

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾.

الدعاء توفيقهم لها. وقيل: (لام الأمر) والمراد هو الدعاء لهم بإقامة الصلاة؛ كأنه طلب منهم الإقامة، وسأل من الله تعالى أن يوفقهم لها. ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: أفئدة من أفئدة الناس، ﴿مِّنَ﴾ وللتبعيض؛ ولذلك قيل: لو قال: أفئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى! أو للابتداء كقولك: (القلب مني سقيم)؛ أي: أفئدة ناس. وقرأ هشام (أفئيدة) بخلف عنه بياء بعد الهمزة. وقرئ (آفدة) وهو يحتمل أن يكون مقلوب (أفئدة) كآدر في (أدؤر) وأن يكون اسم فاعل من: (أفدت الرحلة) إذا عجلت؛ أي: جماعة يعجلون نحوهم (وأفدة) بطرح الهمزة للتخفيف، وإن كان الوجه فيه إخراجها بين بين، ويجوز أن يكون من: (أفد). ﴿تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ تسرع إليهم شوقاً ووداداً. وقرئ (تُهْوَى) على البناء للمفعول من أهوى إليه غيره و(تَهْوَى) من هوى يهوي إذا أحب، وتعديته بإلى لتضمنه معنى النزوع. ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ مع سكناهم وادياً لا نبات فيه ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ تلك النعمة، فأجاب الله ﷻ دعوته فجعله حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء حتى توجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد.

﴿٣٨﴾ - ﴿٣٩﴾ ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُۗ﴾ تعلم سرنا كما تعلم

لا شيء بها قاله الجوهري[1] **[أو للابتداء كقولك: القلب مني سقيم]** كأنه قال: شأن هذا العضو من جهتي سقم **[أي: أفئدة ناس]**؛ أي: أفئدة ناشئة من ناس، وإنما نكر المضاف إليه ليكون المضاف وهو أفئدة نكرة كما في الآية **[ويجوز]**؛ أي: على القراءة الأخيرة **[أن يكون من أفد]**؛ أي: عجل **[وتعديته]**؛ أي: على القراءة

(١) الصحاح، الجوهري [١/ ٥٣].

۞ ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾.

عَلَنَنا، والمعنى: إنك أعلم بأحوالنا ومصالحنا، وأرحم بنا منا بأنفسنا، فلا حاجة لنا إلى الطلب لكنا ندعوك إظهاراً لعبوديتك وافتقاراً إلى رحمتك واستعجالاً لنيل ما عندك. وقيل: ما نخفي من وجد الفرقة، وما نعلن من التضرع إليك والتوكل عليك. وتكرير النداء للمبالغة في التضرع واللجأ إلى الله تعالى. ﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ لأنه العالم بعلم ذاتي يستوي نسبته إلى كل معلوم. ومن للاستغراق. ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ﴾؛ أي: وهب لي وأنا كبير آيس من الولد. قيد الهبة بحال الكبر استعظاماً للنعمة وإظهاراً لما فيها من آلائه. ﴿إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَۚ﴾. روي: (أنه ولد له إسماعيل لتسع وتسعين سنة، وإسحاق لمائة واثنتي عشرة سنة). ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾؛ أي: لمجيبه، من قولك: (سمع الملك كلامي) إذا اعتد به، وهو من أبنية المبالغة العاملة عمل الفعل، أضيف إلى مفعوله أو فاعله على إسناد السماع إلى دعاء الله تعالى على المجاز، وفيه إشعار بأنه دعا ربه وسأل منه الولد؛ فأجابه ووهب له سؤله حين ما وقع اليأس منه ليكون من أجلِّ النعم وأجلاها.

﴿٤٠﴾ - ﴿٤١﴾ ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ معدلاً لها مواظباً عليها. ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ﴾ عطف على المنصوب في (اجْعَلْنِي)، والتبعيض لعلمه بإعلام الله، أو استقراء عادته في الأمم الماضية أن يكون في ذريته كفار. ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ واستجب دعائي أو: وتقبل عبادتي. ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي

الأخيرة[١] [من وَجْد الفرقة] بفتح الواو وسكون الجيم؛ أي: حزنها.

---

(١) أي: بطرح الهمزة. انظر: إبراز المعاني، أبو شامة [٢/٢٢٨].

۞ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾.

وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ وقرئ (ولأبويّ)، وقد تقدم عذر استغفاره لهما. وقيل: أراد بهما آدم وحواء. ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم: قامت الحرب على ساق، أو يقوم إليه أهله؛ فحذف المضاف أو أسند إليه قيامهم مجازاً.

﴿٤٢﴾ - ﴿٤٣﴾ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ﴾ خطاب لرسول الله ﷺ، والمراد به تثبيته على ما هو عليه من أنه تعالى مطلع على أحوالهم وأفعالهم لا يخفى عليه خافية، والوعيد بأنه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة، أو لكل من توهم غفلته جهلاً بصفاته واغتراراً بإمهاله. وقيل: إنه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم. ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ يؤخر عذابهم وعن أبي عمرو بالنون. ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾؛ أي: تشخص فيه أبصارهم فلا تقر في أماكنها من هول ما ترى. ﴿مُهْطِعِينَ﴾؛ أي: مسرعين إلى

[وقد تقدم عذر استغفاره لهما]؛ أي: في تفسير آية ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ لكن الذي تقدم ثم إنما هو اعتذار عن استغفاره لأبيه فقط، وأما أمه فلا حاجة إلى الاعتذار عن استغفاره لها لأنها كانت مؤمنة.

[مستعار من القيام على الرِّجْل]؛ أي: الرجلين فالقيام كما قال الطيبي: مستعار للثبات شبه الحساب في الوقوع والثبوت بالإنسان إذا كان أقوى حال وهو القيام، ثم خيل له ما يلازم الإنسان في هذه الحالة وهو القيام؛ ثم شبه هذا المتخيل بمثله من المتحقق ثم أطلق لفظ المتحقق على ذلك المتخيل، ثم اشتق منه يقوم فهي استعارة مكنية مستلزمة للتخييلية التبعية[1] **[والوعد]** عطف على «تثبيته» **[أو لكل من توهم غفلته]** عطف على «لرسول الله» **[وقيل: إنه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم]** يريد

---

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي [١٩/٤].

﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾.

الداعي، أو مقبلين بأبصارهم لا يطرفون هيبة وخوفاً، وأصل الكلمة هو الإقبال على الشيء. ﴿مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ﴾ رافعيها ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾؛ بل تثبت عيونهم شاخصة لا تطرف، أو لا يرجع إليهم نظرهم فينظروا إلى أنفسهم ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ خلاء؛ أي: خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة، ومنه يقال للأحمق وللجبان: قلبه هواء؛ أي: لا رأي فيه ولا قوة قال زهير: (من الظلمان جؤجؤه هواء) وقيل: خالية عن الخير خاوية عن الحق.

﴿٤٤﴾ ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ يا محمد ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾؛ يعني: يوم القيامة، أو يوم الموت؛ فإنه أول أيام عذابهم، وهو مفعول ثان لـ(أَنْذِرِ). ﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ بالشرك والتكذيب ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ أخر العذاب عنا، أو ردنا إلى الدنيا وأمهلنا إلى حد من الزمان قريب، أو أخّر آجالنا وأبقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك. ﴿نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ جواب للأمر ونظيره: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ

أن الخطاب لا يختص بمن ذكر بل هو عام لكل مخاطب وهو دائر بين ظالم ومظلوم **[قال زهير:**

.. مِـنَ الـظِّـلْـمـان....................]

بكسر الظاء وضمها جمع ظليم وهو ذكر النعام **[جؤجؤه]** بالهمز وبدونه **[هواء]**[1] صدره:

---

(١) البيت:

كـأنَّ الـرَّحـلَ مـنـهـا فـوقَ صَـعـلٍ مِـنَ الـظِّـلْـمَـانِ جـؤجـؤهُ هـواءُ

معجم مقاييس اللغة، ابن فارس [١/ ١٢].

۞ ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾.

ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠]. ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ على إرادة القول ﴿مَا لَكُم﴾ جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية، والمعنى: أقسمتم أنكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت، ولعلهم أقسموا بطراً وغروراً، أو دل عليه حالهم حيث بنوا شديداً وأمَّلوا بعيداً. وقيل: أقسموا أنهم لا ينتقلون إلى دار أُخرَى، وأنهم إذا ماتوا لا يزالون على تلك الحالة إلى حالة أُخرَى؛ كقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨].

﴿٤٥﴾ - ﴿٤٦﴾ ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر والمعاصي كعاد وثمود، وأصل (سكن) أن يعدى بـ(في) كـ(قرَّ) و(غني) و(أقام)، وقد يستعمل بمعنى التبويء فيجري مجراه كقولك: سكنت الدار. ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ بما تشاهدونه في منازلهم من آثار ما

كأنَّ الرَّحْلَ منها فوق صَعْلٍ ....

«الصَّعْل»: الصغير الرأس من الرجال والنعام من غير قصر العنق، و«الجؤجؤ»: من الطائر والسفينة صدرهما يصف مطيته بالقلق بقول كان رجل هذه المطية فوق ظليم؛ أي: نعامة لا قوة في طلبها[1]؛ لأن النعام يضرب به المثل في الجبن والحمق [**على المطابق**]؛ أي: لأقسمتم [**دون الحكاية**]؛ أي: للفظ المقسمين إذ لو كان على الحكاية له لقيل: «ما لنا» [**لا تُزالون**] بضم التاء؛ أي: لا تزول حياتكم [**بالموت**]؛ بل تستمرون [**وعني**] بكسر النون؛ أي: أقام وسوغ عطف ما بعده عليه اختلاف لفظيهما.

---

(١) في نسخة [ب]: (قلبها).

۞ ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾.

نزل بهم وما تواتر عندكم من أخبارهم. ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾ من أحوالهم؛ أي: بيّنا لكم أنكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب، أو صفات ما فعلوا وفعل بهم التي هي في الغرابة كالأمثال المضروبة. ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ المستفرغ فيه جهدهم لإبطال الحق وتقرير الباطل. ﴿وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه، أو عنده ما يمكرهم به جزاء لمكرهم وإبطالاً له. ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ﴾ في العظم والشدة. ﴿لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ مسوى لإزالة الجبال. وقيل: إن نافية، واللام مؤكدة لها كقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ [الأنفال: ٣٣] على أن الجبال مثل لأمر النبي ﷺ ونحوه. وقيل: مخففة من الثقيلة، والمعنى: أنهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتاً وتمكناً من آيات الله تعالى وشرائعه. وقرأ الكسائي (لَتزُولُ) بالفتح والرفع على أنها المخففة واللام هي الفاصلة، ومعناه: تعظيم مكرهم. وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح (لام كي)، وقرئ (وَإن كادَ مكرهم).

﴿٤٧﴾ ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ مثل قوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر: ٥١]، ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِيٓ﴾ [المجادلة: ٢١] وأصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثاني إيذاناً بأنه لا يخلف الوعد أصلاً

[أو عنده ما يمكرهم به] ضمن «يمكر» «يعذب» فعدَّاه بنفسه(١) [ومعدا]؛ أي: لإزالة الجبال وهو عطف تفسير لقوله: «مسوي» [وقيل «إنْ» نافية..] إلى آخره. قضية ما قبله أنَّ القول الأول أن «إنْ» شرطية، والواو قبلها للوصل، وحكى هنا قولين آخرين أنها نافية أو مخففة من الثقيلة [ثباتاً وتمكناً]؛ أي: في الثبات والتمكن [والتمكن لتزول بالفتح]؛ أي: للامه الأولى [والوقع]؛ أي: لآخره.

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١١/ ٢١٢].

۞ ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾.

كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩] وإذا لم يخلف وعده أحداً فكيف يخلف رسله. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يماكر قادر لا يدافع. ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ لأوليائه من أعدائه.

﴿٤٨﴾ ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ [هود: ٨] أو ظرف للانتقام، أو مقدر باذكر أو لا يخلف وعده. ولا يجوز أن ينتصب بمخلف لأن ما قبل أن لا يعمل فيما بعده. ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ عطف على الأرض وتقديره: والسمٰوات غير السمٰوات، والتبديل يكون في الذات كقولك: بدلت الدراهم دنانير وعليه قوله: ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦] وفي الصفة كقولك: بدلت الحلقة خاتماً؛ إذا أذبتها وغيرت شكلها، وعليه قوله: ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠] والآية تحتملهما، فعن علي رضي الله تعالى عنه: تبدل أرضاً من فضة وسمٰوات من ذهب. وعن ابن مسعود وأنس رضي الله تعالى عنهما: يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: هي تلك الأرض وإنما تغير صفاتها. ويدل عليه ما روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: أنه عليه الصلاة والسلام قال: **«تبدل الأرض غير الأرض؛ فتبسط وتمد مد الأديم العكاظي»**. ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٧] واعلم أنه لا يلزم على الوجه الأول: أن يكون الحاصل بالتبديل أرضاً وسماء على الحقيقة، ولا يبعد على الثاني: أن يجعل الله الأرض جهنم، والسمٰوات الجنة على ما أشعر به قوله

[أو مقدر «بأذكر» أو «لا يخلف وعده»] فيه تجوز إذ المقدر غير اليوم لا اليوم والمعنى: إنه منصوب بمقدر نحو أذكر أولا يخلف وعده(١).

---

(١) اللباب، ابن عادل [١١/ ٤١٤].

۞ ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾﴾.

تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨] وقوله: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧]. ﴿وَبَرَزُوا۟﴾ من أجداثهم ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ لمحاسبته ومجازاته، وتوصيفه بالوصفين للدلالة على أن الأمر في غاية الصعوبة كقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] فإن الأمر إذا كان لواحد غلاب لا يغالب؛ فلا مستغاث لأحد إلى غيره ولا مستجار.

﴿٤٩﴾ - ﴿٥٠﴾ ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ﴾ قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد والأعمال كقوله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧] أو قرنوا مع الشياطين، أو مع ما اكتسبوا من العقائد الزائغة والملكات الباطلة، أو قرنت أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأغلال، وهو يحتمل أن يكون تمثيلاً لمؤاخذتهم على ما اقترفته أيديهم وأرجلهم. ﴿فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ متعلق بـ(مُقَرَّنِينَ) أو حال من ضميره، و(الصفد): القيد. وقيل: الغل؛ قال سلامة بن جندل:

وَزَيْدُ الخَيْلِ قَدْ لَاقَى صِفَاداً ... يَعضُّ بِسَاعِدٍ وَبِعَظْمِ سَاقَ

[**في الأصفاد متعلق بمقرنين**] نشر لقوله: قرن بعضهم مع بعض أو قرنوا مع الشياطين [**أو حال من ضميره**]؛ أي: من ضمير «مقرنين» وهو نشر في المعنى لقوله: قرن بعضهم مع بعض إلى آخره. [**قال سلامة بن جندل:**

وزيدُ الخيل........................... ....]

وهو الذي سماه النبي ﷺ زيد الخير:

[......قد لاقا صِفَاداً ... يعضُّ بساعدٍ وبعظم ساق]

هو شاهد على أن «الصفد» هو «الغل» أخذاً من الصفاد ويحتمل أنهما لغتان

وأصله: (الشدّ). ﴿سَرَابِيلُهُم﴾ قمصانهم ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ وجاء قطران لغتين فيه، وهو ما يتحلب من الأبهل فيطبخ؛ فتهنأ به الإبل الجربى؛ فيحرق الجرب بحدته، وهو أسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة، تطلى به جلود أهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقمص، ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه، ونتن ريحه، مع إسراع النار في جلودهم، على أن التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين، ويحتمل أن يكون تمثيلاً لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الرديئة والهيئات الوحشية، فيجلب إليها أنواعاً من الغموم والآلام، وعن يعقوب (قَطِرٍ آنٍ) والقطر النحاس أو الصفر المذاب، والآني المتناهي حره، والجملة حال ثانية، أو حال من الضمير في (مُقَرَّنِينَ). ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ وتتغشاها لأنهم لم يتوجهوا بها إلى الحق، ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لأجله، كما تطلع على أفئدتهم لأنها فارغة عن المعرفة مملوءة بالجهالات ونظيره قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الزمر: ٢٤] وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [القمر: ٤٨].

ولا ينافيه ظاهراً قول الجوهري[١] وغيره: «الصفد»؛ أي: بفتح الفاء الوثاق والصفاد ما يوثق به وذكر في البيت أن زيداً يعض على ساعده تارة وعلى ساقه أُخْرى ليتخلص من الوثاق. [**وجاء قطران لغتين فيه**]؛ بل ثلاث قال الزمخشري[٢]: القطران فيه ثلاث لغات: «قَطران» و«قَطْران» و«قِطْران» بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء؛ يعني: في الآخرتين [**من الأُبهْل**] بضم الهمزة «شَجَر» [**فتُهنأ**] بضم التاء وبالهمز؛ أي: فتدهن [**بين القطرانين**]؛ أي: قطراني الدنيا والآخرة [**وعن يعقوب قطر**] بالتنوين [**آن**] بالمد والتنوين.

[**والجملة حال ثانية**]؛ أي: من ضمير مقرنين [**أو حال**] مفردة [**من ضمير مقرنين**]؛ أي: على القول بأن قوله: ﴿فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ متعلق بـ«مقرنين»[٣]

---

(١) الصحاح، الجوهري [٣/ ١٣٢]. (٢) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٥٣١].
(٣) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١١/ ٢١٦].

﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٥١ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٥٢﴾.

---

(٥١) ﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ﴾؛ أي: يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة. ﴿مَّا كَسَبَتْۚ﴾ أو كل نفس من مجرمة أو مطيعة؛ لأنه إذا بيَّن أن المجرمين يعاقبون لإجرامهم علم أن المطيعين يثابون لطاعتهم، ويتعين ذلك أن علق اللام بـ(بَرَزُوا). ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾؛ لأنه لا يشغله حساب عن حساب.

(٥٢) ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ هذا إشارة إلى القرآن، أو السورة، أو ما فيه العظة والتذكير، أو ما وصفه من قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ﴾ [إبراهيم: ٤٢]. ﴿بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ كفاية لهم في الموعظة. ﴿وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾ عطف على محذوف؛ أي: لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ، فتكون اللام متعلقة بالبلاغ، ويجوز أن تتعلق بمحذوف تقديره: ولينذروا به (أنزل) أو (تلي). وقرئ بفتح الياء؛ من: (نذر به) إذا علمه واستعد له. ﴿وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ بالنظر والتأمل فيما فيه من الآيات الدالة عليه، أو المنبهة على ما يدل عليه ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يُحْظِيهم. واعلم أنه تعالى ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوائد هي الغاية والحكمة في إنزال الكتب: تكميل الرسل للناس، واستكمال القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد، واستصلاح القوة العملية الذي هو التدرع بلباس التقوى. جعلنا الله تعالى من الفائزين بهما. وعن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (إبراهيم) أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الأصنام وعدد من لم يعبدها**».

[**أو السورة**] بتأويلها بالجر [**فتكون اللام**]؛ أي: في لينذروا [**متعلقة بالبلاغ**] تعلق التعليل لا تعلق التعدية [**وقرئ بفتح الياء**]؛ أي: مع فتح الذال [**من نذر به**] بكسرها [**بما يحظيهم**]؛ أي: بما يصيرهم في حظوة بكسر الحاء وضمها؛ أي: معزة [**ثلاث فوائد**] مفادة من قوله: «لتنذروا به» وتاليه [**«من قرأ سورة إبراهيم..»**] إلى آخره. موضوع[1].

---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٢/ ٢٠٥/ برقم: ٦٦٠].

سُورَةُ الحِجرِ

(١٥) مكية، وهي تسع وتسعون آية

۞ ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٢﴾.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ - ٢ ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ﴾ الإشارة إلى آيات السورة و﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾ هو السورة، وكذا القرآن وتنكيره للتفخيم؛ أي: آيات الجامع لكونه كتاباً كاملاً، وقُرآناً يبين الرشد من الغي بياناً غريباً. ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر، أو حلول الموت، أو يوم القيامة. وقرأ نافع وعاصم ﴿رُبَمَا﴾ بالتخفيف، وقرئ (رَبما) بالفتح والتخفيف؛ وفيه ثمان لغات ضم الراء وفتحها مع التشديد والتخفيف، وبتاء التأنيث ودونها، و(ما) كافة تكفه عن الجر؛ فيجوز دخوله على الفعل، وحقه أن يدخل الماضي لكن لما كان المترقب في أخبار الله تعالى كالماضي في تحققه أجرى مجراه. وقيل: (ما) نكرة موصوفة كقوله:

قوله: **[وفيه ثماني لغات]** قد ذكرت في «شرح المنفرجة» أن فيه سبعين لغة[1] **[وحقه أن تدخل على الماضي]**؛ أي: لأنها لتقليل ما ثبت، وتحقيقه: وقيل: لتقليل المحقق وهو بالماضي أجدر، والتعليل بذلك بناء على أنها للتقليل لكن قال ابن هشام: وليس معناها التقليل دائماً خلافاً للأكثرين، ولا التكثير دائماً خلافاً لابن درستويه، وجماعة بل ترد للتكثير كثيراً وللتقليل قليلاً[2]. انتهى. وقيل: لا تدل على شيء منهما إلا بقرينة واختار ابن مالك أنها للتكثير أكثر **[كقوله]**؛ أي: قول أمية بن أبي الصلت أو غيره:

(١) مفتاح العلوم، السكاكي [ص٤٣].

(٢) مغني اللبيب، ابن هشام [ص١٨٠].

۞ ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾.

رُبَّمَا تَكْرَهُ النُّفُوسُ مِنَ الأَمْـ ـرِ لَهُ فُرْجَةٌ كَحلِّ العِقَالِ

ومعنى التقليل فيه: الإيذان بأنهم لو كانوا يودون الإسلام مَرَّة فبالحري أن يسارعوا إليه، فكيف وهم يودونه كل ساعة! وقيل: تدهشهم أهوال القيامة فإن حانت منهم إفاقة في بعض الأوقات تمنوا ذلك. والغيبة في حكاية ودادتهم كالغيبة في قولك: حلف بالله ليفعلن.

۝٣ ﴿ذَرْهُمْ﴾ دعهم ﴿يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟﴾ بدنياهم ﴿وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ﴾ ويشغلهم توقعهم لطول الأعمار واستقامة الأحوال عن الاستعداد للمعاد ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ سوء صنيعهم إذا عاينوا جزاءه والغرض إقناط الرسول ﷺ

[رُبَّما تكرهُ النفوسُ منَ الأمرِ لهُ فرجةٌ كَحَلِّ العِقَال][1]

أي: ربَّ شيء تكرهه النفوس وله فرج سريع **[ومعنى التقليل فيه]**؛ أي: في ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الحجر: ٢] **[الأيدان بأنهم لو كانوا يودون الإسلام..]** إلى آخره. أشار به إلى أن التقليل في الآية ليس مراداً بل هو كما قال «الكشاف»: «وأراد على عادة العرب في قولهم: «لعلك ستندم على فعلك، وربما ندم الإنسان على ما فعلت»؛ أي: على فعل مثل ما فعلته، ولا يشكّون في تندمه ولا يقصدون تقليله، ولكنهم أرادوا لو كان الندم مشكوكاً فيه أو كان قليلاً لحق عليك أن لا تفعل هذا الفعل؛ لأن العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما من الكثير، وكذلك المعنى في الآية لو كانوا يؤدون الإسلام مرة واحدة، فبالحري أن يسارعوا إليه فكيف وهم يؤدونه في كل ساعة».

[وقيل: تدهشهم..] إلى آخره. تعليل ثان لكون «رُبَّ» في الآية للتقليل وفيها قول آخر أنها للتكثير؛ لأنه يكثر منهم تمني ذلك يوم القيامة إذا رأوا حالهم وحال المسلمين **[والغيبة في حكاية ودادتهم كالغيبة في قولك: حلف بالله ليفعلن]** نظراً إلى

---

(١) **الصحاح، الجوهري [٢/ ٣٧].**

۞ ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ۝٤ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ۝٥ وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ۝٦ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝٧﴾.

من ارعوائهم وإيذانه بأنهم من أهل الخذلان، وإن نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل تحته، وفيه إلزام للحجة، وتحذير عن إيثار التنعم وما يؤدي إليه طول الأمل.

(٤) ـ (٥) ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ﴾ أجل مقدر كتب في اللوح المحفوظ؛ والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية، والأصل أن لا تدخلها الواو كقوله: ﴿إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٨] ولكن لما شابهت صورتها الحال أدخلت تأكيداً للصوقها بالموصوف. ﴿مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ﴾؛ أي: وما يستأخرون عنه، وتذكير ضمير (أُمَّةٍ) فيه للحمل على المعنى.

(٦) ـ (٧) ﴿وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ﴾ نادوا به النبي ﷺ على التهكم، ألا ترى إلى ما نادوه له وهو قولهم: ﴿إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ﴾ ونظير ذلك قول فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ﴾ [الشعراء: ٢٧]، والمعنى: إنك لتقول قول المجانين حين تدعي أن الله تعالى نزل عليك الذكر؛ أي: القرآن. ﴿لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا﴾ ركب (لَوْ) مع (مَا) كما ركبت مع (لا) لمعنيين امتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض. ﴿بِٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ﴾ ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله تعالى: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧].

أنه مخبر عنه كما أنهم كذلك، ولو نظر إلى الحكاية لقيل في المثال لأفعلن وفي الآية: «لو كنا مسلمين» **[من ارعوائهم]**؛ أي: انزجارهم عن القبيح **[لكن لما شابهت صورتها صورة الحال أدخلت]**؛ أي: الواو وكذا «إلا» **[عليها]**؛ أي: على الصفة، وبهذا التقرير اندفع ما يقال: أن «إلا» لا تدخل بين الموصوف وصفته لأن ذاك في

﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾﴾.

أو للعقاب على تكذيبنا لك كما أتت الأمم المكذبة قبل. ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في دعواك.

﴿٨﴾ - ﴿٩﴾ ﴿مَا نُنَزِّلُ﴾ مَا يُنَزِّلُ الملائكة؛ بالياء ونصب ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ على أن الضمير لله تعالى. وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون وأبو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع (الملائكة). وقرئ (تَنَزَّل) بمعنى: تتنزل. ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ إلا تنزيلاً ملتبساً بالحق؛ أي: بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته، ولا حكمة في أن تأتيكم بصور تشاهدونها فإنه لا يزيدكم إلا لبساً، ولا في معاجلتكم بالعقوبة فإن منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالإيمان. وقيل: الحق الوحي أو العذاب. ﴿وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ (إذاً) جواب لهم وجزاء لشرط مقدر؛ أي: ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين. ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ رد لإنكارهم واستهزائهم ولذلك أكده من وجوه وقرره بقوله: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾؛ أي: من التحريف والزيادة والنقص؛ بأن جعلناه معجزاً مبايناً لكلام البشر، بحيث لا يخفى تغيير نظمه على أهل اللسان، أو نفي تطرق الخلل إليه في الدوام بضمان الحفظ له كما نفى أن يطعن فيه بأنه المنزل له. وقيل: الضمير في (لَهُ) للنبي ﷺ.

﴿١٠﴾ - ﴿١١﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ في فرقهم، جمع (شيعة): وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب، من: (شاعه) إذا تبعه،

الصفة المحضة وهذا في صفة مشبهة بالحال[1] [أو نفي] عطف على (جعلناه).

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١١/ ٢٢١].

۞ ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾.

وأصله: (الشياع) وهو الحطب الصغار توقد به الكبار. والمعنى: نبأنا رجالاً فيهم وجعلناهم رسلاً فيما بينهم. ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ كما يفعل هؤلاء. وهو تسلية للنبي عليه الصلاة والسلام. و(ما) للحال لا يدخل إلا مضارعاً بمعنى الحال، أو ماضياً قريباً منه، وهذا على حكاية الحال الماضية.

﴿١٢﴾ ـ ﴿١٣﴾ ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ﴾ ندخله. ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ و(السلك): إدخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط، والرمح في المطعون. والضمير للاستهزاء. وفيه دليل على أن الله يوجد الباطل في قلوبهم. وقيل: (الذِّكْرَ) فإن الضمير الآخر في قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ له، وهو حال من هذا الضمير، والمعنى: مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذباً غير مؤمن به، أو بيان للجملة المتضمنة له. وهذا الاحتجاج ضعيف؛ إذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في المرجوع إليه، ولا يتعين أن تكون الجملة حالاً من الضمير لجواز أن تكون حالاً من (المجرمين)، ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى الأول؛ بل يقويه: ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: سُنَّة الله فيهم بأن خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم، أو بإهلاك من كذب الرسل منهم؛ فيكون وعيداً لأهل مكة.

﴿١٤﴾ ـ ﴿١٥﴾ ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم﴾؛ أي: على هؤلاء المقترحين. ﴿بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ يصعدون إليها ويرون عجائبها طول نهارهم

[**وهو**]؛ أي: «لا يؤمنون» [**حال من هذا الضمير**]؛ أي: ضمير «نسلكه» على القول بأنه للذكر [**أو بيان**] عطف على «حال» [**للجملة المتضمنة له**]؛ أي: وهي

۞ ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾.

مستوضحين لما يرون، أو تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم. ﴿لَقَالُوا﴾ - من غلوهم في العناد وتشكيكهم في الحق -: ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ سدت عن الأبصار بالسحر؛ من: (السكر) ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف، أو حيرت من السكر ويدل عليه قراءة من قرأ (سَكِرَت). ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات. وفي كلمتي الحصر والإضراب دلالة على البت بأن ما يرونه لا حقيقة له؛ بل هو باطل خيل إليهم بنوع من السحر.

﴿١٦﴾ - ﴿١٨﴾ ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ اثني عشر مختلفة الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء. ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ بالأشكال والهيئات البهية ﴿لِلنَّاظِرِينَ﴾ المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ فلا يقدر أن يصعد إليها ويوسوس إلى أهلها، ويتصرف في أمرها، ويطلع على أحوالها ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ بدل من (كل شيطان). و(استراق السمع): اختلاسه سرّاً؛ شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السمٰوات لما بينهم من المناسبة في

قوله كذلك: «نسلكه في قلوب المجرمين» [مِنَ السَّكْرِ] بفتح السين وإسكان الكاف؛ أي: «السد» يقال: «سكرت النهر»: أسكره سكراً إذا سددته قال الجوهري[1] [أو جرت] عطف على سددت [من السُّكْر] بضم السين وإسكان الكاف [«إلا من استرق السمع» بدل من «كل شيطان»] انتقد بأن ما قبل إلا موجب وأجيب بأن قوله تعالى: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ [الحجر: ١٧] في معنى النفي كقوله تعالى: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٩] [من قُطّان السماوات] بضم القاف وتشديد الطاء

---

(١) الصحاح، الجوهري [٤/٩٢].

۞ ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

الجوهر، أو بالاستدلال من أوضاع الكواكب وحركاتها. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: (أنهم كانوا لا يحجبون عن السمٰوات، فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام منعوا من ثلاث سمٰوات، فلما ولد محمد ﷺ منعوا من كلها بالشهب). ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز أن يكون لها أسباب أخر. وقيل: الاستثناء منقطع؛ أي: ولكن من استرق السمع ﴿فَأَتْبَعَهُ﴾ فتبعه ولحقه ﴿شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهر للمبصرين، و(الشهاب): شعلة نار ساطعة، وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق.

﴿١٩﴾ - ﴿٢٠﴾ ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ بسطناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالاً ثوابت. ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا﴾ في الأرض، أو فيها وفي الجبال. ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته، أو مستحسن مناسب من قولهم: كلام موزون، أو ما يوزن ويقدر، أو له وزن في أبواب النعمة والمنفعة. ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ تعيشون بها من المطاعم والملابس. وقرئ: (معائش) بالهمزة على التشبيه بشمائل: ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ عطف على (مَعايِشَ) أو على محل (لَكُمْ)، ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون أنهم يرزقونهم ظنّاً كاذباً؛ فإن الله يرزقهم وإياهم، وفذلكة الآية: الاستدلال بجعل الأرض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الأجزاء في الوضع، محدثة فيها أنواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة، مع

جمع قاطن [أو بالاستدلال] عطف على «نبئهم» والباء سببية [ولا يقدح فيه]؛ أي: في منعهم من كلها بالشهب وفي نسخة: «فيها» [تكونها]؛ أي: الشهب [لجواز أن يكون لها]؛ أي: للشهب؛ أي: لكونها وفي نسخة له: «أي: لتكونها».

[أسباب أُخَر] لأي غير استراق السمع كالزينة والاستدلال على الوحدانية

۞ ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

جواز أن لا تكون كذلك على كمال قدرته وتناهي حكمته، والتفرد في الألوهية والامتنان على العباد بما أنعم عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه. ثم بالغ في ذلك وقال:

﴿٢١﴾ ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾؛ أي: وما من شيء إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه أضعاف ما وجد منه، فضرب الخزائن مثلاً لاقتداره، أو شبه مقدوراته بالأشياء المخزونة التي لا يحوج إخراجها إلى كلفة واجتهاد. ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ﴾ من بقاع القدرة ﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ حده الحكمة، وتعلقت به المشيئة؛ فإن تخصيص بعضها بالإيجاد في بعض الأوقات مشتملاً على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم.

﴿٢٢﴾ - ﴿٢٣﴾ ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ حوامل؛ شبه الريح التي جاءت بخير من إنشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم، أو ملقحات للشجر، ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله: (وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تطيح الطوائح)، ....

والاهتداء للطرق[1] [على كمال قدرته] متعلق بالاستدلال [حده] يحتمل أن يكون حد مصدراً مضافاً إلى الضمير على أنه مبتدأ خبره [الحكمة] وأن يكون فعلاً و«الحكمة» فاعله، وعليه فالأولى حدته الحكمة؛ أي: بينة [أو ملقحات] عطف على «حوامل» [في قوله]؛ أي: لبيد أو نهشل أو غيرهما:

[...................................... **ومختبط مما تطيح الطوايح**]

---

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي [٢٩/٨٧].

۞ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾.

وقرئ (وأرسلنا الريح) على تأويل الجنس. ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾ فجعلناه لكم سقياً ﴿وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ قادرين متمكنين من إخراجه، نفى عنهم ما أثبته لنفسه، أو حافظين في الغدران والعيون والآبار، وذلك أيضاً يدل على المدبر الحكيم كما تدل حركة الهواء في بعض الأوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس؛ فإن طبيعة الماء تقتضي الغور فوقوفه دون حد لا بد له من سبب مخصص. ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ﴾ بإيجاد الحياة في بعض الأجسام القابلة لها. ﴿وَنُمِيتُ﴾ بإزالتها وقد أول الحياة بما يعم الحيوان والنبات. وتكرير الضمير للدلالة على الحصر. ﴿وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ الباقون إذا مات الخلائق كلها.

﴿٢٤﴾ - ﴿٢٥﴾ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ من استقدم ولادة وموتاً ومن استأخر، أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد، أو من تقدم في الإسلام والجهاد وسبق إلى الطاعة أو تأخر؛ لا يخفى علينا شيء من أحوالكم. وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته؛ فإن ما يدل على قدرته دليل على علمه. وقيل: (رَغَّبَ رسولُ الله ﷺ في الصف الأول فازدحموا عليه، فنزلت). وقيل: (إن امرأة حسناء كانت

صدره:

لِـيُبْـكَ يـزيـدُ ضـارعٌ لـخـصـومـة ....[1]

لِيُبْكَ بالبناء للمفعول وهو «يزيد» والمعنى: «لِيَبْكِ على يزيد ضارع»؛ أي: ذليل [وقرئ «وأرسلنا الريح»] الأوْلَى على طريقته وقرأ حمزة: «وأرسلنا الريح» [وقيل: «إن امرأة حسناء..»] إلى آخره رواه الترمذي والنسائي والحاكم وصححه[2]

---

(١) الخصائص، ابن جني [٢/٣٥٣].
(٢) سنن الترمذي [٥/٢٩٦/برقم: ٣١٢٢].

۞ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾.

تصلي خلف رسول الله ﷺ فتقدم بعض القوم لئلا ينظر إليها، وتأخر بعض ليبصرها؛ فنزلت). ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ لا محالة للجزاء. وتوسيط الضمير للدلالة على أنه القادر والمتولي لحشرهم لا غير، وتصدير الجملة بـ(إنَّ) لتحقيق الوعد، والتنبيه على أن ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الأشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله: ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ﴾ باهر الحكمة متقن في أفعاله. ﴿عَلِيمٌ﴾ وسع علمه كل شيء.

﴿٢٦﴾ - ﴿٢٧﴾ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ﴾ من طين يابس يصلصل؛ أي: يصوت إذا نقر. وقيل: هو من: (صلصل) إذا أنتن؛ تضعيف (صَلّ). ﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾ طين تغير واسودَّ من طول مجاورة الماء. وهو صفة (صلصال)؛ أي: كائن ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ مصور، من: (سنه الوجه)، أو منصوب لييبس ويتصور كالجواهر المذابة تصب في القوالب؛ من: (السنّ) وهو الصب؛ كأنه أفرغ الحمأ فصور منها تمثال إنسان أجوف فيبس حتى إذا نقر صلصل، ثم غير ذلك طوراً بعد طور، حتى سواه ونفخ فيه من روحه. أو منتن من: (سننت الحجر على الحجر) إذا حككته به، فإن ما يسيل بينهما يكون منتناً، ويسمى السنين. ﴿وَٱلْجَآنَّ﴾ أبا الجن. وقيل: إبليس، ويجوز أن يراد به الجنس كما هو الظاهر من الإنسان؛ لأن تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس بأسره مخلوقاً منها. وانتصابه بفعل

[من طين يابس]؛ أي: لم يطبخ فإذا طبخ صار فخّاراً [مصور من سُنَّة الوجه] بضم السين وتشديد النون؛ أي: صورته [أو منتن] عطف على «مصور» [ويجوز أن يراد به الجنس]؛ أي: الصادق بالجن وأبيهم [لما كان من شخص واحد]؛ أي: وهو الجان في الجن وآدم في الإنس [خلق]؛ أي: الشخص [من مادة واحدة]؛ أي: وهي النار

۞ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

يفسره. ﴿خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ﴾ من قبل خلق الإنسان. ﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ من نار الحر الشديد النافذ في المسام، ولا يمتنع خلق الحياة في الأجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة، فضلاً عن الأجساد المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري؛ فإنها أقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الأرضي، وقوله: ﴿مِن نَّارٍ﴾ باعتبار الغالب كقوله: ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الروم: ٢٠] ومساق الآية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين؛ فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها إمكان الحشر، وهو قبول المواد للجمع والإحياء.

﴿٢٨﴾ - ﴿٢٩﴾ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ واذكر وقت قوله: ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ حتى جرى آثاره في تجاويف أعضائه

في الجن والطين في الإنس [**النافد في المسام**]؛ أي: الذي من شأنه أن ينفذ فيها [**فإنها**]؛ أي: الأجساد المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري كالجان [**أقبل لها**]؛ أي: للحياة [**من التي الغالب فيها الجزء الأرضي**] كالآدمي [**وقوله**: ﴿مِن نَّارٍ﴾ باعتبار الغالب]؛ أي: وإلا فالجان خلق من العناصر الأربعة[1] [**كقوله تعالى**: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩]]؛ أي: في أن ذكر التراب في آدم باعتبار الغالب [**ومساق الآية**]؛ أي: وهي آية: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ﴾ [الحجر: ٢٦] [**فهو**]؛ أي: مساق الآية [**للتنبيه على المقدمة الثانية**]؛ أي: وهي قدرته تعالى على خلق الثقلين ثانياً، وأما الأولى فهي قدرته تعالى على خلقهما ابتداء مما ذكر [**وهو**]؛ أي: إمكان الحشر [**قبول المواد**]؛ أي: من العظام واللحوم والأعصاب وغيرها.

---

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي [٨/ ٨٩].

۞ ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣١﴾﴾.

فحيي. وأصل (النفخ): إجراء الريح في تجويف جسم آخر، ولما كان الروح يتعلق أولاً بالبخار اللطيف المنبعث من القلب وتفيض عليه الحيوانية فيسري حاملاً لها في تجاويف الشرايين إلى أعماق البدن؛ جعل تعلقه بالبدن نفخاً وإضافة الروح إلى نفسه لما مرَّ في (النساء). ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ﴾ فاسقطوا له ﴿سَـٰجِدِينَ﴾ أمر من: (وقع) يقع.

﴿٣٠﴾ - ﴿٣١﴾ ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ أكد بتأكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص. وقيل: أكد بـ(الكل) للإحاطة وبـ(أجمعين) للدلالة على أنهم سجدوا مجتمعين دفعة. وفيه نظر! إذ لو كان الأمر كذلك كان الثاني حالاً لا تأكيداً. ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ إن جعل منقطعاً اتصل به قوله: ﴿أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾ أي ولكن إبليس أبى. وإن جعل متصلاً كان استئنافاً على أنه جواب سائل قال: هلا سجد.

[وأصل النفخ إجراء الريح في تجويف جسم آخر] قال «الكشاف»: ومعنى نفخت فيه من روحي: أحييته[١]. وليس ثم نفخ ولا منفوخ وإنما هو تمثيل لتحصيل ما حيي به فيه **[في تجويف الشرايين]** قال الجوهري: هي العروق النابضة[٢] ومنبتها من القلب[٣] **[كان الثاني حالاً لا تأكيداً]**؛ أي: فكان يقال: «أجمعين» وبعضهم جعل «أجمعون» بالواو حالاً، وأول بأن المعنى: أنه يفيد إفادة الحال مع أنه توكيداً؛ أي: ولا منافاة بينهما ألا ترى أنه يقال: «جاؤوني جميعاً فجميعاً» حال مع أنه يفيد التوكيد **[كان]**؛ أي: أبى أن يكون مع الساجدين **[استئنافاً على أنه جواب سائل قال: هلا سجد]** فقيل: أبى ذلك واستكبر عنه.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ١٣٤].

(٢) كما في نسخة [ج - ب] وفي نسخة [الأصل]: (النابعة).

(٣) الصحاح، الجوهري [٨/ ٣١١].

۞ ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٍ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ (٣٣) قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ (٣٥)﴾.

---

(٣٢) ـ (٣٣) ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ﴾؛ أي: غرض لك في أن لا تكون ﴿مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ لآدم! ﴿قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ﴾ اللام لتأكيد النفي؛ أي: لا يصح مني وينافي حالي أن أسجد ﴿لِبَشَرٍ﴾ جسماني كثيف، وأنا ملك روحاني. ﴿خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٍ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾ وهو أخس العناصر وخلقتني من نار وهي أشرفها. استنقص آدم عليه السلام باعتبار النوع والأصل وقد سبق الجواب عنه في سورة (الأعراف).

(٣٤) ـ (٣٥) ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾ من السماء أو الجنة أو زمر الملائكة. ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٞ﴾ مطرود من الخير والكرامة؛ فإن من يطرد يرجم بالحجر. أو شيطان يرجم بالشهب، وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته. ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ﴾ هذا الطرد والإبعاد. ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ فإنه منتهى أمد اللعن؛ فإنه يناسب أيام التكليف ومنه زمان الجزاء وما في قوله: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن

[**باعتبار النوع**]؛ أي: وهو أنه ملك روحاني وآدم جسماني كثيف [**والأصل**]؛ أي: وهو أنه خلق من نار وآدم من طين [**يتضمن الجواب عن شبهته**]؛ لأن من رجم وطرد عن رحمة الله وأبعد عنها لا يلتفت إلى شبهته [**فإن منتهى أمد اللعن**] بمعنى: الطرد والإبعاد(١) [**يناسب**(٢) **أيام التكلف**] وإنما يناسب اللعن بمعنى: التعذيب [**ومنه**]؛ أي: «من يوم الدين»؛ أي: زمانه [**زمان الجزاء**]؛ أي: الذي يقع فيه التعذيب [**وما في قوله فإذن..**] إلى آخره. جواب ما يقال كيف غيّاً اللعنة بيوم الدين مع أنه أثبتها فيه بقوله: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤] فأجاب بأنها ثم بمعنى آخر غير الطرد والإبعاد وهو التعذيب الذي ينسى عنده هذه

---

(١) انظر: التوقيف، المناوي [ص٦٢١].
(٢) في نسخة [ز ـ ج ـ ب]: (لا يناسب).

۞ ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾.

لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤] بمعنى آخر ينسى عنده هذه. وقيل: إنما حد اللعن به لأنه أبعد غاية يضر بها الناس، أو لأنه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل.

﴿٣٦﴾ - ﴿٣٨﴾ ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ﴾ فأخّرني. والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الحجر: ٣٤]. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أراد أن يجد فسحة في الإغواء أو نجاة من الموت؛ إذ لا موت بعد وقت البعث فأجابه إلى الأول دون الثاني. ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ المسمى فيه أجلك عند الله، أو انقراض الناس كلهم، وهو النفخة الأولى عند الجمهور، ويجوز أن يكون المراد بالأيام الثلاثة يوم القيامة، واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه أولاً: بيوم الجزاء لما عرفته، وثانياً: بيوم البعث، إذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التضليل، وثالثاً: بالمعلوم لوقوعه في الكلامين، ولا يلزم من ذلك أن لا يموت فلعله يموت أول اليوم ويبعث

اللعنة بمعناهما وهي ما أشار إليه بقوله: هذه **[لأنه أبعد غاية مصيرها الإنسان]** كقوله تعالى: ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٧] في التأبيد[1] **[متعلقة بمحذوف دل عليه «فاخرج منها»]**؛ أي: أخرجتني منها فأنظرني.

[ويجوز أن يكون المراد بالأيام الثلاثة..] إلى آخره. مقابل لما أفاده قبل من أن يوم الوقت المعلوم هو آخر أجله وهو غير يوم الدين ويوم البعث وقوله: «واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات» مقيد للبلاغة، ومن ثم قال الزمخشري: خولف بين العبارات سلوكاً بالكلام طريقة البلاغة[2] **[فلعله يموت أول اليوم ويبعث**

(١) انظر: اللباب، ابن عادل [١١/٤٥٧]. (٢) الكشاف، الزمخشري [٢/٥٤١].

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

مع الخلائق في تضاعيفه، وهذه المخاطبة وإن لم تكن بواسطة لم تدل على منصب إبليس؛ لأن خطاب الله له على سبيل الإهانة والإذلال.

﴿٣٩﴾ - ﴿٤٠﴾ ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ الباء للقسم، و(ما) مصدرية وجوابه: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ والمعنى: أقسم بإغوائك إياي لأزينن لهم المعاصي في الدنيا؛ التي هي دار الغرور كقوله: ﴿أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٧٦] وفي انعقاد القسم بأفعال الله تعالى خلاف. وقيل: للسببية. والمعتزلة أوّلوا الإغواء بالنسبة إلى الغي، أو التسبب له بأمره إياه بالسجود لآدم عليه السلام، أو بالإضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن إمهال الله له؛ وهو سبب لزيادة غيه وتسليط له على إغواء بني آدم بأن الله تعالى علم منه، وممن تبعه أنهم يموتون على الكفر ويصيرون إلى النار؛ أمهل أو لم يمهل. وأن في إمهاله تعريضاً لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب؛ وضعفُ ذلك لا يخفى على ذوي الألباب. ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ولأحملنهم أجمعين على الغواية. ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ الذين أخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا

[الخلائق في تضاعيفه]؛ أي: فأنظره إنما هو إلى آخر أيام التكليف **[والمعتزلة]** القائلون بأن العبد يوجد أفعال نفسه.

[أوّلوا الإغواء] الذي هو من أغويتني كالصريح في أن الموجد له هو الله **[بالنسبة إلى الغي]** المترتب على الإغواء لا إلى الإغواء نفسه **[أو]** إلى **[التسبب له]**؛ أي: للغي **[بأمره]** متعلق بالتسبيب **[أو بالإضلال]** عطف على بالنسبة **[وضعف ذلك]**؛ أي: ما ذكر من التأويل والاعتذار لما ثبت أن الموجد للأشياء هو الله وأن له أن يفعل ما يشاء فلا يحتاج إلى تأويل واعتذار مع أن التأويل بالإضلال محوج على مذهبهم إلى تأويل[1]

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [١٩/١٤٧].

۞ ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾.

يعمل فيهم كيدي. وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو بالكسر في كل القرآن؛ أي: الذين أخلصوا نفوسهم لله تعالى.

﴿٤١﴾ - ﴿٤٢﴾ ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ﴾ حق عليَّ أن أراعيه ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ لا انحراف عنه، والإشارة إلى ما تضمنه الاستثناء وهو تخليص المخلصين من إغوائه، أو (الإخلاص) على معنى أنه طريق (عَلَيَّ) يؤدي إلى الوصول إليَّ من غير اعوجاج وضلال. وقرئ (عَلِيٌّ) من علو الشرف. ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ تصديق لإبليس فيما استثناه، وتغيير الوضع لتعظيم ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ ولأن المقصود بيان عصمتهم، وانقطاع مخالب الشيطان عنهم، أو تكذيب له فيما أوهم أن له سلطاناً على من ليس بمخلص من عباده؛ فإن منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢] وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعاً، وعلى الأول يدفع قول من شرط أن يكون المستثني أقل من الباقي؛ لإفضائه إلى تناقض الاستثناءين.

﴿٤٣﴾ - ﴿٤٤﴾ ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ﴾ لموعد الغاوين أو المتبعين. ﴿أَجْمَعِينَ﴾ تأكيد للضمير أو حال، والعامل فيها (الموعد) إن جعلته مصدراً على تقدير مضاف، ومعنى الإضافة إن جعلته اسم مكان فإنه لا يعمل. ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ﴾ يدخلون منها لكثرتهم، أو طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في

[بالكسر...] إلى آخره. قدمه في سورة يوسف مع زيادة يعقوب **[وقرئ على]** قراءة يعقوب [وعلى هذا]؛ أي: القول بأن الآية تكذيب لإبليس **[على تقدير مضاف]**؛ أي: مكان موعدهم **[أو طبقات]**؛ يعني: أو المراد بالأبواب طبقات

۞ ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٤٥ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ۝٤٦﴾.

المتابعة؛ وهي: جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية، ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات في الركون إلى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية، أو لأن أهلها سبع فرق. ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ﴾ من الأتباع. ﴿جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ أفرز له، فأعلاها للموحدين العصاة، والثاني لليهود، والثالث للنصارى، والرابع للصابئين، والخامس للمجوس، والسادس للمشركين، والسابع للمنافقين، وقرأ أبو بكر (جُزُء) بالتثقيل. وقرئ (جُزٌّ) على حذف الهمزة وإلقاء حركتها على الزاي، ثم الوقف عليه بالتشديد ثم إجراء الوصل مجرى الوقف، ومنهم حال منه أو من المستكن في الظرف لا في ﴿مَّقْسُومٌ﴾؛ لأن الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها.

۝٤٥ - ۝٤٦ ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ من اتباعه في الكفر والفواحش فإن غيرها مكفرة. ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ لكل واحد جنة وعين، أو لكل عدة منهما كقوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: ٤٦] ثم قوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: ٦٢] وقوله: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ

[وهي]؛ أي: الطبقات [أو لأن أصلها سبع فرق] معلومة من قوله أعلاها للموحدين إلى آخره.

[وقرئ «جزء»..] إلى آخره. قرأ به أبو جعفر[1] [ومنهم حال منه]؛ أي: من «جزء» [أو المستكن في الظرف]؛ أي: وهو «لكل باب» [منِ اتّباعه] بكسر النون وتشديد التاء متعلق بالمتعين؛ أي: المجنبين أتباعه [فإن غيرها]؛ أي: غير الكفر والفواحش من الصغائر [مكفَّرة] بفتح الفاء؛ أي: تكفرها الصلاة ونحوها[2]

---

(١) انظر: إتحاف فضلاء البشر، الدمياطي [ص٤٩٠].

(٢) انظر: صحيح مسلم [٤/ ٢٢١٧/ برقم: ١٤٤]، سنن الترمذي [٤/ ٥٢٤/ برقم: ٢٢٥٨].

۞ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾﴾.

ءَاسِنٍ﴾ الآية [محمد: ١٥]، وقرأ نافع وحفص وأبو عمرو وهشام ﴿وَعُيُونٍ﴾ والعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين، ﴿ٱدْخُلُوهَا﴾ على إرادة القول، وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على أنه ماض فلا يكسر التنوين. ﴿بِسَلَٰمٍ﴾ سالمين أو مسلماً عليكم. ﴿ءَامِنِينَ﴾ من الآفة والزوال.

﴿٤٧﴾ - ﴿٤٨﴾ ﴿وَنَزَعْنَا﴾ في الدنيا بما ألف بين قلوبهم، أو في الجنة بتطييب نفوسهم. ﴿مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ من حقد كان في الدنيا. وعن علي رضي الله تعالى عنه: أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم. أو من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب. ﴿إِخْوَانًا﴾ حال من الضمير في (جنات)، أو فاعل ادخلوها، أو الضمير في (آمنين)، أو الضمير المضاف إليه، والعامل فيها معنى الإضافة وكذا قوله: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ﴾ ويجوز أن يكونا صفتين لـ(إخواناً) أو حال من ضميره لأنه بمعنى متصافين، وأن يكون متقابلين حالاً من المستقر في على سرر. ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ استئناف أو حال بعد حال، أو حال من الضمير في (متقابلين). ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ فإن تمام النعمة بالخلود.

﴿٤٩﴾ - ﴿٥١﴾ ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له، وفي ذكر المغفرة دليل على أنه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب بأسرها كبيرها

[وقرئ بقطع الهمزة]؛ أي: وضمها **[أو من التحاسد]** عطف من حقد **[ويجوز أن يكونا]**؛ أي: «على سُرُرٍ» و«متقابلين» **[أو حال بعد حال]** إن جعل «متقابلين» حالاً **[أو حال من الضمير في «متقابلين»]** إن جعل «متقابلين» صفة.

۞ ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾.

وصغيرها، وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتأكيده، وفي عطف ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ على ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ﴾ تحقيق لهما بما يعتبرون به.

﴿٥٢﴾ ـ ﴿٥٣﴾ ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا﴾؛ أي: نسلم عليك سلاماً، أو سلمنا سلاماً. ﴿قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ خائفون؛ وذلك لأنهم دخلوا بغير إذن وبغير وقت؛ ولأنهم امتنعوا من الأكل والوجل اضطراب النفس لتوقع ما تكره. ﴿قَالُواْ لَا تَوْجَلْ﴾ وقرئ (لا تَاجَل) من أوجله (ولا تواجل) من: (واجله) بمعنى: أوجله. ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل؛ فإن المبشر لا يخاف منه. وقرأ حمزة (نَبْشُرك) بفتح النون والتخفيف من: (البشر). ﴿بِغُلَٰمٍ﴾ هو اسحاق عليه السلام لقوله: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾ [الصافات: ١١٢]. ﴿عَلِيمٍ﴾ إذا بلغ.

﴿٥٤﴾ إلى ﴿٥٦﴾ ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ تعجب من أن يولد له مع مسّ الكبر إياه، أو إنكار لأن يبشر به في مثل هذه الحالة؛ وكذا قوله: ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾؛ أي: فبأي أعجوبة تبشرون، أو فبأي شيء تبشرون؛ فإن البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء، وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة في كل القرآن على إدغام نون الجمع في نون الوقاية وكسرها،

[تحقيق لهما]؛ أي: للوعد والوعيد بهما [يعتبرون به]؛ أي: بما يقرب إلى الرحمة ويبعد عن العذاب أخذاً للأول من قصة إبراهيم وللثاني من قصة يوسف [كل القرآن] سبق قلم إذ تبشرون لم يتكرر فيه [على حذف نون الجمع] هو أحد الوجهين

۞ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾.

وقرأ نافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالاً لإجتماع المثلين، ودلالة بإبقاء نون الوقاية وكسرها على الياء. ﴿قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ بما يكون لا محالة، أو باليقين الذي لا لبس فيه، أو بطريقة هي حق وهو قول الله تعالى وأمره. ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾ من الآيسين من ذلك؛ فإنه تعالى قادر على أن يخلق بشراً من غير أبوين؛ فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر. وكان استعجاب إبراهيم عليه السلام باعتبار العادة دون القدرة ولذلك: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله تعالى، وكمال علمه وقدرته كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] وقرأ أبو عمرو والكسائي (يَقْنِطُ) بالكسر، وقرئ بالضم وماضيهما (قَنَط) بالفتح.

﴿٥٧﴾ - ﴿٥٨﴾ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾؛ أي: فما شأنكم الذي أرسلتم لأجله سوى البشارة، ولعله علم أن كمال المقصود ليس البشارة لأنهم كانوا عدداً والبشارة لا تحتاج إلى العدد؛ ولذلك اكتفى بالواحد في بشارة زكريا ومريم عليهما السلام، أو لأنهم بشروه في تضاعيف الحال لإزالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدؤوا بها. ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ يعني: قوم لوط.

﴿٥٩﴾ - ﴿٦٠﴾ ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ إن كان استثناء من (قَوْمٍ) كان منقطعاً إذ

لما ذكره والآخر المحذوف نون التوكيد[1] لحصول الثقل وكسرت نون الرفع لتدل على ياء المتكلم[2].

(١) في نسخة [ج]: (الوقاية).
(٢) انظر: إبراز المعاني، أبو شامة [٢/ ٢٣٢].

﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

الـ(قَوْم) مقيد بالإجرام وإن كان استثناء من الضمير في (مُجْرِمِينَ) كان متصلاً، والقوم والإرسال شاملين للمجرمين، و(آلَ لُوطٍ) المؤمنين به، وكأن المعنى: ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ﴾ أجرم كلهم إلا آل لوط منهم لنهلك المجرمين، وننجي آل لوط منهم، ويدل عليه قوله: ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾؛ أي: مما يعذب به القوم، وهو استئناف إذا اتصل الاستثناء، ومتصل بـ(آل لوط) جار مجرى خبر لكن إذا انقطع، وعلى هذا جاز أن يكون قوله: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ استثناء من (آلَ لُوطٍ)، أو من ضميرهم، وعلى الأول لا يكون إلا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللَّهُمَّ إلا أن يجعل (إِنَّا لَمُنْجُوهُم) اعتراضاً، وقرأ حمزة والكسائي (لَمُنَجُّوهُمْ) مخففاً. ﴿قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ الباقين مع الكفرة لتهلك معهم. وقرأ أبو بكر عن عاصم ﴿قَدَرْنَا﴾ هنا وفي (النمل) بالتخفيف، وإنما علق؛ والتعليق من خواص أفعال القلوب لتضمنه معنى العلم. ويجوز أن يكون (قَدَّرْنا) أجري مجرى: قلنا؛ لأن التقدير بمعنى القضاء قول، وأصله: جعل الشيء على مقدار غيره، وإسنادهم إياه إلى أنفسهم. وهو فعل الله ﷻ لما لهم من القرب والاختصاص به.

﴿٦١﴾ إلى ﴿٦٤﴾ ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾

[**وعلى هذا**]؛ أي: على ما ذكر من أن «إنا لمنجوهم» متصل بآل لوط وأن الاستثناء منقطع [**وعلى الأول لا يكون**[1]]؛ أي: أو «لامرأته» مستثنى [**إلا من ضميرهم**]؛ أي: في لمنجوهم لا من آل لوط [**لاختلاف الحكمين**]؛ أي: في المستثنى والمستثنى منه؛ لأن «إلا آل لوط» متعلق «بأرسلنا» أو «بمجرمين» و«إلا

---

(١) كما في نسخة [ز ـ ج ـ ب] وفي نسخة [الأصل]: (ليكون).

۞ ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

تنكركم نفسي وتنفر عنكم؛ مخافة أن تطرقوني بِشَرّ. ﴿قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾؛ أي: ما جئناك بما تنكرنا لأجله؛ بل جئناك بما يسرك ويشفي لك من عدوك؛ وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه. ﴿وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ باليقين من عذابهم ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ فيما أخبرناك به.

﴿٦٥﴾ ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ فاذهب بهم في الليل، وقرأ الحجازيان بوصل الهمزة من: (السرى) وهما بمعنىً، وقرئ (فَسِر) من السير. ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ في طائفة من الليل، وقيل في آخره قال:

افتَحِي البَابَ وَانْظُرِي فِي النُّجُوم كَمْ عَلَيْنَا مِنْ قِطْعِ لَيْلٍ بَهِيمِ

﴿وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ﴾ وكن على أثرهم تذودهم، وتسرع بهم، وتطلع على حالهم. ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه، أو فيصيبه ما أصابهم، أو ولا ينصرف أحدكم، ولا يتخلف امرؤ لغرض فيصيبه العذاب. وقيل: نهوا عن الالتفات ليوطنوا نفوسهم على المهاجرة. ﴿وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ إلى حيث أمركم الله بالمضي إليه، وهو الشام أو: مصر فعدّي (وَامْضُوا) إلى (حَيْثُ) و(تُؤْمَرُونَ) إلى ضميره المحذوف على الاتساع.

امرأته» قد تعلق بـ«منجوهم» [مِنَ السُّرَى]؛ أي: وهو السير ليلا [وهما]؛ أي: «أسر» بالقطع و«اسر» بالوصل [من السير]؛ أي: ليلاً أو نهاراً [قال:

افتحي البابَ وانظري في النجومِ كم علينا متن قِطْعِ ليلٍ بهيمِ][1]

كأنه طال عليه الليل فخاطب ضجيعته بذلك، أو كان يحب طول الليل للوصال [تذودهم] بالمعجمة في أوله؛ أي: «تسوقهم» [فعُدِّيَ وأمضوا..] إلى آخره. تعبيره بالاتساع لا يناسب قول «الكشاف»[2] وَعُدِّي «وامضوا» إلى «حيث» تعديته إلى

---

(١) العين، الفراهيدي [١/٢٢٨].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٢/٥٤٦].

۞ ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ
ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ
﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾﴾.

﴿٦٦﴾ ـ ﴿٦٧﴾ ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ﴾؛ أي: وأوحينا إليه مقضياً، ولذلك عدي بـ(إلى) ﴿ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ مبهم يفسره: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ﴾ ومحله النصب على البدل منه، وفي ذلك تفخيم للآمر وتعظيم له. وقرئ بالكسر على الاستئناف، والمعنى: أنهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد. ﴿مُّصْبِحِينَ﴾ داخلين في الصبح؛ وهو حال من (هؤلاء)، أو من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى. فـ(أَنَّ دابِرَ هؤُلاءِ) في معنى: مدبري هؤلاء. ﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ﴾ سدوم ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بأضياف لوط طمعاً فيهم.

﴿٦٨﴾ ـ ﴿٦٩﴾ ﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ بفضيحة ضيفي؛ فإن من أسيء إلى ضيفه فقد أسيء إليه. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في ركوب الفاحشة. ﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾ ولا تذلوني بسببهم من الخزي وهو الهوان، أو لا تخجلوني فيهم من الخزاية وهو الحياء.

﴿٧٠﴾ ـ ﴿٧١﴾ ﴿قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على أن تجير منهم أحداً

الظروف المبهمة؛ لأن «حيث» مبهم في الأمكنة، وكذلك الضمير في «يؤمرونه» فأفاد كلامه أن تعديته «امضوا» إلى «حيث» لا اتساع فيه لأنه جعل «حيث» من الظروف المبهمة، والمصنف جعله من الظروف المؤقتة التي لا يعدّى عاملها إليها إلا بـ«في» فشبهه بالظروف المبهمة، فكان في تعدية «امضوا» إليه بدون في توسع «حيث» أجرى المؤقتة مجرى المبهمة[1] [وجمعه]؛ أي: بتقدير جعله حالاً من ضمير «مقطوع» **[للحمل على المعنى فإن «دابر هؤلاء» في معنى «مدبري هؤلاء»]**؛ أي: فيكون «مقطوع» بمعنى مقطوعون [سدوم] بسين مهملة فذال معجمة وخطأ من قال مهملة

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١١/ ٢٤٤].

۞ ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾﴾.

أو تمنع بيننا وبينهم؛ فإنهم كانوا يتعرضون لكل أحد، وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه، أو عن ضيافة الناس وإنزالهم. ﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ﴾؛ يعني: نساء القوم؛ فإن نبي كل أمة بمنزلة أبيهم، وفيه وجوه ذكرت في سورة (هود). ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ قضاء الوطر، أو ما أقول لكم.

﴿٧٢﴾ ﴿لَعَمْرُكَ﴾ قسم بحياة المخاطب، والمخاطب في هذا القسم هو النبي عليه الصلاة والسلام. وقيل: لوط عليه السلام قالت الملائكة له ذلك، والتقدير: لعمرك قسمي، وهو لغة في العمر يختص به القسم لإيثار الأخف فيه؛ لأنه كثير الدور على ألسنتهم. ﴿إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ﴾ لفي غوايتهم، أو شدة غلمتهم التي أزالت عقولهم، وتمييزهم بين خطئهم والصواب الذي يشار به إليهم. ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتحيرون فكيف يسمعون نصحك. وقيل: الضمير لـ(قريش) والجملة اعتراض.

﴿٧٣﴾ - ﴿٧٤﴾ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾؛ يعني: صيحة هائلة مهلكة. وقيل: صيحة جبريل عليه السلام. ﴿مُشْرِقِينَ﴾ داخلين في وقت شروق الشمس. ﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا﴾ عالي المدينة، أو عالي قراهم. ﴿سَافِلَهَا﴾ وصارت منقلبة بهم. ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ من طين متحجر، أو طين عليه كتاب من السجل، وقد تقدم مزيد بيان لهذه القصة في سورة (هود).

وهي مدينة من مدائن قوم لوط [أو ضيافة الناس] عطف على «أن تجير منهم أحداً» [أو «ما أقول لكم»]؛ أي: من نكاح بناتي [وهو]؛ أي: «عَمْرُك» بفتح العين وسكون الميم [لغة في العُمْر] بضمها [يختص به]؛ أي: بالمفتوح.

[القسم لإيثار الأخف] وهو المفتوح [فيه]؛ أي: في القسم [لأنه]؛ أي: القسم به [كثير الدور على ألسنتهم] في الحلف.

۞ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥) وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ (٧٦) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ (٧٧) وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ (٧٨) فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ (٧٩) وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ (٨٠) وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٨١)﴾.

---

(٧٥) إلى (٧٧) ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ للمتفكرين المتفرسين الذين يتثبّتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته. ﴿وَإِنَّهَا﴾ وإن المدينة أو القرى. ﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله ورسله.

(٧٨) ـ (٧٩) ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ﴾ هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة؛ فبعثه الله إليهم فكذبوه فأهلكوا بالظلة و﴿ٱلْأَيْكَةِ﴾ الشجرة المتكاثفة ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بالإهلاك ﴿وَإِنَّهُمَا﴾؛ يعني: سدوم والأيكة. وقيل: الأيكة ومدين؛ فإنه كان مبعوثاً إليهما فكان ذكر إحداهما منبهاً على الأخرى. ﴿لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ لبطريق واضح، و(الإمام) اسم ما يؤتم به؛ فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح لأنها مما يؤتم به.

(٨٠) ـ (٨١) ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾؛ يعني: ثمود، كذبوا صالحاً، ومن كذب واحداً من الرسل فكأنما كذب الجميع، ويجوز أن يكون المراد بالمرسلين صالحاً ومن معه من المؤمنين، و(الْحِجْرِ): واد بين

[يسكنون الغيضة] قال الجواهري[١]: الغيضة الأجمة وهي مغيض ماء يجمع فينبت فيه الشجر والجمع غياض وأغياض [فإنه]؛ أي: شعيباً [فسمي به الطريق ومطمر البناء] المطمر والمطمار خيط للبناء يقدر به قاله في «القاموس» [واللوح]؛ أي: الذي يكتب فيه [لأنهما] الأولى لأنها كما في «الكشاف»[٢] وفي نسخة: فسمي به اللوح ومطمر البناء لأنهما [فكأنما كذب الجميع] بيان لتصحيح الجمع في المرسلين [ويجوز أن يراد بالمرسلين صالحاً ومن معه من المؤمنين] كما قيل:

---

(١) الصحاح، الجوهري [٥/ ٢٤٩]. (٢) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٥٤٨].

۞ ﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ (٨٢) فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ (٨٣) فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (٨٤) وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ (٨٥) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ (٨٦)﴾.

المدينة والشأم يسكنونه. ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾؛ يعني: آيات الكتاب المنزل على نبيِّهم، أو معجزاته؛ كالناقة وسقيها وشربها ودرها، أو ما نصب لهم من الأدلة.

(٨٢) إلى (٨٤) ﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾ من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الأعداء لوثاقتها، أو من العذاب لفرط غفلتهم، أو حسبانهم أن الجبال تحميهم منه. ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ (٨٣) فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الأموال والعدد.

(٨٥) - (٨٦) ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ إلا خلقاً ملتبساً بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور، فلذلك اقتضت الحكمة إهلاك أمثال هؤلاء وإزاحة فسادهم من الأرض. ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ﴾ فينتقم الله لك فيها ممن كذبك. ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ ولا تعجل بانتقام منهم، وعاملهم معاملة الصفوح الحليم. وقيل: هو منسوخ بآية السيف. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾ الذي خلقك وخلقهم، وبيده أمرك وأمرهم. ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بحالك وحالهم؛ فهو حقيق بأن تكل ذلك إليه ليحكم بينكم، أو هو الذي خلقكم وعلم الأصلح لكم، وقد علم أن الصفح اليوم أصلح، وفي مصحف عثمان وأُبَيٍّ رضي الله عنهما (هو الخالق)، وهو يصلح للقليل والكثير و﴿ٱلْخَلَّٰقُ﴾ يختص بالكثير.

الخبيبيون في ابن الزبير وأصحابه [يسكنونها] الأولى يسكنونه.

[كالناقة وسقبها] بموحدة بعد قاف مفتوحة؛ أي: ولدها [بأن تكل إليه]؛ أي: أمورك وفي نسخة: «بأن تتوكل عليه» [أو هو الذي خلقكم] عطف على «خلقك

۞ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾﴾.

﴿٨٧﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا﴾ سبع آيات وهي الفاتحة. وقيل: سبع سور؛ وهي الطوال وسابعتها (الأنفال) و(التوبة)؛ فإنهما في حكم سورة، ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية. وقيل: (التوبة)، وقيل: (يونس)، أو الحواميم السبع. وقيل: سبع صحائف وهي الأسباع. ﴿مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ بيان للسبع، والمثاني من التثنية، أو الثناء؛ فإن كل ذلك مثنى تكرر قراءته، أو ألفاظه، أو قصصه ومواعظه، أو مثني عليه بالبلاغة والإعجاز، أو مثن على الله بما هو أهله من صفاته العظمى وأسمائه الحسنى. ويجوز أن يراد بـ(الْمَثَانِي) القرآن، أو كتب الله كلها فتكون (مِنَ) للتبعيض. ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ إن أريد بالسبع الآيات أو السور؛ فمن عطف الكل على البعض، أو العام على الخاص، وإن أريد به (الأسباع) فمن عطف أحد الوصفين على الآخر.

﴿٨٨﴾ ـ ﴿٨٩﴾ ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ لا تطمح ببصرك طموح راغب. ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ أصنافاً من الكفار؛ فإنه مستحقر بالإضافة إلى ما أوتيته فإنه كمال مطلوب بالذات مفض إلى دوام اللذات. وفي حديث أبي بكر رضي الله تعالى عنه: «من أوتي القرآن فرأى أن أحداً أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي فقد صغر عظيماً وعظم صغيراً». وروي: أنه عليه الصلاة والسلام وافى بأذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير؛ فيها أنواع البز والطيب والجواهر وسائر الأمتعة، فقال المسلمون: لو كانت هذه الأموال

وخلقهم» [فتكون «من» للتبعيض]؛ أي: على القول بأن المراد بـ«المثاني» كتب الله كلها [وفي حديث أبي بكر: «من أوتي القرآن..»] إلى آخره. رواه الطبراني[(١)]

---

(١) شعب الإيمان، البيهقي [٦/ ٧٥/ برقم: ٨٤٨١].

﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

لنا لتقوينا بها وأنفقناها في سبيل الله! فقال لهم: «**لقد أعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع**». ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أنهم لم يؤمنوا. وقيل: إنهم المتمتعون به. ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وتواضع لهم وارفق بهم. ﴿وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾ أنذركم ببيان وبرهان أن عذاب الله نازل بكم إن لم تؤمنوا.

﴿٩٠﴾ ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ مثل العذاب الذي أنزلناه عليهم، فهو وصف لمفعول النذير أقيم مقامه، والمقتسمون هم الإثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم لينفروا الناس عن الإيمان بالرسول ﷺ، فأهلكهم الله تعالى يوم بدر، أو الرهط الذين اقتسموا! أي: تقاسموا على أن يبيتوا صالحاً عليه الصلاة والسلام. وقيل: هو صفة مصدر محذوف يدل عليه. ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ﴾ فإنه بمعنى: أنزلنا إليك، والمقتسمون هم الذين جعلوا القرآن عضين؛ حيث قالوا عناداً: بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل، وبعضه باطل مخالف لهما، أو قسموه إلى شعر وسحر وكهانة وأساطير الأولين، أو أهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم، وكفروا ببعض على أن القرآن ما يقرؤون من كتبهم، فيكون ذلك تسلية لرسول الله ﷺ، وقوله: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [الحجر: ٨٨] إلخ اعتراضاً ممداً لها.

﴿٩١﴾ إلى ﴿٩٣﴾ ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ أجزاء جمع عضة، وأصلها عضوة من عضى الشاة؛ إذا جعلها أعضاء. وقيل: فعلة، من: (عضهته) إذا

[وقيل: **إنهم الممتعون به**]؛ أي: «بما متعنا به أزواجاً» [**أو أهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم**] عطف على «أهل الكتاب» الذين جعلوا القرآن عضين [**وقوله**: ﴿لَا تَمُدَّنَّ﴾] عطف على قوله: «ذلك» [**ممداً لها**]؛ أي: للتسلية [**وأصله عضوة**] زاد «الكشاف»:

۞ ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

بهته، وفي الحديث: «لعن رسول الله ﷺ العاضهة والمستعضهة». وقيل: أسحاراً. وعن عكرمة: المعضة السحر، وإنما جمع جمع السلامة جبراً لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين أو مبتدأ خبره. ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾. ﴿عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ من التقسيم، أو النسبة إلى السحر فنجازيهم عليه. وقيل: هو عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي.

﴿٩٤﴾ ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ فاجهر به، من صدع بالحجة إذا تكلم بها جهاراً، أو: فافرق به بين الحق والباطل، وأصله الإبانة والتمييز و(ما) مصدرية أو موصولة، والراجع محذوف؛ أي: بما تؤمر به من الشرائع. ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ ولا تلتفت إلى ما يقولون.

﴿٩٥﴾ ـ ﴿٩٦﴾ ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾ بقمعهم وإهلاكهم. قيل: كانوا خمسة من أشراف قريش: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وعدي بن قيس، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب، يبالغون في إيذاء النبي ﷺ والاستهزاء به فقال جبريل ﵇ لرسول الله ﷺ: أمرت أن أكفيكهم، فأومأ إلى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم؛ فلم ينعطف تعظماً لأخذه، فأصاب عرقاً في عقبه فقطعه؛ فمات، وأومأ إلى أخمص العاص فدخل فيه شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات، وأشار إلى أنف عدي بن قيس فامتخط قيحاً فمات، وإلى الأسود بن عبد يغوث

«فُعْلَة» وهي مراد المصنف بقرينة ذكره لها بعد وهو يقتضي سكون الضاد لكن نقل إليها حركة الواو فصار عضه[1] **[قيل: كانوا خمسة..]** إلى آخره. رواه الطبراني

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٥٥١].

۞ ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾.

وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات، وإلى عَيْنَيّ الأسود بن المطلب فعمي: ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمرهم في الدارين.

﴿٩٧﴾ إلى ﴿٩٩﴾ ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء بك. ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فافزع إلى الله تعالى فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك، أو فنزهه عما يقولون حامداً له على أن هداك للحق. ﴿وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ من المصلين، وعنه عليه الصلاة والسلام: «أنه كان إذا حَزبه أمر فزع إلى الصلاة». ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾؛ أي: الموت فإنه متيقن لحاقه كل حي مخلوق. والمعنى: فاعبده ما دمت حيّاً ولا تخلّ بالعبادة لحظة.

عن رسول الله ﷺ: «**من قرأ سورة الحجر كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين بمحمد ﷺ**»، والله أعلم.

وغيره [وعنه ﷺ: «أنه كان إذا حَزَبَهُ أمر فزع إلى الصلاة..»][1] تقدم رواية في البقرة [«من قرأ سورة الحجر..»] إلى آخره. موضوع[2].



---

(١) سنن أبي داود [١/ ٤٢٠/ برقم: ١٣١٩].

(٢) تخريج أحاديث الكشاف، الزمخشري [٢/ ٢١٧/ برقم: ٦٦٦].

سُورَةُ النَّحْلِ

(١٦) مكية، غير ثلاث آيات في آخرها، وهي مائة وثمان وعشرون آية

۞ ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ كانوا يستعجلون ما أوعدهم الرسول ﷺ من قيام الساعة، أو إهلاك الله تعالى إياهم كما فعل يوم بدر استهزاءً وتكذيباً؛ ويقولون: إن صح ما تقوله فالأصنام تشفع لنا وتخلصنا منه! فنزلت. والمعنى: أن الأمر الموعود به بمنزلة الآتي المتحقق من حيث أنه واجب الوقوع، فلا تستعجلوا وقوعه فإنه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم منه. ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا تُشْرِكُونَ﴾ تبرأ وجَلَّ عن أن يكون له شريك فيدفع ما أراد بهم. وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ والباقون بالياء على تلوين الخطاب، أو على أن الخطاب للمؤمنين أو لهم ولغيرهم، لما روي: أنه لما نزلت: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ فوثب النبي ﷺ ورفع الناس رؤوسهم، فنزلت ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾.

﴿٢﴾ ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ﴾ بالوحي أو القرآن، فإنه يحيي به القلوب الميتة بالجهل، أو يقوم في الدين مقام الروح في الجسد. وذكره عقيب ذلك إشارة إلى الطريق الذي به علم الرسول ﷺ ما تحقق موعدهم به ودنوه،

قوله: [فإنه يحيي به القلوب الميتة..] إلى آخره. في التعبير بالروح استعارة تحقيقية مصرحة شبه الوحي أو القرآن بالروح لأحد أمرين ذكرهما بقوله: «فإنه..» إلخ. ثم أقيم لفظ المشبه به مقام لفظ المشبه والقرينة الصارفة عن إرادة الحقيقة

۞ ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٤﴾.

وإزاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: (يُنْزِلُ) من: (أَنْزَل)، وعن يعقوب مثله، وعنه (تَنَزَّلُ) بمعنى: (تَتنزّل). وقرأ أبو بكر: (تُنَزَّلُ) على المضارع المبني للمفعول من: (التنزيل). ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ بأمره، أو من أجله. ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ أن يتخذه رسولاً. ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ﴾ بأن أنذروا؛ أي: أعلموا؛ من: (نذرت بكذا) إذا علمته. ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ أن الشأن ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾، أو خوفوا أهل الكفر والمعاصي بأنه ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ وقوله: ﴿فَٱتَّقُونِ﴾ رجوع إلى مخاطبتهم بما هو المقصود، و(أَنْ) مفسرة؛ لأن الروح بمعنى: الوحي الدال على القول، أو مصدرية في موضع الجر بدلاً من (الروح) أو النصب بنزع الخافض، أو مخففة من الثقيلة. والآية تدل على أن نزول الوحي بواسطة الملائكة، وأن حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية، والأمر بالتقوى الذي هو أقصى كمال القوة العملية. وأن النبوة عطائية. والآيات التي بعدها دليل على وحدانيته من حيث إنها تدل على أنه تعالى هو الموجد لأصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة، ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع.

﴿٣﴾ - ﴿٤﴾ ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أوجدهما على مقدار، وشكل، وأوضاع، وصفات مختلفة؛ قدرها وخصصها بحكمته. ﴿تَعَٰلَىٰ عَمَّا

إبدال «أن أنذروا» من «الروح» **[أي: أعلموا]** فسر الإنذار بالإعلام ليلائم إيقاعه على قوله: ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ لقوله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ **[أو خوفوا أهل الكفر]** عطف على «أعلموا»[1].

---

(١) انظر: التفسير الوجيز، الواحدي [٤/٢٩٣].

﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦﴾.

﴿يُشْرِكُونَ﴾ منهما، أو مما يفتقر في وجوده أو بقائه إليهما، ومما لا يقدر على خلقهما. وفيه دليل على أنه تعالى ليس من قبيل الأجرام. ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ جماد لا حس بها ولا حراك، سيالة لا تحفظ الوضع والشكل. ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ منطيق مجادل. ﴿مُّبِينٌ﴾ للحجة، أو خصيم مكافح لخالقه قائل: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]. روي: أن أُبَيَّ بن خلف أتى النبي ﷺ بعظم رميم وقال: يا محمد أترى الله يحيي هذا بعد ما قد رمَّ! فنزلت.

﴿٥﴾ - ﴿٦﴾ ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ﴾ الإبل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره. ﴿خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ أو بالعطف على الإنسان، و(خلقها لكم) بيان ما خلقت لأجله، وما بعده تفصيل له. ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾ ما يدفأ به فيقي البرد. ﴿وَمَنَٰفِعُ﴾ نسلها ودرُّها وظُهورها؛ وإنما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها. ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾؛ أي: تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم والألبان. وتقديم الظرف للمحافظة على رؤوس الآي، أو لأن الكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش، وأما الأكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوي أو التفكُّه. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ زينة. ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾ تردونها من مراعيها إلى مراحها بالعشي. ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ تخرجونها بالغداة إلى المراعي؛ فإن الأفنية تتزين بها في الوقتين، ويجل أهلها في أعين الناظرين إليها، وتقديم الإراحة؛ لأن الجمال فيها أظهر؛ فإنها تقبل ملأى البطون

[ليتناول غرضها]؛ أي: وهو النفع وفي نسخة: «عِوَضَها» بعين مهملة وواو؛ أي: أُجْرَتَها **[أو لأن الأكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش]**؛ أي: فَقُدِّمَ لأنه الأصل الذي يعتمد عليه في المعاش.

۞ ﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٧ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٨﴾.

حافلة الضروع، ثم تأوي إلى الحظائر حاضرة لأهلها. وقرئ: (حيناً) على أن ﴿تُرِيحُونَ﴾ و﴿تَسۡرَحُونَ﴾ وصفان له بمعنى: ﴿تُرِيحُونَ﴾ فيه و﴿تَسۡرَحُونَ﴾ فيه.

٧ ﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ﴾ أحمالكم. ﴿إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ﴾؛ أي: إن لم تكن الأنعام ولم تخلق؛ فضلاً أن تحملوها على ظهوركم إليه ﴿إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ﴾ إلا بكلفة ومشقة. وقرئ بالفتح وهو لغة فيه. وقيل: المفتوح مصدر: (شق الأمر عليه) وأصله: (الصدع)، والمكسور بمعنى: النصف، كأنه ذهب نصف قوته بالتعب. ﴿إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الأمر عليكم.

٨ ﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ﴾ عطف على (الْأَنْعَامَ). ﴿لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ﴾؛ أي: لتركبوها وتتزينوا بها زينة. وقيل: هي معطوفة على محل (لِتَرْكَبُوها) وتغيير النظم؛ ....

[حاضرة لأهلها]؛ أي: قريب منهم [إن لم يكن]؛ أي: توجد؛ أي: «الأنعام» والمراد الإبل [فضلاً أن يحملوها]؛ أي: الأثقال، ويوضح ذلك قول الزمخشري: فإن قلت: كيف طابق قوله: ﴿لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ﴾ قوله: ﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ﴾ وهلا قيل: لم تكونوا حامليها إليه؟ قلت: طباقه من حيث أن معناه: «وتحمل أثقالكم إلى بلد بعيد قد علمتم أنكم لا تبلغونه بأنفسكم إلا بجهد ومشقة فضلاً أن تحملوا على ظهوركم أثقالاً»[1] [أي: لتركبوها ولتتزينوا بها زينة] قرينة مصدر فعل معطوف على «لتركبوا» [وقيل: هي]؛ أي: «زينة» [معطوفة على محل ﴿لِتَرۡكَبُوهَا﴾]؛ لأنه محل نصب بأنه مفعول له.

[وتغيير النظم]؛ أي: بين المتعاطفين حيث عبر في الأول: باللام والفعل وفي

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/٥٥٦].

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩﴾.

لأن الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله، ولأن المقصود مِنْ خَلْقِهَا الركوب، وأما التزين بها فحاصل بالعرض. وقرئ بغير واو، وعلى هذا يحتمل أن يكون علة (لِتَرْكَبُوها) أو مصدراً في موضع الحال من أحد الضميرين؛ أي: متزينين أو متزيناً بها. واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه؛ إذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالباً أن لا يقصد منه غيره أصلاً. ويدل عليه أن الآية مكية، وعامة المفسرين والمحدثين على أن الحُمُرَ الأهلية حُرِّمَت عام خير. ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ لما فصل الحيوانات التي يحتاج إليها غالباً احتياجاً ضرورياً أو غير ضروري؛ أجمل غيرها، ويجوز أن يكون إخباراً بأن له من الخلائق ما لا علم لنا به، وأن يراد به ما خلق في الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر.

۝٩ ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ بيان مستقيم الطريق الموصل إلى الحق، أو إقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلاً، أو عليه قصد السبيل يصل إليه من يسلكه لا محالة. يقال: (سبيل قصد وقاصد)؛ أي: مستقيم، كأنه يقصد

الثاني: بدونهما لانتفاء شرط في الأول؛ وهو عدم اتحاد الفاعل فأتي فيه باللام دون الثاني، ولأن الركوب بفعل المخاطبين كسباً فأتي فيه بالفعل بخلاف الزينة فإنها محض فعل الله تعالى، ولما اقتصر المصنف كـ«الكشاف» على اختلاف التعبير في الفعل اقتصر على جوابه بقوله [**لأن الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله**] وعبارة «الكشاف»[١]: لأن الركوب بفعل المخاطبين، وأما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق، ثم أجاب بجواب زائد على «الكشاف». بقوله: [**ولأن المقصود..**] إلى آخره. [**من أحد الضميرين**]؛ أي: في «لتركبوها» [**حرمت عام خيبر**][٢]؛ أي: وذلك في المدينة [**كأنه**]؛ أي: سبيل

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٥٥٧].

(٢) صحيح البخاري [٣/ ١١٥٠/ برقم: ٢٩٨٦]، صحيح مسلم [٣/ ١٥٣٨/ برقم: ١٩٣٦].

۞ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾﴾.

الوجه الذي يقصده السالك لا يميل عنه. والمراد من (السَّبِيلِ): الجنس؛ ولذلك أضاف إليه الـ(قَصْدُ) وقال: ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ حائد عن القصد، أو عن الله. وتغيير الأسلوب لأنه ليس بحق على الله تعالى أن يبين طرق الضلالة، أو لأن المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل إلى القصد والجائر إنما جاء بالعرض. وقرئ: (ومنكم جائر)؛ أي: عن القصد. ﴿وَلَوْ شَآءَ﴾ الله ﴿لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾؛ أي: ولو شاء هدايتكم أجمعين لهداكم إلى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء.

﴿١٠﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من السحاب، أو من جانب السماء. ﴿مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾ ما تشربونه، و(لَكُمْ) صلة (أَنْزَلَ) أو خبر (شَرابٌ) و(مِنَ) تبعيضية متعلقة به، وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه، ولا بأس به لأن مياه العيون والآبار منه لقوله: ﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ﴾ [الزمر: ٢١]وقوله: ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المؤمنون: ١٨]. ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ ومنه يكون شجر؛ يعني: الشجر الذي ترعاه المواشي. وقيل: كل ما نبت على الأرض شجر قال الشاعر:

يَعْلِفُهَا اللَّحْمَ إِذَا عَزَّ الشَّجَر   الخَيْلُ فِي إِطْعَامِهَا اللَّحْم ضَرَر

القاصد [وتغيير الأسلوب]؛ أي: حيث قال في الأول: وعلى الله قصد السبيل، وفي الثاني: «ومنها جائر» دون وعليه جائرها [متعلقة به]؛ أي: بشراب.

[ومنه الشجر الذي ترعاه المواشي]؛ يعني: الكلأ [قال:

يَعْلِفُهَا اللحمَ إذا عَزَّ الشَّجَر   والخيل في إطعامها اللحمُ ضَجَر][(١)]

(١) تهذيب اللغة، الأزهري [٢/١٣٥].

﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١﴾.

﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ ترعون، من سامت الماشية وأسامها صاحبها، وأصله (السومة): وهي العلامة لأنها تؤثر بالرعي علامات.

(١١) ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ﴾ وقرأ أبو بكر بالنون على التفخيم. ﴿وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ﴾ وبعض كلها إذا لم ينبت في الأرض كل ما يمكن من الثمار، ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه؛ لأنه سيصير غذاء حيوانياً هو أشرف الأغذية. ومن هذا تقديم (الزرع) والتصريح بالأجناس الثلاثة وترتيبها. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ على وجود الصانع وحكمته؛ فإن من تأمل أن الحبة تقع في الأرض وتصل إليها نداوة تنفذ فيها،

أي: واللائق بها أن تسقى اللبن إذا أجدبت الأرض، وظاهر كلامه أن البيت شاهد على إطلاق الشجر على كل نبت تناولته المواشي أم لا، وبه صرح غيره، وقد يقال: ينبغي أنه إنما يكون شاهد للأول لأن المواشي إنما تتناول من النبات الكلأ خاصة. وفي نسخة: بدل «ضجر»: «ضرر»[(١)] **[على التفخيم]**[(٢)]؛ أي: على التعظيم **[إذ لم ينبت في الأرض كلما يمكن من الثمار]**؛ أي: منها ثمار الجنة بل هي أصلها وعبارة «الكشاف»؛ لأن كل الثمرات لا تكون إلا في الجنة[(٣)] وإنما أنبت في الأرض بعض من كلها للتذكرة؛ أي: ليتذكروا في الجنة ثمار الدنيا فيعرفون ما بينها وبين ثمار الجنة من التفاوت **[لأنه]**؛ أي: ما يسام فيه.

[سيصير غداً حيواتنا]؛ أي: بعد أن كان غذاء نباتيّاً **[هو]**؛ أي: الغذاء الحيواني؛ أي: وهو اللحم والدهن **[أشرف الأغذية]**؛ أي: من الزرع وما عطف عليه **[ومن هذا تقديم الزرع..]** إلى آخره؛ أي: في كون كل من المذكورات أشرف

---

(١) وبها؛ أي: بـ«ضرر» ورد مرتين في تهذيب اللغة، الأزهري [٢/ ١٣٥ و٢٢٠].

(٢) كما في نسخة [ز ـ ج ـ ب] وفي نسخة [الأصل]: (التعجم).

(٣) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٥٥٨].

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾.

فينشق أعلاها ويخرج منه ساق الشجرة، وينشق أسفلها فيخرج منه عروقها، ثم ينمو ويخرج منه الأوراق والأزهار والأكمام والثمار، ويشتمل كل منها على أجسام مختلفة الأشكال والطباع مع اتحاد المواد، ونسبة الطبائع السفلية، والتأثيرات الفلكية إلى الكل؛ علم أن ذلك ليس إلا بفعل فاعل مختار، مقدس عن منازعة الأضداد والأنداد. ولعل فصل الآية به لذلك.

﴿١٢﴾ - ﴿١٣﴾ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ﴾ بأن هيأها لمنافعكم. ﴿مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ حال من الجميع؛ أي: نفعكم بها حال كونها مسخرات لله تعالى خلقها ودبّرها كيف شاء، أو لما خلقن له بإيجاده وتقديره، أو لحكمة. وفيه إيذان بالجواب عما عسى أن يقال: إن المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب وأوضاعها؛ فإن ذلك إن سلم فلا ريب في أنها أيضاً ممكنة الذات والصفات، واقعة على بعض الوجوه المحتملة، فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعاً للدور والتسلسل. أو مصدر ميمي جمع لاختلاف الأنواع. وقرأ حفص: (والنجومُ مسخراتٌ) على الابتداء والخبر فيكون تعميماً للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر:

مما بعده(١) [ولعل فصل الآية]؛ أي: وهي آية ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ﴾ [به]؛ أي: بقوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١١] [لذلك]؛ أي: للعلم بما ذكره [أو لما خلقت له] عطف على لله [أو مصدر] عطف على الحال وجعل «مسخراً» مصدراً بتأويله بتسخير فيكون «مسخرات» مفعولاً مطلقاً [فيكون]؛ أي: ما رفعه حفص [تعميماً للحكم] في النجوم [بعد تخصيصه] بما قبلها، ويقاس به ما رفعه ابن

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [١٩/ ١٨٥].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾.

(الشمسُ والقمرُ) أيضاً. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ جمع الآية، وذكر العقل؛ لأنها تدل أنواعاً من الدلالة ظاهرة لذوي العقول السليمة غير محوجة إلى استيفاء فكر كأحوال النبات. ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ عطف على (اللَّيْلَ)؛ أي: وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات. ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ﴾ أصنافه فإنها تتخالف باللون غالباً. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ إن اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس إلا بصنع صانع حكيم.

﴿١٤﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ﴾ جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص. ﴿لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو السمك، ووصفه بالطراوة لأنه أرطب اللحوم يسرع إليه الفساد فيسارع إلى أكله، ولإظهار قدرته في خلقه عذباً طرياً في ماء زعاق. وتمسك به مالك والثوري:

عامر[1] فيكون تعميماً به للحكم في الشمس والقمر والنجوم بعد تخصيصه بما قبلها [﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾]؛ أي: فيما ذكر من التسخيرات.

[جمع الآية وذكر العقل لأنها]؛ أي: الآية **[تدل]**؛ أي: تفيد **[أنواعاً من الدلالة ظاهرة]** بالنصب حال من «أنواعاً» أو صفة لها **[لذوي العقول السليمة غير محوجة إلى استيفاء فكر كأحوال النبات]**؛ أي: فإنها محوجة إلى الفكر وحاصل المعنى في الآيتين: أنه لما ذكر الآثار السفلية أفرد آيتها وختمها بالتفكر ولما ذكر العُلْوية جمع آيتها وختمها بالعقل؛ لأن السفلية خفية تحتاج إلى إمعان نظر ودقة فكر، والعُلْوية ظاهرة بتكميل العقل وهي مع ذلك متشعبة، وفيها أنواع من الدلالات[2] **[في ماء زعاق]**؛ أي: مالح.

---

(١) انظر: إبراز المعاني، أبو شامة [٢/ ١٣٢].
(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [٢٠/ ٣].

۞ ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾.

على أن من حلف أن لا يأكل لحماً حنث بأكل السمك. وأجيب عنه: بأن مبنى الأيمان على العرف؛ وهو لا يفهم منه عند الإطلاق، ألا ترى أن الله تعالى سمى الكافر دابة، ولا يحنث الحالف على أن لا يركب دابة بركوبه. ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ كاللؤلؤ والمرجان؛ أي: تلبسها نساؤكم. فأسند إليهم؛ لأنهن من جملتهم، ولأنهن يتزين بها لأجلهم. ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ﴾ السفُن ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ جواري فيه تشُقُّه بحيزومها، من: (المخر) وهو: شق الماء. وقيل: صوت جري الفلك. ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ من سعة رزقه بركوبها للتجارة. ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾؛ أي: تعرفون نعم الله تعالى فتقومون بحقها، ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر؛ لأنه أقوى في باب الإنعام من حيث أنه جعل المهالك سبباً للانتفاع وتحصيل المعاش.

﴿١٥﴾ ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾ جبالاً رواسي ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ كراهة أن تميل بكم وتضطرب؛ وذلك لأن الأرض قبل أن تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع، وكان من حقها أن تتحرك بالاستدارة كالأفلاك، أو أن تتحرك بأدنى سبب للتحريك، فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها، وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالأوتاد التي تمنعها عن الحركة. وقيل: لما خلق الله الأرض جعلت تمور! فقالت الملائكة: ما هي بمقرٍّ أحد على ظهرها؛ فأصبحت وقد أرسيت بالجبال. ﴿وَأَنْهَٰرًا﴾ وجعل فيها أنهاراً لأن ألقى فيه معناه. ﴿وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ لمقاصدكم، أو إلى معرفة الله تعالى.

﴿١٦﴾ ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾ معالم يستدل بها السابلة من جبل وسهل وريح،

[بحيزومها]؛ أي: بوسط صدرها.

۞ ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧﴾.

ونحو ذلك. ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ بالليل في البراري والبحار، والمراد بـ(النجم) الجنس، ويدل عليه قراءة: (وَبِالنُّجُم) بضمتين، وضمة وسكون على الجمع. وقيل: الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي. ولعل الضمير لـ(قريش) لأنهم كانوا كثيري الأسفار للتجارة، مشهورين بالاهتداء في مسايرهم بالنجوم. وإخراج الكلام عن سنن الخطاب، وتقديم (النجم)، وإقحام الضمير للتخصيص كأنه قيل: وبالنجم خصوصاً هؤلاء خصوصاً يهتدون، فالاعتبار بذلك والشكر عليه ألزم لهم، وأوجب عليهم.

١٧ ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۚ﴾ إنكار بعد إقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته، والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته لأن يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شيء من ذلك؛ بل على إيجاد شيء ما، وكان حق الكلام: أفمن لا يخلق كمن يخلق، لكنه عكس تنبيهاً على أنهم بالإشراك بالله ﷻ جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيهاً بها. والمراد بـ(من لا يخلق) كل ما عبد من دون الله ﷻ مغلباً فيه أولو العلم منهم أو الأصنام. وأجروها مجرى أولي العلم لأنهم سموها آلهة ومن حق الإله أن يعلم، أو للمشاكلة بينه وبين من يخلق، أو للمبالغة وكأنه قيل: إن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولي العلم فكيف بما لا علم عنده ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتعرفوا فساد ذلك؛ فإنه لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحضر عنده بأدنى تذكّر والتفات.

[وقيل: **الثريا**] بمثلثة ستة أنجم منتظمة تشبه عنقود الكرم [**والفرقدان**] نجمان يتوقدان من بنات نعش [**والجدي**] نجم عند القطب.

[**وإخراج الكلام عن سنن الخطاب**]؛ أي: في الآيات السابقة إلى الغيبة في قوله: ﴿هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [**لأن تساوي**] متعلق بإنكار.

۞ ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿١٨﴾ - ﴿١٩﴾ ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ لا تضبطوا عددها، فضلاً أن تطيقوا القيام بشكرها. أتبع ذلك تعداد النعم، وإلزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة؛ تنبيهاً على أن وراء ما عَدَّدَ نعماً لا تنحصر، وأن حق عبادته تعالى غير مقدور. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ﴾ حيث يتجاوز عن التقصير في أداء شكرها. ﴿رَّحِيمٞ﴾ لا يقطعها لتفريطكم فيه، ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها. ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ﴾ من عقائدكم وأعمالكم. وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم بعد تزييفه باعتبار القدرة.

﴿٢٠﴾ - ﴿٢١﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: والآلهة الذين تعبدونهم من دونه. وقرأ أبو بكر: (يَدْعُونَ) بالياء. وقرأ حفصٌ ثلاثَتها بالياء. ﴿لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا﴾ لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق؛ بيَّنَ أنهم لا يخلقون شيئاً لينتج أنهم لا يشاركونه، ثم أكد ذلك بأن أثبت لهم صفات تنافي الألوهية فقال: ﴿وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾ لأنهم ذوات ممكنة مفتقرة الوجود إلى التخليق، والإله ينبغي أن يكون واجب الوجود. ﴿أَمۡوَٰتٌ﴾ هم أموات لا تعتريهم الحياة، أو أموات حالاً أو مآلاً. ﴿غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ﴾ بالذات

[وقرأ أبو بكر]؛ أي: شعبة [يدعون بالياء] ووافقه يعقوب [وحفص]؛ أي: وقرأ حفص(١) [ثلاثيها] هي «تسرون» و«تعلنون» و«يدعون» [بالياء] وهي قراءة صحيحة عنه في «تدعون» وأما في الآخرين فلا أعرفها ولعلها قراءة شاذة عنه [لا يعتريهم الحياة]؛ أي: أصلاً كالأصنام أو الحياة الأبدية كغيرها من معبوداتهم [أو أموات حالاً] كالذين يعبدون الآن عزيراً [أو مآلاً] كالذين يعبدون عيسى [غير أحياء بالذات..] إلى آخره.

---

(١) انظر: إبراز المعاني، أبو شامة [٢/ ٢٣٤].

﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

ليتناول كل معبود، والإلٰه ينبغي أن يكون حياً بالذات لا يعتريه الممات. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ ولا يعلمون وقت بعثهم، أو بعث عَبَدَتِهم؛ فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم، والإلٰه ينبغي أن يكون عالماً بالغيوب مقدراً للثواب والعقاب. وفيه تنبيه على أن البعث من توابع التكليف.

﴿٢٢﴾ - ﴿٢٣﴾ ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ تكرير للمدعى بعد إقامة الحجج. ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾. بيان لما اقتضى إصرارهم بعد وضوح الحق، وذلك عدم إيمانهم بالآخرة؛ فإن المؤمن بها يكون طالباً للدلائل، متأملاً فيما يسمع فينتفع به، والكافر بها يكون حاله بالعكس. وإنكار قلوبهم ما لا يعرف إلا بالبرهان اتباعاً للأسلاف وركوناً إلى المألوف؛ فإنه ينافي النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات إلى قوله. والأول هو العمدة في الباب، ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين. ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقاً. ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾

بيَّن «الكشاف» فائدة التقييد بغير أحياء حيث قال عقبه: يعني: أن من الأموات ما يعقب موته حياة كالنطف التي ينشؤها الله تعالى حيواناً وأجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها، وأما الحجارة فأموات لا يعقب موتها حياة وذلك أعرق في موتها[١] [تكرير للمدعي]؛ أي: في قوله: لا إلٰه إلا أنا [بعد إقامة الحجج] متعلق بتكرير [لما اقتضى إصرارهم]؛ أي: لما اقتضاه إصرارهم [والكافر بها]؛ أي: بالدلائل [وإنكار قلوبهم] هو وما بعده عطف على إصرارهم [والأول]؛ أي: وهو إصرارهم على الكفر [ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين]؛ أي: وهما الإنكار والاستكبار حيث

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٥٦١].

۞ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

فيجازيهم، وهو في موضع الرفع بـ(جَرَمَ) لأنه مصدر أو فعل. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ فضلاً عن الذين استكبروا عن توحيده أو اتّباع الرسول.

﴿٢٤﴾ - ﴿٢٥﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۙ﴾ القائل بعضهم على التهكم، أو الوافدون عليهم، أو المسلمون. ﴿قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: ما تدّعون نزوله، أو المنزل أساطير الأولين. وإنما سموه مُنَزّلاً على التهكم، أو على الفرض؛ أي: على تقدير أنه منزل فهو أساطير الأولين لا تحقيق فيه، والقائلون قيل: هم المقتسمون. ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۙ﴾؛ أي: قالوا ذلك إضلالاً للناس فحملوا أوزار ضلالهم كاملة؛ فإن إضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال. ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم﴾ وبعض أوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب. ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍۗ﴾ حال من المفعول؛ أي: يضلون من لا يعلم أنهم ضلال. وفائدتها الدلالة على أن جهلهم لا يعذرهم، إذ كان عليهم أن يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل. ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ بئس شيئاً يزرونه فعلهم.

ذكر الثلاثة مرتبة بقوله: ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٢٢] **[قيل: هم المقتسمون]** الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم لينفروا الناس عن الإيمان بالرسول[(١)].

[فحملوا اوزار ضلالهم]؛ أي: ضلال أنفسهم **[وبعض أوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب]** يوضحه قول «الكشاف»: وهو وزر الإضلال؛ لأن المضل والضال شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه على إضلاله فيتحاملان الوزر[(٢)] **[حال من المفعول]**؛ أي: أو من الفاعل ورجح بأنه المحدث عنه

---

(١) انظر: اللباب، ابن عادل [١١/٤٩٨].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٢/٥٦٢].

۞ ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿٢٦﴾ ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله عليهم الصلاة والسلام. ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ فأتاها أمره من جهة العمد التي بنوا عليها بأن ضعضعت. ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ وصار سبب هلاكهم. ﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ لا يحتسبون ولا يتوقعون؛ وهو على سبيل التمثيل. وقيل: المراد به: نمروذ بن كنعان؛ بنى الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد أمر السماء، فَأَهَبَّ اللهُ الرِّيحَ فَخَرَّ عليه وعلى قومه فهلكوا.

﴿٢٧﴾ ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ يذلهم، أو يعذبهم بالنار كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢]. ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ أضاف إلى نفسه استهزاء، أو حكاية لإضافتهم زيادة في توبيخهم. ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ﴾ تعادون المؤمنين في شأنهم. وقرأ نافع بكسر النون بمعنى: (تشاقونني) فإن مشاقة المؤمنين كمشاقة الله ﷻ. ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾؛ أي: الأنبياء والعلماء الذين كانوا يدعونهم إلى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم، أو الملائكة: ﴿إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ﴾ الذلة والعذاب ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وفائدة قولهم: إظهار الشماتة بهم وزيادة

[من جهة العمد] أشار به إلى أن «من» ابتدائية **[ضعضعت]**؛ أي: هدمت قال الجوهري: ضعضعه؛ أي: هدمه حتى الأرض[١] **[وهو]**؛ أي: ما ذكر من البنيان وَخُرُور السقف **[على سبيل التمثيل]**؛ أي: التشبيه والتخييل **[وفائدة قولهم]**؛ أي:

---

(١) الصحاح، الجوهري [١/ ٤١٠].

۞ ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

الإهانة. وحكايته؛ لأن يكون لطفاً ووعظاً لمن سمعه.

﴿٢٨﴾ - ﴿٢٩﴾ ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ وقرأ حمزة بالياء. وقرئ بإدغام التاء في التاء، وموضع الموصول يحتمل الأوجه الثلاثة ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بأن عرّضوها للعذاب المخلد. ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾ فسالموا، وأخبتوا حين عاينوا الموت ﴿مَا كُنَّا﴾ قائلين: ما كنا ﴿نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ﴾ كفر وعدوان، ويجوز أن يكون تفسيراً لـ(السَّلَمَ) على أن المراد به القول الدال على الاستسلام. ﴿بَلَىٰٓ﴾؛ أي: فتجيبهم الملائكة: بلى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فهو يجازيكم عليه، وقيل: قوله: ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾ إلى آخر الآية استئناف ورجوع إلى شرح حالهم يوم القيامة، وعلى هذا أول من لم يجوز الكذب يومئذ: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ﴾ بأنا لم نكن في زعمنا واعتقادنا عاملين سوءاً. واحتمل أن يكون الرادّ عليهم هو الله تعالى، أو أولوا العلم. ﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ كل صنف بابها المعدّ له. وقيل: أبواب جهنم أصناف عذابها. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ جهنم.

﴿٣٠﴾ ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾؛ يعني: المؤمنين: ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ﴾؛ أي: أنزل خيراً. وفي نصبه دليل على أنهم لم يتلعثموا في

قولهم ذلك [وحكايته] عطف على قولهم؛ أي: وفائدة حكاية ذلك عنهم.

[لأن يكون لطفاً لمن سمعه] حيث نجاه الله تعالى من ذلك [وقرأ حمزة بالياء]؛ أي: التحتية بدل الفوقية [وموضع الموصول يحتمل الأوجه الثلاثة]؛ أي: النصب على الذم والرفع على الابتداء بجعل الخبر ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾ والجر نفياً لما قبله

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣١﴾.

الجواب، وأطبقوه على السؤال معترفين بالإنزال على خلاف الكفرة. روي: أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي ﷺ، فإذا جاء الوافد من المقتسمين قالوا له ما قالوا! وإذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك. ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ﴾ مكافأة في الدنيا. ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ﴾؛ أي: ولثوابهم في الآخرة خير منها، وهو عدة للذين اتقوا على قولهم. ويجوز أن يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلاً وتفسيراً لـ(خَيْراً) على أنه منتصب بـ(قالُوا). ﴿وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ دار الآخرة؛ فحذفت لتقدم ذكرها.

(٣١) وقوله: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ خبر مبتدأ محذوف، ويجوز أن يكون المخصوص بالمدح. ﴿يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ﴾ من أنواع المشتهيات، وفي تقديم الظرف تنبيه على أن الإنسان لا يجد جميع ما يريده إلا في الجنة. ﴿كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الأول.

أو بدلاً منه أو بياناً له **[قالوا له: ما قالوا]**؛ أي: للوافد والذي قالوه له: إن لم تلحق محمداً كان خيراً لك! فتقول: أنا شر وافد إن رجعت إلى قومي دون أن استطلع أمر محمد وأراه[١].

[وإذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك]؛ أي: أنزل الله خيراً **[وهو]**؛ أي: للذين أحسنوا بما بعده **[عدة]**؛ أي: منه تعالى **[ويجوز أن يكون]**؛ أي: للذين أحسنوا **[بما بعده حكاية]**؛ أي: لا عدة **[على أنه]**؛ أي: خيراً **[منتصب بـ«قالوا»]** قلت: بل أو بـ«أنزل» أيضاً، كما يدل له كلام «الكشاف»[٢] **[فحذفت]**؛ أي: الدار الآخرة **[وهو يؤيد الوجه الأول]**؛ أي: وهو جعل «للذين أحسنوا» بما بعده عدة لا حكاية.

---

(١) معالم التنزيل، البغوي [٥/ ١٧].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٥٦٣].

۞ ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿٣٢﴾ ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي؛ لأنه في مقابلة (ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ). وقيل: فرحين ببشارة الملائكة إياهم بالجنة، أو طيبين بقبض أرواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية إلى حضرة القدس. ﴿يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾ لا يحيقكم بعد مكروه. ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ حين تبعثون؛ فإنها معدة لكم على أعمالكم. وقيل: هذا التوفي وفاة الحشر؛ لأن الأمر بالدخول حينئذ.

﴿٣٣﴾ - ﴿٣٤﴾ ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ ما ينتظر الكفار المارّ ذكرهم. ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم. وقرأ حمزة والكسائي بالياء. ﴿أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ القيامة، أو العذاب المستأصل. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب. ﴿فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ فأصابهم ما أصابوا. ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بتدميرهم. ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بكفرهم ومعاصيهم المؤدية إليه. ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟﴾؛ أي: جزاء سيئات أعمالهم على حذف المضاف، أو تسمية الجزاء باسمها. ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وأحاط بهم جزاؤه. و(الحيق) لا يستعمل إلا في الشرّ.

﴿٣٥﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ إنما قالوا ذلك استهزاء، أو منعاً

[باسمها]؛ أي: باسم «السيئات».

۞ ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

للبعثة والتكليف؛ متمسكين بأن ما شاء الله يجب، وما لم يشأ يمتنع؛ فما الفائدة فيها. أو إنكاراً لقبح ما أنكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر ونحوها، محتجين بأنها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم، ولشاء خلافه ملجئاً إليه؛ لا اعتذاراً إذ لم يعتقدوا قبح أعمالهم. وفيما بعده تنبيه على الجواب عن الشبهتين. ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ فأشركوا بالله، وحَرَّموا حِلَّه، وردُّوا رُسُلَه. ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ إلا الإبلاغ الموضح للحق؛ وهو لا يؤثر في هدى من شاء الله هداه لكنه يؤدي إليه على سبيل التوسط. وما شاء الله وقوعه إنما يجب وقوعه لا مطلقاً بل بأسباب قدرها له، ثم بيَّن أن البعثة أمرٌ جرت به السُّنَّة الإلٰهية في الأمم كلها سبباً لهدى من أراد اهتداءه، وزيادة لضلال من أراد ضلاله كالغذاء الصالح؛ فإنه ينفع المزاج السوي ويقويه، ويضر المنحرف ويفنيه بقوله تعالى:

﴿٣٦﴾ ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ يأمر بعبادة الله تعالى واجتناب الطاغوت. ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ﴾

[**فما الفائدة فيهما**]؛ أي: في البعثة والتكلف [**لا اعتذاراً**] عطف على «استهزاء»؛ أي: قالوا ذلك استهزاء أو عناداً او إنكاراً لا اعتذاراً [**وفيما بعد تنبيه على الجواب من الشبهتين**]؛ أي: عنهما وهما إن ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع، وأن الأمور الصادرة منهم لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها ولشاء خلافه[1].

[**بقوله: ولقد بعثنا**] متعلق ببين.

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [٢٠/ ٢٣].

۞ ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٧ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٨﴾.

وفقهم للإيمان بإرشادهم. ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾ إذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم. وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على أن تحقق الضلال وثباته بفعل الله تعالى وإرادته من حيث أنه قسم من هدى الله. وقد صرح به في الآية الأُخرَى. ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يا معشر قريش. ﴿فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون.

٣٧ - ٣٨ ﴿إِن تَحۡرِصۡ﴾ يا محمد ﴿عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ﴾ من يريد ضلاله؛ وهو المعني بمن حقت عليه الضلالة. وقرأ غير الكوفيين: (لا يُهْدَى) على البناء للمفعول وهو أبلغ. ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ من ينصرهم بدفع العذاب عنهم. ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ﴾ عطف على: (وَقالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا) إيذاناً بأنهم كما أنكروا التوحيد أنكروا البعث؛ مقسمين عليه زيادة في البت على فساده، ولقد رد الله عليهم أبلغ رد فقال: ﴿بَلَىٰ﴾ يبعثهم. ﴿وَعۡدًا﴾ مصدر مؤكد لنفسه، وهو ما دل عليه (بَلى) فإن يبعث موعد من الله. ﴿عَلَيۡهِ﴾ إنجازه لامتناع الخلف في وعده، أو لأن البعث مقتضى حكمته. ﴿حَقّٗا﴾ صفة أُخرى لـ(الوعد). ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أنهم يبعثون إما لعدم علمهم بأنه من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها، وإما لقصور

[وقد صرح به في الآية الأُخرَى]؛ أي: وهي آية ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ﴾ [مؤكد لنفسه] عبارة «الكشاف»[1] مؤكدا لما دل عليه «بلى» [صفة أُخرَى للوعد]؛

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/٥٦٩].

۞ ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰذِبِينَ
﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ
مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾
ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

نظرهم بالمألوف فيتوهمون امتناعه، ثم إنه تعالى بيَّن الأمرين فقال:

﴿٣٩﴾ ـ ﴿٤٠﴾ ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾؛ أي: يبعثهم. ﴿ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ وهو الحق. ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰذِبِينَ﴾ فيما يزعمون، وهو إشارة إلى السبب الداعي إلى البعث المقتضي له من حيث الحكمة، وهو المميز بين الحق والباطل، والمحق والمبطل؛ بالثواب والعقاب ثم قال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ وهو بيان إمكانه وتقريره أن تكوين الله بمحض قدرته ومشيئته لا توقف له على سبق المواد والمدد، وإلَّا لزم التسلسل فكما أمكن له تكوين الأشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال؛ أمكن له تكوينها إعادة بعده. ونصب ابن عامر والكسائي ها هنا وفي (يس) فيكون عطفاً على (نقول) أو جواباً لـ(الأمر).

﴿٤١﴾ ـ ﴿٤٢﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ هم رسول الله ﷺ وأصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وبعضهم إلى المدينة. أو المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله ﷺ وهم: بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وأبو جندل وسهيل رضي الله تعالى عنهم، وقوله: ﴿فِى ٱللَّهِ﴾؛ أي: في حقه ولوجهه. ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ مباءة حسنة؛ وهي المدينة، أو تبوئة حسنة.

أي: والصفة الأولى عليه [ثم إنه تعالى بيّن الأمرين] هما إنكارهم التوحيد وإنكارهم البعثة [وهو إشارة]؛ أي: قوله: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ إلى آخره. [المقتضي له]؛ أي: للبعث [بيان إمكانه]؛ أي: الشيء [وتقريره] بالرفع مبتدأ خبره ما بعده

۞ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ مما يعجل لهم في الدنيا. وعن عمر رضي الله تعالى عنه: أنه كان إذا أعطى رجلاً من المهاجرين عطاء قال له: خذ بارك الله لك فيه؛ هذا ما وعدك الله في الدنيا! وما ادخر لك في الآخرة أفضل. ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ الضمير للكفار؛ أي: لو علموا أن الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم، أو للمهاجرين؛ أي: لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم. ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ على الشدائد كأذى الكفار ومفارقة الوطن، ومحله النصب أو الرفع على المدح. ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ منقطعين إلى الله مفوضين إليه الأمر كلّه.

﴿٤٣﴾ - ﴿٤٤﴾ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ رد لقول قريش: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً؛ أي: جرت السُّنَّة الإلٰهية بأن لا يبعث للدعوة العامة إلا بشراً يوحي إليه على ألسنة الملائكة، والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة (الأنعام) فإن شككتم فيه. ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ أهل الكتاب أو علماء الأخبار ليعلموكم. ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وفي الآية دليل على أنه تعالى لم يرسل امرأة ولا ملكاً للدعوة العامة وقوله: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر: ١] معناه: رسلاً إلى الملائكة أو إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وقيل: لم يبعثوا إلى الأنبياء إلا متمثلين بصورة الرجال. ورد بما روي: «أنه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل صلوات الله عليه على صورته التي هو عليها

[**ورد بما روي أنه** عليه السلام..] إلى آخره[1]. ردَّ بأن رؤيته ﷺ لجبريل على صورته في هاتين الحالتين لا تنافي ذلك القول إذ رؤيته في تلك النزلتين لم تكن في حالة البعثة

(١) صحيح مسلم [١/١٥٩/برقم: ١٧٧].

۞ ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

مرتين». وعلى وجوب المراجعة إلى العلماء فيما لا يعلم. ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾؛ أي: أرسلناهم بالبينات والزبر؛ أي: المعجزات والكتب، كأنه جواب: قائل قال: بم أرسلوا؟ ويجوز أن يتعلق بما أرسلنا داخلاً في الاستثناء مع رجالاً؛ أي: وما أرسلنا إلا رجالاً بالبينات كقولك: ما ضربت إلا زيداً بالسوط، أو صفة لهم؛ أي: رجالاً ملتبسين بالبينات، أو بـ(يوحي) على المفعولية أو الحال من القائم مقام فاعله؛ على أن قوله: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ﴾ اعتراض، أو بـ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ على أن الشرط للتبكيت والإلزام. ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾؛ أي: القرآن وإنما سمي (ذِكْراً) لأنه موعظة وتنبيه. ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ في الذكر بتوسط إنزاله إليك مما أمروا به ونهوا عنه، أو مما تشابه عليهم، والتبيين أعم من أن ينص بالمقصود، أو يرشد إلى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل. ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وإرادة أن يتأملوا فيه فيتنبهوا للحقائق.

﴿٤٥﴾ ـ ﴿٤٦﴾ ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾؛ أي: المكرات السيئات؛ وهم الذين احتالوا لهلاك الأنبياء، أو الذين مكروا برسول الله ﷺ وراموا صدَّ أصحابه عن الإيمان. ﴿أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ كما خسف بقارون ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط. ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾؛ أي: متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم. ﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾.

والرسالة إليه بل رآه على صورته الحقيقية كما رأى سائر الملائكة وغيرها من عجائب الملكوت.

[وعلى وجوب] عطف على قوله: «على أنه تعالى» بإعادة العامل **[أو صفة لَهُمْ]** بالجر عطف على «ما أرسلنا»؛ أي: أو يتعلق بـ«صفة لهم» كما أوضحه بقوله **[أي: رجالاً..]** إلى آخره.

۞ ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿٤٧﴾ ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ على مخافة بأن يهلك قوماً قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون، أو على أن ينقصهم شيئاً بعد شيء في أنفسهم وأحوالهم حتى يهلكوا؛ من: (تخوفته) إذا تنقصته. روي أن عمر رضي الله تعالى عنه قال على المنبر: (ما تقولون فيها؟ فسكتوا! فقام شيخ من هذيل فقال: هذه لغتنا؛ (التخوف): التنقص، فقال: هل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ قال: نعم، قال شاعرنا أبو كبير يصف ناقته:

تَخَوَّفَ الرَحْلُ مِنْهَا تامكا قَرِداً كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النُّبْعَةِ السَّفَنُ

فقال عمر: عليكم بديوانكم لا تضلوا! قالوا: وما ديواننا؟! قال: شعر الجاهلية؛ فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم! ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث لا يعاجلكم بالعقوبة.

﴿٤٨﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ استفهام إنكار أي: قد رأوا أمثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره

[أو يتوجه] عطف على «بما أرسلنا» بإعادة العامل [ما تقولون فيها]؛ أي: في كلمة «تَخوُّف» [قال شاعرنا أبو كثير] قال في «الصحاح»: قال ذو الرمة(١):

[تَخوَّفَ.................................. ....]

أي: ينقص [الرَّحلُ]؛ أي: رحل ناقته [عنها تامِكَا]؛ أي: سناما [قَرِدا] بسكون الراء؛ أي: متراكماً أو مرتفعاً [كما تَخوَّفَ عُوْدَ النُّبْعَةِ السَّفَنُ] «النُبعة»: بالضم واحدة النبع وهو شجر يتخذ منه القسي، والسَّفن بفتح السين والفاء ما ينحت

---

(١) البيت:
«تَخَوَّفَ الرَّحلُ منها تامكا قَرِداً كما تخوَّف عودَ النُّبْعَةِ السَّفَنُ»
الصحاح، الجوهري [٦/ ٤٩].

فيخافوا منه؟! و(ما) موصولة مبهمة بيانها. ﴿يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَـٰلُهُۥ﴾؛ أي: أو لم ينظروا إلى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة. وقرأ حمزة والكسائي: (تَروْا) بالتاء وأبو عمرو: (تتفيؤ) بالتاء. ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ عن أيمانها وعن شمائلها أي: عن جانبي كل واحد منها؛ استعارة من يمين الإنسان وشماله. ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل باعتبار اللفظ والمعنى؛ كتوحيد الضمير في (ظلاله) وجمعه في قوله: ﴿سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾ وهما حالان من الضمير في (ظلاله)، والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع أو الاختيار، يقال: سجدت النخلة إذا مالت لكثرة الحمل، وسجد البعير إذا طأطأ رأسه ليركب، أو (سجداً) حال من (الظلال)، (وَهُمْ داخِرُونَ) حال من الضمير. والمعنى: يرجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها، أو باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب إلى جانب، منقادة لما قدر لها من التفيؤ، أو واقعة على الأرض ملتصقة بها على هيئة الساجد، والأجرام في أنفسها أيضاً داخرة أي: صاغرة منقادة لأفعال الله تعالى فيها. وجمع (داخِرُونَ) بالواو لأن من جملتها من يعقل، أو لأن الدخور من أوصاف العقلاء. وقيل: المراد بـ(الْيَمِينِ وَالشَّمائِلِ) يمين

به الشيء، وهو فاعل تخوف ومفعوله عود، ومعنى البيت: أَنَّ رحلَ ناقتِهِ ينقضُ سنامَها المتراكم أو المرتفع كما ينقض السفَن عودَ النبعة [بيانه تتفيؤ ظلاله] فيه نقض وعبارة «الكشاف»[١]: بيانه هو شيء تتفيؤ ظلاله [أو بيان لما في الأرض] عطف على «بيان لهما» وعليه قال: [والملائكة تكرير..] إلخ وفيه نقص عما في «الكشاف» إذ حاصله: أنه إذا جعل «من دابة» بياناً لما «في الأرض» وحده فقد يراد بما في السماوات «الروح» وقد يراد به «الملائكة» وكرر ذكرهم؛ لأنهم أطوع الخلق وأعبدهم وقد يراد به «ملائكة السماوات» وبالمليكة «ملائكة الأرض»[٢]. [لاعتبار اللفظ والمعنى]؛ أي: لفظ ما ومعناها.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٥٦٩].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٥٦٩].

۞ ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٥٠﴾.

الفلك، وهو جانبه الشرقي لأن الكواكب تظهر منه آخذة في الارتفاع والسطوع، وشماله هو الجانب الغربي المقابل له من الأرض، فإن الظلال في أول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربي من الأرض، وعند الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الأرض.

۝٤٩ ـ ۝٥٠ ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: ينقاد انقياداً يعم الانقياد لإرادته، وتأثيره طبعاً والانقياد لتكليفه وأمره طوعاً ليصح إسناده إلى عامة أهل السمٰوات والأرض وقوله: ﴿مِن دَآبَّةٖ﴾ بيان لهما؛ لأن الدبيب هو الحركة الجسمانية سواء كانت في أرض أو سماء. ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ عطف على المبين به عطف جبريل على الملائكة للتعظيم، أو عطف المجردات على الجسمانيات، وبه احتج من قال: إن الملائكة أرواح مجردة، أو بيان لما في الأرض والملائكة تكرير لما في السموات وتعيين له إجلالاً وتعظيماً، أو المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم. و(ما) لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان أولى من إطلاق (من) تغليباً للعقلاء. ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عَنْ عِبَادَتِهِ. ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ يخافونه أن يرسل عذاباً من فوقهم، أو يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]. والجملة حال من الضمير في (لَا يَسْتَكْبِرُونَ)، أو بيان له، وتقرير لأن من خاف الله تعالى لم يستكبر عن عبادته. ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ من الطاعة والتدبير، وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء.

[وهما]؛ أي: ﴿سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾ **[تغليباً للعقلاء]** تعليل لصحة إطلاق؛ «من» هنا على القبيلين **[حال من الضمير]**؛ أي: حالاً لازمة؛ لأنهم لا يستكبرون

۞ ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿٥١﴾ - ﴿٥٢﴾ ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ ذكر العدد مع أن المعدود يدل عليه دلالة على أن مساق النهي إليه، أو إيماءِ بأن الإثنينية تنافي الألوهية كما ذكر الواحد في قوله: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ للدلالة على أن المقصود إثبات الوحدانية دون الإلٰهية، أو للتنبيه على أن الوحدة من لوازم الإلٰهية. ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ نقل من الغيبة إلى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحاً بالمقصود فكأنه قال: فأنا ذلك الإلٰه الواحد فإياي فارهبون لا غير. ﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ خَلْقاً ومُلْكاً ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ﴾؛ أي: الطاعة ﴿وَاصِبًاۚ﴾ لازماً لما تقرر من أنه الإلٰه وحده والحقيق بأن يرهب منه. وقيل: واصِباً من: (الوصب)؛ أي: وله الدين ذا كلفة. وقيل: الدين

مطلقاً [**ذكر العدد مع أن المعدود يدل عليه دلالة على أن مساق النهي إليه**] إيضاحه قول «الكشاف»: «فإن قلت: إنما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا: عندي رجال ثلاثة وأفراس أربعة؛ لأن المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص فأما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة إلى أن يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله تعالى: «إلهين اثنين»؟ قلت: الاسم الحامل لمعنى الإفراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فإذا أريدت[1] الدلالة على أن المعنى به منهما والذي يساق إليه الحديث هو العدد شُفع بما يؤكده فدل به على القصد إليه والعناية به ألا ترى أنك لو قلت: إنما هو إلٰه ولم يؤكده بواحد لم يحسن وخيل أنك تثبت الإلٰهية لا الوحدانية»[2].

[**أو وله الدين ذا كلفة**]؛ أي: تعب ومشقة قال الزمخشري: ولهذا سمي تكليفاً

---

(١) كما في نسخة [ز - ج - ب] وفي نسخة [الأصل]: (ارتدت).
(٢) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٥٧٠].

۞ ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

الجزاء؛ أي: وله الجزاء دائماً لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر. ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال تعالى:

﴿٥٣﴾ - ﴿٥٥﴾ ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾؛ أي: وأي شيء اتصل بكم من نعمة فهو من الله، وَ(ما) شرطية أو موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الإخبار دون الحصول، فإن استقرار النعمة بهم يكون سبباً للإخبار بأنها من الله لا لحصولها منه. ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ فما تتضرعون إلا إليه، و(الجؤار): رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة. ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم﴾ وهم كفاركم. ﴿بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ بعبادة غيره، هذا إذا كان الخطاب عاماً، فإن كان خاصاً بالمشركين كان من للبيان كأنه قال: إذا فريق وهم أنتم. ويجوز أن تكون (مِنْ) للتبعيض على أن يعتبر بعضهم كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [لقمان: ٣٢]. ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ من نعمة الكشف عنهم كأنهم قصدوا بشركهم كفران النعمة، أو إنكار كونها من الله تعالى. ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ أمر تهديد. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أغلظ وعيده، وقرئ: (فيُمَتَّعُوا) مبنياً للمفعول عطفاً على (لِيَكْفُرُوا)، وعلى هذا جاز أن تكون (اللام) لام الأمر الوارد للتهديد و(الفاء) للجواب.

[باعتبار الأخبار] المتضمنة له الجملة الشرطية [دون الحصول] المختص بالجملة الخبرية وقد بيّن الفرق بينهما بقوله: [فإن استقرار النعمة بهم..] إلى آخره. [هذا]؛ أي: تفسير الفريق بالكفار [إذا كان الخطاب عامّاً]؛ أي: في قوله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] [ويجوز أن يكون «من» للتبعيض]؛ أي: على القول بأن

۞ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿٥٦﴾ - ﴿٥٧﴾ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: لآلهتهم التي لا علم لها لأنها جماد فيكون الضمير لـ(ما)، أو التي لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات: مثل أنها تنفعهم، وتشفع لهم؛ على أن العائد إلى ما محذوف، أو لجهلهم؛ على أن (ما) مصدرية، والمجعول له محذوف للعلم به. ﴿نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ من الزروع والأنعام. ﴿تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ من أنها آلهة حقيقة بالتقرب إليها وهو وعيد لهم عليه. ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ﴾ كانت خزاعة وكنانة يقولون: الملائكة بنات الله! ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيه له من قولهم، أو تعجب منه. ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾؛ يعني: البنين، ويجوز في (ما يشتهون) الرفع بالابتداء والنصب بالعطف على البنات على أن الجعل بمعنى الاختيار، وهو وإن أفضى إلى أن يكون ضمير الفاعل والمفعول لشيء واحد لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف.

﴿٥٨﴾ - ﴿٥٩﴾ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ﴾ أخبر بولادتها ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ﴾

الخطاب خاص بالمشركين[(١)] **[أو لجهلهم]** عطف على «لآلهتم» **[والمجهول محذوف]** تقديره «بما ينفعهم» **[وهو]**؛ أي: النصب على الوجه المذكور **[وإن أفضى[(٢)] إلى أن يكون ضمير الفاعل]**؛ أي: في «تجعلون» **[والمفعول]**؛ أي: في «لهم» **[لشيء واحد]**؛ أي: وهم الكفرة **[لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف]**؛ أي: لكونه تابعاً فيغتفر فيه ما لا يغتفر في المتبوع كما في قولهم: «ربَّ شاة وسخلتها».

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١١/ ٢٩٥].

(٢) في نسخة [ب]: (أقصي).

۞ ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾.

صار أو دام النهار كلُّه. ﴿مُسْوَدًّا﴾ من الكآبة والحياء من الناس. واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير. ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مملوء غيظاً من المرأة. ﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ﴾ يستخفى منهم. ﴿مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ من سوء المبشر به عرفاً. ﴿أَيُمْسِكُهُ﴾ محدثاً نفسه متفكراً في أن يتركه. ﴿عَلَىٰ هُونٍ﴾ ذل ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾؛ أي: يخفيه فيه ويئده، وتذكير الضمير للفظ (مَا) وقرئ بالتأنيث فيهما. ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم.

﴿٦٠﴾ ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ﴾ صفة السوء، وهي الحاجة إلى الولد المنادية بالموت واستبقاء الذكور استظهاراً بهم وكراهة الإناث ووأدهن خشية الإملاق. ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ وهو الوجوب الذاتي، والغنى المطلق، والجود الفائق، والنزاهة عن صفات المخلوقين. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ المنفرد بكمال القدرة والحكمة.

﴿٦١﴾ ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم﴾ بكفرهم ومعاصيهم. ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ على الأرض، وإنما أضمرها من غير ذكر للدلالة الناس والدابة عليها. ﴿مِن

[والتشوير]؛ أي: التخجيل يقال: شورت الرجل فتشور؛ أي: أخجلته فخجل قال الجوهري(١): [وَيَئِدُه]؛ أي: يدفنه حيّاً [وتذكير الضمير]؛ أي: في به ويمسكه ويدسه [وقرئ بالتأنيث فيهما]؛ أي: في الأخيرين لا في الأول [واستيفاء الذكور] عطف على «الحاجة» وعلَّلَهُ بقوله: [استظهاراً بهم] ونظير ذلك يأتي في قوله: [كراهة الإناث..] إلى آخره.

---

(١) الصحاح، الجوهري [٣/ ٢٤٧].

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

دَآبَّةٍ﴾ قَطّ بشؤم ظلمهم. وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: كاد الجعل يهلك في حجره بذنب ابن آدم، أو من دابة ظالمة. وقيل: لو أهلك الآباء بكفرهم لم يكن الأبناء. ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ سماه لأعمارهم أو لعذابهم كي يتوالدوا. ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ بل هلكوا أو عذبوا حينئذ لا محالة، ولا يلزم من عموم الناس، وإضافة (الظلم) إليهم أن يكونوا كلهم ظالمين حتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لجواز أن يضاف إليهم ما شاع فيهم وصدر عن أكثرهم.

﴿٦٢﴾ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾؛ أي: ما يكرهونه لأنفسهم من البنات والشركاء في الرياسة، والاستخفاف بالرسل وأراذل الأموال. ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ مع ذلك وهو ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ أي: عند الله كقوله: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠] وقرئ: (الكُذُب) جمع كذوب صفة لـ(الألسنة). ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ رد لكلامهم وإثبات لضده. ﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ مقدّمون إلى النار، من: (أفرطته في طلب الماء) إذا قدّمته. وقرأ نافع بكسر الراء على أنه من: (الإفراط في المعاصي). وقرئ بالتشديد مفتوحاً من: (فَرَّطته في طلب الماء) ومكسوراً من: (التفريط في الطاعات).

[كاد الجُعَل] هو بضم الجيم وفتح العين دويبة قاله الجوهري(١). [والشركاء في الرياسة]؛ أي: ومن يشاركهم فيها [والاستخفاف بالرسل] عبارة «الكشاف»(٢) برسلهم؛ أي: برسل المشركين الذين كانوا يرسلونهم [وأراذل الأموال]؛ أي: أخسها وقد جعلوا ما يكرهونه من ذلك لله تعالى.

---

(١) الصحاح، الجوهري [٣/ ٣٣٠].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٥٧٣].

۞ ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

﴿٦٣﴾ ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ فأصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين. ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾؛ أي: في الدنيا، وعبر بـ(اليوم) عن زمانها، أو فهو وليهم حين كان يزين لهم، أو يوم القيامة على أنه حكاية حال ماضية أو آتية. ويجوز أن يكون الضمير لقريش؛ أي: زين الشيطان للكفرة المتقدمين أعمالهم، وهو ولي هؤلاء اليوم يغريهم ويغويهم؛ وإن يقدر مضاف؛ أي: فهو ولي أمثالهم، و(الولي): القرين أو الناصر؛ فيكون نفياً للناصر لهم على أبلغ الوجوه. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في القيامة.

﴿٦٤﴾ ـ ﴿٦٥﴾ ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ للناس. ﴿ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ من التوحيد والقدر وأحوال المعاد وأحكام الأفعال. ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ معطوفان على محل لـ(تبيّن) فإنهما فعلا المنزل بخلاف (التبيين). ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ أنبت فيها

[ويجوز أن يكون الضمير]؛ أي: في «وليهم» [لقريش] استبعد هذا الاختلاف الضمائر بلا ضرورة وكذا قوله: [وأن يقدر مضاف]؛ لأنه لا حاجة إليه بل الضمير عائد إلى أعم [فيكون نفياً للناصر لهم على أبلغ الوجوه] راجع إلى الأوجه الثلاثة، وإن اقتضى كلام «الكشاف» رجوعه إلى الأول فقط(١) [فعلا المنزل] بكسر الزاي وهو الله تعالى [بخلاف التبيين] فإنه فعل المنزل عليه(٢) وهو

---

(١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٥/ ٤١٣].

(٢) لفظ (عليه) من نسخة [ز ـ ج] ساقطة من نسخة [الأصل ـ ب].

۞ ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

أنواع النبات بعد يبسها. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر وإنصاف.

﴿٦٦﴾ ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً﴾ دلالة يعبر بها من الجهل إلى العلم. ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ استئناف لبيان (العبرة)، وإنما ذكر الضمير وَوَحَّدَه هاهنا للفظ، وأنثه في سورة (المؤمنين) للمعنى، فإن (الْأَنْعامِ) اسم جمع، ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على أفعال كـ(أخلاق وأكياس)، ومن قال: إنه جمع: (نَعَم) جعل الضمير للبعض؛ فإن اللبن لبعضها دون جميعها، أو لواحدة، أو له على المعنى، فإن المراد به الجنس. وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر ويعقوب: (نَسْقِيكُمْ) بالفتح هنا وفي (المؤمنين). ﴿مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا﴾ فإنه يخلق من بعض أجزاء الدم المتولد من الأجزاء اللطيفة التي في الفرث، وهو الأشياء المأكولة المنهضمة بعض الانهضام في الكرش. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أن البهيمة إذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان أسفله فرثاً، وأوسطه لبناً، وأعلاه دماً. ولعله إن صحّ؛ فالمراد أن أوسطه يكون مادة اللبن، وأعلاه مادة الدم الذي يغذي البدن؛ لأنهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش، ويبقي ثفله وهو الفرث، ثم يمسكها ريثما يهضمها هضماً ثانياً فيحدث أخلاطاً أربعة معها مائية، فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين، وتدفعها إلى الكلية والمرارة

النبي ﷺ [وأكياش] بياء تحتية وشين معجمة ضرب من الثياب يغزل مرتين وعبارة «الكشاف» كقولهم: ثوب أكياش(١) [من المرتين] بفتح الميم؛ أي: مَرّةَ هضم

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٥٧٤].

۞ ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

والطحال، ثم يوزع الباقي على الأعضاء بحسبها؛ فيجري إلى كل حقه على ما يليق به بتقدير الحكيم العليم، ثم إن كان الحيوان أنثى زاد أخلاطها على قدر غذائها؛ لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها، فيندفع الزائد أولاً إلى الرحم لأجل الجنين؛ فإذا انفصل انصب ذلك الزائد أو بعضه إلى الضروع، فَيَبْيَضّ بمجاورة لحومها الغددية البِيْضِ فيصير لبناً. ومن تدبر صنع الله تعالى في إحداث الأخلاط والألبان، وإعداد مقارها ومجاريها، والأسباب المولدة لها، والقوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به؛ اضطر إلى الإقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته، و(مِنْ) الأولى: تبعيضية؛ لأن (اللبن) بعض ما في بطونها، والثانية: ابتدائية كقولك: سقيت من الحوض؛ لأن بين الفرث والدم المحل الذي يبتدأ منه الإسقاء وهي متعلقة بـ(نُسْقِيكُمْ) أو حال من (لَبَناً) قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على أنه موضع العبرة. ﴿خَالِصًا﴾ صافياً لا يستصحب لون الدم ولا رائحة الفرث، أو مصفى عما يصحبه من الأجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه. ﴿سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ سهل المرور في حلقهم، وقرئ: (سَيِّغا) بالتشديد والتخفيف.

﴿٦٧﴾ ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: ونسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب؛ أي: من عصيرهما، وقوله: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ استئناف لبيان الإسقاء أو بـ(تَتَّخِذُونَ)، ومنه تكرير للظرف تأكيداً أو خبر لمحذوف صفته (تَتَّخِذُونَ)؛ أي: وَمِن ثمرات النخيل والأعناب ثمر تتخذون منه. وتذكير الضمير على الوجهين الأولين لأنه للمضاف المحذوف

الطعام في الكرش وهضم صافيه في الكبد [أو يتخذون] عطف على «بمحذوف» [أو خبر] عطف على «متعلق..» [بمحذوف وتذكير الضمير]؛ أي: في منه [على الوجهين الأولين] هما تعلق «من ثمرات» بـ«محذوف» أو بـ«يتخذون»

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

الذي هو العصير، أو لأن (الثَّمراتِ) بمعنى الثمر و(السكر) مصدر سمي به الخمر. ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ كالتمر والزبيب والدبس والخل، والآية إن كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها وإلا فجامعة بين العتاب والمنة. وقيل: (السكر) النبيذ. وقيل: الطعم. قال: (جَعَلْتُ أَعْرَاضَ الكِرَامِ سُكْراً)؛ أي: تنقلت بأعراضهم. وقيل: ما يسد الجوع من السكر فيكون الرزق ما يحصل من أثمانه. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يستعملون عقولهم بالنظر والتأمل في الآيات.

﴿٦٨﴾ - ﴿٦٩﴾ ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ ألهمها وقذف في قلوبها، وقرئ: (إلى النَّحَل) بفتحتين. ﴿أَنِ ٱتَّخِذِى﴾ بأن اتخذي، ويجوز أن تكون (أَنِ) مفسرة؛ لأن في الإيحاء معنى القول، وتأنيث الضمير على المعنى فإن (النحل) مُذَكَّر. ﴿مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ ذكر بحرف التبعيض؛ لأنها لا تبني في كلِّ جبل، وكلِّ شجر، وكلِّ ما يعرش من كرم أو سقف، ولا في كلِّ مكان منها؛ وإنما سمي ما تبنيه لتتعسل فيه بيتاً تشبيهاً ببناء

[والآية إن كانت سابقة على تحريم الخمر] يقتضي أنه متردد في سبقها تحريم الخمر، وقوله أول السورة: إنها مكية، وفي المائدة أنها مدنية يقتضي الجزم بسبقها.

[فدالة على كراهتها] في دلالتها على الكراهة نظراً لا يخفى [وإلا فجامعة بين العتاب والمنة] العتاب بالنسبة إلى السكر والمنة بالنسبة إلى رزقاً حسناً[1] [جعلت أعراض الكرام سكراً؛ أي: تَنَقَّلْتُ بأعراضهم]؛ أي: جعلتها نقلاً وتناولتها

---

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي [١٤/ ١٨١].

الإنسان، لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقوى عليها حذاق المهندسين إلا بآلات وأنظار دقيقة، ولعل ذكره لتنبيه على ذلك وقرئ: (بِيُوتاً) بكسر الباء، وقرأ ابن عامر وأبو بكر: (يَعْرُشُونَ) بضم الراء. ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ من كل ثمرة تشتهينها؛ مرِّها وحلوها. ﴿فَٱسْلُكِي﴾ ما أكلت. ﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾ في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المرَّ عسلاً من أجوافك، أو (فَاسْلُكِي) الطرق التي ألهمك في عمل العسل، أو فاسلكي راجعة إلى بيوتك (سُبُلَ رَبِّكِ) لا تتوعر عليك، ولا تلتبس. ﴿ذُلُلًا﴾ جمع: (ذلول) وهي حال من (السبل)؛ أي: مذللة ذللها الله تعالى وسهلها لك، أو من الضمير في (اسلكي)؛ أي: وأنت ذلل منقادة لما أمرت به. ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا﴾ كأنه عدل به عن خطاب النحل إلى خطاب الناس؛ لأنه محل الإنعام عليهم؛ والمقصود من خلق النحل وإلهامه لأجلهم. ﴿شَرَابٌ﴾؛ يعني: العسل؛ لأنه مما يشرب، واحتج به من زعم أن النحل تأكل الأزهار والأوراق العطرة فتستحيل في بطنها عسلاً، ثم تقيء ادخاراً للشتاء. ومن زعم أنها تلتقط بأفواهها أجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الأوراق والأزهار، وتضعها في بيوتها ادخاراً فإذا اجتمع في بيوتها شيء كثير منها كان العسل وفسر البطون بالأفواه. ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ أبيض وأصفر وأحمر وأسود؛ بحسب اختلاف سنِّ النحل والفصل. ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ إما بنفسه

والنَّقْلُ ما يتنقل على الشراب قاله الجوهري[1] **[وقرئ بيوتاً بكسر الباء]** ليست قراءة شاذة على ما اقتضته طريقته بل هي مشهورة قرأ بها قالون وابن كثير وابن عامر والكوفيون غير حفص كما بيّنه في سورة «البقرة» **[إلى خطاب الناس]**؛ أي: إلى ما يتعلق بهم[2] **[طلّية]** نسبة إلى الطل وهو أضعف المطر؛ أي: أجزاء طرية **[بسبب اختلاف سن النحل]**؛ أي: عمره **[والفصل]**؛ أي: فصل السنة

---

(١) الصحاح، الجوهري [٧/ ١٣٥].

(٢) عبارة (أي: إلى ما يتعلق بهم) مشطوبة من نسخة [الأصل] وثابتة في نسخة [ز - ج - ب].

۞ ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾.

كما في الأمراض البلغمية، أو مع غيره كما في سائر الأمراض، إذ قلما يكون معجون إلا والعسل جزء منه، مع أن التنكير فيه مشعر بالتبعيض، ويجوز أن يكون للتعظيم. وعن قتادة أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: إن أخي يشتكي بطنه فقال: «**اسقه العسل**»، فذهب ثم رجع فقال: قد سقيته فما نفع! فقال: «**اذهب واسقه عسلاً فقد صدق الله وكذب بطن أخيك!**». فسقاه فشفاه الله تعالى فبرأ؛ فكأنما أنشط من عقال. وقيل: الضمير لـ(القرآن) أو لما بيَّن الله من أحوال النحل. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فإن من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة، والأفعال العجيبة حق التدبر علم قطعاً أنه لا بد له من خالق قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه.

﴿٧٠﴾ ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْۚ﴾ بآجال مختلفة. ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ﴾ يعاد. ﴿إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ أخسه؛ يعني: الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل. وقيل: هو خمس وتسعون سنة. وقيل: خمس وسبعون سنة. ﴿لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔاۚ﴾ ليصير إلى حالة شبيهة بحالة الطفولية في النسيان وسوء الفهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بمقادير أعماركم. ﴿قَدِيرٌ﴾ يميت الشاب النشيط ويبقى الهرم الفاني، وفيه تنبيه على أن تفاوت آجال الناس ليس إلا بتقدير قادر حكيم، ركب أبنيتهم وعدَّل أمزجتهم على قدر معلوم، ولو كان ذلك مقتضى الطبائع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ.

[**وعن قتادة «أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: إن أخي يشتكي بطنه..»**] إلى آخره. رواه الشيخان[1] وقوله: أنشط مبني للمفعول؛ أي: حل.

---

(١) صحيح البخاري [٥/ ٢١٥٢/ برقم: ٥٣٦٠]، صحيح مسلم [٤/ ١٧٣٦/ برقم: ٢٢١٧].

۞ ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

﴿٧١﴾ ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِۚ﴾ فمنكم غني ومنكم فقير، ومنكم موال يتولون رزقهم ورزق غيرهم، ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك. ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ﴾ بمعطي رزقهم. ﴿عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ على مماليكهم؛ فإن ما يردون عليهم رزقهم الذي جعله الله في أيديهم. ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌۚ﴾ فالموالي والمماليك سواء في أن الله رزقهم؛ فالجملة لازمة للجملة المنفية أو مقررة لها. ويجوز أن تكون واقعة موقع الجواب كأنه قيل: فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فيستووا في الرزق، على أنه ردٌّ وإنكار على المشركين؛ فإنهم يشركون بالله بعض مخلوقاته في الألوهية، ولا يرضون أن يشاركهم عبيدهم فيما أنعم الله عليهم فيساورهم فيه. ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ حيث يتخذون له شركاء، فإنه يقتضي أن يضاف إليهم بعض ما أنعم الله عليهم ويجحدوا أنه من عند الله، أو حيث أنكروا أمثال هذه الحجج بعد ما أنعم الله عليهم بإيضاحها، والباء لتضمن الجحود معنى الكفر. وقرأ أبو بكر: (تجحدون) بالتاء لقوله: ﴿خَلَقَكُمْ﴾ ﴿فَضَّلَ بَعْضَكُمْ﴾.

﴿٧٢﴾ ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾؛ أي: من جنسكم لتأنسوا بها ولتكون أولادكم مثلكم. وقيل: هو خلق حواء من آدم. ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ وأولاد أولاد أو بنات، فإن الحافد هو المسرع في

[فإنه]؛ أي: اتخاذهم الشركاء [**يقتضي أن يضاف إليهم**]؛ أي: إلى الشركاء [والباء] في «أفبنعمة الله» متعلقة بـ«يجحدون» مع أنه متعد في نفسه لتضمنه معنى يكفرون [وأولاد أو بناتاً]؛ أي: أو والحفدة بنات فكل من المعطوفين تفسير للحفدة

﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

الخدمة والبنات يخدمن في البيوت أتم خدمة. وقيل: هم الأختان على البنات. وقيل: الربائب، ويجوز أن يراد بها البنون أنفسهم؛ والعطف لتغاير الوصفين. ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ من اللذائذ أو الحلالات ﴿مِّنَ﴾ للتبعيض فإن المرزوق في الدنيا أنموذج منها. ﴿أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ﴾ وهو أن الأصنام تنفعهم، أو أن من الطيبات ما يحرم كالبحائر والسوائب. ﴿وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ﴾ حيث أضافوا نعمه إلى الأصنام، أو حرموا ما أحل الله لهم، وتقديم الصلة على الفعل إما للاهتمام أو لإيهام التخصيص مبالغة، أو للمحافظة على الفواصل.

﴿٧٣﴾ ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا﴾ من مطر ونبات، ﴿رِزۡقٗا﴾ إن جعلته مصدراً فـ(شيئاً) منصوب به، وإلا فبدل منه. ﴿وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ أن يتملكوه أو لا استطاعة لهم أصلاً، وجمع الضمير فيه وتوحيده في ﴿لَا يَمۡلِكُ﴾ لأن (مَا) مفرد في معنى الألهة، ويجوز أن يعود إلى الكفار؛ أي: ولا يستطيع هؤلاء مع أنهم أحياء متصرفون شيئاً من ذلك فكيف بالجماد.

﴿٧٤﴾ ـ ﴿٧٥﴾ ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ﴾ فلا تجعلوا له مثلاً تشركونه به،

[وقيل: هم الأَختان] ـ بفتح الهمزة ـ: أي: القائمون على البنات وهم أزواجهن على قول العامة، وأما العرب فتطلق الأختان على من كان مِنْ قِبَل المرأة، وذكر الجوهري[1] الأمرين معاً فقال: الخِتْن كل من كان من قِبَل المرأة مثل الأب والأخ وهم الأَخْتَان هكذا عند العرب وأما عند العامة فختن الرجل زوج ابنته.

---

(١) الصحاح، الجوهري [١/ ١٦٣].

﴿٧٦﴾ ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾.

أو تقيسونه عليه؛ فإن ضرب المثل تشبيه حال بحال. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾ فساد ما تعولون عليه من القياس على أن عبادة عبيد الملك أدخل في التعظيم من عبادته، وعظم جرمكم فيما تفعلون. ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو تعليل للنهي، أو أنه يعلم كنه الأشياء وأنتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه، ويجوز أن يراد: فلا تضربوا لله الأمثال فإنه يعلم كيف تضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون. ثم علمهم كيف يضرب؛ فضرب مثلاً لنفسه ولمن عبد دونه فقال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾ مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف رأساً، ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالاً كثيراً فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء، واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الأصنام التي هي أعجز المخلوقات وبين الله الغني القادر على الإطلاق. وقيل: هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق، وتقييد العبد بالمملوكية للتمييز عن الحر فإنه أيضاً عبد الله وبسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والمأذون، وجعله قسيماً للمالك المتصرف يدل على أن المملوك لا يملك، والأظهر أن (مَنْ) نكرة موصوفة ليطابق (عَبْداً)، وجمع الضمير في (يَسْتَوُونَ) لأنه للجنسين فإن المعنى: هل يستوي الأحرار والعبيد؟ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ كل الحمد له، لا يستحقه غيره فضلاً عن العبادة لأنه مولى النعم كلها. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيضيفون نعمة إلى غيره ويعبدونه لأجلها.

﴿٧٦﴾ ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ﴾ ولد أخرس لا يَفْهمُ

[أو عظم] عطف على «فساد ما تعوّلون».

۞ ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾.

وَلا يُفْهِمُ. ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ من الصنائع والتدابير لنقصان عقله. ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ عيال وثقل على من يلي أمره. ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾ حيثما يرسله مولاه في أمر، وقرئ: (يُوَجَّه) على البناء للمفعول و(يُوَجِّه) بمعنى: يتوجه كقوله: أينما أوجه ألق سعداً، و(تَوَجَّه) بلفظ الماضي. ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ بنُجح وكفاية مُهِمٍّ. ﴿هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ ومن هو فَهِمٌ منطيقٌ ذو كفاية ورشد، ينفع الناس بحثِّهم على العدل الشامل لمجامع الفضائل. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وهو في نفسه على طريق مستقيم لا يتوجه إلى مطلب إلا ويبلغه بأقرب سعي، وإنما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين؛ لأنهما كمال ما يقابلهما؛ وهذا تمثيل ثان ضربه الله تعالى لنفسه وللأصنام؛ لإبطال المشاركة بينه وبينها أو للمؤمن والكافر.

﴿٧٧﴾ - ﴿٧٨﴾ ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ يختص به علمه لا يعلمه غيره، وهو ما غاب فيهما عن العباد؛ بأن لم يكن محسوساً ولم يدل عليه محسوس. وقيل: يوم القيامة فإن علمه غائب عن أهل السمٰوات والأرض. ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ﴾ وما أمر قيام الساعة في سرعته وسهولته. ﴿إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ إلا كرجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها. ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُۚ﴾ أو أمرها أقرب منه بأن يكون في زمان نصف تلك الحركة؛ بل في الآن الذي تبتدئ فيه، فإنه تعالى يحيي الخلائق دفعة؛ وما يوجد دفعة كان في آن، و(أَوْ) للتخيير أو بمعنى: (بل). وقيل معناه: أن قيام الساعة وإن تراخى فهو عند الله كالشيء الذي تقولون فيه هو كلمح البصر أو هو أقرب مبالغة في استقرابه. ﴿كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُۚ﴾ فيقدر أن يحيي الخلائق دفعة كما قدر أن أحياهم متدرجاً، ثم دلَّ على قدرته فقال: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٧٩) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ (٨٠)﴾.

وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على أنه لغة، أو إتباع لما قبلها، أو حمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها في: إهراق. ﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ جهالاً مستصحبين جهل الجمادية. ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ أداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الأشياء؛ فتدركونها، ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرر الإحساس حتى تتحصل لكم العلوم البديهية، وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ كي تعرفوا ما أنعم عليكم طوراً بعد طور فتشكروه.

(٧٩) ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ﴾ قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على أنه خطاب للعامة. ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾ مذللات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب المؤاتية له. ﴿فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ في الهواء المتباعد من الأرض. ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ فيه ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ فإن ثقل جسدها يقتضي سقوطها؛ ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ تسخير الطير للطيران بأن خلقها خلقة يمكن معها الطيران، وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه، وإمساكها في الهواء على خلاف طبعها. ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لأنهم هم المنتفعون بها.

(٨٠) ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ موضعاً تسكنون فيه وقت

[وقرأ الكسائي بكسر الهمزة..] إلى آخره. قراءته وقراءة حمزة عقبه مقيدتان بالوصل فإن ابتدأ بالمفصول منه تعين ضم الهمزة وفتح الميم [المؤاتية]؛ أي: الموافقة [يمكن الطيران فيها] الأولى فيه؛ أي: في الجو.

۞ ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾.

إقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر، فعل بمعنى: مفعول. ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا﴾ هي القباب المتخذة من الأدم، ويجوز أن يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر؛ فإنها من حيث إنها نابتة على جلودها يصدق عليها أنها من جلودها. ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها. ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ وقت ترحالكم ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ ووضعها أو ضربها وقت الحضر أو النزول. وقرأ الحجازيان والبصريان: (يَوْمَ ظَعَنِكُمْ) بالفتح وهو لغة فيه. ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ﴾ الصوف للضائنة والوبر للإبل والشعر للمعز، وإضافتها إلى ضمير (الْأَنْعام) لأنها من جملتها. ﴿أَثَٰثًا﴾ ما يلبس ويفرش. ﴿وَمَتَٰعًا﴾ ما يتجر به. ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ إلى مدة من الزمان فإنها لصلابتها تبقى مدة مديدة، أو إلى حين مماتكم، أو إلى أن تقضوا منه أوطاركم.

﴿٨١﴾ ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ﴾ من الشجر والجبل والأبنية وغيرها. ﴿ظِلَٰلًا﴾ تتقون بها حر الشمس. ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾ مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع: (كنّ). ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ﴾ ثياباً من الصوف والكتان والقطن وغيرها. ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ خصه بالذكر اكتفاء بأحد الضدين، أو لأن وقاية الحر كانت أهم عندهم. ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾؛ يعني: الدروع والجواشن، والسربال: يعمّ كل ما يُلْبس. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كإتمام هذه النعم التي تقدمت. ﴿يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾؛ أي: تنظرون في نعمه فتؤمنون به

[الدروع] جمع درع وهي درع الحديد [والجواشن] جمع جوشن وهو الدرع قال

۞ ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾﴾.

وتنقادون لحكمه. وقرئ: (تَسْلَمُونَ) من السلامة؛ أي: تشكرون فتسلمون من العذاب، أو تنظرون فيها فتسلمون من الشرك. وقيل: (تَسْلَمُونَ) من الجراح بلبس الدروع.

﴿٨٢﴾ - ﴿٨٣﴾ ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا ولم يقبلوا منك. ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ فلا يضرك فإنما عليك البلاغ وقد بلغت، وهذا من إقامة السبب مقام المسبب. ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: يعرف المشركون نعمة الله التي عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبأنها من الله تعالى. ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم: إنها بشفاعة آلهتنا، أو بسبب كذا أو بإعراضهم عن أداء حقوقها. وقيل: نعمة الله نبوة محمد ﷺ عرفوها بالمعجزات ثم أنكروها عناداً. ومعنى: (ثم): استبعاد الإنكار بعد المعرفة. ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ الجاحدون عناداً، وذكر الأكثر إما لأن بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل أو التفريط في النظر، أو لم تقم عليه الحجة؛ لأنه لم يبلغ حد التكليف وإما لأنه يقام مقام الكل كما في قوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٠١].

﴿٨٤﴾ ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ وهو نبيُّها يشهد لهم وعليهم بالإيمان والكفر. ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الاعتذار؛ إذ لا عذر

ذلك الجوهري[١] وغيره فعطف «الجواشن» على «الدروع» عطف تفسير [إقامة السبب] وهو البلاغ [مقام المسبب] وهو «العذاري» فإن تولوا فأنت معذور لأنك قد بَلَّغْتَ.

---

(١) الصحاح، الجوهري [١/١٠٨].

۞ ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

لهم. وقيل: في الرجوع إلى الدنيا. و﴿ثُمَّ﴾ لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الإقناط الكلي على ما يمنون به من شهادة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ ولا هم يسترضون، من: (العتبى): وهي الرضا وانتصاب (يوم) بمحذوف تقديره: (اذكر)، أو خوفهم، أو يحيق بهم ما يحيق، وكذا قوله:

﴿٨٥﴾ ـ ﴿٨٦﴾ ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ عذاب جهنم. ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾؛ أي: العذاب. ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يمهلون. ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ﴾ أوثانهم التي ادعوها شركاء، أو الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه. ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ﴾ نعبدهم أو نطيعهم؛ وهو اعتراف بأنهم كانوا مخطئين في ذلك، أو التماس لأن يشطر عذابهم. ﴿فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾؛ أي: أجابوهم بالتكذيب في أنهم شركاء الله، أو أنهم ما عبدوهم حقيقة وإنما عبدوا أهواءهم كقوله تعالى: ﴿كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ [مريم: ٨٢] ولا يمتنع إنطاق الله الأصنام به حينئذ، أو في أنهم حملوهم على الكفر وألزموهم إياه كقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾ [إبراهيم: ٢٢].

﴿٨٧﴾ ـ ﴿٨٨﴾ ﴿وَأَلْقَوْا۟﴾ وألقى الذين ظلموا ﴿إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ﴾ الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا﴾ وضاع عنهم

[يُمْنَون]؛ أي: يبتلون.

۞ ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾.

وبطل ﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من أن آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ بالمنع عن الإسلام والحمل على الكفر ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا﴾ لصدهم ﴿فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ المستحق بكفرهم ﴿بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ بكونهم مفسدين بصدهم.

﴿٨٩﴾ ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾؛ يعني: نبيّهم فإن نبي كل أمة بعث منهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾ على أمتك ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ استئناف أو حال بإضمار (قد). ﴿تِبْيَانًا﴾ بياناً بليغاً ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ من أمور الدين على التفصيل أو الإجمال؛ بالإحالة إلى السُّنَّة أو القياس. ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ للجميع؛ وإنما حرمان المحروم من تفريطه ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ خاصة.

﴿٩٠﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ بالتوسط في الأمور اعتقاداً كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك، والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر، وعملاً كالتعبد بأداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهّب، وخُلُقاً كالجود المتوسط بين البخل والتبذير. ﴿وَالْإِحْسَانِ﴾ إحسان الطاعات، وهو إما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل، أو بحسب الكيفية كما قال عليه الصلاة والسلام: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك**». ﴿وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ وإعطاء الأقارب ما يحتاجون إليه؛ وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة. ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ عن الإفراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا؛ فإنه أقبح أحوال الإنسان وأشنعها. ﴿وَالْمُنكَرِ﴾ ما ينكر على متعاطيه في إثارة القوة الغضبية. ﴿وَالْبَغْيِ﴾

۞ ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم؛ فإنها الشيطنة التي هي مقتضى القوة الوهمية. ولا يوجد من الإنسان شرّ إلا وهو مندرج في هذه الأقسام، صادر بتوسط إحدى هذه القوى الثلاث؛ ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه: هي أجمع آية في القرآن للخير والشر. وصارت سبب إسلام عثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنه. ولو لم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق عليه أنه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين. ولعل إيرادها عقيب قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [النحل: ٨٩] للتنبيه عليه. ﴿يَعِظُكُمْ﴾ بالأمر والنهي، والميز بين الخير والشر. ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون.

﴿٩١﴾ ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾؛ يعني: البيعة لرسول الله ﷺ على الإسلام لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]. وقيل: كل أمر يجب الوفاء به ولا يلائمه. قوله: ﴿إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾ وقيل: النذور، وقيل: الإيمان بالله. ﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ﴾؛ أي: أيمان البيعة أو مطلق الأيمان. ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ بعد توثيقها بذكر الله تعالى. ومنه: (أكد) بقلب الواو همزة ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ شاهداً بتلك البيعة؛ فإن الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ من نقض الأيمان والعهود.

﴿٩٢﴾ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ ما غزلته، مصدر بمعنى: المفعول. ﴿مِن بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ متعلق بـ(نَقَضَتْ)؛ أي: نقضت غزلها من بعد

[وصارت] الأولى وكانت كما عبر به «الكشاف» [سبب إسلام عثمان بن مظعون]؛

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾.

إبرام وإحكام. ﴿أَنكَاثًا﴾ طاقات نكث فتلها، جمع: (نكث)، وانتصابه على الحال من (غَزْلَها) أو المفعول الثاني لـ(نقضت) فإنه بمعنى: صيرت، والمراد به: تشبيه الناقض بمن هذا شأنه. وقيل: هي ريطة بنت سعد بن تيم القرشية؛ فإنها كانت خرقاء تفعل ذلك. ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ حال من الضمير في (وَلا تَكُونُوا)، أو في الجار الواقع موقع الخبر؛ أي: لا تكونوا متشبهين بامرأة هذا شأنها، متخذي أيمانكم مفسدة ودخلاً بينكم، وأصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه. ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ لأن تكون جماعة أزيد عدداً وأوفر مالاً من جماعة، والمعنى: لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم أو لكثرة منابذتهم وقوتهم كقريش؛ فإنهم كانوا إذا رأوا شوكة في أعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا أعداءهم. ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾ الضمير لـ(أن تكون أمة) لأنه بمعنى المصدر؛ أي: يختبركم بكونهم أربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله، أم تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم. وقيل: الضمير لـ(الرباء) وقيل: للأمر بالوفاء. ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ إذا جازاكم على أعمالكم بالثواب والعقاب.

﴿٩٣﴾ - ﴿٩٤﴾ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ متفقة على الإسلام. ﴿وَلَكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾ بالخذلان. ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ بالتوفيق. ﴿وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ سؤال تبكيت ومجازاة. ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا

أي: حين سمعها [إذا رأوا شوكة]؛ أي: قوة [والضمير]؛ أي: في به.

۞ ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ
مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ
حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾.

بَيْنَكُمْ﴾ تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تأكيداً ومبالغة في قبح المنهي. ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ﴾؛ أي: عن محجة الإسلام. ﴿بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ عليها والمراد: أقدامهم، وإنما وحَّد ونكَّر للدلالة على أن زلل قدم واحدة عظيم فكيف بأقدام كثيرة. ﴿وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ﴾ العذاب في الدنيا. ﴿بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بصدكم عن الوفاء، أو صدكم غيركم عنه؛ فإن من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سُنَّة لغيره. ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة.

﴿٩٥﴾ ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله ﷺ. ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عرضاً يسيراً؛ وهو ما كانت قريش يَعِدُون لضعفاء المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد. ﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من النصر والتغنيم في الدنيا والثواب في الآخرة. ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما يعدونكم. ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إن كنتم من أهل العلم والتمييز.

﴿٩٦﴾ ﴿مَا عِندَكُمْ﴾ من أعراض الدنيا. ﴿يَنفَدُ﴾ ينقضي ويفنى. ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من خزائن رحمته. ﴿بَاقٍ﴾ لا ينفد، وهو تعليل للحكم السابق، ودليل على أن نعيم أهل الجنة باق. ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم﴾ على الفاقة وأذى الكفار، أو على مشاق التكاليف. وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون. ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ بما يرجح فعله من أعمالهم كالواجبات والمندوبات، أو بجزاء أحسن من أعمالهم.

﴿٩٧﴾ ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ بيّنه بالنوعين دفعاً للتخصيص. ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ إذ لا اعتداد بأعمال الكفرة في استحقاق الثواب، وإنما المتوقع عليها تخفيف العذاب. ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ في

۞ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

الدنيا يعيش عيشاً طيباً؛ فإنه إن كان موسراً فظاهر، وإن كان معسراً يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الأجر العظيم في الآخرة، بخلاف الكافر فإنه إن كان معسراً فظاهر، وإن كان موسراً لم يدعه الحرص وخوف الفوات أن يتهنأ بعيشه. وقيل: في الآخرة. ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ من الطاعة.

﴿٩٨﴾ - ﴿١٠٠﴾ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ إذا أردت قراءته كقوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ٦]. ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ فاسأل الله أن يعيذك من وساوسه؛ لئلا يوسوسك في القراءة. والجمهور على أنه للاستحباب. وفيه دليل على أن المصلي يستعيذ في كل ركعة؛ لأن الحكم المترتب على شرط يتكرر بتكرره قياساً. وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه إيذان بأن الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل. وعن ابن مسعود: قرأت على رسول الله ﷺ فقلت: أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال: «**قل أعوذ بالله مِنَ الشيطان الرجيم؛ هكذا أقرأنيه جبريل، عن القلم، عن اللوح المحفوظ**». ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ﴾ تسلط وولاية ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ على أولياء الله تعالى المؤمنين به والمتوكلين عليه؛ فإنهم لا يطيعون أوامره ولا يقبلون وساوسه إلا فيما يحتقرون على ندور وغفلة؛ ولذلك أمروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الأمر باستعاذة لئلا يتوهم

[**وإن كان معسراً يطيب عيشه..**] إلى آخره. فيه إجحاف وعبارة «الكشاف»[1]: وإن كان معسراً فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضى بقسمة الله [**فذكر الشرطية**]؛

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٥٩١].

۞ ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾.

منه أن له سلطاناً. ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾ يحبونه ويطيعونه. ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ﴾ بالله أو بسبب الشيطان ﴿مُشْرِكُونَ﴾.

﴿١٠١﴾ ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظاً أو حكماً. ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ من المصالح، فلعل ما يكون مصلحة في وقت يصير مفسدة بعده فينسخه، وما لا يكون مصلحة حينئذٍ يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: (يُنْزِلُ) بالتخفيف. ﴿قَالُوٓاْ﴾؛ أي: الكفرة ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾ متقوّل على الله تأمر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه، وهو جواب: (إذا). ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾، اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم، والتنبيه على فساد سندهم، ويجوز أن يكون حالاً. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ حكمة الأحكام ولا يميزون الخطأ من الصواب.

﴿١٠٢﴾ ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾؛ يعني: جبريل عليه الصلاة والسلام، وإضافة الروح إلى القدس وهو: (الطهر) كقولهم: حاتم الجود. وقرأ ابن كثير: (رُوحُ الْقُدْسِ) بالتخفيف. وفي (يُنَزِّلُ) و(نَزَّلَهُ) تنبيه على أن إنزاله

أي: نفيها [كقولهم: «حاتم الجود»]؛ أي: في كون كل منهما من إضافة الموصوف إلى الصفة ويوضحه قول «الكشاف»[1] كما يقال: «حاتم الجود» و«زيد الخير» والمراد: «الروح المقدس»، وحاتم الجود، وزيد الخير.

[أو في ينزل ونزله تنبه..] إلى آخره. لإيضاحه ما في «الكشاف»[2] أن في ينزل ونزله وما فيهما من التنزيل شيئاً فشيئاً على حسب الحوادث والمصالح؛ إشارة إلى

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٥٩٢].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٥٩٢].

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾.

مدرجاً على حسب المصالح بما يقتضي التبديل. ﴿مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ ملتبساً بالحكمة. ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ليثبت الله الذين آمنوا على الإيمان بأنه كلامه، وأنهم إذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم. ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ المنقادين لحكمه، وهما معطوفان على محل (لِيُثَبِّتَ)؛ أي: تثبيتاً وهداية وبشارة، وفيه تعريض بحصول أضداد ذلك لغيرهم وقرئ: (لِيُثْبِتَ) بالتخفيف.

﴿١٠٣﴾ ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ يعنون جبراً الرومي؛ غلام عامر بن الحضرمي. وقيل: جبراً ويساراً؛ كانا يصنعان السيوف بمكة، ويقرآن التوراة والإنجيل، وكان الرسول ﷺ يمر عليهما ويسمع ما يقرءانه. وقيل: عائشاً غلام حويطب بن عبد العزى؛ قد أسلم وكان صاحب كتب. وقيل: سلمان الفارسي. ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ﴾ لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه، مأخوذ من: (لحد القبر). وقرأ حمزة والكسائي: (يَلْحَدُون) بفتح الياء والحاء؛ لسان أعجمي غيرُ بيِّنٍ. ﴿وَهَٰذَا﴾ وهذا القرآن. ﴿لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ ذو بيان وفصاحة. والجملتان مستأنفتان لإبطال طعنهم، وتقريره يحتمل وجهين أحدهما: أن ما سمعه منه كلام أعجمي لا يفهمه هو ولا أنتم، والقرآن عربي تفهمونه بأدنى

أن التبديل من باب المصالح كالتنزيل وإن ترك النسخ بمنزلة إنزاله دفعة في خروجه عن الحكمة [لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه]؛ أي: إلى الرجل وهو متعلق بـ«يميلون» [لسان أعجمي] خبر لغة الرجل وبه علم أن في عبارته قلقاً [والجملتان] هما قوله لبيان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين[1]

---

(١) اللباب، ابن عادل [١٢/ ١٨٥].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾
إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن
كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن
شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾.

تأمل، فكيف يكون ما تلقفه منه؟ وثانيهما: هب أنه تعلم منه المعنى باستماع كلامه لكن لم يتلقف منه اللفظ؛ لأن ذلك أعجمي وهذا عربي، والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ، مع أن العلوم الكثيرة التي في القرآن لا يمكن تعلمها إلا بملازمة معلم فائق في تلك العلوم مدة متطاولة، فكيف تعلم جميع ذلك من غلام سوقي سمع منه في بعض أوقات مروره عليه كلمات أعجمية لعلهما لم يعرفا معناها! وطعنهم في القرآن بأمثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم.

﴿١٠٤﴾ ـ ﴿١٠٥﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ لا يصدقون أنها من عند الله ﴿لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾ إلى الحق، أو إلى سبيل النجاة. وقيل: إلى الجنة ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة، هددهم على كفرهم بالقرآن بعد ما أماط شبهتهم ورد طعنهم فيه، ثم قلب الأمر عليهم فقال: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ لأنهم لا يخافون عقاباً يردعهم عنه. ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى الذين كفروا أو إلى قريش. ﴿هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾؛ أي: الكاذبون على الحقيقة، أو الكاملون في الكذب؛ لأن تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات أعظم الكذب، أو الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروءة، أو الكاذبون في قولهم: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾ [النحل: ١٠١]، ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

﴿١٠٦﴾ ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ﴾ بدل من (الذين لا يؤمنون) وما

[سمع منه في بعض أوقات مروره عليه كليمات] في نسخة: «سمع منه بعض المنقولات ترتباً على كلمات» [أماط شبهتهم]؛ أي: نحاها

۞ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾.

بينهما اعتراض، أو من (أُولئِكَ) أو من (الْكاذِبُونَ)، أو مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله: ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ ويجوز أن ينتصب بالذم، وأن تكون من شرطية محذوفة الجواب دل عليه قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ على الافتراء أو كلمة الكفر، استثناء متصل؛ لأن الكفر لغة يعم القول والعقد كالإيمان. ﴿وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ لم تتغير عقيدته، وفيه دليل على أن الإيمان هو التصديق بالقلب. ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ اعتقده وطاب به نفساً. ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ إذ لا أعظم من جرمه. روي: (أن قريشاً أكرهوا عماراً وأبويه ياسراً وسمية على الارتداد، فربطوا سمية بين بعيرين وَوُجِئَ بحربة في قُبُلِها، وقالوا: إنك أسلمت من أجل الرجال! فَقُتِلَت، وقتلوا ياسراً؛ وهما أول قتيلين في الإسلام، وأعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا ـ مكرهاً ـ فقيل: يا رسول الله! إن عماراً كفر! فقال: كلا! إن عماراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه! فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكي، فجعل رسول الله ﷺ يمسح عينيه ويقول: «**ما لك! إن عادوا لك فعد لهم بما قلت**». وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الإكراه وإن كان الأفضل أن يتجنب عنه إعزازاً للدين كما فعله أبواه لما روي: (أن مسيلمة أخذ رجلين فقال لأحدهما: ما تقول في محمد؟ قال: رسول الله ﷺ قال: فما تقول فيَّ؟ فقال: أنت أيضاً! فخلاه، وقال للآخر: ما تقول في محمد؟ قال: رسول الله ﷺ، قال: فما تقول فيَّ؟ قال: أنا أصمّ، فأعاد عليه ثلاثاً، فأعاد جوابه فقتله، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**أما الأول فقد أخذ برخصة الله، وأما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئاً له**».

﴿١٠٧﴾ ـ ﴿١٠٩﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الكفر بعد الإيمان أو الوعيد.

[وَوُجِئ] بالبناء للمفعول.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَاهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾.

﴿بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ بسبب أنهم آثروها عليها. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾؛ أي: الكافرين في علمه إلى ما يوجب ثبات الإيمان ولا يعصمهم من الزيغ. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ فأبت عن إدراك الحق والتأمل فيه. ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ الكاملون في الغفلة إذ أغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب. ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ إذ ضيعوا أعمارهم وصرفوها فيما أفضى بهم إلى العذاب المخلد.

﴿١١٠﴾ - ﴿١١١﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ﴾؛ أي: عذبوا كعمار رضي الله تعالى عنه بالولاية والنصر، و(ثُمَّ) لتباعد حال هؤلاء عن حال أولئك. وقرأ ابن عامر: (فَتَنُوا) بالفتح؛ أي: من بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي أُكْرِه مولاه جبراً حتى ارتد! ثم أسلما وهاجرا. ﴿ثُمَّ جَاهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ﴾ على الجهاد وما أصابهم من المشاق. ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ من بعد الهجرة والجهاد والصبر ﴿لَغَفُورٌ﴾ لما فعلوا قبل ﴿رَّحِيمٌ﴾ منعم عليهم؛ مجازاة على ما صنعوا بعد. ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ﴾ منصوب بـ(رَحِيمٌ) أو بـ(اذكر). ﴿تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ تجادل عن ذاتها، وتسعى

أي: ضرب [بالولاية والنصر] متعلق بقوله: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ بمعنى: هاجروا مصحوبين بالأمرين أو هاجروا بسببهما [**تجادل عن ذاتها**] جواب ما يقال شرط المتضايفين تغايرهما وهما متحدان في قوله عن نفسها فأجاب بأن المراد هنا بالنفس المضافة الذات، وأجاب غيره بأن التغاير قبل الإضافة كاف فيهما وإن اتحدا بعدها ولهذا جاز عين الشيء ونفس الشيء ونحوهما وامتنع أسد الليث وجاز المنع لعدم

۞ ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

في خلاصها لا يهمها شأن غيرها، فتقول: نَفْسِي نَفْسِي. ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ جزاء ما عملت ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ لا ينقصون أجورهم.

﴿١١٢﴾ ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾؛ أي: جعلها مثلاً لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا؛ فأنزل الله بهم نقمته، أو لمَكَّةَ ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ لا يزعج أهلها خوف. ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا﴾ أقواتها ﴿رَغَدًا﴾ واسعاً ﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ من نواحيها ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ بنعمه؛ جمع: (نعمة) على ترك الاعتداد بالتاء كـ(درع وأدرع)، أو جمع: (نِعْم) كـ(بؤس وأبؤس). ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ استعار الذوق لإدراك أثر الضرر، واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف، وأوقع الإذاقة عليه بالنظر إلى المستعار له كقول كثير:

غَمرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا غَلِقَتْ لِضَحْكَتِهِ رِقَابُ المال

فإنه استعار الرداء للمعروف؛ لأنه يصون عرض صاحبه صون الرداء لمَّا يلقى عليه، وأضاف إليه (الغمر) الذي هو وصف المعروف و(النوال) لا

تغايرهما مطلقاً [**أو لمكة**] عطف على لكل قوم [**كقول كثير**]؛ أي: كثير عَزّة:

[غَمْرُ الرداءِ إذا تبسمَ ضاحكاً غَلِقَت لضحكتِهِ رقابُ المال][1]

«غمر الرداء»: كناية عن كثرة العطاء، و«الغلق»: بالمعجمة الاستحقاق يقال: غلق الرهن إذا استحقه المرتهن ففي الحديث «**لا تغلق الرهن لصاحبه غُنْمُهُ وعليه غُرْمُهُ**»[2]؛ أي: لا تغلق بعد انفكاكه بل يرجع إلى مالكه فله غُنْمُه، ويرجع المرتهن عليه بحقه فعليه غرمه، ومعنى البيت: إذا ضحك المسؤول ضحكة أيقن السائل أنه

---

(١) تهذيب اللغة، الأزهري [٣/ ٨٠].

(٢) الاستذكار، ابن عبد البر [٧/ ١٣١].

۞ ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾.

وصف الرداء؛ نظراً إلى المستعار له، وقد ينظر إلى المستعار كقوله:

يُنَازِعُني رِدَائي عَبْدُ عَمْرو ... رُوَيْدَكَ يَا أَخَا عَمْرو بن بَكْرِ
لِي الشَّطرُ الَّذِي مَلَكت يَمِيني ... وَدُونَكَ فَاعْتَجِرْ مِنْهُ بِشَطْرِ

استعار الرداء لسيفه ثم قال: فاعتجر؛ نظراً إلى المستعار. ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ بصنيعهم.

﴿١١٣﴾ ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾؛ يعني: محمداً ﷺ، والضمير لأهل مكة، عاد إلى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم. ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾؛ أي: حال التباسهم بالظلم والعذاب ما أصابهم من الجدب الشديد، أو وقعة بدر.

﴿١١٤﴾ ـ ﴿١١٥﴾ ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ أمرهم بأكل ما أحل الله

بذلك التبسم استغلق رقاب ماله ويعطي بلا خلاف. [**نظر إلى المستعار له**] ولو نظر إلى المستعار لقال ضافي الرداء؛ أي: سابغه [**كقوله**:

ينازعني ردائي عبدُ عمروٍ ... رويدَكَ يا أخا عمروِ بنِ بكر
لي الشطرُ الذي ملكَتْ يميني ... ودونَكَ فاعتَجِرْ منهُ بشَطْرِ](١)

الرداء كناية عن السيف، و«الاعتجارُ»: بالراء لفُّ العمامة على الرأس يقول: يجاذبني سيفي عبد عمرو يريد أن يأخذه منّي فقلت: رويدك فلي النصف الأعلى منه الذي هو في يميني، وخذ أنت النصف الآخر منه فلفه على رأسك [**نظر إلى المستعار**] ولو نظر إلى المستعار منه لقال في الآية وكساهم لباس الجوع والخوف وفي البيت فاقتطع [**ذكر مثلهم**] بفتح الميم والثاء؛ أي: في قوله: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾ [النحل: ١١٢].

---

(١) معاهد التنصيص، العباسي [ص١٨١].

۞ ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١٧)﴾.

لهم، وشكر ما أنعم عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم، صداً لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة. ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ تطيعون، أو إن صح زعمكم أنكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته. ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لما أمرهم بتناول ما أحل لهم عدّد عليهم محرماته؛ ليعلم أن ما عداها حل لهم، ثم أكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل بأهوائهم فقال:

(١١٦) - (١١٧) ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ كما قالوا: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾ الآية [الأنعام: ١٣٩]، ومقتضى سياق الكلام وتصدير الجملة بـ(إنما) حصر المحرمات في الأجناس الأربعة إلا ما ضم إليه دليل: كالسباع والحمر الأهلية، وانتصاب (الْكَذِبَ) بـ(لَا تَقُولُوا) و(هذا حَلالٌ وَهذا حَرام) بدل منه، أو متعلق بـ(تصف) على إرادة القول؛ أي: ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم فتقولوا: هذا حلال وهذا حرام؛ أو مفعول (لا تَقُولُوا)، (والْكَذِبَ) منتصب بـ(تَصِفُ) و(ما) مصدرية؛ أي: ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب؛ أي: لا تحرموا ولا تحللوا بمجرد قول تنطق به ألسنتكم من غير دليل. ووصف ألسنتهم الكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب؛ كأن حقيقة الكذب كانت مجهولة وألسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا؛ ولذلك عُدَّ من فصيح الكلام كقولهم: وجهها يصف الجمال

[لوصف ألسنتكم الكذب] يعلم منه أن لام لما تصف للتعليل [**ولذلك عدا**]؛ أي: وصف ألسنتهم الكذب [كقولهم: **وجهها يصف الجمال**]؛ أي: هي جميلة

۞ ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾.

وعينها تصف السحر. وقرئ: (الكذبِ) بالجر بدلاً من (ما)، (والْكُذُب) جمع: كذوب أو كذاب بالرفع صفة للألسنة، وبالنصب على الذم، أو بمعنى الكلم الكواذب. ﴿لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ تعليل لا يتضمن الغرض. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ لمّا كان المفتري يفتري لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبيّنه بقوله: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾؛ أي: ما يفترون لأجله، أو ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب. ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ في الآخرة.

﴿١١٨﴾ ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾؛ أي: في سورة (الأنعام) في قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦]. ﴿مِن قَبْلُ﴾ متعلق بـ(قَصَصْنا) أو بـ(حَرَّمْن). ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ بالتحريم. ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه، وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم، وأنه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة.

﴿١١٩﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ بسببها، أو ملتبسين

[وعينها تصف السحر]؛ أي: هي ساحرة فلما أرادوا المبالغة في وصف الوجه بالجمال ووصف العين بالسحر عبروا بذلك[١] **[بدلاً من ما]**؛ أي: مع مدخولها وعدل إليه عن قول «الكشاف»[٢] صفة لـ«ما» المصدرية. ليسلم من الاعتراض بأن المصدر المنسبك من الحرف المصدري ومدخوله لا يوصف إذ لا يقال: «يعجبني أن قمت السريع، وعجبت من أن قمت السريع» بخلاف المصدر الصريح.

[تعليل لا يتضمن الغرض] المترتب على قولهم: بل هي لام العاقبة كما في قوله:

---

(١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٥/ ٤٤٥].

(٢) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٥٩٨].

۞ ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾.

بها ليعم الجهل بالله وبعقابه، وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة؛ والسوء يعم الافتراء على الله وغيره. ﴿ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ من بعد التوبة. ﴿لَغَفُورٌ﴾ لذلك السوء. ﴿رَّحِيمٌ﴾ يثيب على الإنابة.

﴿١٢٠﴾ - ﴿١٢٢﴾ ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد إلا مفرقة في أشخاص كثيرة كقوله:

لَيْسَ مِنَ اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ ... أَنْ يَجْمَعَ العَالَمَ فِي وَاحِدِ

وهو رئيس الموحدين، وقدوة المحققين الذي جادل فرق المشركين، وأبطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة، ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك، والطعن في النبوة، وتحريم ما أحله، أو لأنه كان وحده مؤمناً وكان سائر الناس كفاراً. وقيل: هي: (فعلة) بمعنى (مفعول) كـ(الرحلة والنخبة) من: (أَمَّهُ) إذا قصده أو اقتدى به؛ فإن الناس كانوا يؤمونه للاستفادة، ويقتدون بسيرته كقوله: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤]. ﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ مطيعاً له قائماً بأوامره. ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً عن الباطل ﴿وَلَمْ

﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ وقيل: يتضمن غرضهم الفاسد، وقيل: ليفتروا بدل من «لما تصف» [كقوله]؛ أي: كقول أبي نواس في مدحه أبا الفضل ابن الربيع [**وليسَ للهِ بمستنكرٍ أنْ يجمعَ العالمَ في واحد**][1]؛ أي: أن يجمع صفاتهم في شخص واحد، وفي نسخة: وليس من الله [**ولذلك عَقَّبَ ذِكْرَهُ بتزييف مذاهب المشركين**]؛ أي: جعل ذكره

---

(١) الإعجاز والإيجاز، الثعالبي [ص٢٧].

۞ ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾.

يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ كما زعموا؛ فإن قريشاً كانوا يزعمون أنهم على ملة إبراهيم. ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ ذكر بلفظ القلة للتنبيه على أنه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة. ﴿ٱجْتَبَٰهُ﴾ للنبوة، ﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ في الدعوة إلى الله، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ بأن حببه إلى الناس حتى أن أرباب الملل يتولونه ويثنون عليه، ورزقه أولاداً طيبة، وعمراً طويلاً في السعة والطاعة. ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ لمن أهل الجنة كما سأله بقوله: ﴿وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الشعراء: ٨٣].

﴿١٢٣﴾ ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد، (وثُمَّ) إما لتعظيمه والتنبيه على أن أَجلَّ ما أوتي إبراهيم اتباع الرسول عليه السلام ملته، أو لتراخي أيامه. ﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ في التوحيد والدعوة إليه بالرفق، وإيراد الدلائل مرّة بعد أُخرَى، والمجادلة مع كل أحد على حسب فهمه ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ بل كان قدوة الموحدين.

﴿١٢٤﴾ ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ﴾ تعظيم السبت، أو التخلي فيه للعبادة. ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾؛ أي: على نبيّهم، وهم اليهود أمرهم موسى عليه السلام أن يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فأبوا وقالوا: نريد يوم السبت لأنه تعالى فَرَغَ فيه مِنْ خَلق السمٰوات والأرض؛ فألزمهم اللهُ السبتَ وشدد الأمر عليهم. وقيل معناه: إنما جُعِلَ وَبَالُ السبت؛ وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه،

عقب التزييف [وثم أما لتعظيمه]؛ أي: لتعظيم النبي ﷺ [فأبوا]؛ أي: فأبى أكثرهم فإن أقلهم رضي بيوم الجمعة [وشدد الأمر عليهم] حيث ابتلاهم بتحريم الصيد فيه.

[على الذين اختلفوا فيه]؛ يعني: على الذين اختاروا منهم السبت

۞ ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾.

فأحلوا الصيد فيه تارة وحرموه أُخْرَى واحتالوا له الحيل. وذكرهم هنا لتهديد المشركين كذكر القرية التي كفرت بأنعم الله. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ بالمجازاة على الاختلاف، أو بمجازاة كل فريق بما يستحقه.

﴿١٢٥﴾ ﴿ٱدْعُ﴾ من بُعِثْتَ إليهم. ﴿إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ إلى الإسلام ﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾ بالمقالة المحكمة، وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ الخطابات المقنعة والعبر النافعة؛ فالأولى لدعوة خواص الأمة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم. ﴿وَجَٰدِلْهُم﴾ وجادل معانديهم ﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين وإيثار الوجه الأيسر، والمقدمات التي هي أشهر؛ فإن ذلك أنفع في تسكين لهبهم وتبيين شغبهم. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾؛ أي: إنما عليك البلاغ والدعوة، وأما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا إليك؛ بل الله أعلم بالضالين والمهتدين، وهو المجازي لهم.

﴿١٢٦﴾ ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ لما أمره بالدعوة وبيَّن له طرقها أشار إليه وإلى من يتابعه بترك المخالفة، ومراعاة العدل مع من يناصبهم، فإن الدعوة لا تنفك عنه من حيث إنها تتضمن رفض العادات،

[واحتالوا له الحيل]؛ أي: التي وسوس لهم بها الشيطان كقوله: إن الله لم ينهكم عن الاصطياد وإنما نهاكم عن الأكل فاصطادوا، وكقوله: «إنما نهيتم عن الأخذ فاتخذوا حياضاً على شاطئ البحر تسوقون الحيتان إليها يوم السبت ثم خذوها يوم الأحد ففعلوا ذلك زماناً» **[فإن الدعوة لا تنفك عنه]**؛ أي: عن ترك المخالفة

۞ ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾

وترك الشهوات، والقدح في دين الأسلاف، والحكم عليهم بالكفر والضلال. وقيل: إنه عليه السلام لما رأى حمزة وقد مثل به فقال: «**والله لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك**»، فنزلت. فكفَّر عن يمينه، وفيه دليل على أن للمقتص أن يماثل الجاني وليس له أن يجاوزه، وحثَّ على العفو تعريضاً بقوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ وتصريحاً على الوجه الآكد بقوله: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ﴾؛ أي: الصبر. ﴿خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ من الانتقام للمنتقمين، ثم صرح بالأمر به لرسوله؛ لأنه أولى الناس به لزيادة علمه بالله، ووثوقه عليه فقال:

﴿١٢٧﴾ - ﴿١٢٨﴾ ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ إلا بتوفيقه وتثبيته. ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ على الكافرين أو على المؤمنين وما فعل بهم. ﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ في ضيق صدر من مكرهم، وقرأ ابن كثير: (في ضِيْقٍ) بالكسر هنا وفي (النمل) وهما لغتان كـ(القول والقيل)، ويجوز أن يكون الضِيْق تخفيف ضَيْق. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ المعاصي ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ في أعمالهم بالولاية والفضل، أو مع الذين اتقوا الله بتعظيم أمره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه.

عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (النحل) لم يحاسبه الله بما أنعم عليه في دار الدنيا، وإن مات في يومِ تلاها أو ليلة كان له من الأجر كالذي مات وأحسن الوصية**».

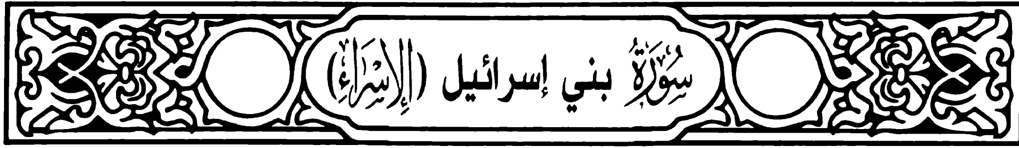
[**وقيل: إنه** عليه السلام: «**لما رأى حمزة وقد مُثِّل به..**»] إلى آخره. رواه الطبراني[1] وغيره

[«**من قرأ سورة النحل..**»] إلى آخره. موضوع[2].

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني [٣/ ١٤٢/ برقم: ٢٩٣٥].

(٢) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٢/ ٢٥١/ برقم: ٦٩٠].



(١٧) مكية، وقيل: إلا قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الإسراء: ٧٣] إلى آخر ثمان آيات، وهي مائة وإحدى عشرة آية

۞ ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ (سبحان) اسم بمعنى: التسبيح الذي هو التنزيه، وقد يستعمل علماً له فيقطع عن الإضافة ويمنع عن الصرف قال:

قَدْ قُلْتُ لَمَّا جَاءَني فَخْرُهُ   سبحانَ مِنْ عَلْقَمَةَ الفاخِرِ

وانتصابه بفعل متروك إظهاره، وتصدير الكلام به؛ للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد. (وأَسْرى) و(سرى) بمعنى. و(لَيْلاً) نصب على الظرف. وفائدته: الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الإسراء، ولذلك قرئ: (من الليل)؛ أي: بعضه كقوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ﴾ [الإسراء: ٧٩]. ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ

وتسمى: سورة الإسراء [ويمنع الصرف]؛ أي: للعلمية وزيادة الألف والنون [قال]؛ أي: الأعشى في مدحه عامر بن الطفيل وذمه علقمة بن عُلاثَة ـ فلعل ذمه في البيت كان قبل إسلامه ـ:

[قد قلت لما جاءني فخره   ....]

أي: عامر بن الطفيل [سبحان من علقمة الفاخر]؛ أي: العجب منه إذ يفخر والعرب تقول: «سبحان الله من كذا» إذا تعجبت منه قاله الجوهري[١]. والشاهد في

---

(١) الصحاح، الجوهري [١/ ٣٠٠].

﴿ٱلْحَرَامِ﴾ بعينه، لما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذا أتاني جبريل بالبراق**». أو من الحرم، وسماه المسجد الحرام لأنه كله مسجد، أو لأنه محيط به، أو ليطابق المبدأ المنتهى. لما روي: أنه ﷺ كان نائماً في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأسرى به ورجع من ليلته، وقص القصة عليها وقال: «**مثّل لي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فصليت بهم**». ثم خرج إلى المسجد الحرام، وأخبر به قريشاً فتعجبوا منه استحالة، وارتد ناس ممن آمن به، وسعى رجال إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقال: إن كان قال لقد صدق! فقالوا: أتصدقه على ذلك؟! قال: إني لأصدقه على أبعد من ذلك؛ فسمي الصديق، واستنعته طائفة سافروا إلى بيت المقدس فجلى له فطفق ينظر إليه وينعته لهم، فقالوا: أما النعت فقد أصاب، فقالوا: أخبرنا عن عيرنا، فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها، وقال: «**تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق**»، فخرجوا يشتدون إلى الثنية فصادفوا العير كما أخبر، ثم لم يؤمنوا وقالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠] وكان ذلك قبل الهجرة بسنة. واختلف في أنه كان في المنام أو في اليقظة، بروحه أو بجسده، والأكثر على أنه أسرى بجسده إلى بيت المقدس، ثم عرج به

«سبحان» حيث جعله علماً على التنزيه فمنعه الصرف، وعلقمة المذكور صحابي قدم على رسول الله ﷺ وهو شيخ فأسلم وبايع واستعمله عمر بن الخطاب على حوران فمات بها [**لما روي أنه** ﵇ **قال**: «**بينا أنا في المسجد الحرام..**»] إلى آخره. رواه الشيخان[1] وغيرهما [**لما روي**: «**أنه كان نائماً في بيت أم هانئ..**»] إلى آخره. رواه الطبراني[2]، والأورق من الإبل الذي في لونه بياض إلى سواد وهو أطيب الإبل لحماً، قاله الجوهري[3] [**واستنعته طائفة**]؛ أي: طلبت منه نعته.

---

(١) صحيح البخاري [٣/ ١١٧٣/ برقم: ٣٠٢٥]، صحيح مسلم [١/ ١٤٩/ برقم: ١٦٤].
(٢) المعجم الكبير، الطبراني [٢٤/ ٤٣٢/ برقم: ٢١٠٧٩].
(٣) الصحاح، الجوهري [٢/ ٢٧٥].

۞ ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾.

إلى السمٰوات حتى انتهى إلى سدرة المنتهى. ولذلك تعجب قريش واستحالوه، والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة أن ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الأرض مائة ونيفاً وستين مرة، ثم إن طرفها الأسفل يصل موضع طرفها الأعلى في أقل من ثانية، وقد برهن في الكلام أن الأجسام متساوية في قبول الأعراض، وأن الله قادر على كل الممكنات فيقدر أن يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي ﷺ، أو فيما يحمله، والتعجب من لوازم المعجزات. ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ بيت المقدس لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد. ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ ببركات الدين والدنيا لأنه مهبط الوحي ومتعبد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من لدن موسى عليه الصلاة والسلام، ومحفوف بالأنهار والأشجار. ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر، ومشاهدته بيت المقدس، وتمثل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام له، ووقوفه على مقاماتهم. وصرف الكلام من الغيبة إلى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات. وقرئ: (ليريه) بالياء. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ لأقوال محمد ﷺ. ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ بأفعاله فيكرمه، ويقربه على حسب ذلك.

﴿٢﴾ - ﴿٣﴾ ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ﴾ على أن لا تتخذوا كقولك: كتبت إليك؛ أن أفعل كذا. وقرأ أبو عمرو بالياء على: (أن لا يتخذوا). ﴿مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ ربّاً تكلون إليه أموركم غيري. ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ﴾ نصب على الاختصاص، أو النداء؛ إن قرئ: (أن لا تتخذوا) بالتاء على النهي؛ يعني: قلنا لهم لا تتخذوا من

[في أقل من ثانية] هي جزء من ستين جزء من الدقيقة [أو فيما يحمله]؛ أي:

۞ ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾﴾.

دوني وكيلاً، أو على أنه أحد مفعولي (أَلَّا تَتَّخِذُوا) و(مِنْ دُونِي) حال من (وَكِيلاً) فيكون كقوله: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران: ٨٠] وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، أو بدل من واو (تَتَّخِذُوا)، و(ذِرِّيَّةِ) بكسر الذال. وفيه تذكير بإنعام الله تعالى عليهم في إنجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح عليه السلام في السفينة. ﴿إِنَّهُۥ﴾ إن نوحاً عليه السلام. ﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ يحمد الله تعالى على مجامع حالاته، وفيه إيماء بأن إنجاءه ومن معه كان ببركة شكره، وحث للذرية على الاقتداء به. وقيل: الضمير لموسى عليه الصلاة والسلام.

﴿٤﴾ - ﴿٥﴾ ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وأوحينا إليهم وحياً مقتضياً مبتوتاً. ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ في التوراة. ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ جواب قسم محذوف، أو قضينا على إجراء القضاء المبتوت مجرى القسم. ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ إفسادتين أولاهما: مخالفة أحكام التوراة وقتل شعياء، وقيل: أرمياء. وثانيهما: قتل زكريا ويحيى وقَصْدُ قتلِ عيسى عليه السلام. ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾

وهو البراق [**فيكون**]؛ أي: وكيلاً أو ذرية مفعولي تتخذوا [**كقوله**: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ [آل عمران: ٨٠]. .] إلى آخره. [**أو بدل من واو يتخذوا**]؛ أي: على قراءة الغيبة إذ لا يجوز إبدال المظهر من ضمير المخاطب كما لا يجوز في ضمير المتكلم؛ لأنهما لا يحتملان غيرهما بخلاف ضمير الغيبة [**مبتوتاً**] بالتاء المثناة؛ أي: مقطوعاً [**أو قضينا**]؛ أي: أو جواب لقضينا [**أولاهما مخالفة أحكام التوراة وقتل شعياء..**] إلى آخره. مخالف لما في «الكشاف»(١) من أن الأُولى: قتلَ زكريا وحبسَ

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/٦٠٧].

۝ ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ٦﴾.

ولتستكبرن عن طاعة الله تعالى أو لتظلمن الناس. ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾ وعد عقاب أولاهما. ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ﴾ «بختنصر» عامل لـ«هراسف» على بابل وجنوده. وقيل: «جالوت الجزري». وقيل: «سنحاريب» من أهل نينوى. ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ ذوي قوة وبطش في الحرب شديد. ﴿فَجَاسُواْ﴾ فترددوا لطلبكم. وقرئ بالحاء المهملة وهما أخوان. ﴿خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ وسطها للقتل والغارة؛ فقتلوا كبارهم، وسبوا صغارهم، وحرقوا التوراة، وخرّبوا المسجد. والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك أولوا البعث بالتخلية وعدم المنع. ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ وكان وعد عقابهم لا بد أن يفعل.

٦ ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ﴾؛ أي: الدولة والغلبة. ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على الذين بعثوا عليكم، وذلك بأن ألقى الله في قلب «بهمن بن اسفنديار» لما ورث الملك من جده «كشتاسف بن لهراسف» شفقة عليهم، فردّ أسراهم إلى الشام، ومَلّكَ «دانيال» عليهم فاستولوا على من كان فيها من أتباع «بختنصر»، أو بأن سلط الله داود عليه الصلاة والسلام على جالوت فقتله. ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ مما كنتم، و(النفير): من ينفر مع الرجل من قومه. وقيل: جمع: (نفر) وهم المجتمعون للذهاب إلى العدو.

أرميا، والثانية: قتل يحيى بن زكريا وقتل عيسى **[وجنوده]** يحتمل نصبه عطفاً على «بخت نصّر» وجره عطفاً على «هراسف» وكلاهما مخالف لقول «الكشاف»[1]: «سنحاريب» وجنوده **[وقيل: جالوت الخَزَري]** هو بخاء فزاي مفتوحتين قرأ نسبة إلى الخَزَر وهو ضيق العين وصغرها أو جيل من الناس **[وقرئ بالحاء]**؛ أي: المهملة.

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/٦٠٧].

۞ ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾.

﴿٧﴾ ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ لأن ثوابه لها. ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ فإن وباله عليها، وإنما ذكرها باللام ازدواجاً. ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ وعد عقوبة المرة الآخرة. ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾؛ أي: بعثناهم (لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ)؛ أي: يجعلوها بادية آثار المساءة فيها؛ فحذف لدلالة ذكره أولاً عليه. وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر: (ليسوء) على التوحيد، والضمير فيه للوعد أو للبعث أو لله، ويعضده قراءة الكسائي بالنون. وقرئ: (لَنَسُوأن) بالنون، والياء، والنون المخففة والمثقلة، و(لَنسوأن) بفتح اللام على الأوجه الأربعة على أنه جواب (إذا) و(اللام) في قوله: ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ متعلق بمحذوفٍ هو: (بعثناهم). ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا﴾ ليهلكوا. ﴿مَا عَلَوْا﴾ ما غلبوه واستولوا عليه، أو مدة علوهم. ﴿عَلَوْا﴾ ذلك بأن سلط الله عليهم الفُرْسَ مرّة أُخْرَى، فغزاهم ملك بابل؛ من ملوك الطوائف اسمه «جودرز»، وقيل: «حردوس» قيل: دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دماً يغلي! فسألهم عنه؟ فقالوا: دم قربان لم يقبل منا! فقال: ما صَدَقُوني! فقتل عليه ألوفاً منهم فلم يهدأ الدم! ثم قال: إن لم تَصْدُقُوني ما تركت منكم أحداً! فقالوا: إنه دم يحيى! فقال: لمثل هذا ينتقم ربكم منكم! ثم قال: يا يحيى قد علم ربي وربك ما أصاب قومك من أجلك، فاهدأ بإذن الله تعالى قبل أن لا أُبْقي أحداً منهم؛ فهدأ.

[لأن ثوابه]؛ أي: الإحسان **[فإن وبالها]**؛ أي: الإساءة **[فحذف]**؛ أي: بعثناكم وهو جواب إذا **[واللام في قوله: ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ متعلق بمحذوف هو بعثنا]** هذا فهم من كلامه السابق فكان الأولى به أن يقول ولتدخلوا المسجد عطف على ليسوءوا **[قرابينهم]** جمع قربان **[فقبل عليه]**؛ أي: على الدم الذي وجده يغلي أو على عدم صدقهم **[فقال: يا يحيى]** خطاباً لدمه **[فاهدأ]**؛ أي: اسكن عن غليانك

۞ ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾.

﴿٨﴾ ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ بعد المرّة الآخرة. ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾ نوبة أُخْرَى ﴿عُدْنَا﴾ مرّة ثالثة إلى عقوبتكم. وقد عادوا بتكذيب محمد ﷺ وقَصْدِ قَتْلِه؛ فعاد الله تعالى بتسليطه عليهم فقتل قريظة وأجلى بني النضير، وضرب الجزية على الباقين ـ هذا لهم في الدنيا ـ. ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ محبساً لا يقدرون على الخروج منها أبد الآباد. وقيل: بساطاً كما يبسط الحصير.

﴿٩﴾ ـ ﴿١٠﴾ ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ للحالة أو الطريقة التي هي أقوم الحالات أو الطرق. ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ وقرأ حمزة والكسائي: (وَيَبْشُرُ) بالتخفيف. ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ عطف على (أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً)، والمعنى: أنه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب أعدائهم، أو على (يُبَشِّرُ) بإضمار يخبر.

﴿١١﴾ ﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ﴾ ويدعو الله تعالى عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله، أو يدعوه بما يحسبه خيراً وهو شرّ. ﴿دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾ مثل دعائه بالخير. ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا﴾ يسارع إلى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته. وقيل: المراد آدم عليه الصلاة والسلام فإنه لما انتهى الروح إلى سرته ذهب لينهض فسقط. روي: أنه عليه السلام دفع أسيراً إلى سودة بنت زمعة فرحمته لأنينه فأرخت كتافه، فهرب، فدعا عليها بقطع اليد، ثم ندم فقال عليه السلام: «**اللّهُمَّ**

[أو على بئس بإضمار يخبر] قيل: أو على يهدي بإضمار يخبر **[إلى سودة بنت زمعة]** وقيل: إلى عائشة **[فأرخت كتافه]**؛ أي: وثاقه؛ أي: أرسلته **[فدعا]**؛ أي: النبي ﷺ

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾.

إنما أنا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائي رحمة له»، فنزلت. ويجوز أن يريد بالإنسان الكافر، وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحرث: اللَّهُمَّ انصر خير الحزبين، ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ الآية [الأنفال: ٣٢]. فأجيب له! فضرب عنقه صبراً يوم بدر.

﴿١٢﴾ ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِۖ﴾ تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بإمكان غيره. ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾؛ أي: الآية التي هي الليل بالإشراق. والإضافة فيهما للتبيين كإضافة العدد إلى المعدود. ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ مضيئة، أو مبصرة للناس؛ من: (أبصره فبصر)، أو مبصراً أهله كقولهم: أَجْبَنَ الرجلُ؛ إذا كان أهله جبناء. وقيل: الآيتان القمر والشمس. وتقدير الكلام: وجعلنا نَيِّرَي الليل والنهار آيتين، أو جعلنا الليل والنهار ذوي آيتين. ومحو آية الليل التي هي القمر جعلها مظلمة في نفسها مطموسة النور، أو نقص نورها شيئاً فشيئاً إلى المحاق، وجعل آية النهار التي هي الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع تبصر الأشياء بضوئها. ﴿لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ لتطلبوا في بياض النهار أسباب معاشكم، وتتوصلوا به إلى استبانة أعمالكم. ﴿وَلِتَعْلَمُوا۟﴾ باختلافهما أو بحركاتهما. ﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَۚ﴾ وجنس الحساب. ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾ تفتقرون إليه في أمر الدين والدنيا. ﴿فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ بيناه بياناً غير ملتبس.

[وبالدعاء]؛ أي: في قوله: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الإسراء: ١١] **[يدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بإمكان غيره]**؛ أي: غير التعاقب أو غير القادر الحكيم والباء الأولى: للسببية متعلقة بيدلان والثانية: للمصاحبة متعلقة بتعاقبهما أو بالقادر؛ أي: يدلان على القادر الحكيم بسبب تعاقبهما على نظم واحد مع إمكان غير التعاقب أو غير القادر الحكيم **[والإضافة فيها للتبيين]**؛ أي: في آية الليل وسكت

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾﴾.

﴿١٣﴾ ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾ عمله وما قدر له؛ كأنه طير إليه من عش الغيب ووكر القدر، لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه، استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله تعالى وعمل العبد. ﴿فِي عُنُقِهِۦۖ﴾ لزوم الطوق في عنقه. ﴿وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا﴾ هي صحيفة عمله، أو نفسه المنتقشة بآثار أعماله؛ فإن الأعمال الاختيارية تحدث في النفس أحوالاً؛ ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات، ونصبه بأنه مفعول أو حال من مفعول محذوف، وهو ضمير (الطائر) ويعضده قراءة يعقوب و(يَخْرُجُ) من: (خَرَجَ)، و(يُخْرَجُ) وقرئ: (ويُخرِجُ)؛ أي: الله ﷻ ﴿يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ لكشف الغطاء، وهما صفتان للـ(الكتاب)، أو (يَلْقاهُ) صفة و(مَنْشُوراً) حال من مفعوله. وقرأ ابن عامر: (يُلَقَّاهُ) على البناء للمفعول من: (لَقَّيْتُه كذا).

﴿١٤﴾ - ﴿١٥﴾ ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ﴾ على إرادة القول. ﴿كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾؛ أي: كفى نفسك. و(الباء) مزيدة و(حَسِيباً) تمييز، و(على) صلته؛ لأنه إما بمعنى: (الحاسب) كـ(الصريم) بمعنى: (الصارم)، و(ضريب

عن تفسير الإضافة في آية النهار للعلم به من ذلك [يتيمنون ويتشائمون بسنوح الطائر]؛ أي: مروره إلى يمينه [وبُروحه] بضم الباء؛ أي: مروره إلى يساره قال الجوهري: مفرقاً السانح ما ولاك ميامنه من ظبي أو طائر أو غيرهما والبارح ما ولاك مياسره والعرب تتيمن بالسارح وتتشاءم بالبارح؛ لأنه لا يمكنك أن ترميه حتى تنحرف إليه[١] [وهو ضمير الطائر] إلى أي في يخرج.

---

(١) الصحاح، الجوهري [١/٣٣٣].

۞ ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ١٦﴾.

القداح) بمعنى: (ضاربها)، من: (حسب عليه كذا) أو بمعنى: الكافي، فوضع موضع الشهيد؛ لأنه يكفي المدعي ما أهمه. وتذكيره على أن الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال، أو على تأويل النفس بالشخص. ﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ﴾ لا ينجي اهتداؤه غيرَه، ولا يردي ضلالُه سواه. ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ﴾ ولا تحمل نفس حاملة وزراً وزر نفس أُخْرَى؛ بل إنما تحمل وزرها. ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ يبيّن الحجج، ويمهد الشرائع، فيلزمهم الحجة. وفيه دليل على أن لا وجوب قبل الشرع.

١٦ ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً﴾ وإذا تعلقت إرادتنا بإهلاك قوم لإنفاذ قضائنا السابق، أو دنا وقته المقدر كقولهم: إذا أراد المريض أن يموت ازداد مرضه شدة. ﴿أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا﴾ متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه إليهم. ويدل على ذلك ما قبله وما بعده؛ فإن (الفسق): هو الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان. فيدل على الطاعة من طريق المقابلة، وقيل: أمرناهم بالفسق لقوله: ﴿فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ كقولك: أمرته فقرأ، فإنه لا يفهم منه إلا الأمر بالقراءة، على أن الأمر مجاز من الحمل عليه، أو التسبب له؛ بأن صبّ عليهم من النعم ما أبطرهم وأفضى بهم إلى الفسوق. ويحتمل أن لا يكون له مفعول

[ويدل على ذلك]؛ أي: تقدير مفعول أمرنا بالطاعة [ما قبله] هو قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [وما بعده] هو ﴿فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ إلى آخره؛ لأن الفسق مقتضى النهي فيلزم أن يكون مقتضى الأمر الطاعة إذ دليل الحذف كما يكون بالموافقة كقوله: أمرته فقام وأمرته فقرأ يكون بالمخالفة أو بالصد او بالنقيض كقوله: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ [الأنعام: ١٣]؛ أي: وما تحرك وسرابيل تقيكم الحر والبرد؛ أي: والبرد [على أن الأمر مجاز من الحمل عليه] وجه المجاز أنه

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومٗا مَّدْحُورٗا ﴿١٨﴾﴾.

مَنْوِيٌّ كقولهم: أمرته فعصاني. وقيل معناه: (كَثَّرْنا)، يقال: أمرت الشيء وآمرته فأمِرَ إذا كَثَّرتُه، وفي الحديث: «**خير المال سكة مأبورة، ومهرة مأمورة**»؛ أي: كثيرة النتاج. وهو أيضاً مجاز من معنى الطلب. ويؤيده قراءة يعقوب: (آمرنا) ورواية: (أَمَّرْنا) عن أبي عمرو، ويحتمل أن يكون منقولاً من: (أُمِّر) بالضم (أمارة)؛ أي: جعلناهم أمراء، وتخصيص المترفين؛ لأن غيرهم يتبعهم، ولأنهم أسرع إلى الحماقة وأقدر على الفجور. ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾؛ يعني: كلمة العذاب السابقة بحلوله، أو بظهور معاصيهم، أو بانهماكهم في المعاصي. ﴿فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرٗا﴾ أهلكناها بإهلاك أهلها وتخريب ديارهم.

﴿١٧﴾ - ﴿١٨﴾ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾ وكثيراً أهلكنا ﴿مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ بيان لكم

صب عليهم النعمة صبّاً ليشكروا ويعملوا فيها الخير فجعلوها ذريعة إلى المعاصي واتباع الشهوات فكأنهم مأمورون بذلك فكان ذلك حاملاً على الأمر بالفسق والتسبب له [**وقيل: معناه: كثرنا..**] إلى آخره. أخذاً من قوله: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرٗا﴾ [الكهف: ٧١]؛ أي: كثيراً [**وفي الحديث: «خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة»**] رواه الطبراني وغيره(١) والسكة بكسر السين وبتشديد الكاف الطريقة المصطفة من النخل والمأبورة الملقحة؛ قال ذلك الجوهري(٢). [**ويؤيده قراءة يعقوب: آمرنا**]؛ أي: بالمد [**ويحتمل أن تكون مفعولاً من أمر بالضم**]؛ أي: بضم الميم [**أسرع إلى الحماقة**]؛ أي: إلى قلة العقل.

[**من القرون بيان لكم**] أشار إلى أن من فيه بيانية وأما في قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ نُوحٍۗ﴾

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني [٧/ ٩١/ برقم: ٦٤٧٠]، مسند أحمد [٣/ ٤٦٨/ برقم: ١٥٨٨٣].

(٢) الصحاح، الجوهري [١/ ٣٢٣].

۞ ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾.

وتمييز له. ﴿مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ﴾ كعاد وثمود. ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها، وتقديم (الخبير) لتقدم متعلقه. ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ مقصوراً عليها همه. ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والإرادة؛ لأنه لا يجد كل متمن ما يتمناه، ولا كل واجد جميع ما يهواه، وليعلم أن الأمر بالمشيئة والهمّ فضل. و(لِمَنْ نُرِيدُ) بدل من له بدل البعض. وقرئ: (ما يشاء) والضمير فيه لله تعالى حتى يطابق المشهورة. وقيل: (لِمَنْ) فيكون مخصوصاً بمن أراد الله تعالى به ذلك. وقيل: الآية في المنافقين كانوا يراءون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم إلا مساهمتهم في الغنائم ونحوها. ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ مطروداً من رحمة الله تعالى.

﴿١٩﴾ - ﴿٢٠﴾ ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ حقها من السعي وهو الإتيان بما أمر به، والانتهاء عما نهى عنه لا التقرب بما يخترعون بآرائهم. وفائدة اللام اعتبار النية والإخلاص. ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ إيماناً صحيحاً لا شرك معه ولا تكذيب؛ فإنه العمدة. ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ الجامعون للشروط الثلاثة. ﴿كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ من الله تعالى؛ أي: مقبولاً عنده مثاباً عليه، فإنّ شكر الله؛ الثواب على الطاعة. ﴿كُلًّا﴾ كل واحد من الفريقين، والتنوين بدل من المضاف إليه. ﴿نُّمِدُّ﴾ بالعطاء مرة بعد أُخْرَى، ونجعل آنفه

ابتدائية [لتقدم متعلقه] هو ﴿بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ﴾ ولك أن تقول هو متعلق بـ«بصير» أيضاً على سبيل التنازع [وفائدة اللام]؛ أي: في لها [**الجامعون للشرائط الثلاثة**] هي إرادتهم الآخرة بهمتهم وسعيهم لها فيما كلفوا به ولإيمانهم الصحيح والثلاثة شروط للسعي المشكور [**فإن شكر الله**]؛ أي: لهم [**نمد**]؛ أي: نزيد [**ونجعل الآنفة**]؛ أي: من العطايا.

﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾.

مدداً لسالفه. ﴿هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ﴾ بدل من (كُلّاً). ﴿مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ من معطاه متعلق بـ(نُمِدُّ). ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ ممنوعاً لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلاً.

﴿٢١﴾ - ﴿٢٢﴾ ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ في الرزق، وانتصاب (كَيْفَ) بـ(فَضَّلْنا) على الحال. ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾؛ أي: التفاوت في الآخرة أكبر؛ لأن التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها. ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ الخطاب للرسول ﷺ والمراد به أمته، أو لكل أحد. ﴿فَتَقْعُدَ﴾ فتصير، من قولهم: شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة. أو (فتعجز) من قولهم: (قعد عن الشيء) إذا عجز عنه. ﴿مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ جامعاً على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين، والخذلان من الله تعالى. ومفهومه أن الموحد يكون ممدوحاً منصوراً.

[**مدداً للسالفة**] منها وعبارة «الكشاف»[١] ويجعل الآنف منه؛ أي: من العطاء مدداً للسالف فنرزق المطيع والعاصي جميعاً على وجه التفضل. انتهى. و«الإيناف»: الابتداء أخذاً من قول الجوهري[٢] الاستئناف الابتداء أو كذا الائتناف وقلت كذا آنفاً وسالفاً. انتهى [**وانتصاب كيف فضلنا على الحال**]؛ أي: أو على التشبيه بالظرف؛ أي: انظر بعين الاعتبار كيف جعلناهم متفاوتين في التفضل [**فتصير**] فسّر كالزمخشري[٣] (يَقْعُد) بـ«تصير» وهو قول الفراء والجمهور على أنه باق على معناه فـ(يقعد) تامة ويكون (مذموماً مخذولاً) حال، لكن قول الفراء أنسب هنا [**شحذ**

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٦١٤].
(٢) الصحاح، الجوهري [٦/ ٢٢].
(٣) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٦١٤].

۞ ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾.

﴿٢٣﴾ ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ وأَمَرَ أمراً مقطوعاً به. ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ بأن لا تعبدوا. ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ لأن غاية التعظيم لا تحق إلا لمن له غاية العظمة ونهاية الإنعام، وهو كالتفصيل لسعي الآخرة. ويجوز أن تكون (أن) مفسرة و(لا) ناهية. ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ﴾ وبأن تحسنوا، أو: وأحسنوا بالوالدين إحساناً لأنهما السبب الظاهر للوجود والتعيش. ولا يجوز أن تتعلق (الباء) بـ(الإحسان) لأن صلته لا تتقدم عليه. ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ (إِمَّا) هي (إن) الشرطية زيدت عليها (ما) تأكيداً، ولذلك صح لحوق النون المؤكدة للفعل، وأحدهما فاعل (يَبْلُغَنَّ) وبدل على قراءة حمزة والكسائي من أَلِفِ (يبلغان) الراجع إلى (الوالدين)، و(كلاهما) عطف على (أحدهما) فاعلاً، أو بدلاً، ولذلك لم يجز أن يكون تأكيداً للألف، ومعنى (عِنْدَكَ) أن يكونا في كنفك وكفالتك. ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ فلا تتضجر مما

الشفرة]؛ أي: حدها **[وقضى ربك وأمر أمراً مقطوعاً به]** ضمن قضى معنى الأمر ليجمع بين معنيي الأمر والقضاء الذي هو القطع **[ويجوز أن تكون (أَنْ) مُفَسِّرَة و(لا) ناهية]** أشار إلى أنها في الأول ناصبة ولا نافية، وجوز غيره أن تكون مخففة واسمها ضمير الشأن و(لا) ناهية أيضاً، وظاهرٌ أنَّ قوله: (وهو كالتفصيل لسعي الآخرة) لا يختص بالقول الأول **[ولا يجوز أن تتعلق الباء بالإحسان؛ لأن صلته لا تتقدم عليه]** تبع فيه الزمخشري[1] لكن جوزه الواحدي ويحمل الأول: على أنه عنى بالإحسان انحلاله لحرف مصدري وفعل، والثاني: على أنه بدل من اللفظ بالفعل.

[ولذلك]؛ أي: ولكون كلاهما عطفاً على أحدهما الذي لا يصلح أن يكون تأكيداً لألف «يبلغان» **[لم يجز أن يكون]**؛ أي: كلاهما **[تأكيداً للألف]** أيضاً فليس

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٦١٥].

۞ ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾.

يستقذر منهما وتستثقل من مؤنتهما، وهو صوت يدل على تضجر. وقيل: هو اسم الفعل الذي هو أتضجر، وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير. وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف. وقرئ به مُنَوَّناً وبالضم للاتباع كـ(مُنْذُ) مُنَوَّناً وغيرَ مُنَوَّنٍ. والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر أنواع الإيذاء قياساً بطريق الأولى. وقيل: عرفاً كقولك: فلان لا يملك النقير والقطمير. ولذلك منع رسول الله ﷺ حذيفة من قتل أبيه وهو في صف المشركين. نهى عما يؤذيهما بعد الأمر بالإحسان بهما. ﴿وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا﴾ ولا تزجرهما عما لا يعجبك بإغلاظ. وقيل: (النهي) و(النهر) و(النهم) أخوات. ﴿وَقُل لَّهُمَا﴾ بدل التأفيف والنهر. ﴿قَوۡلٗا كَرِيمٗا﴾ جميلاً لا شراسة فيه.

٢٤ ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ تذلل لهما وتواضع فيهما، وجعل لـ(الذل) جناحاً كما جعل لبيد في قوله:

وَغَدَاةَ رِيحٍ قَدْ كَشَفْتُ وَقِرَّةٍ ... إِذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا

العامل فيه يبلغ المذكور كما هو شأن المؤكد بل عامل آخر من جنسه [كـ«منذ»] تشبيه «أف» به في الضم [**منوناً وغير منون**] راجع إلى «أفّ» فقط [**تذلل لهما وتواضع فيهما**] أولى منه تذلل وتواضع لهما وعبارة «الكشاف»(١) مبالغة في التذلل والتواضع لهما [**جعل للذل جناحاً**] فيه استعارة بالكناية حيث شبه الذل بالطائر وتخييلية حيث أثبت له ما يلازم الطائر عند انحطاطه وانخفاضه وهو الجناح: [**كما جعل لبيد في قوله:**

وغَدَاةَ ريحٍ قد كشفتُ وقِرَّةٍ ... إذ أصبَحَت بِيَدِ الشمالِ زمامُها(٢)

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/٦١٦].
(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر ابن الأنباري [١/١٧٨].

للشمال يداً، أو للقرة زماماً. وأمره بخفضه مبالغة، أو أراد جناحه كقوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]. وإضافته إلى (الذل) للبيان والمبالغة كما أضيف حاتم إلى الجود، والمعنى: واخفض لهما جناحك الذليل. وقرئ: (الذِّل) بالكسر، وهو الانقياد والنعت منه: (ذلول). ﴿مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ من فرط رحمتك عليهما؛ لافتقارهما إلى من كان أفقر خلق الله تعالى إليهما بالأمس. ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا﴾ وادع الله تعالى أن يرحمهما برحمته الباقية، ولا تكتف برحمتك الفانية، وإن كانا كافرين لأن من الرحمة أن يهديهما. ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ رحمة مثل رحمتهما عليَّ وتربيتهما وإرشادهما لي في صغري، وفاءً بوعدك للراحمين. روي: أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: إن أَبَوَيَّ بلغا من الكبر أني أَلي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما. قال: «**لا! فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك، وأنت تفعل ذلك وتريد موتهما!**».

للاشتمال يداً، وللقِرّة زماماً] حيث شبه الشمال بالإنسان على سبيل الاستعارة بالكناية أضيف إليه على سبيل الاستعارة التخييلية ما يلازم الإنسان عند التصرف وهو «اليد»، ومثل ذلك يأتي في «زمام القِرَّة»؛ وهي بكسر القاف البرد يقال: «أشدُّ العطش حِرَّةٌ على قِرَّةٍ» قاله الجوهري[١]. **[وأمره بخفضها]** القياس «بخفضه»؛ أي: الجناح وكأنه أنثه باعتبار أنه اليد ففي الصحاح جناح الطائر يده **[أو أراد جناحه]** عطف على «جعل للذل جناحاً» أو أراد جناح الولد **[وإضافته إلى الذّل]**؛ أي: على القول بأن المراد جناح الولد **[وقرئ الذِّل بالكسر]** قال: قال ابن جنّي: هو بالكسر للدابة ضد الصعوبة[٢]، وبالضم للإنسان ضد العسر كأنهم فرقوا بذلك لأن ما يلحق الإنسان أكثر قدراً مما يلحق الدابة فاختاروا الضم لقوته للإنسان، والكسر لضعفه للدابة **[من الرحمة من فرط رحمتك]** جعل «مِنَ» في ﴿مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]

---

(١) الصحاح، الجوهري [٣/ ٤٥٠].

(٢) انظر: الفروق اللغوية، العسكري [ص٢٤٣].

۞ ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾.

﴿٢٥﴾ ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ من قصد البر إليهما، واعتقاد ما يجب لهما من التوقير؛ وكأنه تهديد على أن يضمر لهما كراهة واستثقالاً. ﴿إِن تَكُونُوا صَٰلِحِينَ﴾ قاصدين للصلاح. ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ﴾ للتوابين. ﴿غَفُورًا﴾ ما فرط منهم عند حرج الصدر من أذية أو تقصير. وفيه تشديد عظيم، ويجوز أن يكون عاماً لكل تائب، ويندرج فيه الجاني على أبويه التائب من جنايته لوروده على أثره.

﴿٢٦﴾ ـ ﴿٢٧﴾ ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ من صلة الرحم، وحسن المعاشرة، والبرّ عليهم. وقال أبو حنيفة: حقهم إذا كانوا محارم فقراء أن ينفق عليهم. وقيل: المراد بـ(ذي القربى) أقارب الرسول ﷺ. ﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ بصرف المال فيما لا ينبغي، وإنفاقه على وجه الإسراف، وأصل (التبذير): التفريق. وعن النبي ﷺ أنه قال لسعد وهو يتوضأ: «**ما هذا السرف؟**» قال: أَوَفِي الوضوء سرف؟ قال: «**نعم! وإن كنت على نهر جار**». ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ أمثالهم في الشرارة فإن التضييع والإتلاف شر، أو أصدقاءهم وأتباعهم؛ لأنهم يطيعونهم في الإسراف

ابتدائية لا بيانية قاله الطيبي. [ويندرج فيه الجافي على أبويه] في نسخة عقب هذا: اندراجاً أولياء. وفي أُخرَى: جناية أولياء [«وعن النبي ﷺ أنه قال لسعد..»] إلى آخره. رواه الإمام أحمد(١) [أو أصدقائهم وأتباعهم] عطف على «أمثالهم» وأشار بـ«أمثالهم» إلى أنَّ «أخوان» في الآية فيه معنى التشبيه وبـ«أصدقائهم وأتباعهم» إلى

---

(١) مسند أحمد [٢/ ٢٢١/ برقم: ٧٠٦٥].

۞ ﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ٢٨﴾.

والصرف في المعاصي. روي: أنهم كانوا ينحرون الإبل ويتياسرون عليها ويبذرون أموالهم في السمعة؛ فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بالإنفاق في القربات. ﴿وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا﴾ مبالغاً في الكفر به فينبغي أن لا يطاع.

(٢٨) ﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ﴾ وإن أعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد، ويجوز أن يراد بالإعراض عنهم أن لا ينفعهم على سبيل الكناية. ﴿ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا﴾ لانتظار رزق من الله ترجوه أن يأتيك فتعطيه، أو منتظرين له وقيل معناه: لفقد رزق من ربك ترجوه أن يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه؛ لأنه مسبب عنه، ويجوز أن يتعلق بالجواب الذي هو قوله تعالى: ﴿فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا﴾؛ أي: فقل لهم قولاً ليناً ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم بإجمال القول لهم، والميسور من يسر الأمر مثل سَعُدَ الرَّجل ونحس. وقيل: القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل: أغناكم الله تعالى ورزقنا الله وإياكم.

أنه مجاز [يتياسرون عليها]؛ أي: يجتزؤون لحمها ويقتسمونه؛ قال الجوهري: «يسر القوم الجزور»: أي: اجتزؤوها وقسموا اعضاءها، وضمن «يتياسر» معنى فعل يتعدى بـ«على» كـ«ازدحم»(١) [حياء منَ الردّ]؛ أي: ردّ المذكورين بلا نفع.

[موضعه]؛ أي: موضع الفقد [لأنه]؛ أي: الابتغاء [مسبب عنه]؛ أي: عن الفقد [ويجوز أن يتعلق بالجواب الذي هو قوله: ﴿فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا﴾ [الإسراء: ٢٨]] ردَّ بأن «ما» بعد «فاء الجزاء» لا يعمل فيما قبلها، وأجيب بالمنع فإن ذلك جائز كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾ [وقيل: القول الميسور الدعاء] فعليه فالميسور مصدر بمعنى اليسر؛ أي: قولاً ذا يسر، وعلى الأول يكون اسم مفعول

---

(١) الصحاح، الجوهري [٢/ ٣٠٠].

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾.

﴿٢٩﴾ - ﴿٣٠﴾ ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ تمثيلان لمنع الشحيح وإسراف المبذر، نهى عنهما آمراً بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم. ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ فتصير ملوماً عند الله وعند الناس بالإسراف وسوء التدبير. ﴿مَّحْسُورًا﴾ نادماً، أو منقطعاً بك لا شيء عندك من حسرة السفر إذا بلغ منه. وعن جابر: «بَيْنَا رسول الله ﷺ جالس أتاه صبي فقال: إن أمي تَسْتَكْسِيْكَ درعاً! فقال ﷺ: «**من ساعة إلى ساعة فعد إلينا**»، فذهب إلى أمه فقالت: قل له: إن أمي تَسْتَكْسِيْكَ الدرع الذي عليك! فدخل ﷺ داره ونزع قميصه، وأعطاه وقعد عرياناً، وأذَّن بلال وانتظروه للصلاة فلم يخرج؟! فأنزل الله ذلك». ثم سلّاه بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ يوسعه ويضيقه بمشيئته التابعة للحكمة البالغة، فليس ما يرهقك من الإضافة إلا لمصلحتك. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ يعلم سرهم وعلنهم؛ فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم، ويجوز أن يراد أن البسط والقبض من أمر الله تعالى العالم بالسرائر والظواهر، فأما العباد فعليهم أن يقتصدوا، أو أنه تعالى يبسط تارة ويقبض أُخْرَى فاستنوا بسُنَّته، ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط. وأن يكون تمهيداً لقوله تعالى:

على بابه [**أو منقطَعاً بك**] بفتح الطاء، يقال: «انْقُطِعَ بالمسافر» بالبناء للمفعول إذا عطبت دابته أو نفد زاده فهو منقطَع به [**إذا بلغ منه**]؛ أي: أثّر فيه السفر [**وعن جابر..**][1] إلى آخره. قال شيخنا لم أجده.

[**تستكسيك درعاً**]؛ أي: قميصاً [**من ساعة إلى ساعة**] متعلق بمحذوف؛ أي:

---

(١) معالم التنزيل، البغوي [٥/ ٩٠].

۞ ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾.

﴿٣١﴾ ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ﴾ مخافة الفاقة، وقَتْلُهُم أولادَهُم هو وَأْدُهُم بَنَاتِهِم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم أرزاقهم فقال: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ ذنباً كبيراً لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع، والـ(خِطْأً) الإثم، يقال: (خَطِئَ خِطْأً) كـ(أَثِمَ إِثْماً)، وقرأ ابن عامر: (خَطْئاً) وهو اسم من: (أخطأ) يضاد الصواب، وقيل: لغة فيه كـ(مِثْل) و(مَثَل) و(حِذْر) و(حَذَر). وقرأ ابن كثير: (خِطاء) بالمد والكسر، وهو إما لغة فيه، أو مصدر (خَاطَأ)، وهو وإن لم يسمع لكنه جاء (تخاطأ) في قوله:

تَخَاطَأَهُ القَنّاصُ حَتَّى وَجَدْتُه ... وَخَرْطُومُهُ فِي مَنْقعِ المَاءِ رَاسِب

وهو مبني عليه، وقرئ: (خَطَاء) بالفتح والمد، و(خطأ) بحذف الهمزة مفتوحاً ومكسوراً.

﴿٣٢﴾ ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ﴾ بالعزم والإتيان بالمقدمات فضلاً عن أن تباشروه. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ فعلة ظاهرة القبح زائدته. ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ وبئس طريقاً طريقه؛ وهو الغصب

«أخِّر سؤالك من ساعة ليس لنا فيها درع إلى ساعة يظهر لنا فيها درع» **[وقرأ ابن عامر]**؛ أي: من طريق ابن ذكوان **[وقيل لغة]**؛ يعني: أنَّ «خَطأ» بالفتح ليس ضد الصواب بل هو «وخِطأ» بالكسر لغة بمعنى واحد وهو الإثم:

[تخاطأه القناص حتى وجدته ... وخرطومه في منقع الماء راسب](١)

القناص: الصياد، والمعنى: أخطأ الصائد الصيد فلم يجده حتى وجده فيما ذكر **[وهو]**؛ أي: «تخطأ» مبني عليه؛ أي: على «خاطأ»؛ لأنه مطاوعه. **[وهو الغصب**

---

(١) محاضرات الأدباء، الراغب الأصبهاني [٢/ ٨٤].

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾.

على الإبضاع المؤدي إلى قطع الأنساب وهيج الفتن.

﴿٣٣﴾ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، وَزِناً بعد إحصان، وقتل مؤمن معصوم عمداً. ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ غير مستوجب للقتل. ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ﴾ للذي يلي أمره بعد وفاته وهو الوارث. ﴿سُلْطَـٰنًا﴾ تسلطاً بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه، أو بالقصاص على القاتل فإن قوله تعالى: ﴿مَظْلُومًا﴾ بدل على أن القتل عمد عدوان؛ فإن الخطأ لا يسمى ظلماً. ﴿فَلَا يُسْرِف﴾؛ أي: القاتل. ﴿فِّى ٱلْقَتْلِ﴾ بأن يقتل من لا يستحق قتله؛ فإن العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك أو الولي بالمثلة، أو قتل غير القاتل، ويؤيد الأول قراءة أُبي: (فلا تسرفوا). وقرأ حمزة والكسائي: (فلا تُسْرِف) على خطاب أحدهما. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ علة النهي على الاستئناف، والضمير إما للمقتول؛ فإنه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله، وفي الآخرة بالثواب. وإما لوليه؛ فإن الله تعالى نصره حيث أوجب القصاص له وأمر الولاة بمعونته، وإما للذي يقتله الولي إسرافاً بإيجاب القصاص أو التعزير والوزر على المسرف.

﴿٣٤﴾ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾ فضلاً أن تتصرفوا فيه. ﴿إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ

على الإبضاع]؛ لأنه استيلاء على حق الغير عدواناً وإن رضيت المرأة؛ لأن الحق في الإبضاع لله تعالى. [**إلا بإحدى ثلاث**] تبع فيه الحصر في الثلاث خبر «الصحيحين»: «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث؛ رجلٌ كفر بعد إيمانه**..» إلى آخره(١) وللإجماع عليها فلا يرد غيرها نحو «تارك الصلاة» و«اللائط» و«الساحر» للخلاف فيه

---

(١) سنن النسائي [٧/ ٩١/ برقم: ٤٠١٩].

۞ ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾.

أَحْسَنُ﴾ إلا بالطريقة التي هي أحسن. ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ غاية لجواز التصرف الذي دل عليه الاستثناء. ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ﴾ بما عاهدكم الله من تكاليفه، أو ما عاهدتموه وغيره. ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ مطلوباً يطلب من المعاهد أن لا يضيعه ويفي به، أو مسؤولاً عنه يسأل الناكث ويعاتب عليه: لم نكثت؟ أو يسأل العهد تبكيتاً للناكث كما يقال للموءودة: ﴿بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٩]، فيكون تخييلاً، ويجوز أن يراد: أن صاحب العهد كان مسؤولاً.

﴿٣٥﴾ ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾ ولا تبخسوا فيه ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ بالميزان السوي، وهو رومي عُرِّبَ ولا يقدح ذلك في عربية القرآن؛ لأن العجمي إذا استعملته العرب وأجرته مجرى كلامهم في الإعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربياً. وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف هنا وفي (الشعراء). ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ وأحسن عاقبة، تفعيل من (آلَ) إذا (رجع).

﴿٣٦﴾ ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ ولا تتبع، وقرئ (وَلَا تَقُفْ) من: (قاف أثره) إذا قفاه، ومنه: القافة. ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ ما لم يتعلق به علمك تقليداً أو رجماً بالغيب، واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه؛ أن المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند؛ سواء كان قطعاً أو ظناً، واستعماله بهذا المعنى سائغ شائع. وقيل: إنه مخصوص بالعقائد. وقيل: بالرمي وشهادة الزور؛ ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام: «**من قفا مؤمناً بما ليس فيه**

[**أو يسأل العهد لم نكثت..**] إلى آخره؛ أي: فيكون العهد استعارة مكنية ومسؤولاً استعارة تخييلية شبه العهد المنكوث بإنسان مظلوم تشبيهاً بليغاً، وتوهم أنه هو ثم أطلق اسم المشبه على اسم المشبه به، ثم خيل للمشبه ما يلازم المشبه به من السؤال عنه تعريضاً فقيل له: لم نكثت. [**ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام قال: «من قفا مؤمناً..»**]

حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج!». وقول الكميت:

وَلَا أَرْمِي الْبَرِيءَ بِغَيْرِ ذَنْبٍ   وَلَا أَقْفُو الْحَوَاصِنَ إِنْ قُفِينَا

﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ﴾؛ أي: كل هذه الأعضاء فأجراها مجرى العقلاء؛ لما كانت مسؤولة عن أحوالها شاهدة على صاحبها. هذا وإن (أولاء) وإن غلب في العقلاء؛ لكنه من حيث إنه اسم جمع لذا وهو يعمّ القبيلين جاء لغيرهم كقوله: (وَالعَيْشُ بَعْدَ أُولَئِكَ الأَيَامِ) ﴿كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ في ثلاثتها ضمير (كلّ)؛ أي: كان كل واحد منها مسؤولاً عن نفسه؛ يعني: عما فعل به صاحبه. ويجوز أن يكون الضمير في عنه لمصدر (لا تَقْفُ)، أو لصاحب السمع والبصر. وقيل: (مَسْؤُلاً) مسند إلى (عَنْهُ)

إلى آخره. رواه بمعناه الطبراني وغيره[1] و«**ردعة الخبال**» بسكون الدال وفتحها؛ عصارة أهل النار [**وقول الكميت**:

ولا أرمي البريءَ بغيرِ ذَنْبٍ   ولا أقفوا الحواصِنَ إنْ قُفِيْنا][2]

بيناء «قُفينا» للمفعول و«الحواصن» النساء العفائف [**كقوله**]؛ أي: قول جرير:

[..........................   **والعيشِ بعدَ أولئكَ الأيامِ**]

صدره:

ذمّ المنازلِ بعدَ منزلةِ اللوا   ....

وكسر ميم «ذمّ» أرجح من فتحها وضمها، وفتحها أرجح من ضمها وقوله: «بعد منزلة اللوا»؛ أي: بعد مفارقتها، والإضافة في «منزلة اللوا» للبيان، وهو ممدود لكن قصر هنا للضرورة، وعبارة الصحاح: «ولواء الأمير» ممدود[3]، «العيش» عطف على «المنازل» و«الأيام» صفة لاسم الإشارة، أو عطف بيان له، ويروى «الأقوام» بدل «الأيام» بل قيل: إنه الأصوب [**في ثلاثتها**]؛ أي: كان وعنه مسؤولاً [**أي: كان كل واحد منها**]؛ أي: من السمع والبصر والفؤاد [**لمصدر «لا تقف»**] صوابه:

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني [١٢/٣٨٨/ برقم: ١٣٤٣٥]، مسند أحمد [٢/٨٢/ برقم: ٥٥٤٤].
(٢) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١١/ ٣٨٠].
(٣) الصحاح، الجوهري [٨/ ٤٢١].

﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ۝٣٧ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ۝٣٨﴾.

كقوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] والمعنى: يسأل صاحبه عنه، وهو خطأ؛ لأن الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم، وفيه دليل على أن العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية. وقرئ: (وَالْفُوَادَ) بقلب الهمزة واواً بعد الضمة ثم إبدالها بالفتح.

۝٣٧ - ۝٣٨ ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ﴾؛ أي: ذا مرح وهو الاختيال. وقرئ: (مَرِحاً) وهو باعتبار الحكم أبلغ وإن كان المصدر آكد من صريح النعت. ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ لن تجعل فيها خرقاً بشدة وطأتك. ﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ بتطاولك وهو تهكم بالمختال، وتعليل للنهي بأن الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس في التذلل. ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الخصال الخمس والعشرين المذكورة. من قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الإسراء: ٢٢] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أنها

«لمصدر تقف» [لأن الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم] رد به على «الكشاف»(١) في تجويزه ذلك محتجّاً بـ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ ووجه الردِّ عليه: أن نائب الفاعل مؤخر في ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، متقدم في مسألتنا، ووجه بعضهم كلام «الكشاف» بأنه إنما جاز تقديمه مع أنه فاعل لَمْحاً لأصالة ظرفيته لا لعروض فاعليته؛ ولأن الفاعل لا يتقدم لالتباسه بالمبتدأ، ولا التباس هنا، ولأنه ليس بفاعل حقيقة بل هو مفعول في المعنى [**المذكورة من قوله**: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾] فأولها: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الإسراء: ٣٩]، ثانيها وثالثها: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] لاشتماله على تكليفين الأمر بعبادة الله والنهي عن عبادة غيره، رابعها: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ﴾ [الإسراء: ٢٣]، خامسها: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾،

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٦٢٤].

﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾﴾.

المكتوبة في ألواح موسى عليه السلام. ﴿كَانَ سَيِّئُهُۥ﴾؛ يعني: المنهي عنه؛ فإن المذكورات مأموراتٍ ومَنَاهٍ. وقرأ الحجازيان والبصريان: (سَيِّئَةً) على أنها خبر (كانَ) والاسم ضمير (كُلٌّ)، ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما نهى عنه خاصة وعلى هذا قوله: ﴿عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهًا﴾ بدل من (سَيِّئَةً) أو صفة لها محمولة على المعنى؛ فإنه بمعنى: (سيئاً) وقد قرئ به، ويجوز أن ينتصب (مكروهاً) على الحال من المستكن في(كانَ) أو في الظرف على أنه صفة (سَيِّئُهُ)، والمراد به: المبغوض المقابل للمرضى لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على أن الحوادث كلها واقعة بإرادته تعالى.

﴿٣٩﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الأحكام المتقدمة. ﴿مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ﴾ التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به. ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا

سادسها: ﴿تَنۡهَرۡهُمَا﴾، سابعها: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوۡلًا كَرِيمًا﴾، ثامنها: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]، تاسعها: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا﴾، عاشرها: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الإسراء: ٢٦]، حادي عشرها: ﴿وَٱلۡمِسۡكِينَ﴾، ثاني عشرها: ﴿وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ﴾، ثالث عشرها: ﴿وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا﴾، رابع عشرها: ﴿فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلًا مَّيۡسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨]، خامس عشرها: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩]، سادس عشرها: ﴿وَلَا تَبۡسُطۡهَا﴾ [الإسراء: ٢٩]، سابع عشرها: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ﴾ [الإسراء: ٣١]، ثامن عشرها: ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ﴾ [الإسراء: ٣٣]، تاسع عشرها: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومًا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنًا﴾، عشروها: ﴿فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ﴾، حادي عشريها: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ﴾ [الإسراء: ٣٤]، ثاني عشريها: ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ﴾ [الإسراء: ٣٥]، ثالث عشريها: ﴿وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ﴾، رابع عشريها: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ﴾ [الإسراء: ٣٦]، خامس عشريها: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ﴾ [الإسراء: ٣٧] وكلها تكليفات بعضها أوامر وبعضها نواهي.

۞ ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا
﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ
كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾.

ءَاخَرَ﴾ كرره للتنبيه على أن التوحيد مبدأ الأمر ومنتهاه؛ فإن من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله أو تركه غيره ضاع سعيه، وأنه رأس الحكمة وملاكها، ورتب عليه أولاً: ما هو عائده الشرك في الدنيا، وثانياً: ما هو نتيجته في العقبى فقال تعالى: ﴿فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا﴾ تلوم نفسك. ﴿مَّدْحُورًا﴾ مبعداً من رحمة الله تعالى.

﴿٤٠﴾ ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ خطاب لمن قالوا: الملائكة بنات الله، والهمزة للإنكار، والمعنى: أَفَخَصَّكُم ربُّكم بأفضل الأولاد وهم البنون. ﴿وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ﴾ بنات لنفسه. وهذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم. ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ بإضافة الأولاد إليه، وهي خاصة بعض الأجسام لسرعة زوالها، ثم بتفضيل أنفسكم عليه؛ حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم من أشرف خلق الله أدونهم.

﴿٤١﴾ ـ ﴿٤٢﴾ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير. ﴿فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ في مواضع منه، ويجوز أن يراد بهذا القرآن إبطال إضافة البنات إليه على تقدير: ولقد صرفنا هذا القول في هذا المعنى، أو أوقعنا التصريف فيه، وقرئ: (صَرَفْنَا) بالتخفيف. ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ ليتذكروا، وقرأ حمزة والكسائي

[في الدنيا] متعلق بعابد الشرك [ما هو نتيجته]؛ أي: الشرك [لسرعة زوالها]؛ أي: الأجسام [ويجوز أن يراد بهذا القرآن إبطال إضافة البنات إليه] قال الطيبي: هو من باب إطلاق الحال على المحل؛ لأنه تعالى لما كرر هذا الإبطال في القرآن سمى الإبطال باسم القرآن لهذه الملابسة. انتهى. لكن في قوله: «هو من باب إطلاق

۞ ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾.

هنا وفي الفرقان: (لِيَذْكُرُوا) من: (الذِّكر) الذي هو بمعنى: التَّذَكّر. ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ عن الحق وقلة طمأنينة إليه. ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ أيها المشركون، وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم بالياء فيه وفيما بعده؛ على أن الكلام مع الرسول ﷺ، ووافقهما نافع وابن عامر وأبو عمرو وأبو بكر ويعقوب في الثانية على أن الأولى: مما أمر الرسول ﷺ أن يخاطب به المشركين، والثانية مما نزه به نفسه عن مقالتهم. ﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ جواب عن قولهم وجزاءً لـ(لَوْ) والمعنى: لطلبوا إلى من هو مالك الملك سبيلاً بالمعازّة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض، أو بالتقرب إليه والطاعة؛ لعلمهم بقدرته وعجزهم كقولهم تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧].

﴿٤٣﴾ - ﴿٤٤﴾ ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ ينزه تنزيهاً ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا﴾ تعالياً ﴿كَبِيرًا﴾ متباعداً غاية البعد عما يقولون؛ فإنه في أعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود، والبقاء لذاته، واتخاذ الولد من أدنى مراتبه؛ فإنه من

الحال على المحل» وقفة ولعل المراد العكس [**جواب عن قولهم**]؛ أي: «أنَّ معه آلهة» [**وجزاء لـ«لَوْ»**] ظاهر كلامه أن الجواب والجزاء مجموع إذا مع ما بعده وكلام «الكشاف»[١] اقعد حيث جعل إذا دالة على أن ما بعدها هو الجواب والجزاء [**والمعنى: لطلبوا**]؛ أي: الآلهة [**بالمعازَّة**] من العِزَّة وهي: القوة والغلبة، ومن ثم عبر غيره بقوله بالمغالبة والقهر؛ أي: ليزيلوا ملك مالك الملك[٢] [**تعاليا**] زاد «الكشاف»[٣] والمراد البراءة عن ذلك والنزاهة [**من أدنى مراتبه**]؛ أي: مراتب

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٦٢٦].
(٢) انظر: التوقيف، المناوي [ص٥١٢].
(٣) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٦٢٦].

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾.

خواص ما يمتنع بقاؤه. ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ ينزهه عما هو من لوازم الإمكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث تدل بإمكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته. ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ أيها المشركون لإخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم، ويجوز أن يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة؛ لإسناده إلى ما يتصور منه اللفظ وإلى ما لا يتصور منه، وعليهما عند من جوّز إطلاق اللفظ على معنييه. وقرأ ابن كثير وابن عامر ونافع وأبو بكر: (يُسَبِّحُ) بالياء. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم. ﴿غَفُورًا﴾ لمن تاب منكم.

﴿٤٥﴾ - ﴿٤٦﴾ ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا﴾ يحجبهم عن فهم ما تقرؤه عليهم. ﴿مَّسْتُورًا﴾ ذا ستر كقوله تعالى: ﴿وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ [مريم: ٦١] وقولهم: سيل مفعم، أو مستوراً عن الحس، أو بحجاب آخر لا يفهمون، ولا يفهمون أنهم لا يفهمون؛ نفى عنهم أن

الوجود [**بلسان الحال**] بل وبلسان القال[1] كتسبيح الحصا في كفه ﷺ وتسبيح الطعام في القصعة[2] [**على المشترك**]؛ أي: القدر المشترك [**وعليهما**]؛ أي: ويجوز حمل «التسبيح» على اللفظ والدلالة والفرق بين هذا وما قبله أن التسبيح حمل في هذا على المعنيين وفيما قبله على القدر المشترك بينهما.

[**سيل منعم**] بفتح عينه وهو واللذان قبله على لفظ اسم المفعول والمراد منها اسم الفاعل [**أو مستوره**]؛ أي: أو هو مستور فهو عطف جملة على جملة «يحجبهم»

---

(١) في نسخة [ب]: (المقال).
(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر [٦/ ٥٩٢].

٤٧ ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ٤٧﴾.

يفهموا ما أنزل عليهم من الآيات بعد ما نفي عنهم التفقه للدلالات المنصوبة في الأنفس والآفاق؛ تقريراً له وبياناً لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح به بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ تكنها وتحول دونها عن إدراك الحق وقبوله ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ كراهة أن يفقهوه، ويجوز أن يكون مفعولاً لما دل عليه قوله: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾؛ أي: منعناهم أن يفقهوه. ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ يمنعهم عن استماعه. ولما كان القرآن معجزاً من حيث اللفظ والمعنى أثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وإدراك اللفظ. ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ﴾ واحداً غير مشفوع به آلهتهم. مصدر وقع موقع الحال؛ وأصله: (يحد وحده) بمعنى: واحداً وحده. ﴿وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ هرباً من استماع التوحيد، ونفرة أو تولية. ويجوز أن يكون جمع: (نافر) كـ(قاعد وقعود).

٤٧ ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾ بسببه ولأجله؛ من الهزء بك وبالقرآن. ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ ظرف لـ(أَعْلَمُ) وكذا. ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾؛ أي: نحن أعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون إليك مضمرون له، وحين هم ذوو نجوى يتناجون به، و(نَجْوى) مصدر، ويحتمل أن يكون جمع: (نَجِيّ). ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ مقدّر بـ(اذكر)،

والمعنى: أن «مستوراً» إما اسم فاعل بمعنى: حاجب أو اسم مفعول بمعنى: محجوب[1] **[تقريراً له]**؛ أي: لنفي تفقههم **[أثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وإدراك اللفظ]** أثبت الأول بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [الإسراء: ٤٦]، والثاني بقوله: ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الكهف: ٥٧] **[ونفرة]** عطف على «هرباً» عطف تفسير

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١١/ ٣٨٨].

۞ ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾.

أو بدل من: (إِذْ هُمْ نَجْوى) على وضع (الظَّالِمُونَ) موضع الضمير؛ للدلالة على أن تناجيهم بقولهم هذا من باب الظلم، و(المسحور): هو الذي سُحِرَ فزال عقله. وقيل: الذي له سحر وهو الرئة؛ أي: إلا رجلاً يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم.

﴿٤٨﴾ ـ ﴿٤٩﴾ ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون. ﴿فَضَلُّوا۟﴾ عن الحق في جميع ذلك. ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ إلى طعن موجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير في أمره لا يدري ما يصنع، أو إلى الرشاد. ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا﴾ حطاماً. ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ على الإنكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم، من المباعدة والمنافاة، والعامل في (إذا) ما دل عليه (مبعوثون) لا نفسه لأن ما بعد أن لا يعمل فيما قبلها و(خَلْقاً) مصدر أو حال.

﴿٥٠﴾ ـ ﴿٥١﴾ ﴿قُلْ﴾ جواباً لهم ﴿كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ﴾؛ أي: مما يكبر عندكم عن قبول الحياة لكونه أبعد

نظراً للمعنى [بدل من ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾]؛ أي: بدل كل أو بعض [**وقيل: الذي له سحر**]؛ أي: بضم السين وبفتحها مع سكون الحاء وفتحها.

[**وهو الرئة**] بالهمز وهي كما في «القاموس» موضع النفَس والريح من الآدمي وغيره ولا ينافيه قول الجوهري[1]: الرئة السحر لأنه تفسير معنوي، وقول الجوهري: تفسير لفظي بقرينة قوله أيضاً: «السحر الرئة» [**لما بين غضاضة الحي**]؛

(١) الصحاح، الجوهري [٤/ ٧١].

۞ ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾﴾.

شيء منها؛ فإن قدرته تعالى لا تقصر عن إحيائكم لاشتراك الأجسام في قبول الأعراض، فكيف إذا كنتم عظاماً مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحياة قبل، والشيء أقبل لما عهد فيه مما لم يعهد. ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ﴾ وكنتم تراباً وما هو أبعد منه من الحياة. ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ فسيحركونها نحوك تعجباً واستهزاء. ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ فإن كل ما هو آت قريب، وانتصابه على الخبر أو الظرف؛ أي: يكون في زمان قريب، (وأَنْ يَكُونَ) اسم (عَسى) أو خبره والاسم مضمر.

﴿٥٢﴾ ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ﴾؛ أي: يوم يبعثكم فتنبعثون، استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر أمرهما، وأن المقصود منهما الإحضار للمحاسبة والجزاء. ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ حال منهم؛ أي: حامدين الله تعالى على كمال قدرته كما قيل: إنهم ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون: سبحانك اللَّهُمَّ وبحمدك، أو منقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه. ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وتستقصرون مدة لبثكم في القبور كالذي مَرَّ على قَرْيَةٍ، أو مدة حياتكم لما ترون من الهول.

﴿٥٣﴾ - ﴿٥٤﴾ ﴿وَقُل لِّعِبَادِى﴾؛ يعني: المؤمنين. ﴿يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ الكلمة التي هي أحسن ولا يخاشنوا المشركين. ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم تفضي إلى العناد وازدياد الفساد. ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ ظاهر العداوة. ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ

أي: رطوبته **[وقد كانت غضة]**؛ أي: طرية **[على الخبر]**؛ أي: خبر يكون

۞ ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾.

بِكُمْۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْۚ﴾ تفسير لـ(الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) وما بينهما اعتراض أي: قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها، ولا تصرحوا بأنهم من أهل النار، فإنه يهيجهم على الشر مع أن ختام أمرهم غيب لا يعلمه إلا الله. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ موكولاً إليك أمرهم تقسرهم على الإيمان، وإنما أرسلناك مبشراً ونذيراً فدارهم ومُرْ أصحابك بالاحتمال منهم. وروي: أن المشركين أفرطوا في إيذائهم فشكوا إلى رسول الله ﷺ، فنزلت. وقيل: شتم عمر رضي الله تعالى عنه رجلٌ منهم، فهمَّ به؛ فأمره الله بالعفو.

﴿٥٥﴾ ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ﴾ وبأحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء. وهو رد لاستبعاد قريش أن يكون يتيم أبي طالب نبيّاً، وأن يكون العراة الجُوَّع أصحابه. ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۖ﴾ بالفضائل النفسانية والتبري عن العلائق الجسمانية، لا بكثرة الأموال والأتباع حتى داود عليه السلام؛ فإن شرفه بما أوحى إليه من الكتاب لا بما أوتيه من الملك. قيل: هو إشارة إلى تفضيل رسول الله ﷺ وقوله: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ تنبيه على وجه تفضيله، وهو أنه خاتم الأنبياء وأمته خير الأمم المدلول عليه بما كتب في الزبور من أن الأرض يرثها عبادي الصالحون، وتنكيره ها هنا وتعريفه في قوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] لأنه في الأصل فعول للمفعول كالحلوب، أو المصدر كالقبول، ويؤيده قراءة حمزة بالضم، وهو: كالعباس أو الفضل. أو لأن المراد: وآتينا داود بعض الزبر، أو

[تقسرهم]؛ أي: تكرههم **[أو المصدر]** بالجر عطف على «للمفعول» **[فهو]**؛ أي: الزبور مع زبور في كونه معرَّفاً تارة ومنكَّراً أُخْرى **[كالعباس]** مع عباس **[أو الفضل]** مع فضل **[أو لأن المراد]** عطف على «لأنه في الأصل فعول» **[بعض الزبور]** عبارة

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾.

بعضاً من الزبور فيه ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام.

﴿٥٦﴾ - ﴿٥٧﴾ ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ أنها آلهة. ﴿مِّن دُونِهِ﴾ كالملائكة والمسيح وعزير. ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ﴾ فلا يستطيعون. ﴿كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ﴾ كالمرض والفقر والقحط. ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾ ولا تحويل ذلك منكم إلى غيركم. ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ هؤلاء الآلهة يبتغون إلى الله القرابة بالطاعة. ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ بدل من واو (يَبْتَغُونَ)؛ أي: يبتغي من هو أقرب منهم إلى الله الوسيلة فكيف بغير الأقرب. ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ كسائر العباد فكيف تزعمون أنهم آلهة. ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ حقيقاً بأن يحذره كل أحد حتى الرسل والملائكة.

﴿٥٨﴾ - ﴿٥٩﴾ ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ بالموت والاستئصال. ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بالقتل وأنواع البلية. ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي

«الكشاف»(١) بعض الزبر وهي الكتب والأمر قريب [فيه]؛ أي: في البعض [ذكر الرسول] والجملة صفة لقوله: بعضاً يوضح ذلك قول «الكشاف»(٢) بعدما مرّ عنه، وأن يريد ما ذكر فيه رسول الله ﷺ من الزبور فسمي ذلك زبوراً؛ لأنه بعض الزبور كما سمي بعض القرآن قرآناً.

[يدعون]؛ أي: يدعونهم آلهة [بالموت والاستئصال..] إلى آخره. زاد

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٦٢٩].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٦٣٠].

۞ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾.

﴿الْكِتَابِ﴾ في اللوح المحفوظ. ﴿مَسْطُورًا﴾ مكتوباً. ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ وما صرفنا عن إرسال الآيات التي اقترحها قريش. ﴿إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ إلا تكذيب الأولين الذين هم أمثالهم في الطبع كعاد وثمود، وأنها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك، واستوجبوا الاستئصال على ما مضت به سنَّتنا وقد قضينا أن لا نستأصلهم؛ لأن منهم من يؤمن أو يلد من يؤمن. ثم ذكر بعض الأمم المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ﴾ بسؤالهم. ﴿مُبْصِرَةً﴾ بينة ذات أبصار أو بصائر، أو جاعلتهم ذوي بصائر؛ وقرئ بالفتح. ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾ فكفروا بها، أو فظلموا أنفسهم بسبب عقرها ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ﴾؛ أي: بالآيات المقترحة. ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ من نزول العذاب المستأصل، فإن لم يخافوا نزل أو بغير المقترحة كالمعجزات، وآيات القرآن إلا تخويفاً بعذاب الآخرة، فإنَّ أَمْرَ مَنْ بعثت إليهم مؤخر إلى يوم القيامة، والباء مزيدة أو في موقع الحال والمفعول محذوف.

﴿٦٠﴾ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ﴾ واذكر إذ أوحينا إليك. ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ فهم في قبضة قدرته، أو أحاط بقريش بمعنى: أهلكهم؛ من: (أحاط بهم العدو) فهي بشارة بوقعة بدر. والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ ليلة المعراج وتعلق به من قال: إنه كان في المنام،

«الكشاف»[1] وقيل: الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة وبه علم أن القول الأول أن أحد الأمرين لإحدى الطائفتين [وقرئ بالفتح]؛ أي: بفتح الصاد اسم مفعول، وقرئ بفتح الميم والصاد؛ أي: محل إبصار [والباء مزيدة..] إلى آخره. يأتي مثله في باء:

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٦٣١].

ومن قال: إنه كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية. أو عام الحديبية حين رأى أنه دخل مكة. وفيه أن الآية مكية إلا أن يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ، ولعله رؤيا رآها في وقعة بدر لقوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ [الأنفال: ٤٣] ولما روي: أنه لما ورد ماءه قال: «**لكأني أنظر إلى مصارع القوم، هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان**»، فتسامعت به قريش واستسخروا منه. وقيل: رأى قوماً من بني أمية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال: «**هذا حظُّهم من الدنيا يعطونه بإسلامهم**». وعلى هذا كان المراد بقوله: ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ ما حدث في أيامهم. ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ عطف على (الرُّؤْيَا) وهي شجرة الزقوم، لما سمع المشركون ذكرها قالوا: إن محمداً يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة، ثم يقول: ينبت فيها الشجر! ولم يعلموا أن من قدر أن يحمي وبر السَمَنْدَل من أن تأكله النار، وأحشاء النعامة من أذى الجمر، وقطع الحديد المحماة الحمر التي تبتلعها! قدر أن يخلق في النار شجرة لا تحرقها! ولعنها في القرآن لعن طاعميها، ووصفت به على المجاز للمبالغة، أو وصفها بأنها في أصل الجحيم؛ فإنه أبعد مكان من الرحمة، أو بأنها مكروهة مؤذية من قولهم

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ [الإسراء: ٥٩] ويمكن جعل كلامه هنا شاملاً لها [**يعطونه بإسلامهم**]؛ أي: إسلامهم الظاهر إذا أسلموا لخلوة عن التصديق بالقلب [**ولم يعلموا أن من قدر**] «مَنْ» شرطية جوابها «قدر بعد» [**وأحشاء النعامة**] بالنصب عطف على «وبر».

[**من أذى الجمر و**] من [**قطع الحديد المحماة الحمر التي تبلعها**][١] إيضاح ذلك قول الزمخشري تعجباً من إنكاره ما ذكر: فهذا وبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك يتخذ منه؛ أي: من وبرها مناديل إذا اتسخت طرحت في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالماً لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد الحمر

---

(١) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي [٣/ ٤٥٤].

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾.

طعام ملعون لما كان ضاراً، وقد أولت بالشيطان وأبي جهل والحكم بن أبي العاصي، وقرأت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف؛ أي: والشجرة الملعونة في القرآن كذلك. ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ بأنواع التخويف. ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ إلا عتواً متجاوز الحد.

﴿٦١﴾ - ﴿٦٢﴾ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ لمن خلقته من طين. فنصب بنزع الخافض، ويجوز أن يكون حالاً من الراجع إلى الموصول؛ أي: خلقته وهو طين، أو منه؛ أي: أأسجد له وأصله طين. وفيه على الوجوه الثلاثة إيماء بعلة الإنكار. ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ الكاف لتأكيد الخطاب لا محل له من الإعراب، وهذا مفعول أول والذي صفته والمفعول الثاني محذوف لدلالة صلته عليه، والمعنى: أخبرني عن هذا الذي كرمته علي بأمري بالسجود له لم كرمته علي! ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أي: لأستأصلنهم بالإغواء إلا قليلاً لا أقدر أن أقاوم شكيمتهم، من: (احتنك الجراد الأرض) إذا جرد ما عليها أكلاً. مأخوذ من: (الحنك) وإنما علم أن ذلك يتسهل له إما استنباطاً من قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ

كالجمر بإحماء النار فلا تضرها[1] [أو منه]؛ أي: من الموصول، والفرق بينه وبين ما قبله أن الحال إذا كان من الموصول يكون قيداً لـ«اسجدوا» وإذا كان حالاً من الراجع يكون قيداً لـ«خلقت» **[مأخوذ من الحنك]** يقال: حنكت الدابة حنكاً إذا

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٦٣١].

۞ ﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾.

فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] مع التقرير، أو تفرساً من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب.

﴿٦٣﴾ - ﴿٦٤﴾ ﴿قَالَ اذْهَبْ﴾ امض لما قصدته، وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه. ﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ﴾ جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب، ويجوز أن يكون الخطاب للتابعين على الالتفات. ﴿جَزَاءً مَّوْفُورًا﴾ مكملاً من قولهم: فِرْ لصاحبك عرضه، وانتصاب (جزاء) على المصدر بإضمار فعله أو بما في (جَزاؤُكُمْ) من معنى (تجازون)، أو حال موطئة لقوله: ﴿مَّوْفُورًا﴾. و﴿وَاسْتَفْزِزْ﴾ واستخفف ﴿مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم﴾ أن تستفزه والفز الخفيف. ﴿بِصَوْتِكَ﴾ بدعائك إلى الفساد. ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم﴾ وصح عليهم من الجلبة وهي الصياح. ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ بأعوانك من راكب وراجل. والخيل الخيالة، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «**يا خيل الله اركبي**» والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب، ويجوز أن يكون تمثيلاً لتسلطه على من يغويه بمغوار صوت على قوم

أصبت حنكها باللجام والرسن [**مع التقرير**]؛ أي: تقرير الله الملائكة على ما قالوه له [**أو تفرساً من خلقه**]؛ أي: خلق آدم [**ذا وهم وشهوة وغضب**] لم يقل وعقل لأن الثلاثة هي الحاملة له على الاحتناك دون العقل بناء على أن الإنسان مركب من قوة بهيمية شهوانية وقوة وهمية شيطانية وقوة سمعية غضبية وقوة عقلية ملكية[1] [**من قولهم: فر**] بإسكان الراء مخففة من وفر، يقال: وفرت عرضه؛ أي: أكملته [**ويجوز أن يكون تمثيلاً لتسلطه على من يغويه بمغوار**]؛ أي: مقاتل [**صوت على قوم..**] إلى

---

(١) مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [٢١/٥].

۞ ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾.

فاستفزهم من أماكنهم وأجلب عليهم بجنده حتى استأصلهم. وقرأ حفص: (وَرَجِلِكَ) بالكسر، وغيره بالضم؛ وهما لغتان كـ(نَدِس ونَدُس) ومعناه: وجمعك الرجل. وقرئ: (ورِجَالَك) (ورُجَّالَك). ﴿وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي. ﴿وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ بالحث على التوصل إلى الولد بالسبب المحرم، والإشراك فيه بتسميته عبد العزّى والتضليل بالحمل على الأديان الزائغة والحِرَف الذميمة والأفعال القبيحة. ﴿وَعِدْهُمْ﴾ المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة، والاتكال على كرامة الآباء، وتأخير التوبة لطول الأمل. ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ اعتراض لبيان مواعيده الباطلة، و(الغرور): تزيين الخطأ بما يوهم أنه صواب.

﴿٦٥﴾ ﴿إِنَّ عِبَادِى﴾؛ يعني: المخلصين، وتعظيم الإضافة والتقييد في قوله: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٤٠] يخصصهم ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾؛ أي: على إغوائهم قدرة. ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ يتوكلون عليه في الاستعاذة منك على الحقيقة.

آخره. حاصل ذلك: أن إبليس مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار صوت على قوم فاستفزهم من أماكنهم وأجلب عليهم بجنده حتى استأصلهم **[بالكسر]**؛ أي: بكسر الجيم **[وغيره بالضم]**؛ أي: بضمها وهي قراءة شاذة فالمشهورة بإسكانها أو كسرها **[كندس]**؛ أي: فهم.

[ورجالك ورجالك]؛ يعني: وقرئ بهما الأول بكسر الراء وتخفيف الجيم جمع رجل والثاني بضم الراء وتشديد الجيم جمع راجل كضارب وضراب[1] **[يخصصهم]**؛ أي: يخصص العباد بالمخلصين.

---

(١) انظر: إبراز المعاني، أبو شامة [٢/٢٤٣].

۞ ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾﴾.

﴿٦٦﴾ - ﴿٦٧﴾ ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى﴾ هو الذي يجري ﴿لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ الريح وأنواع الأمتعة التي لا تكون عندكم. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ حيث هيأ لكم ما تحتاجون إليه، وسهل عليكم ما تعسر من أسبابه. ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ خوف الغرق. ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ﴾ ذهب عن خواطركم كل من تدعونه في حوادثكم. ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ وحده فإنكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه فلا تدعون لكشفه إلا إياه، أو ضلّ كلُّ من تعبدونه عن إغاثتكم إلا الله. ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ﴾ من الغرق. ﴿إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ عن التوحيد. وقيل: اتسعتم في كفران النعمة كقول ذي الرمة:

عَطَاء فَتَى تَمَكَّنَ فِي المَعَالي فَأَعْرَضَ فِي المَكَارِمِ وَاسْتَطَالَا

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا﴾ كالتعليل للإعراض.

﴿٦٨﴾ ﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾ (الهمزة) فيه للإنكار، و(الفاء) للعطف على محذوف تقديره: أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الإعراض، فإن من قدر أن يهلككم في البحر بالغرق قادر أن يهلككم في البر بالخسف وغيره. ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ أن يقلبه الله وأنتم عليه، أو يقلبه بسببكم، فـ(بكم)

[**كقول ذي الرمة**] في ذمه شخصاً [**عطا فتى**]؛ أي: عطاؤه كعطاء فتى [**تمكن في المعالي فأعرض في المكارم واستطالا**][1]؛ أي: أعرض عن

---

(١) البيت للشاعر ذو الرُّمَّة:

فِعالَ فتى بنَى وبنَى أبوهُ فأعْرَضَ في المعالي واستطالا

انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده [٦/ ٢٩١].

﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾.

حال أو صلة لـ(يخسف)، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالنون فيه وفي الأربعة التي بعده، وفي ذكر الجانب تنبيه على أنهم لما وصلوا الساحل كفروا وأعرضوا، وأن الجوانب والجهات في قدرته سواء لا معقل يؤمن فيه من أسباب الهلاك. ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ريحاً تحصب؛ أي: ترمي بالحصباء. ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ يحفظكم من ذلك فإنه لا راد لفعله.

﴿٦٩﴾ ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾ في البحر. ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ بخلق دواع تلجئكم إلى أن ترجعوا فتركبوه. ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾ لا تمرّ بشيء إلا قصفته؛ أي: كسرته. ﴿فَيُغْرِقَكُم﴾ وعن يعقوب بالتاء على إسناده إلى ضمير (الرِّيح). ﴿بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ بسبب إشراككم أو كفرانكم نعمة الإنجاء. ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ مطالباً يتبعنا بانتصار أو صرف.

﴿٧٠﴾ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ بحسن الصورة والمزاج الأعدل، واعتدال القامة، والتمييز بالعقل، والإفهام بالنطق والإشارة والخط والتهدي، أو أسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما في الأرض والتمكن من الصناعات، وانسياق الأسباب والمسببات العلوية والسفلية إلى ما يعود عليهم بالمنافع إلى غير ذلك مما يقف الحصر دون إحصائه، ومن ذلك ما ذكره ابن عباس: وهو أن كل حيوان يتناول طعامه بفيه إلا الإنسان فإنه يرفعه إليه بيده. ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ على الدواب والسفن؛ من: (حملته حملاً) إذا جعلت له ما يركبه، أو حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم الأرض ولم يغرقهم الماء ﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ المستلذات مما

شكرها واستطال في إعراضه عنها [لا معقل]؛ أي: لا ملجا.

۞ ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾﴾.

يحصل بفعلهم وبغير فعلهم. ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ بالغلبة والاستيلاء، أو بالشرف والكرامة. والمستثنى جنس الملائكة عليهم الصلاة والسلام أو الخواص منهم. ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض أفراده؛ والمسألة موضع نظر. وقد أوّل (الكثير) بـ(الكل) وفيه تعسف.

﴿٧١﴾ ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ﴾ نصب بإضمار (اذكر) أو ظرف لما دل عليه (وَلا يُظْلَمُونَ)، وقرئ: (يَدْعو) و(يُدْعَى) و(يُدْعَو) على قلب الألف واواً في لغة من يقول: (أفعو) في (أفعى)، أو على أن الواو علامة الجمع كما في قوله: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الأنبياء: ٣] أو ضميره و(كلّ) بدل منه، والنون محذوفة لقلة المبالاة بها؛ فإنها ليست إلا علامة الرفع، وهو قد يقدر كما في (يدعي). ﴿كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ بمن ائتموا به من نبي، أو مقدم في الدين، أو كتاب، أو دين. وقيل: بكتاب أعمالهم التي قدموها فيقال: يا صاحب كتاب كذا؛ أي: تنقطع علقة الأنساب وتبقى نسبة الأعمال. وقيل: بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وأفعالهم. وقيل: بأمهاتهم جمع: (أمّ) كـ(خُفّ وخِفَاف). والحكمة في ذلك، إجلال عيسى عليه السلام، وإظهار شرف الحسن والحسين رضي الله عنهما، وأن لا يفتضح أولاد الزنا. ﴿فَمَنْ أُوتِيَ﴾ من المدعوين. ﴿كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾؛ أي: كتاب عمله. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ

[والمستثنى]؛ أي: والمخرج بكثير [وقيل: بأمهاتهم] عبارة «الكشاف» ومن بدع التفاسير أن الإمام جمع أم، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم، وأن الحكمة في الدعاء.. إلى آخره[1].

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/٦٣٧].

﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾﴾.

كِتَٰبَهُمْ﴾ ابتهاجاً وتبجحاً بما يرون فيه. ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ ولا ينقصون من أجورهم أدنى شيء، وجمع اسم الإشارة والضمير؛ لأن (من أوتي) في معنى الجمع، وتعليق (القراءة) بـ(إيتاء الكتاب باليمين) يدل على أن ﴿مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ [الحاقة: ٢٥] إذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس ألسنتهم عن القراءة، ولذلك لم يذكرهم مع أن قوله:

﴿٧٢﴾ ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ أيضاً مشعر بذلك؛ فإن الأعمى لا يقرأ الكتاب، والمعنى: ومن كان في هذه الدنيا أعمى القلب لا يبصر رشده؛ كان في الآخرة أعمى لا يرى طريق النجاة. ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ منه في الدنيا؛ لزوال الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة. وقيل: لأن الاهتداء بعد لا ينفعه، والأعمى مستعار من فاقد الحاسة. وقيل: الثاني للتفضيل من: (عمي بقلبه) كـ(الأجهل) و(الأبله) ولذلك لم يُمِلْهُ أبو عمرو ويعقوب؛ فإن أفعل التفضيل تمامه بـ(من) فكانت (ألفه) في حكم المتوسطة كما في أعمالكم بخلاف النعت؛ فإن (ألفه) واقعة في الطرف لفظاً وحكماً، فكانت معرضة للإمالة من حيث إنها تصير ياء في التثنية، وقد أمالهما حمزة والكسائي وأبو بكر، وقرأ ورش بَيْنَ بين فيهما.

﴿٧٣﴾ ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ نزلت في ثقيف؛ قالوا: لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصالاً نفتخر بها على العرب، لا نُعَشَّر، ولا نُحَشَّر، ولا نُجَبِّي في صلاتنا، وكُلُّ رِباً لنا فهو لنا، وكلُّ رِباً علينا فهو موضوع عنّا،

[لا نُعَشَّر]؛ أي: لا يؤخذ منا العشر [ولا نحشر]؛ أي: ندعى إلى غزو [ولا نُجَبِّي] بالجيم المفتوحة وبالموحدة المشددة؛ أي: لا نركع وقيل: لا نسجد [وكل رِباً لنا]؛ أي: فضل زائد لنا على رأس مالنا [فهو لنا]؛ أي: ثابتاً لنا

﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾.

وأن تمتعنا باللات سنة، وأن تحرّم وادينا كما حرمت مكة، فإن قالت العرب لم فعلت ذلك؟! فقل: إن الله أمرني! وقيل: في قريش قالوا: لا نمكنك من استلام الحجر حتى تُلِمَّ بآلهتنا وتمسّها بيدك. و(إن) هي المخففة، و(اللام) هي الفارقة والمعنى: أن الشأن قاربوا بمبالغتهم أن يوقعوك في الفتنة بالاستنزال. ﴿عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ من الأحكام ﴿لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ﴾ غير ما أوحينا إليك. ﴿وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك ولياً لهم بريئاً من ولايتي.

﴿٧٤﴾ - ﴿٧٥﴾ ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾ ولولا تثبيتنا إياك. ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ لقاربت أن تميل إلى اتباع مرادهم، والمعنى: أنك كنت على صدد الركون إليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن أدركتك عصمتنا فمنعت أن تقرب من الركون فضلاً أن تركن إليهم، وهو صريح في أنه عليه الصلاة والسلام ما هَمَّ بإجابتهم مع قوة الدواعي إليها، ودليل على أن العصمة بتوفيق الله وحفظه. ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ﴾؛ أي: لو قاربت لأذقناك. ﴿ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾؛ أي: عذاب الدنيا وعذاب الآخرة؛ ضعف ما نعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لأن خطأ الخطير أخطر، وكان أصل الكلام عذاباً ضعفاً في الحياة وعذاباً ضعفاً في الممات بمعنى: مضاعفاً، ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه، ثم أضيفت كما يضاف

[باللات]؛ أي: بالصنم الذي نعبده **[وأن هي المخففة]** ومثلها (أنْ) الآتية(١)

---

(١) في نسخة [ز ـ ج] زيادة (**[وإن كان أهل مكة]** الأنسب بكلامه أو لا أن يقال وأن الشأن قارب أهل مكة **[وقيل: الآية نزلت في اليهود]** الى آخره رواه البيهقي **[بنو قريضة]** هو بالواو على الحكاية وكذا ما بعده والأولى فيه بني بالياء).

۞ ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾.

موصوفها. وقيل: الضعف من أسماء العذاب. وقيل: المراد بـ(ضِعْفَ الْحَياةِ عذاب الآخرة وَضِعْفَ الْمَماتِ) عذاب القبر. ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ يدفع العذاب عنك.

﴿٧٦﴾ - ﴿٧٧﴾ ﴿وَإِن كَادُواْ﴾ وإن كاد أهل مكة. ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾ ليزعجوك بمعاداتهم. ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مكة. ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ﴾ ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك. ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ إلا زماناً قليلاً، وقد كان كذلك فإنهم أهلكوا ببدر بعد هجرته بسنة. وقيل: الآية نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي بالمدينة فقالوا: الشام مقام الأنبياء؛ فإن كنت نبياً فالحق بها حتى نؤمن بك! فوقع ذلك في قلبه فخرج مرحلة، فنزلت، فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة، وأجلي بنو النضير بقليل. وقرئ: (لا يلبثوا) منصوباً بـ(إذاً) على أنه معطوف على جملة قوله: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾ لا على خبر (كاد) فإن (إذا) لا تعمل إذا كان معتمد ما بعدها على ما قبلها. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص: (خِلافَكَ) وهو لغة فيه قَالَ الشاعر:

عَفَتِ الدِّيَارُ خِلافَهُمْ فَكَأَنَّمَا ... بسط الشَّوَاطِبُ بَيْنَهُنَّ حَصِيراً

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ نصب على المصدر؛ أي:

[على أنه]؛ أي: إذن مع مدخولها **[لا على خبر «كاد»]**؛ أي: وهو «ليستفزونك» **[قال]**؛ أي: الشاعر **[عَفَتِ الديارُ]**؛ أي: اندرست **[خِلافَهُم]**؛ أي: خلفهم **[فكأنما بَسَطَ الشواطبُ بينهنَّ حصيراً]**[١]. «الشواطب» النساء اللاتي تشقق الجريد ليعمل

---

(١) البيت للحارث بن خالد المخزومي. انظر: العين، الفراهيدي [٧/ ٤٩٣].

۞ ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾.

سَنَّ الله ذلك سُنَّة، وهو أن يهلك كل أمة أخرجوا رسولهم من بين أظهرهم، فالسُّنَّة لله، وإضافتها إلى الرسل؛ لأنها من أجلهم ويدل عليه. ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾؛ أي: تغييراً.

﴿٧٨﴾ ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ لزوالها ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام: «**أتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر**». وقيل: لغروبها، وأصل التركيب للانتقال؛ ومنه: (الدالك) فإن الدالك لا تستقر يده، وكذا كل ما تركب من الدال واللام: كـ(دلج) و(دلح) و(دلع) و(دلف) و(دله). وقيل: الدلوك من: (الدلك) لأن الناظر إليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها، واللام للتأقيت مثلها في: لثلاث خلون ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ إلى ظلمته وهو وقت صلاة العشاء الأخيرة. ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ وصلاة الصبح، سميت (قرآناً) لأنه ركنها كما سميت ركوعاً وسجوداً، واستدل به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز أن يكون التجوز لكونها مندوبة فيها، نعم لو فسر بالقراءة في صلاة الفجر دلَّ الأمرُ بإقامتها على الوجوب

منه الحصير، والشطب سقف النخل الأخضر، يصف دروس ديار الأحبة بعدهم وأنها غير مكنوسة كأنما بسط فيها سقف النخل [«**أتاني جبريل لدلوك الشمس**..»] إلى آخره. رواه البيهقي[1] [**كدلج**..] إلخ «الدلج» بالتحريك وبالجيم السير أول الليل أو آخره، و«الدلح» به وبالحاء المشي بالحمل الثقيل رويداً، و«الدلع» الخروج كخروج اللسان من الفم، «والدلف» المشي رويداً، يقال: دلف الشيخ إذا مشى وقارب الخطو، و«الدلة» الهدر والتَّحيُّر.

[**ولا دليل فيها لجواز أن يكون التجوز لكونها مندوبة فيها**] ردَّ بأنها لو لم تكن

---

(١) انظر: تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٢/ ٢٨٠/ برقم: ٧٢٠].

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾
وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا
﴿٨٠﴾ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾﴾.

فيها نصاً وفي غيرها قياساً. ﴿إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾ تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار، أو شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذي هو أخو الموت بالانتباه، أو كثير من المصلين، أو من حقه أن يشهده الجم الغفير، والآية جامعة للصلوات الخمس؛ إن فسر الدلوك بالزوال، ولصلوات الليل وحدها إن فسر بالغروب. وقيل: المراد بالصلاة صلاة المغرب وقوله: ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ بيان لمبدأ الوقت ومنتهاه، واستدل به على أن الوقت يمتد إلى غروب الشفق.

﴿٧٩﴾ ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ﴾ وبعض الليل فاترك الهجود للصلاة والضمير للـ(القُرْآنَ). ﴿نَافِلَةٗ لَّكَ﴾ فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة، أو فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك. ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ مقاماً يحمده القائم فيه وكل من عرفه، وهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامة؛ والمشهور أنه مقام الشفاعة. لما روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي**» ولإشعاره بأن الناس يحمدونه لقيامه فيه، وما ذاك إلا مقام الشفاعة، وانتصابه على الظرف بإضمار فعله؛ أي: فيقيمك مقاماً، أو بتضمين (يَبْعَثَكَ) معناه، أو الحال بمعنى: أن يبعثك ذا مقام.

﴿٨٠﴾ ـ ﴿٨١﴾ ﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي﴾؛ أي: في القبر. ﴿مُدۡخَلَ صِدۡقٖ﴾ إدخالاً

واجبة لم يجز إطلاقها على الصلاة لكنها أطلقت كالركوع والسجود والقيام؛ لأنه من باب إطلاق معظم الشيء على كله والمندوب ليس كذلك [وفي الرد بذلك نظراً لما روى أبو هريرة أنه عليه الصلاة والسلام قال: «هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي»]

۞ ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾.

مرضياً ﴿وَأَخْرِجْنِي﴾؛ أي: منه عند البعث. ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ إخراجاً ملقى بالكرامة. وقيل المراد: إدخال المدينة والإخراج من مكة. وقيل: إدخاله مكة ظاهراً عليها وإخراجه منها آمناً من المشركين. وقيل: إدخاله الغار وإخراجه منه سالماً. وقيل: إدخاله فيما حمله من أعباء الرسالة وإخراجه منه مؤدياً حقه. وقيل: إدخاله في كل ما يلابسه من مكان أو أمر وإخراجه منه. وقرئ: (مَدْخَلَ) و(مَخْرَجَ) بالفتح على معنى: أدخلني فأدخل دخولاً، وأخرجني فأخرج خروجاً. ﴿وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾ حجة تنصرني على من خالفني، أو ملكاً ينصر الإسلام على الكفر؛ فاستجاب له بقوله: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]، ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣]، ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥]. ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ الإسلام ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ وذهب وهلك الشرك؛ من: (زهق روحه) إذا خرج. ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ مضمحلاً غير ثابت، عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنه عليه الصلاة والسلام دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلاثمائة وستون صنماً، ينكت بمخصرته في عين كل واحد منها فيقول: «**جاء الحق وزهق الباطل**»، فينكب لوجهه؛ حتى ألقى جميعها، وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صُفْر فقال: «**يا علي ارم به**» فصعد فرمى به فكسره.

﴿٨٢﴾ ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ما هو في تقويم

رواه الترمذي[1] [**عن ابن مسعود أنه** عليه السلام: «**دخل مكة يوم الفتح..**»] إلى آخره. رواه بمعناه الشيخان[2] وغيرهما، والمخصرة قال الجوهري: كالسوط وكل ما اختصر

---

(١) سنن الترمذي [٥/٣٠٣/برقم: ٣١٣٧].

(٢) صحيح البخاري [٤/١٧٤٩/برقم: ١٦٤]، صحيح مسلم [٣/١٤٠٨/برقم: ١٧٨١].

۞ ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾.

دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى، و(مِنَ) للبيان فإن كله كذلك. وقيل: إنه للتبعيض، والمعنى: أن منه ما يشفي من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء. وقرأ البصريان: (نُنزِلُ) بالتخفيف. ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ لتكذيبهم وكفرهم به.

﴿٨٣﴾ ـ ﴿٨٤﴾ ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ بالصحة والسعة ﴿أَعْرَضَ﴾ عن ذكر الله. ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ لوى عطفه وبعد بنفسه عنه؛ كأنه مستغن مستبد بأمره، ويجوز أن يكون كناية عن الاستكبار لأنه من عادة المستكبرين، وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان هنا وفي (فصلت): وناء على القلب أو على أنه بمعنى: نهض. ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ من مرض أو فقر. ﴿كَانَ يَـُٔوسًا﴾ شديد اليأس من روح الله. ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ قل كل أحد يعمل على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة، أو جوهر روحه وأحواله التابعة لمزاج بدنه. ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ أسد طريقاً وأبين منهجاً، وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين.

﴿٨٥﴾ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ الذي يحيا به بدن الإنسان ويدبره. ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ من الإبداعيات الكائنة بـ(كن) من غير مادةٍ وتَوَلُّدٍ مِنْ أصل كأعضاء جسده، أو وجد بأمره وحدث بتكوينه

الإنسان بيده فأمسكه من عصا ونحوها[1] [وقرأ ابن عامر]؛ أي: من رواية ابن ذكوان.

[أو جوهر روحه] عطف على «حاله» **[أو وجد بأمره وحدث بتكوينه]** عطف

---

(١) الصحاح، الجوهري [٣/٤٩٦].

على أن السؤال عن قدمه وحدوثه. وقيل: مما استأثر الله بعلمه. لما روي: أن اليهود قالوا لقريش: سلوه عن أصحاب الكهف، وعن ذي القرنين، وعن الروح! فإن أجاب عنها أو سكت فليس بنبي، وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي، فبيَّن لهم القصتين وأبهم أمر الروح ـ وهو مبهم في التوراة ـ. وقيل: الروح جبريل، وقيل: خلق أعظم من الملك، وقيل: القرآن، و﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ معناه: من وحيه. ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ تستفيدونه بتوسط حواسكم، فإن اكتساب العقل للمعارف النظرية. إنما هو من الضروريات المستفادة من إحساس الجزئيات، ولذلك قيل: من فقد حساً فقد فقد علماً. ولعل أكثر الأشياء لا يدركه الحس ولا شيئاً من أحواله المعروفة لذاته، وهو إشارة إلى أن الروح مما لا يمكن معرفة ذاته إلا بعوارض تميزه عما يلتبس به، فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى في جواب: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] بذكر بعض صفاته. روي: أنه عليه الصلاة والسلام لما قال لهم ذلك قالوا: أنحن مختصون بهذا الخطاب؟ فقال: بل نحن وأنتم! فقالوا: ما أعجب شأنك ساعة تقول: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]. وساعة تقول هذا، فنزلت: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ [لقمان: ٢٧] وما قالوه لسوء فهمهم؛ لأن الحكمة الإنسانية أن يعلم من الخير والحق ما تسعه القوة البشرية؛ بل ما ينتظم به معاشه ومعاده، وهو بالإضافة إلى معلومات الله التي لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالإضافة إليه كثيراً.

على قوله: «لمعان» والمعنى: مما أبدع من الكائنات يكن أو مما وجد بأمره وحدث بتكوينه [على أن علة قِدَمِهِ وحدوثه] يحتمل تعلق على بمحذوف؛ أي: بناء على ذلك والأوجه أنه علاوة معنى على أن السؤال إنما هو على قدمه وحدوثه لا عن حقيقته [وقيل: مما استأثر الله بعلمه] مقابل لقوله من الإبداعيات وما عطف عليه(١) [من أحواله]؛ أي: الأكثر [وهو بالإضافة إليه]؛ أي: إلى إنسان.

---

(١) انظر: معاني القرآن، الفرّاء [٣/ ٨٠].

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾
إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ
أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا
لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾.

﴿٨٦﴾ ـ ﴿٨٧﴾ ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ اللام الأولى موطئة للقسم و(لَنَذْهَبَنَّ) جوابه النائب مناب جزاء الشرط. والمعنى: إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من المصاحف والصدور ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ من يتوكل علينا استرداده مسطوراً محفوظاً. ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ﴾ فإنها إن نالتك فلعلها تسترده عليك؛ ويجوز أن يكون استثناء منقطعاً بمعنى: ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به، فيكون امتناناً بإبقائه بعد المنة في تنزيله. ﴿إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ كإرساله، وإنزال الكتاب عليه، وإبقائه في حفظه.

﴿٨٨﴾ ـ ﴿٨٩﴾ ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى. ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ وفيهم العرب العرباء، وأرباب البيان، وأهل التحقيق، وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة، ولولا هي لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضياً كقول زهير:

وإن أتاه خليلٌ يومَ مَسْأَلَةٍ يَقُولُ لَا غَائِبٌ مَالِي وَلَا حَرِمُ

[ولولا هي لكان]؛ أي: «لا يأتون بمثله» [جواب الشرط] وأجاب عما يقال: «فيلزم جزمه» بقوله: [بلا جزم..] إلى آخره. [كقول زهير] في مدحه هَرِم ابن سنان:

[وإن أتاهُ خليلٌ.................................. ....]

أي: فقير [يومَ مسألةٍ]؛ أي: سؤال وفي نسخة: «مسغبة»؛ أي: مجاعة [يقول: لا غائبٌ مالي ولا حَرِمُ][1] بكسر الراء ممنوع وبفتحها؛ أي: ولا حرام أن

---

(١) البيت:
«وإن أتاهُ خليلٌ يوم مسألةٍ يقول لا غائبٌ مالي ولا حَرِمُ»
الكتاب، سيبويه [٣/ ٦٦].

۞ ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾.

﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ ولو تظاهروا على الإتيان به، ولعله لم يذكر الملائكة لأن إتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزاً، ولأنهم كانوا وسائط في إتيانه، ويجوز أن تكون الآية تقريراً لقوله: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٦]. ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ كررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان. ﴿لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعها في الأنفس. ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ وإلا جحوداً، وإنما جاز ذلك ولم يجز: ضربت إلا زيداً؛ لأنه متأول بالنفي.

﴿٩٠﴾ - ﴿٩١﴾ ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾ تعنتاً واقتراحاً بعد ما لزمتهم الحجة ببيان إعجاز القرآن، وانضمام غيره من المعجزات إليه. وقرأ الكوفيون ويعقوب: (تَفْجُرَ) بالتخفيف؛ والأرض أرض مكة، والينبوع عين لا ينضب ماؤها (يُفْعُول) من نبع الماء كـ(يُعْبُوب) من: (عب الماء) إذا زخر. ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾ أو يكون لك بستان يشتمل على ذلك.

﴿٩٢﴾ - ﴿٩٣﴾ ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ يعنون قوله تعالى: ﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [سبأ: ٩] وهو كـ(قطع) لفظاً

يعطى منه **[لأن إتيانهم بمثله..]** إلخ إنما كان كذلك لقوتهم على الإتيان بالمعجز، ولهذا مدحهم بقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠] **[لأنه متأول بالنفي]**؛ أي: فكأنه قيل فلم يرضوا إلا كفوراً **[لا ينضُب ماؤها]** بضم الضاد لا يغور

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾.

ومعنى، وقد سكنه ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع القرآن إلا في (الروم) وابن عامر إلا في هذه السورة، وأبو بكر ونافع في غيرهما وحفص فيما عدا (الطور)، وهو إما مخفف من المفتوح كـ(سِدْرَة) و(سِدَر) أو فعل بمعنى مفعول كـ(الطحن). ﴿أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾ كفيلاً بما تدعيه؛ أي: شاهداً على صحته ضامناً لدركه، أو مقابلاً كالعشير بمعنى: المعاشر، وهو حال من (الله) وحال (الملائكة) محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله: (فإنِّي وَقَيَّارٌ بها لَغَرِيبُ). أو جماعة فيكون حالاً من (الْمَلائِكَةِ). ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ من ذهب؛ وقد قرئ به، وأصله الزينة. ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ في معارجها. ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ وحده. ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ وكان فيه تصديقك. ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى﴾ تعجباً من اقتراحاتهم، أو تنزيهاً لله من أن يأتي، أو يتحكم عليه أو يشاركه أحد في القدرة، وقرأ ابن كثير وابن عامر: (قال سبحان ربي)؛ أي: قال الرسول: ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا﴾ كسائر الناس. ﴿رَّسُولًا﴾ كسائر الرسل، وكانوا لا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم، ولم يكن أمر الآيات إليهم ولا لهم أن يتحكموا على الله حتى تتخيروها عليَّ. هذا هو الجواب المجمل، وأما التفصيل فقد ذكر في آيات أخر كقوله: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ﴾ [الأنعام: ٧] ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا﴾ [الحجر: ١٤].

﴿٩٤﴾ - ﴿٩٥﴾ ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾؛ أي: وما منعهم

ماؤها [إذا ذخر]؛ أي: ارتفع [لدلالتها]؛ أي: الحال من الله تعالى [عليها]؛ أي: على الحال من الملائكة [أو جماعة] عطف على «كفيلاً».

۞ ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾.

الإيمان بعد نزول الوحي وظهور الحق. ﴿إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ إلا قولهم هذا، والمعنى: أنه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن إلا إنكارهم أن يرسل الله بشراً. ﴿قُل﴾ جواباً لشبهتهم. ﴿لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ﴾ كما يمشي بنو آدم. ﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾ ساكنين فيها. ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه، وأما الإنس فعامتهم عماة عن إدراك الملك والتلقف منه، فإن ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس، و(ملكاً) يحتمل أن يكون حالاً من (رسولاً) وأن يكون موصوفاً به وكذلك (بشراً) والأول أوفق.

﴿٩٦﴾ ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على أني رسول الله إليكم بإظهاره المعجزة على وفق دعواي، أو على أني بلغت مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إليكم، وأنكم عاندتم. و(شهيداً) نصب على الحال أو التمييز. ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ يعلم أحوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليها، وفيه تسلية للرسول ﷺ وتهديد للكفار.

﴿٩٧﴾ - ﴿٩٨﴾ ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ﴾ يهدونه. ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ يسحبون عليها أو يمشون بها. روي: أنه قيل لرسول الله ﷺ: كيف يمشون على وجوههم؟ قال: «**إن**

[روي أنه قيل لرسول الله ﷺ: «كيف يمشون على وجوههم...»] إلى آخره رواه الترمذي وحسنه(١).

---

(١) سنن الترمذي [٥/ ٣٠٥/ برقم: ٣١٤٢].

۞ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا (٩٩) قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا (١٠٠)﴾.

الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وُجُوهِهِمْ». ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ لا يبصرون ما يقرُّ أعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم، ولا ينطقون بما يقبل منهم؛ لأنهم في دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعبر وتصاموا عن استماع الحق، وأبوا أن ينطقوا بالصدق، ويجوز أن يحشروا بعد الحساب من الموقف إلى النار مؤفي القوى والحواس. ﴿مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ﴾ سكن لهبها بأن أكلت جلودهم ولحومهم. ﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ توقداً بأن نبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة، كأنهم لما كذبوا بالإعادة بعد الإفناء جزاهم الله بأن لا يزالوا على الإعادة والإفناء؛ وإليه أشار بقوله: ﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ لأن الإشارة إلى ما تقدم من عذابهم.

(٩٩) - (١٠٠) ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ أو لم يعلموا. ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ فإنهم ليسوا أشد خلقاً منهن، ولا الإعادة أصعب عليه من الإبداء. ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ هو الموت أو القيامة. ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ﴾ مع وضوح الحق. ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ إلا جحوداً. ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ خزائن رزقه وسائر نعمه، و(أنتم) مرفوع بفعل يفسره ما بعده ....

[ويجوز أن يحشروا بعد الحساب إلى الموقف إلى النار] فقوله: عمياً وبكماً وصماً على الأول: مجاز، والحشر بمعنى البعث، وعلى الثاني: حقيقة، والحشر بمعنى السوق [مؤوفي القوى] جمع «مؤوف»: وهو الذي أصابته آفة [مرفوع بفعل يفسره بعده] جرى فيه على مذهب الكوفيين من أن «لو» يليها الفعل مضمراً كما يليها

۞ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾.

كقول حاتم: لو ذات سوار لطمتني! وفائدة هذا الحذف والتفسير؛ المبالغة مع الإيجاز والدلالة على الاختصاص. ﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾ لبخلتم مخافة النفاد بالإنفاق؛ إذ لا أحد إلا ويختار النفع لنفسه، ولو آثر غيره بشيء؛ فإنما يؤثره لعوض يفوقه، فهو إذن بخيل بالإضافة إلى جود الله تعالى وكرمه هذا، وإن البخلاء أغلب فيهم. ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ بخيلاً؛ لأنَّ بناءَ أمرِهِ على الحاجة والضنة بما يحتاج إليه، وملاحظة العوض فيما يبذله.

﴿١٠١﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ هي العصا، واليد، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، وانفجار الماء من الحجر، وانفلاق البحر، ونتق الطور على بني إسرائيل. وقيل: الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلاثة الأخيرة. وعن صفوان أن يهودياً سأل النبي ﷺ عنها فقال: **«أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا وَلَا تَقْتُلُواْ النفس التى حَرَّمَ الله إِلَّا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا، ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان**

ظاهراً إذ البصريون يمنعون إيلاءه لها مضمراً إلا في شذوذ [**كقول حاتم: لو أن ذات سوار لطمتني**][1] أصل هذا المثل أن امرأة عاطِلاً من الحُلِيّ والهيئة لطمت حاتماً على نحره الناقة، وقال له النسوة: إنما أمرناك بفصدها، والفصد عندهم أن يقطع عرق من عروق الناقة ثم يجمع دمها فيشوى، وقيل أصله: أن المرأة المذكورة لطمت رجلاً فقال لها: لو ذات سوار لطمتني لاحتملتها فصار مثل يضرب لكريم يظلمه الدني.

[**«وعن صفوان أن يهوديّاً سأل النبي ﷺ..»**] إلى آخره. رواه جمع منهم

---

(١) المقتضب، المبرد [٢/ ٤٤].

۞ ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾.

ليقتله، ولا تقذفوا محصنة، ولا تفرّوا من الزحف، وعليكم خاصة ـ اليهود ـ أن لَا تَعْدُواْ فِي السبت»، فقبّل اليهودي يده ورجله. فعلى هذا المراد بالآيات الأحكام العامة للملل الثابتة في كل الشرائع، سميت بذلك لأنها تدل على حال من يتعاطى متعلقها في الآخرة من السعادة أو الشقاوة. وقوله: «وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا» حكم مستأنف زائد على الجواب؛ ولذلك غير فيه سياق الكلام. ﴿فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ﴾ فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك، أو سلهم عن حال دينهم، ويؤيده قراءة رسول الله ﷺ: (فسال) على لفظ المضي بغير همز وهو لغة قريش و(إِذْ) متعلق بـ(قلنا) أو (سأل) على هذه القراءة، أو فاسأل يا محمد بني إسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون إذ جاءهم، أو عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك، أو لتتسلى نفسك، أو لتعلم أنه تعالى لو أتى بما اقترحوا لأصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم، أو ليزداد يقينك؛ لأن تظاهر الأدلة يوجب قوة اليقين وطمأنينة القلب، وعلى هذا كان (إِذْ) نصباً بـ(آتَيْنا) أو بإضمار (يخبروك) على أنه جواب الأمر، أو بإضمار (اذكر) على الاستئناف. ﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ سحرت فتخبط عقلك.

﴿١٠٢﴾ ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ يا فرعون. وقرأ الكسائي بالضم على إخباره عن

الترمذي[١] وقال: إنه حسن صحيح **[فاسأل بني إسرائيل]**؛ أي: فاسأل يا موسى بني إسرائيل **[فقلنا له سلهم من فرعون]**؛ أي: اطلبهم منه **[أو سلهم من حال دينهم]**؛ أي: عنه وعبارة «الكشاف»: أو سلهم عن إيمانهم[٢] **[وعلى هذا]**؛ أي: القول بأن المضمر يا محمد **[كان إذ نصبا بـ«أتينا..»]** إلى آخره. وأما على الأول وهو أن

---

(١) سنن الترمذي [٥/ ٧٧/ برقم: ٢٧٣٣].

(٢) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٦٥٢].

۞ ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾.

نفسه. ﴿مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ﴾؛ يعني: الآيات. ﴿إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ بينات تبصرك صدقي ولكنك تعاند. وانتصابه على الحال. ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ مصروفاً عن الخير، مطبوعاً على الشر؛ من قولهم: ما ثبرك عن هذا! أي: ما صرفك؟ أو هالكاً قارع ظنه بظنه، وشتان ما بين الظنين؛ فإن ظن فرعون كذبٌ بَحْت، وظنُّ موسى يحوم حول اليقين من تظاهر أماراته. وقرئ: (وإن أخالك يا فرعون لمثبوراً) على (إن) المخففة و(اللام) هي الفارقة.

﴿١٠٣﴾ ـ ﴿١٠٤﴾ ﴿فَأَرَادَ﴾ فرعون. ﴿أَن يَسْتَفِزَّهُم﴾ أن يستخف موسى وقومه وينفيهم. ﴿مِّنَ الْأَرْضِ﴾ أرض مصر، أو الأرض مطلقاً بالقتل والاستئصال. ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا﴾ فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالإغراق. ﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ﴾ من بعد فرعون أو إغراقه. ﴿لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ التي أراد أن يستفزكم منها. ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ الكرّة، أو الحياة، أو الساعة، أو الدار الآخرة؛ يعني: قيام القيامة. ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ مختلطين إياكم وإياهم، ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من أشقيائكم، و(اللفيف): الجماعات من قبائل شتى.

﴿١٠٥﴾ ـ ﴿١٠٦﴾ ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾؛ أي: وما أنزلنا القرآن إلا ملتبساً بالحق المقتضي لإنزاله، وما نزل على الرسول إلا ملتبساً بالحق الذي اشتمل عليه. وقيل: وما أنزلناه من السماء إلا محفوظاً بالرصد من

المضمر «يا موسى» فهو نصب بقول محذوف؛ أي: قلنا له سلهم حين جاءهم، أو بـ«سأل» في القراءة الثانية [قارع ظنه بظنه]؛ أي: عارضه به.

۞ ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾.

الملائكة، وما نزل على الرسول إلا محفوظاً بهم من تخليط الشياطين. ولعله أراد به نفي اعتراء البطلان له أول الأمر وآخره. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ للمطيع بالثواب. ﴿وَنَذِيرًا﴾ للعاصي بالعقاب فلا عليك إلا التبشير والإنذار. ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾ نزلناه مفرقاً منجماً. وقيل: فرقنا فيه الحق من الباطل، فحذف الجار كما في قوله: ويوماً شهدناه، وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه؛ فإنه نزل في تضاعيف عشرين سنة. ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ على مهل وتؤدة؛ فإنه أيسر للحفظ، وأعون في الفهم. وقرئ بالفتح وهو لغة فيه. ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ على حسب الحوادث.

﴿١٠٧﴾ ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾ فإن إيمانكم بالقرآن لا يزيده كمالاً، وامتناعكم عنه لا يورثه نقصاً وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ تعليل له أي:

[**كما في قوله: «ويوم شهدناه»**]؛ أي: «شهدنا فيه» وتمامه: سُلَيْماً وعامِراً - قبيلتان من قيس بخيلان - قليلٌ سوى الطَّعنِ النِّهَالِ نَوافِلُه[(١)] بالرفع تعليل، و«النِّهال» بكسر النون جمع ناهل، وهو العطشان، والمراد الرمح، والمعنى: أن هذا اليوم الذي شهدنا فيه سُلَيماً وعامراً قليلٌ غنائمه بل لم يغنم فيه إلا الطعن بالرماح وهذا على طريق المثل يريد أن أصحابنا حُرَّصٌ على القتل والطعن [**على مهل**] المهل بالسكون والفتح التؤدة، وقيل: بالسكون التؤدة، وبالفتح الإسراع؛ أي: بفتح ميم مَكث[(٢)] [**وهو لغة فيه**] ففيه لغتان الضم والفتح وفيه الكسر أيضاً لكن لم يقرأ به.

[**إن الذين أوتوا العلم من قبله**]؛ أي: قبل نزول القرآن [**تعليل**]؛ أي: قوله: «إن الذين أوتوا العلم من قبله..» إلى آخره. تعليل [**له**]؛ أي: لقوله: ﴿ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ

---

(١) البيت لرجل من بني عامر. انظر: الكتاب، سيبويه [١/ ١٧٨].

(٢) انظر: الفائق في غريب الحديث، الزمخشري [٣/ ١٦١].

۞ ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾.

إن لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرءوا الكتب السابقة، وعرفوا حقيقة الوحي، وأمارات النبوة، وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل، أو رأوا نعتك وصفة ما أنزل إليك في تلك الكتب، ويجوز أن يكون تعليلاً لـ(قُلْ) على سبيل التسلية كأنه قيل: تسل بإيمان العلماء عن إيمان الجهلة ولا تكترث بإيمانهم وإعراضهم. ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ القرآن ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ يسقطون على وجوههم تعظيماً لأمر الله، أو شكراً لإنجاز وعده في تلك الكتب ببعثة محمد ﷺ على فَتْرَةٍ مِّنَ الرسل وإنزال القرآن عليه.

﴿١٠٨﴾ - ﴿١٠٩﴾ ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾ عن خلف الموعد. ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ إنه كان وعده كائناً لا محالة. ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ كرره لاختلاف الحال والسبب؛ فإن الأول: للشكر عند إنجاز الوعد، والثاني: لما أثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله، وذكر (الذقن) لأنه أول ما يلقى الأرض من وجه الساجد، و(اللام) فيه لاختصاص الخرور به. ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ سماع القرآن ﴿خُشُوعًا﴾ كما يزيدهم علماً ويقيناً بالله.

لَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾ **[أو رأوا انفتك]** عطف على «فرأوا» **[وإنزال القرآن]** عطف على بعثة محمد **[كرره لاختلاف الحال]** هو «سجّداً» في الأول و«يكون» في الثاني هو في الأول «الشكر» وفي الثاني «مواعظ القرآن فيهم» **[وذكر الذقن لأنه أول ما يلقى الأرض من وجه الساجد]**؛ أي: لأنه إذا ابتدأ الخرور فأول ما يلقى الأرض؛ أي: يقابلها منه الذقن وإلا فأول ما يلقاها؛ أي: يتصل بها منه الجبهة والأنف(١)

(١) انظر: اللباب، ابن عادل [١٢/ ٤٠٧].

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾.

﴿١١٠﴾ ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ نزلت حين سمع المشركون رسول الله يقول: يا الله! يا رحمٰن! فقالوا: إنه ينهانا أن نعبد إلٰهين وهو يدعو إلٰهاً آخر؟! أو قالت اليهود: إنك لتقلّ ذِكْرَ الرحمٰن وقد أكثره الله في التوراة. والمراد على الأول: هو التسوية بين اللفظين؛ بأنهما يطلقان على ذات واحدة وإن اختلف اعتبار إطلاقهما، والتوحيد إنما هو للذات الذي هو المعبود المطلق، وعلى الثاني: أنهما سيان في حسن الإطلاق والإفضاء إلى المقصود وهو أجود لقوله: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ والدعاء في الآية بمعنى التسمية، وهو يتعدى إلى مفعولين؛ حذف أولهما استغناء عنه، و(أو) للتخيير، والتنوين في (أيّاً) عوض عن المضاف إليه، و(ما) صلة لتأكيد (ما) في (أيّاً) من الإبهام، والضمير في (فَلَهُ) للمسمى لأن التسمية له لا للاسم، وكان أصل الكلام (أيّاً مَّا تَدْعُوا) فهو حسن، فوضع موضعه فله الأسماء الحسنى للمبالغة، والدلالة على ما هو الدليل عليه. وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والإكرام. ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين؛ فإن ذلك يحملهم على السب واللغو فيها. ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ حتى لا تسمع من خلفك من المؤمنين. ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ بين الجهر والمخافتة. ﴿سَبِيلًا﴾ وسطاً فإن الاقتصاد في جميع الأمور محبوب. روي أن أبا بكر رضي الله عنه كان يخفت

[وعلى الثاني أنهما سيان في حسن الإطلاق]؛ أي: وإن كان ذكر الرحمٰن في القرآن أقل **[وهو أجوب]**؛ أي: أحسن جواباً **[لقوله:** ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]]؛ أي: لما اقتضاه هذا القول من التسوية بينهما مطلقاً.

[والدعاء في الآية بمعنى التسمية]؛ أي: لا بمعنى النداء **[والضمير في «له» للمبني..]** إلى آخره. أشار به إلى أن المراد بالله والرحمٰن الاسم لا المسمى، فمعنى «ادعوا الله» أو «الرحمٰن» سموا المعبود بحق الله أو الرحمٰن **[«روي أن أبا بكر كان يخفت...»]** إلى

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾.

ويقول: أناجي ربي وقد علم حاجتي، وعمر رضي الله عنه كان يجهر ويقول: أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان، فلما نزلت؛ أمر رسول الله ﷺ أبا بكر أن يرفع قليلاً، وعمر أن يخفض قليلاً. وقيل معناه: لا تجهر بصلاتك كلها، ولا تخافت بها بأسرها، وابتغ بين ذلك سبيلاً بالإخفات نهاراً والجهر ليلاً.

﴿١١١﴾ ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ في الألوهية. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ ولي يواليه من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفي عنه أن يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختياراً واضطراراً، وما يعاونه ويقويه، ورتب (الحمد) عليه للدلالة على أنه الذي يستحق جنس (الحمد)؛ لأنه الكامل الذات المنفرد بالإيجاد، المنعم على الإطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة، أو منعم عليه؛ ولذلك عطف عليه قوله: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ وفيه تنبيه على أن العبد وإن بالغ في التنزيه والتمجيد، واجتهد في العبادة والتحميد؛ ينبغي أن يعترف بالقصور عن حقه في ذلك. روي: أنه ﷺ كان إذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية.

وعنه عليه السلام: «**من قرأ سورة (بني إسرائيل) فَرَقَّ قلبُه عند ذِكْرِ الوالدين، كان له قنطار في الجنة**» و(القنطار): ألف أوقية، ومائتا أوقية. والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

آخره. رواه بمعناه أبو داود[١] وغيره [**أفصح الغلام**] يقال: أفصح الصبي في منطقه فهم ما يقول. [**وعنه عليه السلام: «من قرأ سورة بني إسرائيل...»**] إلى آخره. موضوع[٢].

---

(١) سنن أبي داود [١/١٠٧/ برقم: ٢٢٦].

(٢) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٢/٢٩٦/ برقم: ٧٣٤].

سُورَةُ الكَهْفِ

(١٨) مكية، وقيل: إلا قوله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ الآية [الكهف: ٢٨]، **وهي مائة وإحدى عشرة آية**

۞ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ يعني: القرآن. رتب استحقاق الحمد على إنزاله تنبيهاً على أنه أعظم نعمائه؛ وذلك لأنه الهادي إلى ما فيه كمال العباد، والداعي إلى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد. ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ شيئاً من العوج باختلال في اللفظ وتناف في المعنى، أو انحراف من الدعوة إلى جناب الحق وهو في المعاني كالعوج في الأعيان.

﴿٢﴾ ـ ﴿٣﴾ ﴿قَيِّمًا﴾ مستقيماً معتدلاً لا إفراط فيه ولا تفريط، أو قَيِّماً بمصالح العباد؛ فيكون وصفاً له بالتكميل بعد وصفه بالكمال، أو على الكتب السابقة يشهد بصحتها. وانتصابه بمضمر تقديره: جعله قيماً، أو على

قوله: [**إلى جانب الحق**] متعلق بالدعوة [**وهو في المعنى**]؛ أي: والعِوَج بالكسر في المعاني [**كالعوج**] بالفتح [**في الأعيان**] تبع فيه ابن الأثير[1] وغيره وهو المشهور لكن في الصحاح وغيره: أنه بالكسر لما كان في أرض أو دين أو معاش وبالفتح لما ينتصب كالحائط والعود[2] [**أو على الكتب السابقة**] عطف

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير [٥/ ٤٣٥].

(٢) الصحاح، الجوهري [٢/ ٣].

۞ ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾.

الحال من الضمير في (لَهُ)، أو من (الْكِتابَ) على أن الواو (وَلَمْ يَجْعَلْ) للحال دون العطف، إذ لو كان للعطف لكان المعطوف فاصلاً بين أبعاض المعطوف عليه؛ ولذلك قيل: فيه تقديم وتأخير، وقرئ: (قِيَماً). ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾؛ أي: لينذر الذين كَفَرُواْ عَذَاباً شَدِيداً، فحذف المفعول الأول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصاراً على الغرض المسوق إليه. ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾ صادراً من عنده، وقرأ أبو بكر بإسكان الدال كإسكان الباء من (سَبْع) مع الإشمام ليدل على أصله، وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للإتباع. ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ هو الجنة. ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ﴾ في الأجر. ﴿أَبَدًا﴾ بلا انقطاع.

۝٤ - ۝٥ ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ خصهم بالذكر، وكرَّر الإنذار متعلقاً بهم استعظاماً لكفرهم، وإنما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره. ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾؛ أي: بالولد أو باتخاذه أو بالقول، والمعنى: أنهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب، أو تقليد لما سمعوه من أوائلهم من غير علم بالمعنى الذي أرادوا به؛ فإنهم كانوا يطلقون الأب والابن بمعنى المؤثر والأثر. أو بالله إذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ إليه. ﴿وَلَا لِآبَآئِهِمْۚ﴾ الذين تقولوه بمعنى التبني. ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك، وإيهام احتياجه تعالى إلى ولد يعينه ويخلفه إلى غير ذلك من الزيغ، و(كَلِمَةً) نصب على التمييز،

على «بمصالح» [وقرئ: (قِيَماً)]؛ أي: بكسر القاف وفتح الياء مخففة [أو بالله] عطف على «بالولد» [بمعنى التَّبنِّي]؛ أي: بنحوه مما يوقع في الكفر كاتخاذ الشريك.

۞ ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦
إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا
عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ٨﴾.

وقرئ بالرفع على الفاعلية، والأول أبلغ وأدل على المقصود. ﴿تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ﴾ صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على إخراجها من أفواههم، والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها. وقيل: صفة محذوف هو المخصوص بالذمّ؛ لأن (كبر) ها هنا بمعنى: (بئس) وقرئ: (كَبْرَتْ) بالسكون مع الإشمام. ﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا﴾.

٦ ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ﴾ قاتلها. ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ﴾ إذا ولوا عن الإيمان، شبهه لما يداخله من الوجد على توليهم بمن فارقته أعزته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجداً عليهم. وقرئ: (باخعُ نَفْسِكَ) على الإضافة. ﴿إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ﴾ بهذا القرآن. ﴿أَسَفًا﴾ للتأسف عليهم أو متأسفاً عليهم، و(الأسف): فرط الحزن والغضب. وقرئ: (أن) بالفتح على لأن فلا يجوز إعمال ﴿بَٰخِعٞ﴾ إلا إذا جعل حكاية حال ماضية.

٧ ـ ٨ ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ من الحيوان والنبات والمعادن. ﴿زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾ في تعاطيه، وهو من زهد فيه ولم يغتر به، وقنع منه بما يزجي به أيامه وصرفه على ما ينبغي، وفيه تسكين لرسول الله ﷺ. ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا﴾ تزهيد فيه، والجرز الأرض التي قطع نباتها. مأخوذ من الجرز وهو القطع، والمعنى: إنا لنعيد

[بالسكون مع الإشمام]؛ أي: بسكون الباء مع إشمام ضمتها **[فلا يجوز إعمال ﴿بَٰخِعٞ﴾** [الكهف: ٦]..**]** إلى آخره. مرتب على قراءة «أنْ» بالفتح[1]؛ لأنَّ مدخولها بمعنى الماضي بخلافه مع كسرها؛ لأنّ «إنْ» الشرطية تجعل الماضي مستقبلاً **[يزجى]**

---

(١) إبراز المعاني، أبو شامة [٢/٤٠٣].

۞ ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩﴾.

ما عليها من الزينة تراباً مستوياً بالأرض، ونجعله كصعيد أملس لا نبات فيه.

۝٩ ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ بل أحسبت. ﴿أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾ في إبقاء حياتهم مدة مديدة. ﴿كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ وقصتهم بالإضافة إلى خلق ما على الأرض من الأجناس والأنواع الفائتة للحصر على طبائع متباعدة، وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة، ثم ردها إليها ليس بعجيب مع أنه من آيات الله كالنزر الحقير. و(الْكَهْفِ): الغار الواسع في الجبل. (والرَّقِيم) اسم الجبل أو الوادي الذي فيه كهفهم، أو اسم قريتهم أو كلبهم. قال أَمية بن أبي الصلت:

وَلَيْسَ بِهَا إِلَّا الرَّقِيمُ مُجَاوِرا وَصَيْدَهُمُو وَالقَوْمُ فِي الكَهْفِ هُجّدٌ

أو لوح رصاصي أو حجري رقمت فيه أسماؤهم، وجعل على باب الكهف. وقيل: أصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لأهلهم، فأخذتهم السماء فأووا إلى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه.

بزاي فجيم مشددة؛ أي: يدفع [و«قصتهم»] مبتدأ [من الأجناس والأنواع] بيان لما [من مادة] متعلق بـ«خلق» [ثم ردها] بالجر عطف على «خلق» [إليها]؛ أي: إلى «الأرض» [ليس بعجيب] خبر المبتدأ [أو كلبهم] استشهد له بقوله: [قال أمية بن أبي الصلت:

وليس بها إلا الرقيمُ مجاوراً وصيدهُمُ.............................]

بكسر الصاد مفعول مجاور؛ أي: «فناءهم» [والقومُ في الكهفِ هُجَّد][1]؛ أي: نُوَّمُ [أو لوح رصاصي] عطف على اسم الجبل [وقيل: أصحاب الرقيم قومٌ آخرون]؛ أي: غير أصحاب الكهف [يرتادون]؛ أي: يطلبون الكلأ ونحوه [فأخذتهم السماء]؛

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١١/ ٤٥٣].

﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾.

فقال أحدهم: اذكروا أيكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته، فقال أحدهم: استعملت أُجَرَاء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فأعطيته مثل أجرهم، فغضب أحدهم وترك أجره فوضعته في جانب البيت، ثم مرَّ بي بقرٌ فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله، فرجع إليّ بعد حين شيخاً ضعيفاً لا أعرفُه وقال: إن لي عندك حقاً! وذكره لي حتى عرفته، فدفعتها إليه جميعاً، اللَّهُمَّ إن كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا! فانصدع الجبل حتى رأوا الضوء. وقال آخر: كان فِيَّ فضل وأصابت الناس شدة، فجاءتني امرأة فطلبت مني معروفاً فقلت: والله ما هو دون نفسك! فأبت! وعادت، ثم رجعت ثلاثاً، ثم ذكرت لزوجها فقال: أجيبي له وأغيثي عيالك، فأتت وسلّمت إليّ نفسها فلما تكشفتها وهممت بها ارْتَعَدَتْ فقلتُ: ما لكِ! قالت: أخاف الله، فقلت لها: خفته في الشدة ولم أخفه في الرخاء، فتركتها وأعطيتها ملتمسها؛ اللَّهُمَّ إن كنت فعلته لوجهك فافرج عنا؛ فانصدع حتى تعارفوا. وقال الثالث: كان لي أبوان هَرِمَان وكانت لي غنم، وكنت أطعمهما وأسقيهما، ثم أرجع إلى غنمي؛ فحبسني ذات يوم غيث فلم أبرح حتى أمسيت، فأتيت أهلي وأخذت محلبي فحلبت فيه ومضيت إليهما، فوجدتهما نائمين! فشقّ عليَّ أن أوقظهما، فتوقعت جالساً ومحلبي على يدي حتى أيقظهما الصبح فسقيتهما. اللَّهُمَّ إن كنت فعلته لوجهك فافرج عنا. ففرج الله عنهم فخرجوا. وقد رفع ذلك نعمان بن بشير.

﴿١٠﴾ - ﴿١١﴾ ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾؛ يعني: فتية من أشراف الروم أرادهم «دقيانوس» على الشرك فأبوا وهربوا إلى الكهف ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ

أي: المطر [رادهم] ضمن أراد معنى «حمل» فعدّاه بـ«على».

۞ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾.

آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ توجب لنا المغفرة والرزق والأمن من العدو. ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا﴾ من الأمر الذي نحن عليه من مفارقة الكفار. ﴿رَشَدًا﴾ نصير بسببه راشدين مهتدين، أو اجعل أمرنا كله رشداً كقولك: رأيت منك أسداً. وأصل (التهيئة): إحداث هيئة الشيء. ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ﴾؛ أي: ضربنا عليهم حجاباً يمنع السماع بمعنى: أنمناهم إنامة لا تنبههم فيها الأصوات، فحذف المفعول كما حذف في قولهم: بنى على امرأته. ﴿فِي الْكَهْفِ سِنِينَ﴾ ظرفان لـ(ضربنا). ﴿عَدَدًا﴾؛ أي: ذوات عدد، ووصف السنين به يحتمل التكثير والتقليل، فإن مدة لبثهم كبعض يوم عنده.

﴿١٢﴾ - ﴿١٣﴾ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أيقظناهم. ﴿لِنَعْلَمَ﴾ ليتعلق علمنا تعلقاً حالياً مطابقاً لتعلقه أولاً تعلقاً استقبالياً. ﴿أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾ المختلفين منهم، أو من غيرهم في مدة لبثهم. ﴿أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ ضبط أمد الزمان لبثهم، وما في أي: من معنى الاستفهام علق عنه (لنعلم)، فهو مبتدأ و(أَحْصى) خبره. وهو فعل ماضٍ ﴿أَمَدًا﴾ مفعول له و(لِما لَبِثُوا) حال منه أو مفعول له، وقيل: إنه المفعول واللام مزيدة و(ما) موصولة (وأَمَداً) تمييز، وقيل: (أَحْصى) اسم تفضيل من الإحصاء بحذف الزوائد كقولهم: هو أحصى

[كما في قولهم: بنى على امرأته]؛ أي: بنى عليها قُبَّة[1] **[علو عنه]**؛ أي: عن العمل في أي **[فهو]**؛ أي: الحزبين **[وقيل: «أحصى» اسم تفضيل..]** إلى آخره، قضية كلامه أنه ضعيف، وهو كذلك؛ لأنه خلاف مذهب سيبويه أما مذهب سيبويه: فإن بناء ذلك جائز من «أفعل» مطلقاً[2]، ومنه: ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة.

---

(١) انظر: الجليس الصالح والأنيس الناصح، المعافى بن زكريا [ص٤٥٥].

(٢) انظر: حاشية الخضري على ابن عقيل، الخضري الشافعي [٣/ ٢٨١].

۞ ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾.

للمال وأفلس من ابن المذلق، (وأَمَداً) نصب بفعل دل عليه (أَحْصى) كقوله: (وَأضرب مِنّا بِالسُّيُوفِ القَوَانِسَا).

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ بالصدق. ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾ شُبّان جمع: فتى كصبي وصبية. ﴿آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ بالتثبيت.

﴿١٤﴾ - ﴿١٥﴾ ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ وقويناها بالصبر على هجر الوطن والأهل والمال، والجراءة على إظهار الحق، والرد على «دقيانوس» الجبار. ﴿إِذْ قَامُوا﴾ بين يديه. ﴿فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِ

[**من ابن المذلق**] هو بكسر اللام رجل من بني عبد شمس وأبوه وأجداده يُعرفون بالإفلاس، قال الشاعر في أبيه:

فإنَّكَ إنْ ترجوا تميماً ونفعَها كراجي النَّدى والعُرْفِ عندَ الُمذَّلقِ(١)

يُروى بالزاي والذال [**و«أمدا» نصب بفعل دلّ عليه**]؛ أي: دل عليه «أحصى» الذي هو أفعل تفضيل بناء على أن أفعل التفضيل لا يعمل وبعضهم نصبه به نفسه [**كقوله**]؛ أي: قول عباس بن مرداس:

[.. وأضرَبُ منّا بالسيوف القوانِسا]

قبله:

فلم أرَ مثلَ الحيِّ حَيّاً مُصَبَّحاً ولا مثلَنا يومَ التقينا فوارِسَا
أكرُّ وأَحْمَى للحقيقة منهمُ(٢) ....

و«المصبَّح»: المغارُ عليه وقت الصبح، يقول: لم أرَ مغاراً عليه كالحي الذين

---

(١) الاختيارين، الأخفش الأصغر [ص١١٨].

(٢) انظر: المستقصى في أمثال العرب، الزمخشري [١/ ٢٧٥].

۞ ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ١٦﴾.

إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا﴾ والله لقد قلنا قولاً ذا شطط؛ أي: ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ مبتدأ. ﴿قَوۡمُنَا﴾ عطف بيان. ﴿ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ﴾ خبره، وهو إخبار في معنى إنكار. ﴿لَّوۡلَا يَأۡتُونَ﴾ هلا يأتون. ﴿عَلَيۡهِم﴾ على عبادتهم. ﴿بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ﴾ ببرهان ظاهر فإن الدين لا يؤخذ إلا به، وفيه دليل على أن ما لا دليل عليه من الديانات مردود، وأن التقليد فيه غير جائز. ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ بنسبة الشريك إليه.

١٦ ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ﴾ خطاب بعضهم لبعض. ﴿وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ عطف على الضمير المنصوب؛ أي: وإذ اعتزلتم القوم ومعبوديهم إلا الله، فإنهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الأصنام كسائر المشركين. ويجوز أن تكون (مَا) مصدرية على تقدير: وإذ اعتزلتموهم وعبادتهم إلا عبادة الله، وأن تكون نافية على أنه إخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين (إِذِ) وجوابه لتحقيق اعتزالهم. ﴿فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم﴾ يبسط الرزق لكم ويوسع عليكم. ﴿مِّن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ في الدارين. ﴿وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم

صبحناهم، ولا مغيراً مثلنا يوم لقيناهم، ونصب «حيّاً» و«مصبحاً» و«فوارساً»، «أكرَّ وأحمى» على التمييز والحال وحقيقة الرجل ما لزمه الدفع عنه من أهل بيته، و«القوانس»: جمع قونس وهو أعلى البيضة، وقونس الفرس ما بين أذنيه، والشاهد في قوانس حيث نصبه بما دلّ عليه «أَضْرَب» وهو نضرب لا بـ«أَضْرَبَ» لكونه أفعل تفضيل [﴿لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤]] «إذاً» جواب وجزاء؛ أي: لقد قلنا قولاً شططاً إن دعونا من دونه إلٰها(١) **[وأن التقييد فيه]**؛ أي: في الدين **[غير جائز]**؛ أي:

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١١/ ٤٥٩].

۞ ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾.

﴿مِّرْفَقًا﴾ ما ترتفقون به؛ أي: تنتفعون، وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله تعالى، وقرأ نافع وابن عامر: (مَرفِقاً) بفتح الميم وكسر الفاء، وهو مصدر جاء شاذاً كـ(المَرجِع والمَحِيض) فإن قياسه الفتح.

﴿١٧﴾ ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ﴾ لو رأيتهم، والخطاب لرسول الله ﷺ، أو لكل أحد. ﴿إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ﴾ تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم؛ لأن الكهف كان جنوبياً، أو لأن الله تعالى زورها عنهم. وأصله (تتزاور) فأدغمت التاء في الزاي، وقرأ الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب: (تَزْوَرّ) كـ(تَحْمَرّ)، وقرئ: (تَزْوَارّ) كـ(تَحْمَارّ) وكلها من: (الزور) بمعنى: الميل. ﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾ جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين. ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ﴾ تقطعهم وتصرم عنهم. ﴿ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾؛ يعني: يمين الكهف وشماله لقوله: ﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾؛ أي: وهم في متسع من الكهف؛ يعني: في وسطه بحيث ينالهم رَوْح الهواء، ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حرُّ الشمس؛ وذلك لأن باب الكهف في مقابلة بنات نَعْش، وأقرب

لمن له قدرة على البرهان [**لنصوع يقينهم**]؛ أي: خلوصه [**وهو مصدر**] وقيل: ما يرتفق به كالأول [**فإن قياسه بالفتح**]؛ أي: فتح الفاء مع فتح الميم [**وحقيقتها**]؛ أي: ذات اليمين [**الجهة ذات اسم اليمين**]؛ أي: الجهة المسمّاة باليمين كما عبر به «الكشاف»[1] [**تقرضهم تقطعهم**]؛ أي: تتجاوزهم [**كَرْب**[2] **الغار**]؛ أي: غمه الذي يأخذ بالنفس [**ولأنَّ باب الكهف**] عطف على «لأنَّ الكهف كان جنوبياً» وفي نسخة:

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٦٢٢].

(٢) كما في نسخة [ز - ج - ب] وفي نسخة [الأصل]: (كريب).

۞ ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ۝١٨﴾.

المشارق والمغارب إلى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه. والشمس إذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الأيمن وهو الذي يلي المغرب، وتغرب محاذية لجانبه الأيسر فيقع شعاعها على جانبيه، ويحلل عفونته ويعدل هواءه، ولا يقع عليهم فيؤذي أجسادهم ويبلي ثيابهم. ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾؛ أي: شأنهم وإيواؤهم إلى كهف شأنه كذلك، أو إخبارك قصتهم، أو ازورار الشمس عنهم، وقرضها طالعة وغاربة من آيات الله. ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ﴾ بالتوفيق. ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ الذي أصاب الفلاح، والمراد به: إما الثناء عليهم أو التنبيه على أن أمثال هذه الآيات كثيرة، ولكن المنتفع بها من وفقه الله للتأمل فيها والاستبصار بها. ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾ ومن يخذله. ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ من يليه ويرشده.

۝١٨ ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾ لانفتاح عيونهم أو لكثرة تقلبهم. ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ نيام. ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾ في رقدتهم. ﴿ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ كيلا تأكل الأرض ما يليها من أبدانهم على طول الزمان. وقرئ: (ويُقَلِّبُهُم) بالياء والضمير لله تعالى، و(تَقَلُّبَهُمْ) على المصدر منصوباً بفعل يدل عليه تحسبهم؛ أي: وترى تقلبهم. ﴿وَكَلْبُهُم﴾ هو كلب مرّوا به فتبعهم فطردوه؛ فأنطقه الله تعالى فقال: أنا أحبُّ أحباء الله فناموا وأنا أحرسكم. أو كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب. ويؤيده قراءة من قرأ: (وكالبهم)؛ أي: وصاحب كلبهم. ﴿بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ حكاية حال ماضية، ولذلك أعمل اسم

«وذلك لأنَّ باب الكهف» **[إذا كان مدارها مداره]**؛ أي: مدار رأس السرطان.

[مائل عنه]؛ أي: عن باب الكهف **[لجانبه]**؛ أي: جانب باب الكهف **[ويحلل عفونته]**؛ أي: الكهف.

۞ ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٢٠﴾﴾.

الفاعل. ﴿بِٱلۡوَصِيدِۚ﴾ بفناء الكهف، وقيل: الوصيد الباب، وقيل: العتبة. ﴿لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ فنظرت إليهم، وقرئ: (لَوُ اطَّلَعْتَ) بضم الواو. ﴿لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا﴾ لهربت منهم، و﴿فِرَارٗا﴾ يحتمل المصدر؛ لأنه نوع من التولية والعلة والحال. ﴿وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا﴾ خوفاً يملأ صدرك بما ألبسهم الله من الهيبة، أو لعظم أجرامهم وانفتاح عيونهم. وقيل: لوحشة مكانهم. وعن معاوية رضي الله عنه أنه غزا الروم فمرَّ بالكهف! فقال: لو كشفت لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم، فقال له ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ليس لك ذلك قد منع الله تعالى منه من هو خير منك! فقال: ﴿لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا﴾ فلم يسمع، وبعث ناساً فلما دخلوا جاءت ريح فأحرقتهم. وقرأ الحجازيان: (لَمُلِّئْتَ) بالتشديد للمبالغة، وابن عامر والكسائي ويعقوب: (رُعُباً) بالتثقيل.

﴿١٩﴾ ـ ﴿٢٠﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ﴾ وكما أنمناهم آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا. ﴿لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ ليسأل بعضهم بعضاً فتعرفوا حالهم، وما صنع الله بهم فيزدادوا يقيناً على كمال قدرة الله تعالى، ويستبصروا به أمر البعث ويشكروا ما أنعم الله به عليهم. ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ﴾ بناء على غالب ظنهم؛ لأن النائم لا يحصي مدة نومه؛ ولذلك أحالوا العلم إلى الله تعالى. ﴿قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ﴾ ويجوز أن يكون ذلك قول بعضهم وهذا إنكار الآخرين عليهم. وقيل: إنهم دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة، وظنوا أنهم في يومهم أو اليوم الذي بعده

قالوا ذلك، فلما نظروا إلى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا هذا. ثم لما علموا أن الأمر ملتبس لا طريق لهم إلى علمه أخذوا فيما يهمهم وقالوا: ﴿فَابْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ و(الوَرِق): الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة، وقرأ أبو بكر وأبو عمرو وحمزة وروح عن يعقوب بالتخفيف. وقرئ بالتثقيل وإدغام القاف في الكاف وبالتخفيف مكسور الواو مدغماً وغير مدغم، ورد المدغم لالتقاء الساكنين على غير حدة، وحملهم له دليل على أن التزود رأي المتوكلين والمدينة «طرسوس». ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ﴾؛ أَيَّ أَهْلِهَا. ﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ أحل وأطيب، أو أكثر وأرخص. ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لا يغبن، أو في التخفي حتى لا يعرف. ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ ولا يفعلن ما يؤدي إلى الشعور. ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: يطلعوا عليكم أو يظفروا بكم،

[وردّ المدغم]؛ يعني: في قراءة من أدغم مع كسر الواو وإسكان الراء[(١)] وعلل الردَّ بقوله: [لالتقاء الساكنين على غير حده] وقد أفصح «الكشاف»[(٢)] بذلك مع تسمية القارئ فقال: وعن ابن مُحَيصن أنه كسر الواو وأسكن الراء وأدغم وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين لا على غير حدة [وحملهم له]؛ أي: للوَرِق عند فرارهم إلى الكهف [دليل على أنَّ التردد] للمسافر [رأي المتوكلين] على الله دون المتكلين على الإنفاقات إذ حقيقة التوكل تهيئة الأسباب واعتقاد أن لا مسبب للأسباب إلا الله.

[طرَسوس] بفتح الراء قال في «القاموس»[(٣)]: مفرقاً بلد إسلامي مخصب كان للأرمن ثم أعيد للإسلام في عصرنا، وهو كورة؛ أي: مدينة بالروم، وتسمى «إرمينية» بكسر الهمزة وتخفيف الياء الثانية وقد تشدّد والنسبة إليها أرمني بفتح الهمزة والميم [أَيَّ أَهْلِهَا] بتشديد الياء وعبارة «الكشاف»[(٤)] أني؛ أَيَّ أَهلها

---

(١) انظر: الحجة في القراءات السبعة، ابن خالويه [١/ ١٤٧].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٦٦٤].
(٣) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي [٢/ ٤٤٩].
(٤) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٦٦٤].

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١﴾.

والضمير للأهل المقدر في (أَيُّها). ﴿يَرۡجُمُوكُمۡ﴾ يقتلوكم بالرجم ﴿أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ﴾ أو يصيروكم إليها كرهاً من: (العود) بمعنى: الصيرورة. وقيل: كانوا أولاً على دينهم فآمنوا. ﴿وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا﴾ إن دخلتم في ملتهم.

٢١ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾ وكما أنمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم أطلعنا عليهم. ﴿لِيَعۡلَمُوٓاْ﴾ ليعلم الذين أطلعناهم على حالهم. ﴿أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث أو الموعود الذي هو البعث. ﴿حَقّٞ﴾ لأن نومهم وانتباهم كحال من يموت ثم يبعث. ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ﴾ وأن القيامة لا ريب في إمكانها، فإن من توفى نفوسهم وأمسكها ثلاثمائة سنين حافظاً أبدانها عن التحلل والتفتت، ثم أرسلها إليها قدر أن يتوفى نفوس جميع الناس ممسكاً إياها إلى أن يحشر أبدانهم فيردها عليها. ﴿إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ﴾ ظرف لـ(أَعْثَرْنا)؛ أي: أعثرنا عليهم حين يتنازعون. ﴿بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ﴾ أمر دينهم، وكان بعضهم يقول: تبعث الأرواح مجردة، وبعضهم يقول: يبعثان معاً ليرتفع الخلاف ويتبين أنهما يبعثان معاً، أو أمر الفتية حين أماتهم الله ثانياً بالموت فقال بعضهم: ماتوا، وقال آخرون: ناموا نومهم أول مرّة، أو قالت طائفة: نبني عليهم بنياناً يسكنه الناس ويتخذونه قرية، وقال آخرون: لنتخذن

[اطلعنا] تفسير اعثرنا [ثلثمائة سنة]؛ أي: على قول، وفي آخر: «ثلثمائة وتسعاً» وسيأتي في قوله تعالى: ﴿وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾ [الكهف: ٢٥] [ليرتفع الخلاف..] إلى آخره، تبع فيه «الكشاف» ومحله إذا أريد بعث كل منهما منفرداً قبل اجتماعهما وإلا فكيف يرتفع الخلاف مع أن الأول قابل ببعث الأرواح مجردة والثاني ببعثها مقارناً لبعث الأجسام كما هو الظاهر [أو امر الفتية] عطف على أمر دينهم

۞ ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾.

عليهم مسجداً يصلى فيه كما قال تعالى: ﴿فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ وقوله: ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ اعتراض إما من (الله) رداً على الخائضين في أمرهم من أولئك المتنازعين، أو من المتنازعين في زمانهم، أو من المتنازعين فيهم على عهد الرسول ﷺ، أو من المتنازعين للرد إلى الله بعد ما تذكروا أمرهم، وتناقلوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك. حكي أن المبعوث لما دخل السوق وأخرج الدراهم وكان عليها اسم «دقيانوس» اتهموه بأنه وجد كنزاً فذهبوا به إلى الملك. وكان نصرانياً موحّداً. فقص عليه القصص، فقال بعضهم: إن آباءنا أخبرونا أن فتية فروا بدينهم من «دقيانوس» فلعلهم هؤلاء! فانطلق الملك وأهل المدينة من مؤمن وكافر وأبصروهم وكلموهم، ثم قالت الفتية للملك: نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والإنس، ثم رجعوا إلى مضاجعهم فماتوا! فدفنهم الملك في الكهف وبنى عليهم مسجداً. وقيل: لما انتهوا إلى الكهف قال لهم الفتى: مكانكم حتى أدخل أولاً لئلا يفزعوا، فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثَمَّ مسجداً.

﴿٢٢﴾ ﴿سَيَقُولُونَ﴾؛ أي: الخائضون في قصتهم في عهد الرسول ﷺ من أهل الكتاب والمؤمنين. ﴿ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾؛ أي: هم ثلاثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه إليهم. قيل: هو قول اليهود وقيل: هو قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبياً. ﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ قاله النصارى أو العاقب منهم وكان نسطورياً. ﴿رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ﴾ يرمون رمياً بالخبر

[أو من المتنازعين للرد إلى الله]؛ أي: قالوا ذلك ردّاً إلى علمه تعالى.

الخفي الذي لا مطلع لهم عليه وإتياناً به، أو ظناً بالغيب من قولهم: (رجم بالظنّ) إذا ظنَّ. وإنما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه. ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ إنما قاله المسلمون بإخبار الرسول لهم عن جبريل عليهما الصلاة والسلام وإيماء الله تعالى إليه بأن أتبعه قوله: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ وأتبع الأولين قوله: ﴿رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ﴾، وبأن أثبت العلم بهم لطائفة بعد ما حصر أقوال الطوائف في الثلاثة المذكورة، فإن عدم إيراد رابع في نحو هذا المحل دليل العدم مع أن الأصل ينفيه، ثم رد الأولين بأن أتبعهما قوله: ﴿رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ﴾ ليتعين الثالث، وبأن أدخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيهاً لها بالواقعة حالاً من المعرفة، لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت. وعن علي رضي الله عنه هم سبعة وثامنهم كلبهم وأسماؤهم: «يمليخا» و«مكشلينيا» و«مشلينيا» هؤلاء أصحاب يمين الملك، و«مرنوش» و«دبرنوش» و«شاذنوش» أصحاب يساره وكان يستشيرهم، والسابع الراعي الذي وافقهم واسم كلبهم «قطمير» واسم مدينتهم «أفسوس». وقيل: الأقوال الثلاثة لأهل الكتاب والقليل منهم. ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ فلا تجادل في شأن الفتية إلَّا جدالاً ظاهراً غير متعمق فيه، وهو أن تقص عليهم ما في القرآن من غير تجهيل لهم والرد عليهم. ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ ولا تسأل أحداً منهم عن قصتهم سؤال مسترشد؛ فإن فيما أوحي إليك لمندوحة من غيره، مع أنه لا علم لهم بها ولا سؤال متعنت تريد

[وبأن أثبت العلم بهم لطائفة..] إلى آخره؛ أي: بقوله: ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [الكهف: ٢٢] **[فإن عدم إيراد رابع..]** إلى آخره. بيان لإيماء الله إلى ما ذكر **[والسابع الراعي]** اسمه «كفشططيوش»[1] **[والقليل منهم]** جملة؛ أي: والقليل في قوله: ﴿مَّا

---

(١) تاج العروس، الزبيدي [٢٤/٣٤٧].

۞ ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾.

تفضيح المسؤول وتزييف ما عنده؛ فإنه مخل بمكارم الأخلاق.

﴿٢٣﴾ - ﴿٢٤﴾ ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ هي تأديب من الله تعالى لنبيِّه حين قالت اليهود لقريش: سلوه عن الروح وأصحاب الكهف وذي القرنين، فسألوه فقال: «**ائتوني غداً أخبركم**» ولم يستثن! فأبطأ عليه الوحي بضعة عشر يوماً حتى شق عليه وكذبته قريش. والاستثناء من النهي؛ أي: ولا تقولن لأجل شيء تعزم عليه إني فاعله فيما يستقبل إلا بـ(أَنْ يَشاءَ اللهُ)؛ أي: إلا ملتبساً بمشيئته قائلاً: إن شاء الله، أو: إلا وقت أن يشاء الله أن تقوله بمعنى: أن يأذن لك فيه، ولا يجوز تعليقه بفاعل؛ لأن استثناء اقتران المشيئة بالفعل غير سديد، واستثناء اعتراضها دونه لا يناسب النهي ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ﴾ مشيئة ربك، وقل: إن شاء الله. كما روي: أنه لما نزل قال عليه الصلاة والسلام: «**إن شاء الله**».

يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ من أهل الكتاب [**يريد تفضيح المسؤول عنه**]؛ أي: عن خبر أصحاب الكهف وتزييف ما عنده؛ أي: من خبر.

[أي: **ولا تقولن لأجل شيء**..] إلى آخره. أشار بالتقدير الأول: إلى أن محل المستثنى نصب على الحال، وبالثاني: إلى أن محله نصب على الاستثناء بتقدير الوقت [**ولا يجوز تعليقه بـ«فاعل»**..] إلخ لأنه يصير المعنى أني فاعل بكل حال إلا في حال مشيئة الله فيصير المعنى النهي عن أن نقول إني فاعل إن شاء الله وهو ممنوع[1] [**واستثناء اعتراضها**]؛ أي: ولأن استثناء اعتراض المشيئة [**دونه**]؛ أي: دون الفعل [**لا يناسب النهي**] إذا لا منع من أن تقول: «افعل كذا إلا أن تعترض مشيئة الله دونه».

---

(١) انظر: اللباب، ابن عادل [٢/٤٥٩].

۞ ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَـٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾.

﴿إِذَا نَسِيتَ﴾ إذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته. وعن ابن عباس: ولو بعد سنة ما لم يحنث، ولذلك جوّز تأخير الاستثناء عنه. وعامة الفقهاء على خلافه؛ لأنه لو صح ذلك لم يتقرر إقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب. وليس في الآية والخبر أن الاستثناء المتدارك به من القول السابق؛ بل هو من مقدر مدلول به عليه، ويجوز أن يكون المعنى: واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه، أو اذكر ربك وعقابه إذا تركت بعض ما أمرك به ليبعثك على التدارك، أو اذكره إذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي. ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى﴾ يدلني. ﴿لِأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَدًا﴾ لأقرب رشداً وأظهر دلالة على أني نبي من نبأ أصحاب الكهف. وقد هداه لأعظم من ذلك كقصص الأنبياء المتباعدة عنه أيامهم، والإخبار بالغيوب والحوادث النازلة في الأعصار المستقبلة إلى قيام الساعة، أو لأقرب رشداً وأدنى خيراً من المنسي.

﴿٢٥﴾ ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَـٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾؛ يعني: لبثهم فيه أحياء مضروباً على آذانهم، وهو بيان لما أجمل قبل. وقيل: إنه حكاية كلام أهل الكتاب فإنهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم:

[**وعن ابن عباس: ولو بعد سنة**] رواه الطبراني وغيره[1] [**من القول السابق**] متعلق بالاستثناء [**أقرب رشداً وأظهر دلالة**] العطف فيه للتفسير [**مِنْ نَبَإِ أصحاب الكهف**]؛ أي: مِنْ خَبَرِهم [**أو لأقرب رشداً وأدنى خيراً**] عطف على «لأقرب رشداً»، والعطف فيه للتفسير أيضاً [**من المنسي**] المأخوذ من قوله تعالى: ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤] ومن متعلقة بـ«أفعل التفضيل» في المتعاطفين المذكورين [**وهو بيان لما أجمله قبل**]؛ أي: في قوله: ﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾ [**فقال بعضهم: ..**] إلخ،

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني [١١/٦٨/برقم: ١١٠٦٩] الدر المنثور، السيوطي [٩/ ١٣٠].

۞ ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٦﴾.

ثلاثمائة، وقال بعضهم: ثلاثمائة وتسع سنين. وقرأ حمزة والكسائي: (ثَلاثَ مِائَةِ سِنِينٍ) بالإضافة على وضع الجمع موضع الواحد، ويحسنه ها هنا أن علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد، وأن الأصل في العدد إضافته إلى الجمع، ومن لم يضف أبدل (السنين) من (ثلاثمائة).

٢٦ ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ له ما غاب فيهما وخفي من أحوال أهلهما، فلا خلق يخفى عليه علماً. ﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ﴾ ذكر بصيغة التعجب؛ للدلالة على أن أمره في الإدراك خارج عما عليه إدراك السامعين والمبصرين، إذ لا يحجبه شيء، ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف، وصغير وكبير، وخفي وجلي. و(الهاء) تعود إلى (الله)، ومحله الرفع على الفاعلية، و(الباء) مزيده عند سيبويه، وكان أصله (أبصر)؛ أي: (صار ذا بصر)، ثم نقل إلى صيغة الأمر بمعنى الإنشاء، فبرز الضمير لعدم لياق الصيغة له، أو لزيادة الباء كما في قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ﴾ [النساء: ٥٠، الفرقان: ٥٨] والنصب على المفعولية عند الأخفش، والفاعل ضمير المأمور وهو كل أحد، و(الباء) مزيدة إن كانت الهمزة للتعدية، ومعدية إن كانت للصيرورة. ﴿مَا لَهُم﴾ الضمير لأهل السمٰوات والأرض. ﴿مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ﴾ من يتولى أمورهم. ﴿وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ﴾ في قضائه. ﴿أَحَدٗا﴾ منهم ولا بجعل له فيه مدخلاً. وقرأ ابن عامر وقالون عن يعقوب

رفع بعضهم الخلاف حيث قال: وهذه السنون الثلثمائة عند أهل الكتاب شمسية وتزيد القمرية عليها عند العرب تسع سنين وقد ذكرت في قوله: ﴿وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾ [الكهف: ٢٥] فالثلثمائة الشمسية ثلثمائة وتسع قمرية **[والهاء]**؛ أي: في «به» **[ومحله]**؛ أي: الهاء وذكر باعتبار الضمير **[وقالون عن يعقوب]** لم أره لغيره

۞ ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾.

بالتاء والجزم على نهي كل أحد عن الإشراك. ثم لما دل اشتمال القرآن على قصة أصحاب الكهف من حيث إنها من المغيبات بالإضافة إلى الرسول ﷺ على أنه وحي معجز أمره أن يداوم درسه ويلازم أصحابه فقال:

﴿٢٧﴾ - ﴿٢٨﴾ ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ من القرآن، ولا تسمع لقولهم: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [يونس: ١٥]. ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ لا أحد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره. ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ ملتجأ عليه إن هممت به. ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ واحبسها وثبتها. ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾ في مجامع أوقاتهم، أو في طرفي النهار. وقرأ ابن عامر: (بالغدوة) وفيه أن غدوة علم في الأكثر فتكون اللام فيه على تأويل التنكير. ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ رضا الله وطاعته. ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ ولا يجاوزهم نظرك إلى غيرهم، وتعديته بـ(عن) لتضمينه معنى: (نبأ). وقرئ: (ولا تُعْدِ عينيك) (وَلَا تُعَدِّ) من أعداه وعداه. والمراد: نهي الرسول ﷺ أن يزدري بفقراء المؤمنين، وتعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحاً إلى طراوة زيِّ الأغنياء. ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ حال من (الكاف) في

[على قصَّة] متعلق باشتمال [على أنه وحي] متعلق بدل [وقرأ ابن عامر (بالغدوة) وفيه أن غدوة علم..] إلى آخره. يوضحه قول «الكشاف»[1] وقرئ بالغدوة وبالغداة أجود؛ لأن غدوة علم في أكثر الاستعمال وإدخال اللام على تأويل التنكير.

[وتعديته بـ«عن» لتضمينه معنى «نبا»] زاد «الكشاف»: «علا» فقال: وإنما عدي

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٦٧٠].

۝ ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾.

المشهورة ومن المستكن في الفعل في غيرها. ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾ من جعلنا قلبه غافلاً. ﴿عَن ذِكْرِنَا﴾ كأمية بن خلف في دعائك إلى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش. وفيه تنبيه على أن الداعي له إلى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات، حتى خفي عليه أن الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد، وأنه لو أطاعه كان مثله في الغباوة. والمعتزلة لما غاظهم إسناد الإغفال إلى الله تعالى قالوا: إنه مثل أجبنته إذا وجدته كذلك أو نسبته إليه، أو من أغفل إبله إذا تركها بغير سمة؛ أي: لم نسمه بذكرنا كقلوب الذين كتبنا في قلوبهم الإيمان، واحتجوا على أن المراد ليس ظاهر ما ذكر أولاً بقوله: ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ وجوابه ما مرَّ غيرَ مرَّة. وقرئ: (أَغْفَلَنَا) بإسناد الفعل إلى (القلب) على معنى: حسِبَنا قلبُه غافلين عن ذكرنا إياه بالمؤاخذة. ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾؛ أي: تقدماً على الحق، ونبذاً له وراء ظهره يقال: فرس فرط؛ أي: متقدم للخيل ومنه: (الفرط).

﴿٢٩﴾ ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ الحق ما يكون من جهة الله لا ما يقتضيه

«عدا» بـ«عن» لتضمينه معنى «نبا» و«علا» في قولك: «نبت عنه عينه» و«علت عليه عينه» إذا اقتحمته ولم تعلق به[1]. قال الجوهري: اقتحمته عيني؛ أي: «ازدرَتْه» للفعل المجرد لأنه إذا كان مجرداً كان متعدياً فلو عُدِّي بهما لتعدى إلى اثنين[2] **[على أن الداعي له]**؛ أي: لأميّة بن خلف **[ليس ظاهر ما ذكر]**؛ أي: ليس ظاهره عندهم **[وجوابه ما مَرَّ غير مرَّة]**؛ أي: أن الله موجد كل شيء **[أي: تقدما على الحق..]** إلى آخره. الأَوْلى قول الزمخشري متقدماً للحق والصواب بإبداله وراء ظهره.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٦٧٠]. (٢) الصحاح، الجوهري [٣/ ٤٩٦].

الهوى، ويجوز أن يكون ﴿ٱلْحَقُّ﴾ خبر مبتدأ محذوف و﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ حالاً. ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ لا أبالي بإيمان من آمن ولا كفر من كفر، وهو لا يقتضي استقلال العبد بفعله؛ فإنه وإن كان بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئته. ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا﴾ هيأنا. ﴿لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ فسطاطها، شبه به ما يحيط بهم من النار. وقيل: السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط. وقيل: سرادقها دخانها وقيل: حائط من نار ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟﴾ من العطش. ﴿يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ كالجسد المذاب. وقيل: كدرديّ الزيت وهو على طريقة قوله: فأعتبوا بالصيلم. ﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ إذا قدم ليشرب من فرط حرارته، وهو صفة ثانية لـ(ماء) أو حال من (المهل) أو الضمير في الكاف. ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾ المهل. ﴿وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ النار. ﴿مُرْتَفَقًا﴾ متكأ، وأصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد، وهو لمقابلة قوله: ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ وإلا فلا ارتفاق لأهل النار.

[**كالجسد المذاب**] فسر به المهل وفسره «الكشاف»[1] بقوله: ما أذبت من جواهر الأرض [**وهو**]؛ أي: قوله: ﴿يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ [**على طريقة قوله**]؛ أي: قول بشر بن أبي حازم الأسدي:

[.................................. .... **فأعتبوا بالصَّيْلَم**]

في أنه للتهكم وأوله:

غَضِبَتْ تميمٌ أن تُقَتَّلَ عامرٌ يومَ النِّسار ....[2]

«النِّسارُ»: بكسر النون ماء ببني عامر كانت عنده وقعة لبني أسد وَذُبيان على بني جُشم بن معاوية، و«الصَّيْلَم»: الداهية والأمر العظيم والسيف، وأعتبوا؛ أي: أزيل عتب تميم بأن أُرْضُوا بجعل الداهية أو السيف لهم مكان العتاب الذي يجري بين الأحبّة؛ والمعنى: أن تميماً غضبت لقتل عامر فأعتبناهم؛ أي: أرضيناهم بالقتل والسيف [**أو الضمير في الكاف**]؛ أي: متعلقها أو.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٦٧٢].
(٢) تهذيب اللغة، الأزهري [١/ ٢٤٧].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾.

﴿٣٠﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ خبر (إن) الأولى هي الثانية بما في حيزها، والراجع محذوف تقديره: من أحسن عملاً منهم، أو مستغنى عنه بعموم من أحسن عملاً كما هو مستغنى عنه في قولك: نعم الرجل زيد. أو واقع موقعه الظاهر فإن من أحسن عملاً لا يحسن إطلاقه على الحقيقة إلا على (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ).

﴿٣١﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ وما بينهما اعتراض وعلى الأول استئناف لبيان الأجر أو خبر ثان. ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ (مِنْ) الأولى للابتداء والثانية للبيان صفة لـ(أساوِرَ)، وتنكيره لتعظيم حسنها من الإحاطة به وهو جمع: (أسورة)، أو (أسوار) في جمع: (سوار). ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا﴾ لأن الخضرة أحسن الألوان وأكثرها طراوة. ﴿مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ نمارق من الديباج، وما غلظ منه جمع بين النوعين

[**أولئك لهم جنات..**] إلى آخره. عطف على قوله: «هي الثانية» [**وعلى الأول**]؛ أي: وهو جعل «إنَّ» الثانية خبر «إنَّ» الأولى [**استئناف**]؛ يعني: فأولئك استئناف بقرينة قوله بعد: «أو خبر ثان»، وإن اقتضى كلامه أنَّ الاستئناف هو «إنَّ» الثانية لعطفه «استئناف» على «اعتراض» [**في جمع سوار**] تنازعه كل من أسورة وأسوار [**نمارق من الديباج**] تفسير للسندس [**وغلظ منه**]؛ أي: وما غلظ منه[1] تفسير للإستبرق[2].

---

(١) في نسخة [الأصل] زيادة: (المجازي التأنيث) ولا معنى لها هنا. والله أعلم.
(٢) انظر: المخصص، ابن سيده [١/ ٣٨٨].

۞ ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا
بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾
وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾.

للدلالة على أن فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين. ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ على السرر كما هو هيئة المتنعمين. ﴿نِعْمَ الثَّوَابُ﴾ الجنة ونعيمها. ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ متكأ.

﴿٣٢﴾ ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾ للكافر والمؤمن. ﴿رَّجُلَيْنِ﴾ حال رجلين مقدرين أو موجودين هما أخوان من بني إسرائيل كافر اسمه «قطروس» ومؤمن اسمه «يهوذا» وَرِثَا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطرا، فاشترى الكافر بها ضياعاً وعقاراً، وصرفها المؤمن في وجوه الخير، وآل أمرهما إلى ما حكاه الله تعالى. وقيل: الممثل بهما أخوان من بني مخزوم كافر وهو الأسود بن عبد الأشد، ومؤمن وهو أبو سلمة عبد الله زوج أم سلمة قبل رسول الله ﷺ ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ بستانين. ﴿مِنْ أَعْنَابٍ﴾ من كروم والجملة بتمامها بيان للتمثيل أو صفة للـ(الرجلين). ﴿وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾ وجعلنا النخل محيطة بهما مؤزراً بها كرومهما، يقال: حفه القوم إذا أطافوا به وحففته بهم إذا جعلتهم حافين حوله، فتزيده الباء مفعولاً ثانياً كقولك: غشيته به. ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا﴾ وسطهما ﴿زَرْعًا﴾ ليكون كل منهما جامعاً للأقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الأنيق.

﴿٣٣﴾ ـ ﴿٣٤﴾ ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا﴾ ثمرها، وإفراد الضمير لإفراد (كِلْتَا) وقرئ: (كل الجنتين آتى أكله). ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ﴾ ولم تنقص من أكلها ﴿شَيْئًا﴾ يعهد في سائر البساتين؛ فإن الثمار تتم في عام وتنقص في عام

[عبد الأسد] بسين مهملة وقيل: معجمة **[زوج أم سلمة قبل رسول الله]** قبل متعلق بزوج أم سلمة من حيث المعنى **[مؤزراً بها]**؛ أي: بالنخل؛ أي: محكماً بها

۞ ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾.

غالباً ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ ليدوم شربهما فإنه الأصل ويزيد بهاؤهما، وعن يعقوب (وَفَجَرْنا) بالتخفيف. ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾ أنواع من المال سوى الجنتين؛ مِنْ ثَمَّرَ مالَهْ إذا كَثَّرَهُ. وقرأ عاصم بفتح الثاء والميم، وأبو عمرو بضم الثاء وإسكان الميم والباقون بضمهما وكذلك في قوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ [الكهف: ٤٢] ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ يراجعه في الكلام من حار إذا رجع. ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ حَشَماً وأعواناً. وقيل: أولاداً ذكوراً لأنهم الذين ينفرون معه.

﴿٣٥﴾ ـ ﴿٣٦﴾ ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها، وإفراد الجنة؛ لأن المراد ما هو جنته وما متع به من الدنيا تنبيهاً على أن لا جنة له غيرها، ولا حظ له في الجنة التى وُعِدَ المتقون، أو لاتصال كل واحدة من جنتيه بالأُخْرَى، أو لأن الدخول يكون في واحدة واحدة. ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ ضار لها بعجبه وكفره ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ﴾ أن تفنى ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ الجنة ﴿أَبَدًا﴾ لطول أمله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته. ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ كائنة ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى﴾ بالبعث كما زعمت. ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا﴾ من جنته، وقرأ الحجازيان والشامي: (منهما)؛ أي: من الجنتين. ﴿مُنقَلَبًا﴾ مرجعاً وعاقبة لأنها فانية وتلك باقية، وإنما أقسم على ذلك لاعتقاده أنه تعالى إنما أولاه ما أولاه لاستئهاله واستحقاقه إياه لذاته، وهو معه أينما تلقاه.

﴿٣٧﴾ ـ ﴿٣٨﴾ ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ لأنه أصل مادتك أو مادة أصلك. ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ فإنها مادتك القريبة. ﴿ثُمَّ

۞ ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ۝٣٩﴾.

سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ ثم عدلك وكملك إنساناً ذكراً بالغاً مبلغ الرجال. جعل كفره بالبعث كفراً بالله تعالى؛ لأن منشأه الشك في كمال قدرة الله تعالى، ولذلك رتب الإنكار على خلقه إياه من التراب؛ فإن من قدر على بدء خلقه منه قدر أن يعيده منه. ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا﴾ أصله: (لكن أنا) فحذفت الهمزة بنقل الحركة، أو دونه فتلاقت النونان فكان الإدغام. وقرأ ابن عامر ويعقوب في رواية بالألف في الوصل لتعويضها من الهمزة، أو لإجراء الوصل مجرى الوقف، وقد قرئ: (لكنا أنا) على الأصل وهو ضمير الشأن وهو بالجملة الواقعة خبراً له خبر (أنا) أو ضمير (اللهُ) و(اللهُ) بدله، و(ربّي) خبره والجملة خبر (أنا) والاستدراك من (أكفرت) كأنه قال: أنت كافر بالله لكني مؤمن به، وقد قرئ: (لكن هو الله ربي) (ولكن أنا لا إله إلا هو ربي).

٣٩ ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ﴾ وهلا قلت عند دخولها ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ الأمر ما شاء، أو ما شاء كائن على أن (ما) موصولة، أو أي شيء شاء الله كان على أنها شرطية والجواب محذوف إقراراً بأنها وما فيها بمشيئة الله؛ إن شاء أبقاها وإن شاء أبادها. ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ وقلت: لا قوة إلا بالله اعترافاً بالعجز على نفسك والقدرة لله، وإن ما تيسر لك من عمارتها وتدبير أمرها فبمعونته وإقداره. وعن النبي ﷺ: «**من رأى شيئاً فأعجبه فقال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يضره**». ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ

[وقرأ ابن عامر ويعقوب في رواية]؛ أي: وأبو جعفر [وعن النبي ﷺ: «من رأى شيئاً فأعجبه فقال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يضره»] رواه البيهقي[1]

---

(١) شعب الإيمان، البيهقي [٤/ ٩٠/ برقم: ٤٣٧٠].

۞ ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ
صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ
يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ
تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾.

مَالًا وَوَلَدًا﴾ يحتمل أن يكون فصلاً، وأن يكون تأكيداً للمفعول الأول، وقرئ: (أَقَلُّ) بالرفع على أنه خبر (أَنَا) والجملة مفعول ثاني لـ(تَرَنِ) وفي قوله: ﴿وَوَلَدًا﴾ دليل لمن فسر النفر بالأولاد.

﴿٤٠﴾ - ﴿٤١﴾ ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ في الدنيا أو في الآخرة لإيماني وهو جواب الشرط. ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا﴾ على جنتك لكفرك. ﴿حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق. وقيل: هو مصدر بمعنى: الحساب، والمراد به: التقدير بتخريبها أو عذاب حساب الأعمال السيئة. ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ أرضاً ملساء يزلق عليها باستئصال نباتها وأشجارها. ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا﴾؛ أي: غائراً في الأرض؛ مصدر وصف به كالزلق. ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾ للماء الغائر تردداً في رده.

﴿٤٢﴾ - ﴿٤٣﴾ ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ وأهلك أمواله حسبما توقعه صاحبه وأنذره منه، وهو مأخوذ من: (أحاط به العدو)؛ فإنه إذا أحاط به غلبه وإذا

[**وقيل: هو مصدر بمعنى الحساب**] وقيل: مصدر بمعنى اسم المفعول؛ أي: شيئاً مما يعد؛ أي: يدخل في الحساب ويعتد به [**تردداً**] تفسيراً لطلباً [**في ردّه**]؛ أي: «الماء»؛ أي: فلن تستطيع لردِّه حيلةً يُدركه بها بالياء لتقدمه؛ أي: لتقدم مدخولها على فاعله الظاهر المجازي التأنيث[١].

---

(١) عبارة (تفسيراً لطلبا [في ردّه]؛ أي: الماء؛ أي: فلن تستطيع لرده حيلة تدركه بها بالياء لتقدمه؛ أي: لتقدم مدخولها على فاعله الظاهر المجازي التأنيث) من نسخة [ز ـ ج] غير موجودة في نسخة [الأصل، ب].

۞ ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾.

غلبه أهلكه، ونظيره: (أتى عليه) إذا أهلكه، من: (أتى عليهم العدو) إذا جاءهم مستعلياً عليهم. ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ ظهراً لبطن تلهفاً وتحسراً. ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ في عمارتها وهو متعلق بـ(يُقَلِّبُ) لأن تقليب الكفين كناية عن الندم؛ فكأنه قيل: فأصبح يندم، أو حال أي: متحسراً على ما أنفق فيها. ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة. ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ بأن سقطت عروشها على الأرض وسقطت الكروم فوقها عليها. ﴿وَيَقُولُ﴾ عطف على (يُقَلِّبُ) أو حال من ضميره. ﴿يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا﴾ كأنه تذكر موعظة أخيه، وعلم أنه أتى من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركاً فلم يهلك الله بستانَه، ويحتمل أن يكون توبة من الشرك وندماً على ما سبق منه. ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ﴾ وقرأ حمزة والكسائي بالياء لتقدمه. ﴿يَنصُرُونَهُۥ﴾ يقدرون على نصره بدفع الإهلاك أو رد المهلك أو الإتيان بمثله. ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فإنه القادر على ذلك وحده. ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ وما كان ممتنعاً بقوته عن انتقام الله منه.

﴿٤٤﴾ ﴿هُنَالِكَ﴾ في ذلك المقام وتلك الحال. ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّۚ﴾ النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره تقديراً لقوله: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ﴾ [الكهف: ٤٣] أو ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن ويعضده قوله: ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾؛ أي: لأوليائه. وقرأ حمزة والكسائي بالكسر؛ ومعناها: السلطان والملك؛ أي: هنالك السلطان له لا يغلب ولا يمنع منه، أو لا يعبد غيره كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] فيكون تنبيهاً

[ويعضده قوله: «هو»]؛ أي: «الله» **[أو لا يعبد غيره]** أشار به إلى أن قوله: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ﴾ [الكهف: ٤٤] متضمن لطلب الإخلاص في العبادة ولهذا قال **[كقوله تعالى:** ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ [العنكبوت: ٦٥]...] إلى آخره.

۞ ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾.

على أن قوله: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ﴾ [الكهف: ٤٢] كان عن اضطرار وجزع مما دهاه. وقيل: ﴿هُنَالِكَ﴾ إشارة إلى الآخرة، وقرأ أبو عمرو والكسائي الحق بالرفع صفة للـ(الولاية)، وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد، وقرأ عاصم وحمزة: (عُقْباً) بالسكون، وقرئ: (عُقْبى) وكلها بمعنى العاقبة.

﴿٤٥﴾ ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ واذكر لهم ما يشبه الحياة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها أو صفتها الغريبة. ﴿كَمَآءٍ﴾ هي كماء، ويجوز أن يكون مفعولاً ثانياً لـ(اضْرِبْ) على أنه بمعنى: صيّر. ﴿أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ فالتفت بسببه وخالط بعضه بعضاً من كثرته وتكاثفه، أو نجع في النبات حتى رويَ ورفَّ، وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الأرض لكنه لما كان كل من المختلطين موصوفاً بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته. ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾ مهشوماً مكسوراً. ﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ تفرقه، وقرئ: (تذريه) من: (أذرى) والمشبه به ليس (الماء) ولا حاله؛ بل الكيفية

[عما دهاه]؛ أي: أصابه **[وقرأ حمزة والكسائي «الحق» بالرفع صفة للولاية]** ذِكْرُ حمزةَ سهوٌ وصوابه أبو عمرو[1] **[وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد]** قرئ أيضاً بالجر على أنه صفة الله **[أو نخع في النبات]** عطف على «التفت» وفي نسخة: «أنجع» وهما لغتان كما في نهاية ابن الأثير و«القاموس» بزيادة نجع؛ أي: بالتشديد وعبارة النهاية نجع فيه الدواء ونجع وأنجع إذا نفعه وعمل فيه، وقيل: لا يقال فيه أنجع[2] وأشار بقوله: «وقيل..» إلى آخره. إلى تضعيف في صحاح الجوهري من أنه لا يقال أنجع[3] **[و«رَفَّ»]** بالفاء؛ أي: «اهتزّ ونمى»

---

(١) إتحاف فضلاء البشر، الدمياطي [ص٥١٦].

(٢) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير [٩/ ٣٣].

(٣) الصحاح، الجوهري [٢/ ١٩٥].

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾.

المنتزعة من الجملة، وهي حال النبات المنبت بالماء، يكون أخضر وارفاً، ثم هشيماً تطيره الرياح فيصير كأن لم يكن. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الإنشاء والإفناء. ﴿مُّقْتَدِرًا﴾ قادراً.

﴿٤٦﴾ ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ يتزين بها الإنسان في دنياه وتفنى عنه عما قريب. ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ وأعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها أبد الآباد، ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس، وأعمال الحج، وصيام رمضان، وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، والكلام الطيب. ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ﴾ من المال والبنين. ﴿ثَوَابًا﴾ عائدة. ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ لأن صاحبها ينال بها في الآخرة ما كان يؤمل بها في الدنيا.

﴿٤٧﴾ ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ واذكر يوم نقلعها ونسيرها في الجو، أو نذهب بها فنجعلها هباء منبثاً. ويجوز عطفه على (عِنْدَ رَبِّكَ)؛ أي: الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيامة. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: (تُسَيَّر) بالتاء والبناء للمفعول وقرئ: (تَسِيْرُ) من: (سارت). ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها، وقرئ: (وترى) على بناء المفعول. ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ وجمعناهم إلى الموقف، ومجيئه ماضياً بعد (نُسَيِّرُ) (وَتَرَى) لتحقق الحشر أو للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا ما وعد لهم، وعلى هذا تكون الواو للحال بإضمار (قد). ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾ فلم نترك. ﴿مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ يقال: (غادره وأغدره) إذا تركه، ومنه: (الغدر) لترك الوفاء والغدير لما غادره السيل، وقرئ بالياء.

[لأن صاحبها]؛ أي: صاحب الباقيات الصالحات **[وعلى هذا]؛** أي: وعلى قوله: «أو للدلالة..» إلى آخره. **[والغدير لما غادره السّيل]** وفي نسخة: «غدَرَهُ» والمعنى: أنه اسم لما تركه السّيل خلفه.

﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾.

﴿٤٨﴾ - ﴿٤٩﴾ ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ﴾ شبه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل ليأمر فيهم. ﴿صَفًّا﴾ مصطفين لا يحجب أحد أحداً. ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ على إضمار القول على وجه يكون حالاً أو عاملاً في: (يوم نسيّر). ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ عراة لا شيء معكم من المال والولد كقوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٤] أو أحياء كخلقتكم الأولى لقوله: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ وقتاً لإنجاز الوعد بالبعث والنشور، وأن الأنبياء كذبوكم به، و(بل) للخروج من قصة إلى أُخْرَى. ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ صحائف الأعمال في الأيمان والشمائل، أو في الميزان. وقيل: هو كناية عن وضع الحساب. ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ﴾ خائفين. ﴿مِمَّا فِيهِ﴾ من الذنوب. ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا﴾ ينادون هلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات. ﴿مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ﴾ تعجباً من شأنه. ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً﴾ هنة صغيرة. ﴿وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ إلا عددها وأحاط بها. ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ مكتوباً

[على وجه يكون حالاً] من فاعل عرضوا؛ أي: مقولاً لهم لقد جئتمونا **[أو عاملاً في يوم تسير]** قضية عطفه على حالاً أنه مغايراً له وقضية كلام «الكشاف»(١) وغيره أن المضمر مع كونه حالاً عامل في «يوم نسيّر» ويكون حينئذ قولاً ثالثاً فيما يتعلق به «يوم نسير» لما قدمه من أنه يتعلق بـ«اذكر» أو بما تعلق به «عند ربك» **[أو أحياء]**(٢) عطف على «عراة» **[هنة]**؛ أي: شيئاً وأصلها «هَنَوَا» بدلت الواو تاء تقول:

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/٦٧٨].

(٢) الصواب: «أوْ لِمَا» انظر: الكشاف، الزمخشري [٢/٦٧٨].

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾.

في الصحف. ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ فيكتب عليه ما لم يفعل، أو يزيد في عقابه الملائم لعمله.

﴿٥٠﴾ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ كرره في مواضع لكونه مقدمة للأمور المقصود بيانها في تلك المحال، وها هنا لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك بأنه من سنن إبليس، أو لما بيّن حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها حبُّ الشهوات وتسويل الشيطان. زهدهم أولاً في زخارف الدنيا بأنها عرضة الزوال والأعمال الصالحة خير وأبقى من أنفسها وأعلاها، ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة، وهكذا مذهب كل تكرير في القرآن. ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ حال بإضمار (قد) أو استئناف للتعليل كأنه قيل: ما له لم يسجد! فقيل: كَانَ مِنَ الجن! ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ فخرج عن أمره بترك السجود، و(الفاء) للسبب، وفيه دليل على أن الملك لا يعصى ألبتة وإنما عصى إبليس لأنه كان جنياً في أصله، والكلام المستقصى فيه في سورة (البقرة). ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾ أعقيب ما وجد منه تتخذونه، والهمزة للإنكار والتعجب. ﴿وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ أولاده أو أتباعه، وسماهم (ذرية) مجازاً. ﴿أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي. ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ من الله تعالى؛ إبليس وذريته.

«هذا هَنُكَ»: أي: شيئك[1] [وسماهم]؛ أي: اتباعه.

---

(١) تاج العروس، الزبيدي [٤٠/ ٣١٤].

۞ ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾﴾.

﴿٥١﴾ ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ نفي إحضار إبليس وذريته خلق السمٰوات والأرض، وإحضار بعضهم خلق بعض؛ ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به بقوله: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾؛ أي: أعواناً رداً لاتخاذهم أَوْلِيَاء مِن دُونِ الله، شركاء له في العبادة، فإن استحقاق العبادة من توابع الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها، فوضع (الْمُضِلِّينَ) موضع الضمير ذماً لهم، واستبعاداً للاعتضاد بهم. وقيل: الضمير للمشركين والمعنى: ما أشهدتهم خلق ذلك، وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو آمنوا تبعهم الناس كما يزعمون، فلا تلتفت إلى قولهم طمعاً في نصرتهم للدين؛ فإنه لا ينبغي لي أن أعتضد بالمضلين لديني. ويعضده قراءة من قرأ: (وَما كُنْتَ) على خطاب الرسول ﷺ، وقرئ: (مُتَّخِذاً المضلين) على الأصل و(عَضْداً) بالتخفيف و(عُضْداً) بالاتباع و«عَضَداً» كـ(خَدَم) جمع: (عاضد) من: (عضده) إذا قواه.

﴿٥٢﴾ ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾؛ أي: الله تعالى للكافرين؛ وقرأ حمزة بالنون. ﴿نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أنهم شركائي وشفعاؤكم ليمنعوكم من عذابي. وإضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه، وقيل: إبليس وذريته. ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾ فنادوهم للإغاثة. ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾ فلم يغيثوهم. ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم﴾ بين الكفار وآلهتهم. ﴿مَّوْبِقًا﴾ مهلكاً يشتركون فيه وهو النار،

[وقيل: الضمير]؛ أي: في ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ﴾ [الكهف: ٥١] [للمشركين]؛ أي: لا لإبليس وذريته [موبقاً مهلكاً] بفتح الميم بجعل «مَوبِقاً» اسم مكان

۞ ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾.

أو عداوة هي في شدتها هلاك كقول عمر رضي الله عنه: لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً. و(موبقاً) اسم مكان، أو مصدر من: (وَبَقَ يُوْبِق وَبْقًا) إذا هلك. وقيل: (البين) الوصل؛ أي: وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكاً يوم القيامة.

﴿٥٣﴾ ـ ﴿٥٤﴾ ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ﴾ فأيقنوا. ﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ مخالطوها واقعون فيها. ﴿وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ انصرافاً أو مكاناً ينصرفون إليه. ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ من كل جنس يحتاجون إليه. ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ﴾ يتأتى منه الجدل. ﴿جَدَلًا﴾ خصومة بالباطل؛ وانتصابه على التميز.

﴿٥٥﴾ ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ﴾ من الإيمان. ﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾ وهو الرسول الداعي والقرآن المبين. ﴿وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ﴾ ومن الاستغفار من الذنوب. ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ إلا طلب، أو انتظار، أو تقدير أن

[أو عداوة] عطف على «مهلكاً» يجعل «موبقا» مصدراً **[أي: في شدتها هلاك]**؛ أي: وضع المسبب موضع السبب؛ لأن العداوة يستلزم الهلاك أو هو مجاز الأول كأنه قيل جعلنا بينهم عداوة تجرّ وتول بهم إلى الهلاك والتلف **[كقول عمر** رضي الله عنه: «**لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً**»]^(١)؛ أي: لا يكن حبك يجر إلى التكلف ولا بغضك يجر إلى التلف.

[اسم مكان أو مصدر] بيان لما ذكره أولاً من تفسيري «موبقاً» فبيّن أن الأول

---

(١) الأدب المفرد، البخاري [٤٨٨/ برقم: ١٣٢٢].

۞ ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾﴾.

تأتيهم سُنَّة الأولين؛ وهي الاستئصال؛ فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ عذاب الآخرة. ﴿قُبُلًا﴾ عياناً. وقرأ الكوفيون: (قُبُلاً) بضمتين، وهو لغة فيه أو جمع: (قبيل) بمعنى: أنواع، وقرئ بفتحتين وهو أيضاً لغة؛ يقال: لقيته مقابلة وقبلاً وقبلاً وقبلياً، وانتصابه على الحال من الضمير أو (الْعَذابُ).

﴿٥٦﴾ ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ﴾ للمؤمنين والكافرين. ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات، والسؤال عن قصة أصحاب الكهف ونحوها تعنتاً. ﴿لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ﴾ ليزيلوا بالجدال ﴿ٱلْحَقَّ﴾ عن مقره ويبطلوه، من: (إدحاض القدم) وهو إزلاقها، وذلك قولهم للرسل: ﴿مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [يس: ١٥] ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ [المؤمنون: ٢٤] ونحو ذلك. ﴿وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى﴾؛ يعني: القرآن. ﴿وَمَآ أُنذِرُوا۟﴾ وإنذارهم، أو: والذي أنذروا به من العقاب. ﴿هُزُوًا﴾ استهزاء. وقرئ: (هُزْأً) بالسكون، وهو ما يستهزأ به على التقديرين.

﴿٥٧﴾ - ﴿٥٨﴾ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ بالقرآن. ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ فلم يتدبرها ولم يتذكر بها. ﴿وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ﴾ من الكفر والمعاصي ولم

منهما اسم مكان والثاني مصدر [وقرئ «هزوا» بالسكون] قرأ به حمزة وخلف فقوله: «وقرئ» مخالف لطريقته [وهو]؛ أي: «هزوا» بالسكون [ما يستهزأ به]؛ أي: موضع

۞ ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾.

يتفكر في عاقبتهما. ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ تعليل لإعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم. ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ كراهة أن يفقهوه، وتذكير الضمير وإفراده للمعنى. ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ يمنعهم أن يستمعوه حق استماعه. ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ تحقيقاً ولا تقليداً؛ لأنهم لا يفقهون ولا يسمعون، و(إذا) كما عرفت جزاء وجواب للرسول ﷺ على تقدير قوله: ما لي لا أدعوهم، فإن حرصه ﷺ على إسلامهم يدل عليه. ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ﴾ البليغ المغفرة. ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ الموصوف بالرحمة. ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾ استشهاد على ذلك بإمهال قريش مع إفراطهم في عداوة رسول الله ﷺ. ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾ وهو يوم بدر، أو يوم القيامة. ﴿لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾ منجاً ولا ملجأ، يقال: (وأل) إذا (نجا) و(وأل إليه) إذا (لجأ إليه).

﴿٥٩﴾ ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾؛ يعني: قرى عاد وثمود وأضرابهم (وَتِلْكَ) مبتدأ خبره. ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ أو مفعول مضمر مفسر به، و(الْقُرى) صفته، ولا بد من تقدير مضاف في أحدهما ليكون مرجع الضمائر. ﴿لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾ كقريش؛ بالتكذيب، والمراء، وأنواع المعاصي. ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ لإهلاكهم وقتاً لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون، فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتأخير العذاب عنهم، وقرأ أبو بكر: (لِمَهْلَكِهِمْ) بفتح الميم واللام؛ أي: لهلاكهم، وحفص بكسر اللام حملاً على ما شذّ من مصادر (يَفْعِل) كـ(المَرْجِع) و(المحيض).

الاستهزاء [﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الكهف: ٥٧]] جمع بعد الأفراد في قوله: ﴿مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ عملاً بلفظ مَن ومعناه [ولا بد من تقدير مضاف في أحدهما]؛ أي: في الموصوف أو صفته بأن يقال: وأهل تلك

۞ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾.

﴿٦٠﴾ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ مقدر بـ(اذكر). ﴿لِفَتَىٰهُ﴾ يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليهم الصلاة والسلام فإنه كان يخدمه ويتبعه؛ ولذلك سماه فتاه، وقيل: لعبده. ﴿لَآ أَبْرَحُ﴾؛ أي: لا أزال أسير؛ فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ من حيث إنها تستدعي ذا غاية عليه، ويجوز أن يكون أصله لا يبرح مسيري حتى أبلغ على أن (حتى أبلغ) هو الخبر، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، فانقلب الضمير والفعل وأن يكون (لا أَبْرَحُ) هو بمعنى: لا أزول عما أنا عليه من السير والطلب، ولا أفارقه فلا يستدعي الخبر، و(مَجْمَعَ الْبَحْرَيْن) ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق، وُعِدَ لقاء الخضر فيه. وقيل: البحران موسى وخضر عليهما الصلاة والسلام؛ فإن موسى كان بحر علم الظاهر، والخضر كان بحر علم الباطن. وقرئ: (مَجْمِعَ) بكسر الميم على الشذوذ من

القرى، أو: وتلك أهل القرى[1] **[لدلالة حالة]**؛ أي: حالة موسى **[وقوله]** بالجر عطف على «حالة» **[من حيث أنها]**؛ أي: حتى **[تستدعي ذا غاية]**؛ أي: صاحبها **[عليه]**؛ أي: على الخبر وعلى متعلق بـ«دلالة».

[ويجوز أن يكون أصله لا يَبرحُ مسيري حتى أبلغ على أنَّ ﴿حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ﴾ هو الخبر] فالخبر مذكور على هذا محذوف على الأول، وقوله: «على أن حتى أبلغ» ساقط من نسخ **[فانقلب الضمير والفعل]** من الغَيبة إلى التكلم **[وأن يكون لا أبرح]** عطف على «أن يكون أصله لا يبرح»[2] **[ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وعد]**؛ أي: وهو المكان الذي وعد موسى **[لقاء الخضر فيه]** عليه السلام **[على الشذوذ من**

---

(١) انظر: اللباب، ابن عادل [٥١٨/١٢].

(٢) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٨/١٢].

(يفعل) كـ(المشرِق) و(المطلِع) ﴿أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾ أو أسير زماناً طويلاً. والمعنى: حتى يقع إما بلوغ المجمع، أو مضي الحقب، أو حتى أبلغ إلا أن أمضي زماناً أتيقن معه فوات المجمع، و(الحقب) الدهر وقيل: ثمانون سنة وقيل: سبعون. روي: أن موسى عليه الصلاة والسلام خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر؛ خطبة بليغة فأعجب بها! فقيل له: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ فقال: لا! فأوحى الله إليه بل أعلم منك عبدنا الخضر! وهو بمجمع البحرين؛ وكان الخضر في أيام «افريدون» وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر، وبقي إلى أيام موسى. وقيل: إن موسى عليه السلام سأل ربه: أيُّ عبادك أحبّ إليك؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني، قال: فأيُّ عبادك أقضى؟ قال: الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى، قال: فأي عبادك أعلم؟ قال: الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى، فقال: إن كان في عبادك أعلم مني فادللني عليه! قال: أعلم منك الخضر! قال: أين أطلبه؟ قال: على الساحل عند الصخرة، قال: كيف لي به؟ قال: تأخذ حوتاً في مكتل فحيث فقدته فهو هناك، فقال لفتاه: إذا فقدت الحوت فأخبرني! فذهبا يمشيان.

يفعل]؛ أي: بالفتح [كالمشرق والمطلع]؛ أي: مِنْ يُفعل بالضم كما في «الكشاف»[1] [حتى أبلغ إلا] عطف على «حتى» بفتح أي والمعنى: حتى أبلغ مجمع البحرين إلا.. إلخ، فـ«أو» فيه بمعنى «إلا» كما في قوله: «كسرت كعوبها أو تستقيما».

[والحقب الدهر وقيل: ثمانون سنة وقيل: سبعون] هو ما ضعفه هو ما مشى عليه الجوهري[2].

وصاحب «القاموس» وعبارة «القاموس»: (الحقب) بالضم وبضمتين ثمانون سنة أو أكثر والدهر والسنة والسنون [روي أن موسى خطب الناس..] إلى آخره. رواه بمعناه الشيخان[3].

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٦٨٣]. (٢) الصحاح، الجوهري [١/ ٢٨٤].
(٣) صحيح البخاري [١/ ٤١/ برقم: ٧٨]، صحيح مسلم [٤/ ١٨٤٧/ برقم: ٢٣٨٠].

۞ ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا
قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ
فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾.

﴿٦١﴾ - ﴿٦٢﴾ ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾؛ أي: مجمع البحرين و(بَيْنِهِما) ظرف أضيف إليه على الاتساع، أو بمعنى الوصل. ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ نسي موسى عليه الصلاة والسلام أن يطلبه ويتعرف حاله، ويوشع أن يذكر له ما رأى من حياته ووقوعه في البحر. روي: إن موسى عليه السلام رقد، فاضطرب الحوت المشوي ووثب في البحر معجزة لموسى أو الخضر. وقيل: توضأ يوشع من عين الحياة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء. وقيل: نسيا تفقد أمره وما يكون منه أمارة على الظفر بالمطلوب طريقه في البحر مسلكاً من قوله: ﴿وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]. وقيل: أمسك الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه، ونصبه على المفعول الثاني، و(في البحر) حال منه، أو من السبيل ويجوز تعلقه بـ(اتخذ). ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ مجمع البحرين. ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ ما نتغدى به. ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ قيل: لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغد إلى الظهر ألقي عليه الجوع والنصَب. وقيل: لم يعي موسى في سفر غيره ويؤيده التقييد باسم الإشارة.

﴿٦٣﴾ ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ﴾ أرأيت ما دهاني إذ أوينا. ﴿إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾؛ يعني: الصخرة التي رقد عندها موسى. وقيل: هي الصخرة التي دون نهر الزيت. ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ فقدته أو نسيت ذكره بما رأيت منه. ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾؛ أي: وما أنساني ذكره إلا الشيطان فإن (أَنْ أَذْكُرَهُ) بدل من الضمير، وقرئ: (أن أذكركه). وهو اعتذار عن نسيانه بشغل

[دهاني]؛ أي: أصابني.

۞ ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ٦٤ فَوَجَدَا عَبْدٗا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةٗ مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمٗا ٦٥﴾.

الشيطان له بوساوسه، والحال وإن كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما ضرى بمشاهدة أمثالها عند موسى وألفها قلّ اهتمامه بها، ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار، وانجذاب شراشره إلى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة، وإنما نسبه إلى الشيطان هضماً لنفسه، أو لأن عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها بأحدهما عن الآخر يعد من نقصان. ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبٗا﴾ سبيلاً عجباً؛ وهو كونه كالسرب أو اتخاذ عجباً، والمفعول الثاني هو الظرف. وقيل: هو مصدر فعله المضمر؛ أي: قال في آخر كلامه، أو موسى في جوابه عجباً؛ تعجباً من تلك الحال. وقيل: الفعل لموسى؛ أي: اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجباً.

٦٤ - ٦٥ ﴿قَالَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: أمر الحوت. ﴿مَا كُنَّا نَبْغِۚ﴾ نطلب لأنه أمارة المطلوب. ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا﴾ فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه. ﴿قَصَصٗا﴾ يقصان قصصاً؛ أي: يتبعان آثارهما اتباعاً، أو مقتصين حتى أتيا الصخرة. ﴿فَوَجَدَا عَبْدٗا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ الجمهور على أنه الخضر عليه السلام واسمه: بليا بن ملكان، وقيل: اليسع، وقيل: إلياس. ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةٗ مِّنْ عِندِنَا﴾ هي الوحي والنبوة. ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمٗا﴾ مما يختص بنا ولا يعلم إلا بتوفيقنا؛ وهو علم الغيوب.

[لما ضري]؛ أي: تعود يُقال: «ضري الكلب بالصيد ضراوة؛ أي: تعود» قاله الجوهري(١). [أو مقتصين] أشار إلى أن المصدر بمعنى اسم الفاعل فينصب على الحال [هي الوحي والنبوة]؛ أي: في قول، وفي آخر أنها الولاية وعليه أكثر العلماء.

---

(١) الصحاح، الجوهري [١/ ٤١٠].

۞ ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن
تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن
شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ
أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾.

﴿٦٦﴾ ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾ على شرط أن تعلمني، وهو في موضع الحال من الكاف. ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ علماً ذا رشد؛ وهو إصابة الخير. وقرأ البصريان بفتحتين وهما لغتان كـ(البُخْل والبَخَل)، وهو مفعول (تُعَلِّمَنِ) ومفعول (عُلِّمْتَ) العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذي له مفعول واحد، ويجوز أن يكون رشداً علة لأتبعك أو مصدراً بإضمار فعله، ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة أن يتعلم من غيره ما لم يكن شرطاً في أبواب الدين، فإن الرسول ينبغي أن يكون أعلم ممن أرسل إليه فيما بعث به من أصول الدين وفروعه لا مطلقاً، وقد راعى في ذلك غاية التواضع والأدب، فاستجهل نفسه واستأذن أن يكون تابعاً له، وسأل منه أن يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما أنعم الله عليه.

﴿٦٧﴾ ـ ﴿٦٨﴾ ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التأكيد؛ كأنها مما لا يصح ولا يستقيم، وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾؛ أي: وكيف تصبر وأنت نبي على ما أتولى من أمور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك. و(خبراً) تمييز أو مصدر لأن لم تحط به؛ بمعنى: لم تخبره.

﴿٦٩﴾ ـ ﴿٧٠﴾ ﴿قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ معك غير منكر عليك. ﴿وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ عطف على (صابراً)؛ أي: ستجدني صابراً وغير عاص، أو على (ستجدني). وتعليق الوعد بالمشيئة؛ إما للتيمن وخلفه ناسياً لا يقدح في عصمته، أو لعلمه بصعوبة الأمر، فإن مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد فلا خلف، وفيه دليل على أن أفعال

۞ ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾.

العباد واقعة بمشيئة الله تعالى. ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ﴾ فلا تفاتحني بالسؤال عن شيء أنكرته مني ولم تعلم وجه صحته. ﴿حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ حتى أبتدئك ببيانه، وقرأ نافع وابن عامر: (فَلا تَسْئَلَنِّي) بالنون الثقيلة.

﴿٧١﴾ ـ ﴿٧٢﴾ ﴿فَانطَلَقَا﴾ على الساحل يطلبان السفينة، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ﴾ أخذ الخضر فأساً فخرق السفينة؛ بأن قلع لوحين من ألواحها. ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ فإن خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي إلى غرق أهلها. وقرئ: (لِتُغَرِّقْ) بالتشديد للتكثير. وقرأ حمزة والكسائي: (ليَغْرَقَ أَهْلُها) على إسناده إلى (الأهل). ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ أتيت أمراً عظيماً؛ من: (أمر الأمر) إذا عظم. ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ تذكير لما ذكره قبل.

﴿٧٣﴾ ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ بالذي نسيته أو بشيء نسيته؛ يعني: وصيته بأن لا يعترض عليه أو بنسياني إياها، وهو اعتذار بالنسيان أخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها. وقيل: أراد بالنسيان الترك؛ أي: لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك أوّل مرّة. وقيل: إنه من معاريض الكلام والمراد شيء آخر نسيه. ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ ولا تغشني عسراً من أمري بالمضايقة والمؤاخذة على المنسي؛ فإن ذلك يعسر على متابعتك (وعُسْراً) مفعول ثان لـ(ترهق) فإنه يقال: (رهقه) إذا غشيه وأرهقه إياه، وقرئ: (عُسُراً) بضمتين.

[مع قيام المانع لها]؛ أي: وهو النسيان.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾.

---

(٧٤) ﴿فَانطَلَقَا﴾؛ أي: بعد ما خرجا من السفينة. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ﴾ قيل: فتل عنقه. وقيل: ضرب برأسه الحائط. وقيل: أضجعه فذبحه؛ و(الفاء) للدلالة على أنه كما لقيه قتله من غير تروٍّ واستكشاف حال؛ ولذلك: ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾؛ أي: طاهرة من الذنوب، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ورويس عن يعقوب: (زاكية) والأول أبلغ، وقال أبو عمرو: (الزاكية) التي لم تذنب قطّ، والزكية التي أذنبت ثم غفرت؛ ولعله اختار الأول لذلك فإنها كانت صغيرة ولم تبلغ الحلم، أو أنه لم يرها قد أذنبت ذنباً يقتضي قتلها، أو قتلت نفساً فتقاد بها، نبّه به على أن القتل إنما يباح حداً أو قصاصاً وكلا الأمرين منتفٍ. ولعل تغيير النظم بأن جعل خرقها جزاء، واعتراض موسى عليه الصلاة والسلام مستأنفاً في الأولى، وفي الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء؛ لأن القتل أقبح والاعتراض عليه أدخل؛ فكان جديراً بأن يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾؛ أي: منكراً، وقرأ نافع في رواية قالون وورش وابن عامر ويعقوب وأبو بكر: (نُكُراً) بضمتين.

(٧٥) ـ (٧٦) ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ زاد فيه (لَكَ) مكافحة بالعتاب على رفض الوصية، ووسماً بقلة الثبات والصبر؛ لمّا تكرر منه الاشمئزاز

[ولعل تغيير النظم]؛ أي: في آيتي خرق السفينة وقتل الغلام [بأن جعل]؛ أي: في الآية الأولى [خرقها جزاءً]؛ أي: للشرط في «إذا ركبا» [واعتراض موسى]؛ أي: بقوله: ﴿أَخَرَقْتَهَا﴾ [واعتراضه جزاء]؛ أي: بقوله: ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا﴾ [لأن القتل أقبح]؛ أي: من الخرق [بأن يجعل]؛ أي: القتل [زاد فيه لك مكافحة] قال ابن الأثير: المكافحة المدافعة والمضاربة(١) [لما تكرر منه الاشميزاز] من اشمأز

---

(١) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير [٩/ ١٤١].

۞ ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ۝٧٧﴾.

والاستنكار ولم يرعوِ بالتذكير أول مرة، حتى زاد في الاستنكار ثاني مرّة. ﴿قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ﴾ وإن سألت صحبتك، وعن يعقوب (فلا تصحبني)؛ أي: فلا تجعلني صاحبك. ﴿قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا﴾ قد وجدت عذراً من قبلي لما خالفتك ثلاث مرات. وعن رسول الله ﷺ: «**رحم الله أخي موسى استحيا فقال ذلك! لو لبث مع صاحبه لأبصر أعجب الأعاجيب!**». وقرأ نافع: (مِنْ لَدُنِي) بتحريك النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله: (قَدْنِي مِنْ نَصْرِ الخُبِيبَيْنِ قَدِي). وأبو بكر (لَدْنِي) بتحريك النون وإسكان الضاد من: (عَضْد).

۝٧٧ ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ﴾ أنطاكية وقيل: أبلة البصرة.

الرجل؛ أي: انقبض قلبه قاله ابن الأثير. [**عن نون الدعامة؛ أي: الوقاية**] كقوله؛ أي: قول «حميد الأرقط»:

[قدني من نصر الخبيبين قدنِ ....]

تمامه:

.... **ليس الإمام بالشحيح الملحد**

أي: «الجائر» وصف به حميد بن مالك الأرقط لعبد الملك بن مروان مقاعده عن نصرة عبد الله بن الزبير وأصحابه، وخبيب أحد أبناء عبد الله وبه يُكنّى ويروي الخبيبين مثنى على إرادة عبد الله وأخيه مصعب، والخبيبين على الجمع على إرادة عبد الله ومن على رأيه وكلاهما تغليب والشاهد في «قدني» حيث حذف منه نون الوقاية[1].

[**وإسكان الدال**] لا سكوناً خالصاً بل مع إشمامه ضمتها وعنه أيضاً اختلاس ضمتها [**أُبلّة بصرة**] بضم الهمزة والموحدة وتشديد اللام قال في «الكشاف»: وهي

(١) انظر: أوضح المسالك، ابن هشام [١/ ١٢٠].

وقيل: باجروان أرمينية. ﴿ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ وقرئ: (يُضِيْفُوهُما) من: (أضافه)، يقال: (ضافه) إذا نزل به ضيفاً، وأضافه وضيّفَه: أنزله. وأصل التركيب للميل؛ يقال: (ضاف السهم عن الغرض) إذا مال. ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ يداني أن يسقط؛ فاستعيرت الإرادة للمشارفة كما استعير لها الهمّ والعزم قال:

يُرِيدُ الرُّمْحُ صَدْرَ أَبِي بَرَاءٍ ... وَيَعْدِلُ عَنْ دِمَاءِ بَنِي عَقِيلِ

وقال:

إِنَّ دَهْراً يَلُمُّ شَمْلي بجملٍ ... لزمانٌ يَهُمُّ بالإِحْسَانِ

و(انقضّ) انفعل، من: (قضضته) إذا كسرته، ومنه: انقضاض الطير والكواكب لهويه، أو أفعل من: (النقض). وقرئ: (أَن يُنْقَضَ) و(أن ينقاص) بالصاد المهملة؛ من: (انقاصت السن) إذا انشقت طولاً. ﴿فَأَقَامَهُۥ﴾ بعمارته أو بعمود عمده به، وقيل: مسحه بيده فقام. وقيل:

أبعد أرض الله من السماء[1] [قال: يريد الرمح] إلى آخر البيتين ذكر في البيت الأول دليل استعارة الإرادة للمشارفة[2] وفي الثاني[3] دليل استعارة الهمز لها و«جُمْل» اسم محبوبته يقول: إنَّ دهراً يجمع بيني وبينها زمان قصده [الإحسان] لا الإساءة ولو قال: «بدل» قال في الأول في قوله: «وبدل»، وقال في الثاني: «وقوله كان أوضح».

[بالصاد المهملة]؛ أي: في ينقاص بتخفيف الصاد [عمد به]؛ أي: عمد به كما

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٦٨٨].

(٢) البيت:

يريدُ الرمحَ صدرَ أبي براء ... ويعدلُ عن دماءِ بني عقيل

انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية [٣/ ٥٦٣].

(٣) البيت:

إنَّ دهراً يلمُّ شملي بجُمْلٍ ... لزمانٌ يهُمُّ بالإحسان

انظر: شرح ديوان المتنبي، الواحدي [ص٥٤].

۞ ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ٧٨ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ٧٩﴾.

نقضه وبناه. ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ تحريضاً على أخذ الجعل لينتعشا به، أو تعريضاً بأنه فضول لما في (لَوْ) من النفي؛ كأنه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه. و(اتخذ) افتعل من: (تخذ) كـ(اتبع من تبع)، وليس من الأخذ عند البصريين، وقرأ ابن كثير والبصريان: (لَتَخِذْت)؛ أي: لأخذت؛ وأظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الدال وأدغمه الباقون.

٧٨ ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَۚ﴾ الإشارة إلى الفراق الموعود بقوله: ﴿فَلَا تُصَٰحِبْنِيۖ﴾ [الكهف: ٧٦] أو إلى الاعتراض الثالث، أو الوقت أي: هذا الاعتراض سبب فراقنا، أو هذا الوقت وقته. وإضافة (الفراق) إلى (البين) إضافة المصدر إلى الظرف على الاتساع، وقد قرئ على الأصل. ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكراً من حيث الظاهر.

٧٩ ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ﴾ لمحاويج، وهو دليل على أن المسكين يطلق على من يملك شيئاً إذا لم يكفه. وقيل: سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك، أو لزمانتهم؛ فإنها كانت لعشرة إخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر. ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ أن أجعلها ذات عيب. ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ قدامهم أو خلفهم، وكان رجوعهم

عبر به «الكشاف» [**أو تعريضاً بأنه**]؛ أي: بأن تقويم الجدار [**واتخذ افتعل..**] إلى آخره؛ أي: فالتاء أصلية؛ أي: عند البصريين كما أشار إليه بقوله: [**وليس من الأخذ عند البصريين**]؛ أي: خلافاً للكوفيين فإنهم يقولون أنه من الأخذ فالباء زائدة [**وكان رجوعهم

۞ ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾.

عليه، واسمه «جلندى بن كركر»، وقيل: «منوار بن جلندي الأزدي». ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ من أصحابها. وكان حق النظم أن يتأخر قوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ عن قوله: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ لأن إرادة التعيب مسببة عن خوف الغصب؛ وإنما قدم للعناية، أو لأن السبب لما كان مجموع الأمرين خوف الغصب، ومسكنة الملاك رتبه على أقوى الجزأين وأدعاهما وعقبه بالآخر على سبيل التقييد والتتميم، وقرئ: (كل سفينة صالحة) والمعنى عليها.

﴿٨٠﴾ - ﴿٨١﴾ ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا﴾ أن يغشيهما. ﴿طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شراً، أو يقرن بإيمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر، أو يعديهما بعلته فيرتدا بإضلاله، أو بممالأته على طغيانه وكفره حبّاً له. وإنما خشي ذلك لأن الله تعالى أعلمه. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أن نجدة الحروري كتب إليه كيف قتله، وقد نهى النبي ﷺ عن قتل الولدان، فكتب إليه إن كنت علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتل. وقرئ: (فخاف ربك)؛ أي: فكره كراهة من خاف سوء عاقبته، ويجوز أن يكون قوله: ﴿فَخَشِينَآ﴾ حكاية قول الله ﷻ: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ﴾ أن يرزقهما ولداً خيراً منه. ﴿زَكَوٰةً﴾ طهارة من الذنوب والأخلاق الرديئة. ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ رحمة وعطفاً على والديه. قيل:

عليه] عبارة «الكشاف»(١) وكان طريقهم في رجوعهم عليه **[وعن ابن عباس أن نجدة الحروري..]** إلى آخره. رواه بمعناه مسلم(٢)، وقوله: «كيف قتله؟»؛ أي: كيف قتل

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٦٩١].

(٢) صحيح مسلم [٣/ ١٤٤٤/ برقم: ١٨١٢].

۞ ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾.

ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت له نبيّاً هدى الله به أمة من الأمم، وقرأ نافع وأبو عمرو: (يُبْدِّلَهُما) بالتشديد وابن عامر ويعقوب وعاصم (رُحْماً) بالتخفيف، وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك (زَكاةً).

﴿٨٢﴾ ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ قيل: اسمهما أصرم وصريم، واسم المقتول جيسور. ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ من ذهب وفضة، روي ذلك مرفوعاً والذم على كنزهما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤] لمن لا يؤدي زكاتهما وما تعلق بهما من الحقوق. وقيل: من كتب العلم. وقيل: كان لوح من ذهب مكتوب فيه: عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن! وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب! وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل! وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح! وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها!

الخضرُ الغلامَ **[ولدت لهما جارية]**؛ أي: بنت وقيل: ولد لهما ابن مؤمن مثلهما **[وابن عامر..]** إلخ ذكر ابن عامر ويعقوب فيه سَهْوٌ فإنهما إنما يقرآن بالتثقيل ووافقهما أبو جعفر والباقون يقرؤون كعاصم فلا وجه لاقتصار المصنف عليه.

[روي ذلك مرفوعاً] رواه البخاري في تاريخه والترمذي(١) والحاكم(٢) وصححه **[وقيل: من كتب العلم]** رواه الحاكم(٣) وصححه.

---

(١) سنن الترمذي [٥/ ٣١٣/ برقم: ٣١٥٢]. (٢) مستدرك الحاكم [٢/ ٤٠٠/ برقم: ٣٣٩٦].
(٣) رواية الحاكم: «ما كان ذهبًا ولا فضة! كان صحفًا علمًا». مستدرك الحاكم [٢/ ٤٠٠/ برقم: ٣٣٩٦].

۞ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾.

لا إله إلا الله محمد رسول الله. ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ تنبيه على أن سعيه ذلك كان لصلاحه. قيل: كان بينهما وبين الأب الذي حفظا فيه سبعة آباء وكان سياحاً واسمه «كاشح». ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾؛ أي: الحلم وكمال الرأي. ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ مرحومين من ربك، ويجوز أن يكون علة أو مصدراً لـ(أراد) فإن إرادة الخير رحمة. وقيل: متعلق بمحذوف تقديره: فعلت ما فعلت رحمة من ربك، ولعل إسناد الإرادة أولاً: إلى نفسه لأنه المباشر للتعييب، وثانياً: إلى الله وإلى نفسه لأن التبديل بإهلاك الغلام وإيجاد الله بدله، وثالثاً: إلى الله وحده؛ لأنه لا مدخل له في بلوغ الغلامين. أو لأن الأول في نفسه شرّ، والثالث خير، والثاني ممتزج. أو لاختلاف حال العارف في الالتفات إلى الوسائط. ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ﴾ وما فعلت ما رأيته. ﴿عَنْ أَمْرِى﴾ عن رأيي، وإنما فعلته بأمر الله ﷻ. ومبني ذلك على أنه إذا تعارض ضرران يجب تحمل أهونهما لدفع أعظمهما، وهو أصل ممهد غير أن الشرائع في تفاصيله مختلفة. ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾؛ أي: ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفاً.

ومن فوائد هذة القصة: أن لا يعجب المرء بعلمه، ولا يبادر إلى إنكار ما لم يستحسنه، فلعل فيه سرّاً لا يعرفه، وأن يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم، ويراعي الأدب في المقابل، وأن ينبه المجرم على جرمه، ويعفو عنه حتى يتحقق إصراره؛ ثم يهاجر عنه.

﴿٨٣﴾ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾؛ يعني: «إسكندر الرومي» ملك فارس

[ولعل إسناد الإرادة أولاً إلى نفسه]؛ أي: في قوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [وثانياً إلى الله وإلى نفسه]؛ أي: في قوله: ﴿فَأَرَدْنَآ﴾ [وثالثاً إلى الله وحده]؛ أي: في قوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ [وقيل: متعلق بمحذوف] مقابل لتعلقه بالرحمة بمعنى المرحومين

۞ ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾.

والروم. وقيل: المشرق والمغرب؛ ولذلك سمي ذا القرنين، أو لأنه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها، وقيل: لأنه انقرض في أيامه قرنان من الناس، وقيل: كان له قرنان؛ أي: ضفيرتان، وقيل: كان لتاجه قرنان. ويحتمل أنه لقب بذلك لشجاعته كما يقال: الكبش للشجاع كأنه ينطح أقرانه. واختلف في نبوته مع الاتفاق على إيمانه وصلاحه، والسائلون هم اليهود؛ سألوه امتحاناً، أو مشركو مكة. ﴿قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ خطاب للسائلين والهاء لذي القرنين. وقيل: لله.

﴿٨٤﴾ ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: مكنا له أمره من التصرف فيها كيف شاء فحذف المفعول. ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ أراده وتوجه إليه. ﴿سَبَبًا﴾ وصلة توصله إليه من العلم والقدرة والآلة.

﴿٨٥﴾ ـ ﴿٨٦﴾ ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾؛ أي: فأراد بلوغ المغرب فاتبع سبباً يوصله إليه، وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الألف مخففة التاء. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ ذات حمأ؛ من: (حمئت البئر) إذا صارت ذات حمأة. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر: (حامية)؛ أي: حارة، ولا تنافي بينهما لجواز أن تكون العين جامعة للوصفين أو (حمية) على أن ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسر ما قبلها. ولعله بلغ ساحل المحيط

[وقيل المشرق والمغرب] قال الزمخشري؛ أي: قيل: ملك الدنيا مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران نمرود وبخت نصَّر[1] **[ذات حمأة]** هي الطين الأسود **[جامعة للوصفين]**

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٧٠٠].

۞ ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾.

فرآها كذلك إذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء؛ ولذلك قال: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ﴾ ولم يقل: (كانت تغرب). وقيل: إن ابن عباس سمع معاوية يقرأ: (حامية) فقال: (حَمِئَة) فبعث معاوية إلى كعب الأحبار: كيف تجد الشمس تغرب؟ قال: في ماء وطين، كذلك نجده في التوراة ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا﴾ عند تلك العين. ﴿قَوْمًا﴾ قيل: كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر، وكانوا كفاراً؛ فخيره الله بين أن يعذبهم أو يدعوهم إلى الإيمان كما حكى بقوله: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾؛ أي: بالقتل على كفرهم. ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ بالإرشاد وتعليم الشرائع. وقيل: خيّره الله بين القتل والأسر، وسماه إحساناً في مقابلة القتل ويؤيده الأوَّل. قوله:

﴿٨٧﴾ - ﴿٨٨﴾ ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾؛ أي: فاختار الدعوة، وقال: أما من دعوته فظلم نفسه بالإصرار على كفره، أو استمر على ظلمه الذي هو الشرك فنعذبه أنا ومن معي في الدنيا بالقتل، ثم يعذبه الله في الآخرة عذاباً منكراً لم يعهد مثله. ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ وهو ما يقتضيه الإيمان. ﴿فَلَهُۥ﴾ في الدارين ﴿جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ فعلته الحسنى. وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص: (جَزاءً) منوناً منصوباً على الحال؛ أي: فله المثوبة الحسنى مجزياً بها، أو على المصدر لفعله المقدر حالاً؛ أي: يجزي بها جزاء أو التمييز، وقرئ منصوباً غير منون على أن تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنوناً مرفوعاً على أنه المبتدأ و(الْحُسْنى) بدله، ويجوز أن يكون (أَمَّا) و(أَمَّا) للتقسيم دون التخيير؛ أي: ليكن شأنك معهم إما التعذيب وإما الإحسان. فالأول لمن أصرَّ على الكفر، والثاني لمن تاب عنه. ونداء الله إياه إن كان نبياً فبوحي، وإن كان غيره فبإلهام أو على لسان نبي. ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا﴾ بما نأمر به.

۞ ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل
لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ
إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾.

﴿يُسْرًا﴾ سهلاً ميسراً غير شاق، وتقديره: ذا يسر، وقرئ بضمتين.

﴿٨٩﴾ ـ ﴿٩١﴾ ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ ثم أتبع طريقاً يوصله إلى المشرق. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾؛ يعني: الموضع الذي تطلع الشمس عليه أولاً من معمورة الأرض، وقرئ بفتح اللام على إضمار مضاف؛ أي: مكان مطلع الشمس فإنه مصدر. ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ من اللباس أو البناء، فإن أرضهم لا تمسك الأبنية أو أنهم اتخذوا الأسراب بدل الأبنية. ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: أمر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك، أو أمره فيهم كأمره في أهل المغرب من التخيير والاختيار. ويجوز أن يكون صفة مصدر محذوف لـ(وجد) أو ﴿نَجْعَل﴾ أو صفة (قوم)؛ أي: على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم. ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ من الجنود والآلات والعدد والأسباب. ﴿خُبْرًا﴾ علماً تعلق بظواهره وخفاياه، والمراد: أن كثرة ذلك بلغت مبلغاً لا يحيط به إلا علم اللطيف الخبير.

﴿٩٢﴾ ـ ﴿٩٣﴾ ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾؛ يعني: طريقاً ثالثاً معترضاً بين المشرق والمغرب آخذاً من الجنوب إلى الشمال. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ بين الجبلين المبني بينهما سده؛ وهما جبلا أرمينية وأذربيجان. وقيل: جبلان منيفان في أواخر الشمال في منقطع أرض الترك من ورائهما يأجوج ومأجوج. وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب: (بَيْنَ السُّدَّيْنِ) بالضم وهما لغتان. وقيل: المضموم لما خلقه الله تعالى والمفتوح لما عمله الناس لأنه في الأصل مصدر سمي به حدث يحدثه الناس. وقيل: بالعكس، وبيّن ها هنا مفعول به وهو من الظروف المتصرفة. ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ

۞ ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾﴾.

قَوْلًا﴾ لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم. وقرأ حمزة والكسائي: (لا يفقهون)؛ أي: لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه.

﴿٩٤﴾ ـ ﴿٩٦﴾ ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ قال مترجمهم. وفي مصحف ابن مسعود قال (الذين من دونهم). ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ قبيلتان من ولد «يافث» بن نوح، وقيل: يأجوج من الترك ومأجوج من الجبل. وهما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف. وقيل: عربيان؛ من: (أجّ الظليم) إذا أسرع، وأصلهما الهمز كما قرأ عاصم ومنع صرفهما للتعريف والتأنيث. ﴿مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: في أرضنا بالقتل والتخريب وإتلاف الزرع. قيل: كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون أخضر إلا أكلوه، ولا يابساً إلا احتملوه، وقيل: كانوا يأكلون الناس. ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ جعلاً نخرجه من أموالنا. وقرأ حمزة والكسائي: (خراجاً) وكلاهما واحد كـ(النول والنوال). وقيل: الخراج على الأرض والذمة، و(الخرج) المصدر. ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ يحجز دون خروجهم علينا، وقد ضمه من ضم (السُّدَّيْنِ) غير حمزة والكسائي. ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ ما جعلني فيه مكيناً من المال والملك خير مما تبذلون لي من الخراج ولا حاجة بي إليه. وقرأ ابن كثير: (مَكَّنَنِي) على الأصل. ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾؛ أي: بقوة فعلة، أو بما أتقوى به من الآلات.

أو كونها من طين وكونها حارّة [أَجَّ الظَّلِيم][1] هو الذَّكَرُ من النعام [فعلة] هي جمع

(١) **أَجَّ الظَّلِيم**: إذا أسرع. الصحاح، الجوهري [١/ ٥].

۞ ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ٩٧﴾.

﴿أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا﴾ حاجزاً حصيناً، وهو أكبر من السد، من قولهم: (ثوب مردم)؛ إذا كان رقاعاً فوق رقاع. ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ﴾ قِطَعَه، والزبرة القطعة الكبيرة، وهو لا ينافي رد الخراج والاقتصار على المعونة؛ لأن الإيتاء بمعنى المناولة. ويدل عليه قراءة أبي بكر: (رَدْماً ايتونى) بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى: جيئوني بزبر الحديد. والباء محذوفة حذفها في: أمرتك الخير. ولأن إعطاء الآلة من الإعانة بالقوة دون الخراج على العمل. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ﴾ بين جانبي الجبلين بتنضيدها. وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين، وأبو بكر بضم الصاد وسكون الدال، وقرئ فتح الصاد وضم الدال؛ وكلها لغات من: (الصدف) وهو الميل؛ لأن كلاً منهما منعزل عن الآخر، ومنه التصادف للتقابل. ﴿قَالَ ٱنفُخُواْۖ﴾؛ أي: قال للعَمَلة: انفخوا في الأكوار والحديد. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ﴾ جعل المنفوخ فيه. ﴿نَارٗا﴾ كالنار بالإحماء. ﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا﴾؛ أي: آتوني قطراً؛ أي: نحاساً مذاباً أفرغ عليه قطراً، فحذف الأول لدلالة الثاني عليه. وبه تمسك البصريون على أن إعمال الثاني من العاملين المتوجهين نحو معمول واحد أولى؛ إذ لو كان (قطراً) مفعول (آتوني) لأضمر مفعول (أفرغ) حذراً من الإلباس. وقرأ حمزة وأبو بكر: (قال اتوني) موصولة الألف.

٩٧ ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ﴾ بحذف التاء حذراً من تلاقي متقاربين. وقرأ حمزة بالإدغام جامعاً بين الساكنين على غير حده. وقرئ بقلب السين صاداً. ﴿أَن يَظۡهَرُوهُ﴾ أن يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه. ﴿وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا﴾ لثخنه وصلابته. وقيل: حفر للأساس حتى بلغ الماء، وجعله من الصخر والنحاس المذاب، والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم

فاعل كظلمة جمع ظالم [بتنضيدها]؛ أي: ضم زبر الحديد بعضها إلى بعض.

۞ ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾.

حتى ساوى أعلى الجبلين، ثم وضع المنافيخ حتى صارت كالنار فصب النحاس المذاب عليه؛ فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلاً صلداً. وقيل: بناه من الصخور مرتبطاً بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها.

﴿٩٨﴾ ﴿قَالَ أَمَّا﴾ هذا السد، أو الإقدار على تسويته. ﴿رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ على عباده. ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ وقت وعده بخروج يأجوج ومأجوج، أو بقيام الساعة بأن شارف يوم القيامة. ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ مدكوكاً مبسوطاً مسوى بالأرض؛ مصدر بمعنى مفعول، ومنه: (جمل أدك) لمنبسط السنام. وقرأ الكوفيون: (دكاء) بالمد؛ أي: أرضاً مستوية. ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ كائناً لا محالة. وهذا آخر حكاية قول ذي القرنين.

﴿٩٩﴾ - ﴿١٠١﴾ ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ وجعلنا بعض يأجوج ومأجوج حين يخرجون مما وراء السد، يموجون في بعض مزدحمين في البلاد. أو يموج بعض الخلق في بعض فيضطربون ويختلطون؛ إنسهم وجنهم حيارى، ويؤيده قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ لقيام الساعة ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ للحساب والجزاء ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ وأبرزناها وأظهرناها لهم. ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي﴾ عن آياتي التي ينظر إليها فأذكر بالتوحيد والتعظيم. ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ استماعاً لذكري وكلامي لإفراط صممهم عن الحق؛ فإن الأصم قد يستطيع السمع إذا صيح به وهؤلاء كأنهم أصمت مسامعهم بالكلية.

[أو تموج بعض الخلق في بعض فيضطَّربون]؛ أي: الخلق.

۞ ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾.

﴿١٠٢﴾ ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أفظنوا والاستفهام للإنكار. ﴿أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى﴾ اتخاذهم الملائكة والمسيح. ﴿مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ﴾ معبودين نافعهم، أو لا أعذبهم به فحذف المفعول الثاني كما يحذف الخبر للقرينة، أو سد (أن يتخذوا) مسد مفعوليه وقرئ: (أَفَحَسْبُ الذين كَفَرُواْ)؛ أي: أَفَكَافِيْهِم في النجاة؛ و(أن) بما في حيزها مرتفع بأنه فاعل (حسب) فإن النعت إذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل أو خبر له. ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا﴾ ما يقام للنزيل، وفيه تهكم وتنبيه على أن لهم وراءها من العذاب ما تستحقر دونه.

﴿١٠٣﴾ ـ ﴿١٠٤﴾ ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ نصب على التمييز وجمع لأنه من أسماء الفاعلين، أو لتنوع أعمالهم. ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهابنة؛ فإنهم خسروا دنياهم وأخراهم. ومحله الرفع على الخبر المحذوف فإنه جواب السؤال، أو الجر على البدل، أو النصب على الذم. ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ بعجبهم واعتقادهم أنهم على الحق.

﴿١٠٥﴾ ـ ﴿١٠٦﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ بالقرآن أو بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة. ﴿وَلِقَآئِهِۦ﴾ بالبعث على ما هو عليه أو لقاء عذابه.

[فإن النعت..] إلى آخره. أراد بالنعت هنا «حسب» نظراً إلى أنه بمعنى محسب ليكون اسم فاعل **[للنزيل]**؛ أي: للضيف **[وجمع]**؛ أي: عمل وإن كان مصدراً **[لأنه من أسماء الفاعلين]**؛ أي: بمعنى اسم الفاعل وهو عامل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾.

﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ بكفرهم فلا يثابون عليها. ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ فنزدري بهم، ولا نجعل لهم مقداراً واعتباراً، أو لا نضع لهم ميزاناً يوزن به أعمالهم لانحباطها. ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الأمر ذلك. وقوله: ﴿جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ جملة مبينة له، ويجوز أن يكون (ذلِكَ) مبتدأ، والجملة خبره والعائد محذوف؛ أي: جزاؤهم به، أو جزاؤهم بدله و(جَهَنَّمُ) خبره أو (جَزاؤُهُمْ) خبره و(جَهَنَّمُ) عطف بيان للخبر. ﴿بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا﴾؛ أي: بسبب ذلك.

﴿١٠٧﴾ - ﴿١٠٨﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ فيما سبق من حكم الله ووعده، ﴿ٱلْفِرْدَوْسِ﴾ أعلى درجات الجنة، وأصله البستان الذي يجمع الكرم والنخل. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ حال مقدرة. ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ تحولاً؛ إذ لا يجدون أطيب منها حتى تنازعهم إليه أنفسهم، ويجوز أن يراد به تأكيد الخلود.

﴿١٠٩﴾ ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا﴾ ما يكتب به، وهو اسم ما يمد الشيء؛ كالحبر للدواة والسليط للسراج. ﴿لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾ لكلمات علمه وحكمته. ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ﴾ لنفد جنس البحر بأمره؛ لأن كل جسم مُتَنَاهٍ. ﴿قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ فإنها غير متناهية لا تنفد كعلمه، وقرأ حمزة والكسائي بالياء. ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ﴾ بمثل البحر الموجود. ﴿مَدَدًا﴾ زيادة ومعونة؛ لأن مجموع المتناهين متناه؛ بل مجموع ما يدخل في الوجود من الأجسام لا يكون إلا متناهياً للدلائل القاطعة على تناهي الأبعاد، والمتناهي ينفد قبل أن

[ازْدَرَى بهم]؛ أي: تحقرهم [أو جزاؤهم بدله]؛ أي: بدل من ذلك

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾.

ينفد غير المتناهي لا محالة. وقرئ: (ينفد) بالياء و(مِدَداً) بكسر الميم جمع: (مدة) وهي ما يستمده الكاتب و(مِدَاداً). وسبب نزولها: أن اليهود قالوا: في كتابكم: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] وتقرؤون: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

﴿١١٠﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ لا أدّعي الإحاطة على كلماته. ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ وإنما تميزت عنكم بذلك. ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ يؤمل حسن لقائه أو يخاف سوء لقائه. ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ يرتضيه الله. ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ بأن يرائيه أو يطلب منه أجراً. روي أن جندب بن زهير قال لرسول الله ﷺ: إني لأعمل العمل لله فإذا أطلع عليه سَرَّني فقال: «**إن الله لا يقبل ما شُورِكَ فيه**». فنزلت تصديقاً له. وعنه عليه الصلاة والسلام: «**اتقوا الشرك الأصغر**» قالوا: وما الشرك الأصغر؟ قال: «**الرياء**». والآية جامعة لخلاصتي العلم والعمل؛ وهما التوحيد والإخلاص في الطاعة.

وعن النبي ﷺ: «**من قرأها عند مضجعه كان له نوراً في مضجعه يتلألأ**

[**وسبب نزوله أن اليهود قالوا في كتابكم**: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] **وتقرؤون** ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]] **قال في «الكشاف»**: يعني: أن ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله(١) [«**اتقوا الشرك الأصغر**..»] إلى آخره. رواه بمعناه البيهقي وغيره(٢) [«**من قرأها عند مضجعه كان له نوراً**..»] إلى آخره. رواه البزار وغيره(٣).

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٧٠٠].

(٢) شعب الإيمان، البيهقي [٥/ ٣٣٣/ برقم: ٦٨٣١]، مسند أحمد [٥/ ٤٢٨/ برقم: ٢٣٦٨٠].

(٣) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٢/ ٣١٧/ برقم: ٧٥٦].

إلى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلّون عليه حتى يقوم؛ فإن كان مضجعه بمكة كان له نوراً يتلألأ من مضجعه إلى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ».

وعنه عليه الصلاة والسلام **«من قرأ سورة (الكهف) من آخرها كانت له نوراً من قرنه إلى قدمه، ومن قرأها كلها كانت له نوراً من الأرض إلى السماء».**

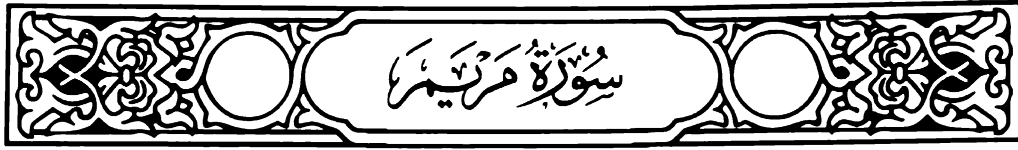
[**«من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نوراً..»**] إلى آخره. رواه البزار وغيره[(١)] [**«من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نوراً..»**] إلى آخره. رواه الإمام أحمد بلفظ: **«من قرأ أول سورة الكهف كانت له نوراً..»** إلى آخره[(٢)].



---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٢/٣١٦/ برقم: ٧٥٥].

(٢) مسند أحمد [٢/٤٣٩/ برقم: ١٥٦٦٤].



(١٩) مكية، إلا آية السجدة، وهي ثمان أو تسع وتسعون آية

۞ ﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ﴿٣﴾﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ ـ ﴿٢﴾ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ أمال أبو عمرو (الهاء) لأن ألفات أسماء التهجي ياءات؛ وابن عامر وحمزة (الياء)، والكسائي وأبو بكر كليهما، ونافع بين بين، ونافع وابن كثير وعاصم يظهرون دال الهجاء عند الذال، والباقون يدغمونها. ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ﴾ خبر ما قبله إن أُوِّلَ السورة أو بالقرآن، فإنه مشتمل عليه أو خبر محذوف؛ أي: هذا المتلو ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ. أو مبتدأ حذف خبره؛ أي: فيما يتلى عليك ذكرها، وقرئ: (ذُكِرَ رَحْمَة) على الماضي و(ذَكِّرْ) على الأمر. ﴿عَبۡدَهُۥ﴾ مفعول (الرحمة) أو (الذِّكْر) على أن (الرحمة) فاعله على الاتساع؛ كقولك: ذكرني جود زيد. ﴿زَكَرِيَّآ﴾ بدل منه، أو عطف بيان له.

﴿٣﴾ ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا﴾ لأن الإخفاء والجهر عند الله سيان، والإخفاء أشد إخباتاً وأكثر إخلاصاً، أو لئلا يلام على طلب الولد في إبان الكبر،

قوله: **[وابن عامر وحمزة البنا]** ووافقهما السوسي في رواية **[على أنَّ «الرحمة» فاعله على الاتساع]**؛ أي: فاعلة لـ«ذِكْر» بإضافته إليها والتقدير إنْ ذكرت رحمةُ الله عبدَه **[كقولك: ذكرني جود زيد]**؛ أي: في جعل «جود» فاعلاً لذكرني على الاتساع **[أشد إخباتاً]**؛ أي: خشوعاً **[في إبَّان الكبر]** بكسر الهمزة وتشديد الموحدة؛ أي: وقته يقال: كُلِ الفواكهَ في إبّانها؛ أي: في وقتها قاله الجوهري[1]

(١) الصحاح، الجوهري [١/ ٢].

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾﴾.

أو لئلا يطلع عليه مواليه الذين خافهم، أو لأن ضعف الهرم أخفى صوته. واختلف في سنِّه حينئذٍ فقيل: ستون، وقيل: سبعون، وقيل: خمس وسبعون، وقيل: خمس وثمانون، وقيل: تسع وتسعون.

﴿٤﴾ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾ تفسير للنداء، والوهن: الضعف. وتخصيص (العظم) لأنه دعامة البدن وأصل بنائه؛ ولأنه أصلب ما فيه، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن. وتوحيده لأن المراد به الجنس، وقرئ: (وَهُنَ) و(وَهِنَ) بالضم والكسر ونظيره (كَمَلَ) بالحركات الثلاث. ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ شبه الشيب في بياضه وإنارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه في الشعر باشتعالها، ثم أخرجه مخرج الاستعارة، وأسند الاشتعال إلى الرأس الذي هو مكان الشيب مبالغة، وجعله مميزاً إيضاحاً للمقصود، واكتفى باللام على الإضافة للدلالة

[مواليه]؛ أي: بني عمه كما ذكره بعد [وخمس وستون] تقديره وقيل: «خمس وستون» كما في نسخة، وكذا التقدير في قوله: «وخمس وسبعون» و«خمس وثمانون» [دِعامة] بكسر المهملة عماد البيت قاله في «القاموس»[(١)].

[أوهن] في نسخة: «أهون» [وقرئ «وهن» بالضم والكسر]؛ أي: بضم الهاء وكسرها [بشواظ النار]؛ أي: لهبها الذي لا دخان له [باشتعالها]؛ أي: اضطرامها [ثم أُخْرِج مخرج الاستعارة]؛ أي: الاستعارة التمثيلية وهي أن يُنتزع التشبيه من عدّة أمور، وهي هنا في مجموع التشبيهين المذكورين وإن كانت في الثاني تبعية أيضاً [وأسند الاشتعال إلى الرأس الذي هو مكان الشيب مبالغة]؛ أي: بالإجمال والتفصيل[(٢)] [وبتنكير] «الشيب» للتعظيم وبإسناد الاشتعال إلى الرأس دون الشيب الحال به الذي هو الأصل وقوله محل زائد أو مصدر ميمي بمعنى الحلول [واكتفى]

---

(١) القاموس المحيط، الفيروزآبادي [٦/ ٢٢١].
(٢) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٦/ ١٢٧].

۞ ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾.

على أن عِلْمَ المخاطب بتعين المراد يغني عن التقيد. ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ بل كلما دعوتك استجبت لي؛ وهو توسل بما سلف معه من الاستجابة، وتنبيه على أن المدعو له وإن لم يكن معتاداً فإجابته معتادة، وأنه تعالى عوده بالإجابة وأطمعه فيها، ومن حق الكريم أن لا يخيب من أطمعه.

۝٥ - ۝٦ ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ﴾؛ يعني: بني عمه وكانوا أشرار بني إسرائيل، فخاف أن لا يحسنوا خلافته على أمته ويبدلوا عليهم دينهم. ﴿مِن وَرَآءِى﴾ بعد موتي، وعن ابن كثير بالمد والقصر بفتح الياء وهو متعلق بمحذوف، أو بمعنى الموالى؛ أي: خفت فعل الموالي من ورائي، أو الذين يلون الأمر من ورائي. وقرئ: خفت الموالي من ورائي؛ أي: قلوا وعجزوا عن إقامة الدين بعدي، أو خفوا ودرجوا قدّامي، فعلى هذا كان الظرف متعلقاً بـ(خِفْتُ). ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ لا تلد. ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ﴾ فإن مثله لا يرجى إلا من فضلك وكمال قدرتك، فإني وامرأتي لا نصلح للولادة. ﴿وَلِيًّا﴾ من صلبي. ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ صفتان له،

باللام؛ أي: في الرأس [على أن المؤول]؛ أي: لأجله وهو حصول الولد [فإجابته]؛ أي: زكريا [وأنه تعالى] عطف على المدعو له.

[وعن ابن كثير: المد والقصر بفتح الياء]؛ أي: فيهما لكن الثانية شاذة دون الأولى [وقرئ «خَفّت الموالي»]؛ أي: بفتح الخاء وتشديد الفاء[1] من «الخفة»: أو من الخفوف وهو السير كما أشار إليهما بقوله: «أي: قَلّوا..» إلى آخره. [﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ صفتان له] اعترض بأن زكريا دعا الله أن يَهِبَهُ ولداً يرثه مع أن يحيى قُتِل قبله فلم يجبه إلى إرثه منه، وأجيب بأن إجابة دعاء الأنبياء غالبة لا لازمة فقد يتخلف

---

(١) جامع البيان، الطبري [١٨/ ١٤٥].

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ⑦﴾.

وجزمهما أبو عمرو والكسائي على أنهما جواب الدعاء، والمراد وراثة الشرع والعلم؛ فإن الأنبياء لا يورثون المال. وقيل: يرثني الحبورة؛ فإنه كان حبراً. ويرث من آل يعقوب الملك، وهو يعقوب بن إسحاق عليهما الصلاة والسلام. وقيل: يعقوب كان أخا زكريا أو عمران بن ماثان من نسل سليمان عليه السلام. وقرئ: (يرثني وارث آل يعقوب) على الحال من أحد الضميرين، و(أُوَيْرِث) بالتصغير لصغره، و(وارث من آل يعقوب) على أنه فاعل (يَرِثُنِي) وهذا يسمى التجريد في علم البيان لأنه جرّد عن المذكور أولاً مع أنه المراد. ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ ترضاه قولاً وعملاً.

⑦ ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾ جواب لندائه ووعد

لقضاء الله بخلافه كما في دعاء إبراهيم عليه السلام في حق أبيه، وكما في دعاء نبيّنا عليه السلام بقوله: «**وسألته أن لا يُذيقَ بعضهم بأس بعض فَمَنعنيها**»[(١)] ولما كان من قضاء الله وقدَره أن يوجد يحيى نبيّاً صالحاً ثم يقتل استجيب دعاء زكريا في إيجاده دون إرثه.

[**وجرهما أبو عمرو..**] إلى آخره. فلا يكونان صفتين كما أشار إلى ذلك «الكشاف» بقوله: يرثني ويرث الجزم جواب الدعاء والرفع صفة[(٢)] [**وقيل: يرثني الحبورة**]؛ أي: العلم بتحبير الكلام وتحسينه، قاله الجوهري[(٣)]. [**وفعلاً**] في نسخة وعملاً [**على الحال**]؛ أي: بنصب وارث على الحال [**من أحد الضميرين**]؛ أي: في يرثني [**وأو يرث**]؛ أي: وقُرئ «أو يرث» فهو عطف على وارث آل يعقوب [**وهذا يسمى التجريد**] وهو أن ينتزع من متصف بصفة آخر مثله فيها مبالغة لكمالها فيه نحو لقيت من فلان أسداً، وهنا جَرَّدَ «وارثاً» من «وليّاً» مع أنه هو كما في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾ وهي بنفسها دار الخلد[(٤)].

[**عن المذكور أولاً**]؛ أي: وهو وليّاً [**جواب لندائه**]؛ أي: في قوله: ﴿إِذْ

---

(١) صحيح مسلم [٤/٢٢١٦/ برقم: ٢٨٩٠]. (٢) الكشاف، الزمخشري [٣/٧].
(٣) الصحاح، الجوهري [٣/٤٣٣].
(٤) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني [ص٣٣٨].

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ۝٩﴾.

بإجابة دعائه؛ وإنما تولى تسميته تشريفاً له. ﴿لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا﴾ لم يسم أحد بيحيى قبله، وهو شاهد بأن التسمية بالأسامي الغريبة تنويه للمسمى. وقيل: سمياً شبيهاً كقوله تعالى: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥] لأن المتماثلين يتشاركان في الاسم، والأظهر أنه أعجمي، وإن كان عربياً فمنقول عن فعل كـ(يعيش) و(يعمر). وقيل: سمي به لأنه حيي به رحم أمه، أو لأن دين الله حيي بدعوته.

٨ - ٩ ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيًّا﴾ جساوة وقحولاً في المفاصل؛ وأصله: (عتوو) كـ(قعود) فاستثقلوا توالي الضمتين والواوين فكسروا التاء؛ فانقلبت الواو الأولى ياء، ثم قلبت الثانية وأدغمت، وقرأ حمزة والكسائي وحفص: (عِتِيّاً) بالكسر، وإنما استعجب الولد من شيخ فَانٍ وعجوز عاقر؛ اعترافاً بأن المؤثر فيه كمال قدرته، وأن الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك: ﴿قَالَ﴾؛ أي: الله تعالى أو الملك المبلغ للبشارة تصديقاً له. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الأمر كذلك، ويجوز أن تكون الكاف منصوبة بـ(قال) في: ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ وذلك إشارة إلى مبهم يفسره. ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ﴾ ويؤيد الأول ....

نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ [تنويه للمسمى]؛ أي: ارتفاع له [جساوة] بجيم وسين مهملة مِنْ جَسَا الشيخ جسوا بلغ غاية السن قاله الجوهري[(١)] [وقحولاً في المفاصل] من «قَحَلَ»: الشيء قُحولاً يبس جلده؛ قاله الجوهري[(٢)]. [وأدغمت]؛ أي: الأولى فيها [الأمر كذلك] أشار به إلى أنَّ «كذلك» محله الرفع خبر مبتدأ محذوف [ويؤيد الأول]؛ أي:

---

(١) الصحاح، الجوهري [٨/ ١٩٧].
(٢) الصحاح، الجوهري [٧/ ١٠٠].

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾﴾.

قراءة من قرأ: (وهُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ)؛ أي: الأمر كما قلت، أو كما وعدت، وهو على ذلك يهون علي، أو كما وعدت وهو عليَّ هين لا أحتاج فيما أريد أن أفعله إلى الأسباب، ومفعول قال الثاني محذوف. ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ بل كنت معدوماً صرفاً، وفيه دليل على أن المعدوم ليس بشيء، وقرأ حمزة والكسائي: (وقد خلقناك).

﴿١٠﴾ - ﴿١١﴾ ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ علامة أعلم بها وقوع ما بشرتني به. ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ سَوِيُّ الخَلْقِ ما بك من خرس ولا بكم؛ وإنما ذكر الليالي هنا والأيام في (آل عمران) للدلالة على أنه استمر عليه المنع من كلام الناس، والتجرد للذكر والشكر؛ ثلاثة أيام ولياليهن. ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ من المصلى، أو من الغرفة. ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾ فأومأ إليهم لقوله: ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ [آل عمران: ٤١]. وقيل: كتب لهم على الأرض. ﴿أَن سَبِّحُوا۟﴾ صلّوا أو نزهوا ربكم. ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ طرفي النهار، ولعله كان مأموراً بأن يسبح ويأمر قومه بأن يوافقوه، و(أَنْ) تحتمل أن تكون مصدرية، وأن تكون مفسرة.

﴿١٢﴾ - ﴿١٣﴾ ﴿يَٰيَحْيَىٰ﴾ على تقدير القول ﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة

وهو كون «كذلك» خبر مبتدأ محذوف [قراءة من قرأ «وهو علي هين»]؛ لأن الواو لا يناسبها أن يكون ما بعدها مقولاً لما قبلها بخلاف تركها [أي: الأمر كما قلت أو كما وعدت..] إلى آخره. جعل فيه اسم الإشارة راجعاً إلى أحد هذين الأمرين الصادق بهما وفي قوله بعد: «أو كما وعدت..» إلى آخره. راجعاً إلى الأمر الثاني فقط [فأوي إليهم لقوله]؛ أي: في سورة «آل عمران».

۞ ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانًا شَرۡقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابًا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾.

﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجد واستظهار بالتوفيق. ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيًّا﴾؛ يعني: الحكمة وفهم التوراة، وقيل: النبوة؛ أحكم الله عقله في صباه واستنبأه. ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ ورحمة منا عليه، أو رحمة وتعطفاً في قلبه على أبويه وغيرهما. عطف على (الحكم). ﴿وَزَكَوٰةً﴾ وطهارة من الذنوب أو صدقة؛ أي: تصدق الله به على أبويه، أو مكنه ووفقه للتصدق على الناس. ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ مطيعاً متجنباً عن المعاصي.

﴿١٤﴾ ـ ﴿١٥﴾ ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيۡهِ﴾ وباراً بهما. ﴿وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ عاقاً أو عاصي ربه. ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ﴾ من الله ﴿يَوۡمَ وُلِدَ﴾ من أن يناله الشيطان بما ينال به بني آدم. ﴿وَيَوۡمَ يَمُوتُ﴾ من عذاب القبر ﴿وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيًّا﴾ من عذاب النار وهول القيامة.

﴿١٦﴾ ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ في القرآن ﴿مَرۡيَمَ﴾؛ يعني: قصتها ﴿إِذِ ٱنتَبَذَتۡ﴾ اعتزلت، بدل من (مَرْيَم) بدل الاشتمال؛ لأن الأحيان مشتملة على ما فيها، أو بدل الكل لأن المراد بـ(مَرْيَم) قصتها؛ وبالظرف الأمر الواقع فيه وهما واحد، أو ظرف لمضاف مقدر وقيل: (إِذ) بمعنى: (أن) المصدرية كقولك: أكرمتك إذ لم تكرمني؛ فتكون بدلاً لا محالة. ﴿مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانًا شَرۡقِيًّا﴾ شرقي بيت المقدس، أو شرقي دارها؛ ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة. و(مكاناً) ظرف أو مفعول؛ لأن (انْتَبَذَتْ) متضمن معنى: أتت.

﴿١٧﴾ ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابًا﴾ ستراً. ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ

[أو ظرف لمضاف مقدر] تقديره خبر مريم وهو أولى من كونه بدلاً؛ لأن

۞ ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾.

لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ قيل: قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض متحجبة بشيء يسترها ـ وكانت تتحول من المسجد إلى بيت خالتها إذا حاضت وتعود إليه إذا طهرت ـ فبينما هي في مغتسلها أتاها جبريل عليه السلام متمثلاً بصورة شاب أمرد سوي الخلق لتستأنس بكلامه، ولعله لتهييج شهوتها به فتنحدر نطفتها إلى رَحِمِها.

﴿١٨﴾ ـ ﴿١٩﴾ ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ﴾ من غاية عفافها ﴿إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ تتقي الله وتحتفل بالاستعاذة، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله؛ أي: فإني عائذة منك، أو فتتعظ بتعويذي، أو فلا تتعرض لي، ويجوز أن يكون للمبالغة؛ أي: إن كنت تقياً متورعاً فإني أتعوذ منك فكيف إذا لم تكن كذلك. ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ الذي استعذت به. ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا﴾؛ أي: لأكون سبباً في هبته بالنفخ في الدرع، ويجوز أن يكون حكاية لقول الله تعالى، ويؤيده قراءة أبي عمرو والأكثر عن نافع ويعقوب بالياء. ﴿زَكِيًّا﴾ طاهراً من الذنوب، أو نامياً على الخير؛ أي: مترقياً من سنّ إلى سنّ على الخير والصلاح.

﴿٢٠﴾ ـ ﴿٢١﴾ ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ ولم يباشرني

حذف مفرد أولى من حذف جملة(١) [لتستأنس بكلامه] تعليل لتمثل جبريل بصورة آدمي إذ لو كان أتاها في الصورة الملكية لنَفَرت منه ولم تقدر على استماع كلامه [ولعله لتهييج شهوتها]؛ أي: مع أمنها الفتنة لعفَّتِها [وتحتفل بالاستعاذة]؛ أي: تبالي

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١٢/٥١].

۞ ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ۝٢٢﴾.

رجل بالحلال، فإن هذه الكنايات إنما تطلق فيه، أما الزنا فإنما يقال فيه: خبُثَ بها، وفجر، ونحو ذلك. ويعضده عطف قوله: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ عليه. وهو فعول من البغي قلبت واوه ياء وأدغمت ثم كسرت الغين اتباعاً، ولذلك لم تلحقه التاء. أو فعيل بمعنى: فاعل، ولم تلحقه التاء لأنه للمبالغة، أو للنسب كـ(طالق). ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ﴾؛ أي: ونفعل ذلك لنجعله آية، أو لنبين به قدرتنا ولنجعله، وقيل: عطف على (ليهب) على طريقة الالتفات. ﴿ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ علامة لهم وبرهاناً على كمال قدرتنا ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّاۚ﴾ على العباد يهتدون بإرشاده. ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾؛ أي: تعلق به قضاء الله في الأزل، أو قُدِّر وسطّر في اللوح أو كان أمراً حقيقاً بأن يقضى ويفعل لكونه آية ورحمة.

۝٢٢ ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ بأن نفخ في درعها فدخلت النفخة في جوفها وكان مدة حملها سبعة أشهر، وقيل: ستة، وقيل: ثمانية، ولم يعش مولود وضع لثمانية غيره، وقيل: ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلاث عشرة سنة، وقيل: عشر سنين وقد حاضت حيضتين. ﴿فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ﴾ فاعتزلت وهو في بطنها كقوله:

بها [**فإن هذه الكنايات إنما تطلق فيه**]؛ أي: في الحلالِ والكنايات هنا في ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ [آل عمران: ٤٠] وفي «المسّ»؛ لأنهما كنايتان عن النكاح الحلال، وعبر بهذه الكنايات دون هاتين الكنايتين جرياً على أن أقل الجمع اثنان [**ويعضده عطف قوله:** ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠]]؛ أي: لأن العطف يقتضي التغاير[(١)] [**على طريقة الالتفات**]؛ أي: من الغيبة إلى التكلم.

[**تعلق به قضاء الله في الأزل**] الجار متعلق بقضاء لا يتعلق [**كقوله:**

---

(١) انظر: اللباب، ابن عادل [١٣/ ٣٥].

۞ ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾.

(تَدُوسُ بِنَا الجَماجِم وَالتَرِيبَا) والجار والمجرور في موضع الحال. ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ بعيداً من أهلها وراء الجبل وقيل: أقصى الدار.

﴿٢٣﴾ ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ﴾ فألجأها المخاض، وهو في الأصل منقول من: (جاء) لكنه خص به في الاستعمال كآتى في أعطى وقرئ: (المِخَاض) بالكسر، وهما مصدر: (مخضت المرأة) إذا تحرك الولد في بطنها للخروج. ﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة، وهو ما بين العرق والغصن، وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء.

[.................................... تدوس ....]

أي: خيولنا [الجماجم] جمع جمجمة وهي عظم الرأس المشتمل على الدماغ [والتّرِيبا] أصله تريبَة واحدة الترائب وهي عظام الصدر وقبل ذلك:

كأن خيولَنا كانت قديماً تُسقَّى في قُحوفهمِ الحليبا

فمرّت غير نافرةٍ عليهم تدوس ....

إلى آخره(١)، والمعنى: كانت خيولنا ونحن على ظهورها تدوس جماجم أعدائنا وترائبهم. والشاهد في الجار والمجرور حيث وقع حالاً في البيت كالآية كما أشار إليه بقوله: [والجار والمجرور في موضع الحال]؛ أي: من الضمير المستتر فيما قبلهما(٢) [لكنه]؛ أي: أجاء [خص به]؛ أي: بمعنى «الإلجاء» [في الاستعمال كآتي] بالمد [في أعطى]؛ أي: فإنه منقول من أتى بالقصر لكنه خص بمعنى الإعطاء في الاستعمال.

---

(١) البيت لأبي الطيب المتنبي. انظر: الحماسة المغربية، الجرّاوي [ص٧٠].

(٢) أي: تدوس الجماجم ونحن على ظهورها، ومريم عليها السلام انتبذت به وهو في بطنها. انظر: اللباب، ابن عادل [١٣/ ٣٧]، الكشاف، الزمخشري [٤/ ٧٥]، الدر المصون، السمين الحلبي [١٢/ ٥٣].

۞ ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤﴾.

والتعريف إما للجنس أو للعهد؛ إذ لم يكن ثم غيرها، وكانت كالمتعالم عند الناس، ولعله تعالى ألهمها ذلك ليريها من آياته ما يسكن روعتها ويطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها. ﴿قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا﴾ استحياء من الناس ومخافة لومهم. وقرأ أبو عمرو وابن كثير وابن عامر وأبو بكر: (مُتُّ) من: (مات يموت). ﴿وَكُنتُ نَسۡيٗا﴾ ما من شأنه أن ينسى ولا يطلب، ونظيره: الذبح لما يذبح، وقرأ حمزة وحفص بالفتح وهو لغة فيه، أو مصدر سمي به، وقرئ به وبالهمز: وهو الحليب المخلوط بالماء؛ ينسؤه أهلُه لقلته. ﴿مَّنسِيّٗا﴾ منسيَّ الذِّكْرِ بحيث لا يخطر ببالهم، وقرئ بكسر الميم على الاتباع.

٢٤ ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ﴾ عيسى، وقيل: جبريل كان يقبل الولد، وقيل: تحتها أسفل من مكانها. وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص وروح: (مِنْ تَحْتِها) بالكسر والجر على أن في (نادى) ضمير أحدهما، ....

[كالمتعالم عند الناس]؛ أي: كالمعلوم عندهم [الذي هو طعامها خُرْسة النفساء] الأولى قول «الكشاف»[(١)]: الذي هو «خُرْسة النفساء» وهي بخاء معجمة مضمومة «طعام النفساء» وهو مراد الجوهري[(٢)] بقوله: طعام الولادة [وقرئ: من مات يموت] في نسخة: «وقرأ أبو عمر وابن كثير وابن عامر وأبو بكر: من مات يموت»، وهي أحسن، فغيرهم قرأ بالكسر من مات يمات [وقرئ به وبالهمز..] إلى آخره. يقال لشارب اللبن: صببت عليه الماء فاستهلك اللبن فيه لقلته، فكأنها تمنت أن نكون مثل ذلك اللبن الذي لا يُرى ولا يتميّز من الماء.

[وقرئ بكسر الميم على الإتباع]؛ أي: على اتباع كسرتها لكسره السين كالمِنْخر[(٣)] [كأن تقبل الولد]؛ أي: كالقابلة [على أن في نادى ضمير أحدهما]؛ أي:

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ١٣]. (٢) الصحاح، الجوهري [١/ ١٦٧].
(٣) السبع في القراءات، ابن مجاهد أبو بكر البغدادي [ص٤٠٨].

۞ ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾.

وقيل: الضمير في (تحتها) للـ(النخلة). ﴿أَلَّا تَحْزَنِى﴾؛ أي: لا تحزني أو بأن لا تحزني ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ جدولاً. هكذا روي مرفوعاً، وقيل: سيداً؛ من: (السرو) وهو عيسى عليه الصلاة والسلام.

﴿٢٥﴾ ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ وأميليه إليك. و(الباء) مزيدة للتأكيد، أو افعلي الهزَّ والإمالة به، أو (هُزِّي) الثمرة بهزّه؛ و(الهزُّ) تحريك بجذب ودفع. ﴿تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ﴾ تتساقط فأدغمت التاء الثانية في السين وحذفها حمزة، وقرأ يعقوب بالياء وحفص: (تُساقِطْ) من: (ساقطت) بمعنى: أسقطت، وقرئ: (تَتَسَاقط) و(تُسْقِط) و(يُسْقِط) فالتاء للنخلة، والياء للجذع. ﴿رُطَبًا جَنِيًّا﴾ تمييز أو مفعول. روي: أنها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر، وكان الوقت شتاء؛ فهزتها فجعل الله تعالى لها رأساً وخوصاً ورطباً. وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها؛ فإن مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش. والمنبهة لمن رآها

«عيسى» أو «جبريل» [وقيل: **الضمير في تحتها للنخلة**] فهو على الأول لـ«مريم» [أي: **لا تحزني**..] إلى آخره. أشار به إلى أن إن زائدة ومفسرة [**جدولاً**] هو النهر الصغير [**والهزّ تحريك بجذب ودفع**] هو تفسير مراد للميل وإلا فالميل والهزّ متغايران مفهوماً [**وتسقط**]؛ أي: وقرئ تسقط بالتاء والياء بفتحها مع ضم القاف وبضمها مع كسر القاف.

[**رطباً جَنيّاً تمييزاً ومفعول**] وللتنويع؛ أي: إن قُرئ بفتح التاء والياء فهو تمييز نحو «تصبّب الفرس عرقاً» أو بضمها فهو مفعول[1] [**وتسليتها بذلك**]؛ أي: بما هي لها من السِّري أو الرطب [**لما فيه من المعجزات**]؛ أي: لا من كونه شراباً وطعاماً؛ لأن حزنها لم يكن لفقدهما حتى تُسَلّى بهما [**والمشتبهة**] عطف على «الدالة» [**لمن رآها**]؛

---

(١) إبراز المعاني، أبو شامة [٢/ ٢٧٤].

﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾.

على أن من قدر أن يُثْمِر النخلة اليابسة في الشتاء قدر أن يحبِّلَها من غير فحل، وأنه ليس ببدع من شأنها مع ما فيه من الشراب والطعام؛ ولذلك رتب عليه الأمرين فقال:

﴿٢٦﴾ ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي﴾؛ أي: من الرطب وماء السرى، أو من الرطب وعصيره. ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ وطيبي نفسك وارفضي عنها ما أحزنك، وقرئ: (وقِرِّي) بالكسر وهو لغة نجد. واشتقاقه من: (القرار) فإن العين إذا رأت ما يسرّ النفس سكنت إليه من النظر إلى غيره، أو من: (القرّ) فإن دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة؛ ولذلك يقال: (قرة العين) للمحبوب، و(سخنتها) للمكروه. ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ فإن تري آدمياً، وقرئ: (ترئن) على لغة من يقول: لبّأتُ بالحج؛ لتآخ بين الهمزة وحرف اللين. ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ صمتاً؛ وقد قرئ به، أو (صياماً) وكانوا لا يتكلمون في صيامهم. ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ بعد أن أخبرتكم بنذري؛ وإنما أكلم الملائكة وأناجي ربي! وقيل: أخبرتهم بنذرها بالإشارة وأمرها بذلك لكراهة المجادلة والاكتفاء بكلام عيسى عليه الصلاة والسلام؛ فإنه قاطع في قطع الطاعن.

أي: مريم [عليه]؛ أي: على ذلك المهيأ لها [على أن من قدر] متعلق بـ«المنبهة» [وأنه] عطف على «أن من قدر» والضمير لإحبالها من غير فحل [مع ما فيه]؛ أي: في ذلك المهيأ.

[أمرين] في نسخة: «الأمرين» [وماء السريّ]؛ أي: على تفسيره بالجدول [وقُرئ بالكسر]؛ أي: بكسر القاف[1] [من النظر] من بدلية [أو من القُرّ] بضم القاف البرد [لَبّأْتُ بالحج] أصله لبَّيْتُ أبدلت الباء الثانية ياء ثم أبدلت الياء همزة

---

(١) جامع البيان، الطبري [١٨/ ١٨٢].

۞ ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ
هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ
مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾.

﴿٢٧﴾ - ﴿٢٨﴾ ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ﴾؛ أي: مع ولدها. ﴿قَوْمَهَا﴾ راجعة إليهم بعد ما طهرت من النفاس ﴿تَحْمِلُهُۥ﴾ حاملة إياه ﴿قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾؛ أي: بديعاً منكراً؛ من: فرى الجلد. ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ يعنون هارون النبي عليه الصلاة والسلام، وكانت من أعقاب من كان معه في طبقة الأخوة، وقيل: كانت من نسله، وكان بينهما ألف سنة. وقيل: هو رجل صالح أو طالح كان في زمانهم شبهوها به تهكماً، أو لما رأوا قبل من صلاحها أو شتموها به. ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ تقرير لأن ما جاءت به فري. وتنبيه على أن الفواحش من أولاد الصالحين أَفْحَش.

﴿٢٩﴾ - ﴿٣٠﴾ ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ إلى عيسى عليه الصلاة والسلام؛ أي: كَلِّمُوه ليجيبكم. ﴿قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ ولم نعهد صبياً في المهد كلَّمَهُ عاقل، و(كانَ) زائدة والظرف صلة (مَنْ) و(صَبِيّاً) حال من

[مع ولدها] تفسير للباء والضمير في قوله: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ﴾ [حاملة إياه] أشار إلى أَنَّ ﴿تَحْمِلُهُۥ﴾ حال؛ أي: منها أو منه أو منهما [أي: بديعاً] أي؛ لأن الشيء البديع مقطوع عن نظائره إذ ليس له نظائر [من فَرَى الجلد]؛ أي: قطعه تبع فيه «الكشاف»(١) والأَوْلَى مِنْ إفراء الجلد؛ لأن المعنى عليه قال الجوهري(٢) أفريت الأديم قطعته على جهة الإفساد وفريته قطعته على جهة الإصلاح [وقيل: هو رجل صالح أو طالح] إلى آخره، رتب على الأول قوله: «شبهوها به تهكماً أو لما رأوا قبل من صلاحها» وعلى الثاني قوله: أو شتموها به.

[والظرف صلة «مَنْ»] بجعل «مَنْ» موصولة وجوّز بعضهم كونها نكرة موصوفة،

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١٦/٣].
(٢) الصحاح، الجوهري [٤٣/٢].

۞ ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا
(٣١) وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ
وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣)﴾.

المستكن فيه، أو تامة، أو دائمة كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧] أو بمعنى: صار. ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ أنطقه الله تعالى به أولاً؛ لأنه أول المقامات والرد على من يزعم ربوبيته. ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الإنجيل ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

(٣١) ـ (٣٣) ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ نفّاعاً معلماً للخير. والتعبير بلفظ الماضي إما باعتبار ما سبق في قضائه، أو بجعل المحقق وقوعه كالواقع وقيل: أكمل الله عقله واستنبأه طفلاً. ﴿أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ حيث كنت ﴿وَأَوْصَٰنِي﴾ وأمرني ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ زكاة المال إن ملكته، أو تطهير النفس عن الرذائل. ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾. ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي﴾ وباراً بها عطف على (مُبارَكاً)، وقرئ بالكسر على أنه مصدر وصف به، أو منصوب بفعل دل عليه (أوصاني)؛ أي: وكلفني براً؛ ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفاً على (بِالصَّلاةِ). ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ عند الله من فرط تكبره. ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ كما هو على يحيى، والتعريف للعهد، والأظهر أنه للجنس، والتعريض باللعن على أعدائه؛ فإنه لما جعل جنس السلام على نفسه عرض بأن ضده عليهم كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [طه: ٤٧] فإنه تعريض بأن العذاب على من كذب وتولى.

وبعضهم كونها شرطية؛ أي: «مَن يكن في المهد صبيّاً كيف نكلمه»(١) [عند الله] فيه إقامة الظاهر مقام المضمر من فرط تكبُّره بيان لجبّار [والتعريض] بالجر عطف على

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١٢/ ٦٤].

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿٣٤﴾ ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ﴾؛ أي: الذي تقدم نعته هو عيسى ابن مريم لا ما يصفه النصارى، وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه الأبلغ والطريق البرهاني؛ حيث جعله موصوفاً بأضداد ما يصفونه ثم عكس الحكم. ﴿قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ﴾ خبر محذوف؛ أي: هو قول الحق الذي لا ريب فيه. والإضافة للبيان والضمير للكلام السابق أو لتمام القصة. وقيل: صفة (عِيسَى) أو بدل، أو خبر ثان، ومعناه: كلمة الله. وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب: (قَوْلَ) بالنصب على أنه مصدر مؤكد. وقرئ: (قال الحق) وهو بمعنى القول. ﴿ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ﴾ في أمره؛ يشكون أو يتنازعون، فقالت اليهود: ساحر، وقالت النصارى: ابن الله. وقرئ بالتاء على الخطاب.

﴿٣٥﴾ ـ ﴿٣٦﴾ ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ﴾ تكذيب للنصارى وتنزيه لله تعالى عما بهتوه. ﴿يَمۡتَرُونَ﴾ تبكيت لهم، فإن من إذا أراد شيئاً أوجده بـ(كُنْ) كان منزهاً عن شبه الخلق إلى الحاجة في اتخاذ الولد بإحبال الإناث، وقرأ ابن عامر: (فَيَكُونَ) بالنصب على الجواب. ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ سبق تفسيره في سورة (آل عمران)، وقرأ

الجنس [أي: الذي تقدم نعته]؛ أي: بقوله: ﴿إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾ [هو عيسى ابن مريم]؛ أي: هو المسمى به [لا ما تصفه النصارى] بقولهم: إنه الله، أو ابنه، أو إله ثالث؛ أي: فليس هو المسمى به [حيث جعله الموصوف بأضداد ما يصفونه] قضيته تأخير ذلك عن عيسى ابن مريم؛ لأنه المحكوم به لكنه عكس الحكم حيث قدمه عليه كما ذكره بقوله: [ثم عكس الحكم]؛ أي: للأبلغية المشار إليها في كلامه قبل.

[عما بهتوه]؛ أي: افتروه قال الجوهري: «بهته بهتاً»: وبهتاناً فهو بَهَّات؛ أي:

۞ ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾.

الحجازيان والبصريان: (وَأَنَّ) بالفتح على ولأن، وقيل: إنه معطوف على (بِالصَّلاةِ).

﴿٣٧﴾ ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ اليهود والنصارى، أو فرق النصارى: نسطورية قالوا: إنه ابن الله، ويعقوبية قالوا: هو الله هبط إلى الأرض ثم صعد إلى السماء، وملكانية: قالوا هو عبد الله ونبيه. ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزاؤه، وهو يوم القيامة، أو من وقت الشهود، أو من مكانه فيه، أو من شهادة ذلك اليوم عليهم؛ وهو أن تشهد عليهم الملائكة والأنبياء وألسنتهم وآرابهم وأرجلهم بالكفر والفسق، أو من وقت الشهادة، أو من مكانها. وقيل: هو ما شهدوا به في عيسى وأمه.

قال عليه ما لم يفعله فهو مبهوت[(١)] [وإنَّ بالفتح على «ولأنَّ»] أشار إلى أنّ الفتح بتقدير حذف حرف الجر متعلق بما بعده والتقدير: ولأنَّ ﴿اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]؛ أي: ولوحدانيته فلا تعبدوا غيره.

[أو فرق النصارى..] إلى آخره. بقي منه فرقة رابعة تسمى «إسرائيلية» قالت: هو إله وأمه إله والله إله [من شهود يوم عظيم..] إلى آخره. ذكر لـ«مشهد» سبعة أوجه؛ لأنه إما مصدر من «الشهود» بمعنى حضورهم هو للحساب، أو اسم زمانه، أو اسم مكانه، أو مصدر أيضاً بمعنى «شهادة ذلك اليوم عليهم»، أو اسم زمانها، أو اسم مكانها، أو شهادتهم في حق عيسى وأمه[(٢)]. وقوله: «وآرابهم» بمد الهمزة وفتح الراء جمع «إرب» بكسر الهمزة وهو العضو، ويُقال في جمعه أيضاً: «إرْآب» بالقصر وسكون الراء وبهمزة ممدودة بعدها[(٣)].

---

(١) الصحاح، الجوهري [٢/١١٦]. (٢) اللباب، ابن عادل [١٣/٦٧].
(٣) الفائق في غريب الحديث، الزمخشري [١/٣٧].

۞ ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿٣٨﴾ ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ تعجب معناه: أن استماعهم وأبصارهم. ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾؛ أي: يوم القيامة جدير بأن يتعجب منهما بعد ما كانوا صُمّاً عُمياً في الدنيا، أو التهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ. وقيل: أمر بأن يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه. والجار والمجرور على الأول في موضع الرفع، وعلى الثاني في موضع النصب: ﴿لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أوقع الظالمين موقع الضمير إشعاراً بأنهم ظلموا أنفسهم حيث أغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم، وسجل على إغفالهم بأنه ضلال بيّن.

﴿٣٩﴾ - ﴿٤٠﴾ ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ يوم يتحسر الناس المسيئ على إساءته والمحسن على قلة إحسانه. ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ فرغ من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنة والنار، و(إذ) بدل من (اليوم) أو ظرف للـ(حسرة). ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ حال متعلقة بقوله: ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [مريم: ٣٨] وما بينهما اعتراض، أو بـ(أَنْذِرْهُمْ)؛ أي: أنذرهم غافلين غير مؤمنين، فتكون حالاً متضمنة للتعليل. ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ لا يبقى غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك، أو نتوفى الأرض ومن عليها بالإفناء والإهلاك توفي الوارث لإرثه. ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ يردون للجزاء.

[أو التهديد] عطف على «أنَّ أسماعهم» [وقيل: أمر] مقابل لقوله بعجب [حال متعلقة]؛ أي: حالان متعلقان [بقوله: ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾] بمعنى: أنهما حالان من الضمير فيه [أو بـ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾]؛ أي: أنذرهم غافلين لا يرد عليه قوله: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا﴾؛ أي: الساعة لأن ذاك بالنسبة إلى النفع وهذا بالنسبة إلى تنبيه الغافل [توفى الوارث]؛ أي: كتوفيه وهو نظير لتفسيره الأول، ويحتمل أن يكون

۞ ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾﴾.

﴿٤١﴾ - ﴿٤٢﴾ ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا﴾ ملازماً للصدق، أو كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى وآياته وكتبه ورسله. ﴿نَبِيًّا﴾ استنبأه الله. ﴿إِذْ قَالَ﴾ بدل من (إِبْراهِيمَ) وما بينهما اعتراض، أو متعلق بـ(كانَ) أو بـ(صِدِّيقاً نَبِيّاً). ﴿لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ﴾ التاء معوضة من ياء الإضافة، ولذلك لا يقال: يا أبتي، ويقال: يا أبتا، وإنما تذكر للاستعطاف ولذلك كررها. ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ فيعرف حالك، ويسمع ذكرك، ويرى خضوعك. ﴿وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾ في جلب نفع أو دفع ضر، دعاه إلى الهدى وبيَّن ضلاله واحتج عليه أبلغ احتجاج وأرشقه برفق وحسن أدب، حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه إلى عبادة ما يستخف به العقل الصريح ويأبى الركون إليه، فضلاً عن عبادته التي هي غاية التعظيم، ولا تحق إلا لمن له الاستغناء التام والإنعام العام؛ وهو الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب المثيب. ونبّه على أن العاقل ينبغي أن يفعل ما يفعل لغرض صحيح، والشيء لو كان حياً مميزاً سميعاً بصيراً مقتدراً على النفع والضر ولكن كان ممكناً؛ لاستنكف العقل القويم من عبادته وإن كان أشرف الخلق كالملائكة والنبيين؛ لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة، فكيف إذا كان جماداً لا يسمع ولا يبصر، ثم دعاه

للثاني أيضاً بتأويل [أو متعلق] عطف على بدل [ولذلك لا يقال: يا أبتي]؛ أي: لما فيه من اجتماع العوض والمعوض منه[1].

[ويقال: يا أبتاه] لعدم اجتماع ذلك إذ الألف بدل من الياء لا من التاء [وأرشقه]؛

---

(١) يقصد أن التاء عوض عن الياء في النداء «يا أبتِ» و«يا أُمّتِ» فلا يجمع بين التاء والياء بقول: «يا أبتي». انظر: شرح ابن عقيل، الهمداني [٣/ ٢٧٦].

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾﴾.

إلى أن يتبعه ليهديه إلى الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظاً من العلم الإلٰهي مستقلاً بالنظر السوي فقال:

﴿٤٣﴾ - ﴿٤٤﴾ ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾ ولم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق؛ بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون أعرف بالطريق، ثم ثبطه عما كان عليه بأنه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر، فإنه في الحقيقة عبادة الشيطان من حيث إنه الآمر به فقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ ولما استهجن ذلك بيَّن وجه الضرّ فيه بأن الشيطان مستعص على ربك المولي للنعم كلها بقوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا﴾ ومعلوم أن المطاوع للعاصي عاص، وكل عاص حقيق بأن تسترد منه النعم وينتقم منه، ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجر إليه فقال:

﴿٤٥﴾ ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾ قريناً في اللعن والعذاب تليه ويليك، أو ثابتاً في موالاته فإنه أكبر من العذاب كما أن رضوان الله أكبر من الثواب. وذكر الخوف والمسّ وتنكير العذاب إما للمجاملة، أو لخفاء العاقبة. ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من بين جناياته لإرتقاء همته في الربانية، ....

أي: أحسنه من قولهم: رجل رشيق؛ أي: حسن القدّ [ثَبَّطَهُ ما كان عليه]؛ أي: شغله عنه [من حيث أنه الآمر به]؛ أي: بما كان عليه أبوه [استهجن ذلك]؛ أي: استقبحه [لارتقاء همته]؛ أي: همة إبراهيم عليه السلام [في الربانية]؛ أي: فلم يذكر من جنايات الشيطان إلا ما يختص برب العزة من معاداته بعصيانه له دون معاداته لآدم وذريته؛ لأن ذلك أعظم ما ارتكبه.

۞ ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾.

أو لأنه ملاكها، أو لأنه من حيث إنه نتيجة معاداته لآدم وذريته منبه عليها.

﴿٤٦﴾ ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ قابَلَ استعطافه ولطفه في الإرشاد بالفظاظة وغلظة العناد؛ فناداه باسمه ولم يقابل (يَا أَبَتِ): بـ(يا بني)، وأخّره وقدم الخبر على المبتدأ، وصدره بالهمزة؛ لإنكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب، كأنها مما لا يرغب عنها عاقل ثم هدده فقال: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ عن مقالك فيها أو الرغبة عنها. ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ بلساني؛ يعني: الشتم والذم، أو بالحجارة حتى تموت، أو تبعد مني. ﴿وَٱهْجُرْنِى﴾ عطف على ما دل عليه (لَأَرْجُمَنَّكَ)؛ أي: فاحذرني واهجرني. ﴿مَلِيًّا﴾ زماناً طويلاً، من: (الملاوة) أو ملياً بالذهاب عني.

﴿٤٧﴾ ـ ﴿٤٨﴾ ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ توديع ومتاركة، ومقابلة للسيئة بالحسنة؛ أي: لا أصيبك بمكروه، ولا أقول لك بعدُ ما يؤذيك! ولكن:

[أو لأنه]؛ أي: العصيان [ملاكها]؛ أي: الجنايات، وملاك الشيء ما يقوم به كما يقال: القلب ملاك الجسد قاله الجوهري[١]. [فنبه عليها]؛ أي: على نتيجة معاداته [بالفظاظة]؛ أي: الغلظ فعطف غلظة العناد عليها عطف تفسير [وقدم الخبر على المبتدأ] اختاره كـ«الكشاف»[٢]؛ لأنه أنسب بالمقام، وإلا فالأكثر على أنه مبتدأ لاعتماده على الاستفهام و«أنت» فاعل له سد مسد الخبر [كأنه]؛ أي: آلهته [من الملاوة] بتثليث الميم؛ أي: «الحين»، ومثله ملوة، يقال: عشت معه ملاوة أو ملوة؛ أي: حيناً من الدهر، قاله الجوهري[٣].

---

(١) الصحاح، الجوهري [٢/ ١٨١].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٢٢].
(٣) الصحاح، الجوهري [٨/ ٤٣٣].

۞ ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾.

﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ﴾ لعله يوفقك للتوبة والإيمان، فإن حقيقة الاستغفار للكافر إستدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته وقد مرَّ تقريره في سورة التوبة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ بليغاً في البرّ والإلطاف. ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ بالمهاجرة بديني ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّى﴾ وأعبده وحده ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾ خائباً ضائع السعي مثلكم في دعاء آلهتهم، وفي تصدير الكلام بـ(عَسى) التواضع وهضم النفس، والتنبيه على أن الإجابة والإثابة تفضل غير واجبتين، وأن ملاك الأمر خاتمته وهو غيب.

﴿٤٩﴾ ـ ﴿٥٠﴾ ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ بالهجرة إلى الشام. ﴿وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ﴾ بدل مَنْ فارَقَهُم منَ الكَفَرة، قيل: إنه لما قصد الشام أتى أولاً «حَرّان» وتزوج بسارة، وولدت له إسحاق وولد منه يعقوب، ولعل تخصيصهما بالذّكر لأنهما شجرتا الأنبياء، أو لأنه أراد أن يذكر إسماعيل بفضله على الانفراد. ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ وكلاً منهما أو منهم. ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ النبوة والأموال والأولاد. ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم، استجابة لدعوته ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤] والمراد باللسان ما يوجد به، ولسان العرب لغتهم، وإضافته إلى الصدق وتوصيفه بالعلو؛ للدلالة على أنهم أحقاء بما يثنون عليهم، وأن محامدهم لا تخفى على تباعد الأعصار، وتحول الدول، وتبدل الملل.

[**ولعل تخصيصهما بالذِّكْر**]؛ أي: دون إسماعيل [**أو لأنه أراد**]؛ أي: بعدم ذكره [**أن يذكر إسماعيل بفضل على الانفراد**]؛ أي: بقوله بعد: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ﴾ فترك ذكره مع إسحاق الذي هو أخوه لذلك [**استجابة لدعوته**]؛ أي: لدعوة إبراهيم عليه السلام وهي قوله في سورة «الشعراء»: [﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ وسيأتي بيانه ثَمَّ.

۞ ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾.

﴿٥١﴾ ـ ﴿٥٣﴾ ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا﴾ موحداً أخلص عبادته عن الشرك والرياء، أو أسلم وجهه لله وأخلص نفسه عما سواه، وقرأ الكوفيون بالفتح على أن الله أخلصه. ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ أرسله الله إلى الخلق فأنبأهم عنه ولذلك قدم (رَسُولاً) مع أنه أخلص وأعلى. ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ من ناحيته اليمنى من اليمين، وهي التي تلي يمين موسى من جانبه الميمون من اليمن بأن تمثل له الكلام من تلك الجهة. ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ﴾ تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته. ﴿نَجِيًّا﴾ مناجياً حال من أحد الضميرين. وقيل: مرتفعاً من النجوة وهو الارتفاع. لما روي: أنه رفع فوق السمٰوات حتى سمع صرير القلم. ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ﴾ من أجل رحمتنا أو بعض رحمتنا ﴿أَخَاهُ﴾ معاضدة أخيه وموازرته إجابة لدعوته: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ [طه: ٢٩] فإنه كان أسنَّ من موسى، وهو مفعول أو بدل على تقدير أن تكون (مِنْ) للتبعيض. ﴿هَٰرُونَ﴾ عطف بيان له. ﴿نَبِيًّا﴾ حال منه.

﴿٥٤﴾ ـ ﴿٥٥﴾ ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ ذكره بذلك لأنه المشهور به والموصوف بأشياء في هذا الباب لم تعهد من غيره،

[ولذلك]؛ أي: ولكون الإنباء مؤخراً عن الرسالة **[قدم رسولاً مع أنه أخلص وأعلى]**؛ أي: من النبي كما بيّنته في غير هذا الكتاب(١).

[حال من أحد الضميرين] في «وَقَرَّبْنَاهُ» **[وهو]**؛ أي: أخاه **[مفعول]**؛ أي:

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [٢١/١٩٨].

۞ ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾.

وناهيك أنه وعد الصبر على الذبح فقال: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢] فوفّى. ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ يدل على أن الرسول لا يلزم أن يكون صاحب شريعة، فإن أولاد إبراهيم كانوا على شريعته. ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ اشتغالاً بالأهم وهو أن يقبل الرجل على نفسه ومن هو أقرب الناس إليه بالتكميل، قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ [طه: ١٣٢]، ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦]. وقيل: أهلهُ أُمَّته؛ فإن الأنبياء آباء الأمم. ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ لاستقامة أقواله وأفعاله.

﴿٥٦﴾ ـ ﴿٥٧﴾ ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾ وهو سبط «شيث» وجَدُّ أبي نوح عليه السلام، واسمه «أخنوخ» واشتقاق «إدريس» من: (الدرس) يرده منع صرفه، نعم لا يبعد أن يكون معناه في تلك اللغة قريباً من ذلك فلقب به لكثرة درسه؛ إذ روي أنه تعالى أنزل عليه ثلاثين صحيفة، وأنه أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب. ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾؛ يعني: شرف النبوة والزلفى عند الله، وقيل: الجنة، وقيل: السماء السادسة أو الرابعة.

لـ«وهبنا» على تقدير أن تكون «من» للتعليل [**وناهيك أنه وعد الصبر على الذبح**] صيغة مدح مع تأكيد طلب مثل «حسبك من رجل» و«ناهيك عن رجل» قال الجوهري(١) وغيره: يقال ناهيك من رجل، ونهيك منه، ونهاك منه، وتأويله أنه بجده وعنائه ينهاك عن تطلب غيره. انتهى. فمعنى كلام المصنف: أنه لقوة صدق وعده ينهاك عن تطلب غيره [فـ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ [الكهف: ٦٩]] صوابه «من الصابرين» كما في «الكشاف»(٢) [**واسمه**]؛ أي: إدريس؛ أي: وكان اسمه [**أخنوخ**] كما عبر به «الكشاف»(٣) [**واشتقاق إدريس من الدرس، يرده منع صرفه**]؛

---

(١) الصحاح، الجوهري [٨/ ٤٥٦].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٢٥].
(٣) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٢٥].

۞ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩ ﴿٥٨﴾﴾.

﴿٥٨﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى المذكورين في السورة من زكريا إلى إدريس عليهم السلام. ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ بأنواع النعم الدينية والدنيوية ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ بيان للموصول. ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ بدل منه بإعادة الجار، ويجوز أن تكون (مِنَ) فيه للتبعيض؛ لأن المنعم عليهم أعمّ من الأنبياء وأخص من الذريّة. ﴿وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍ﴾؛ أي: ومن ذرية من حملنا خصوصاً، وهُمْ مَنْ عَدا إدريس؛ فإن إبراهيم كان من ذرية سام بن نوح. ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ الباقون. ﴿وَإِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ عطف على (إِبْراهِيمَ)؛ أي: ومن ذرية إسرائيل، وكان منهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى، وفيه دليل على أن أولاد البنات من الذرية. ﴿وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا﴾ ومن جملة من هديناهم إلى الحق. ﴿وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ﴾ للنبوة والكرامة. ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا﴾ خبر لـ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إن جعلت الموصول صفته، واستئناف إن جعلته خبره لبيان خشيتهم من الله وإخباتهم له مع ما لهم من علو الطبقة في شرف النسب، وكمال النفس والزلفى من الله تعالى. وعن النبي عليه الصلاة والسلام:

لأنه لو كان «أفعيلا» من الدرس لم يكن فيه إلا سبب واحد وهو العلَمية وكان منصرفاً فمنعُ الصرفِ دليلُ عجْمته [وهم]؛ أي: «ذرية من حملنا» **[من عدا إدريس فإن إبراهيم..]** إلى آخره. حقه أن يقول: فإن إدريس من ذرية آدم لقربه منه وإبراهيم من ذرية من حمل مع نوح؛ لأنه من ولد سام بن نوح وبذلك عبر «الكشاف»(١) ثم لا يخفى أنَّ ذِكْرَهُ ذرية من حملنا.. إلى آخره. من الخاص بعد العام؛ لأن المعطوفات داخلة في ذرية آدم.

[وفيه دليل]؛ أي: في ذكر عيسى من الذرية دليل على ما قاله **[وعن النبي ﷺ]**:

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٢٦].

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾.

«**اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكو فتباكوا**». والبُكيّ جمع: (باك) كـ(السجود) في جمع (ساجد). وقرئ: (يتلى) بالياء؛ لأن التأنيث غير حقيقي، وقرأ حمزة والكسائي: (بِكِيّاً) بكسر الباء.

﴿٥٩﴾ ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء؛ يقال: (خَلَف صدق) بالفتح، و(خَلْف سوء) بالسكون. ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ تركوها أو أخّروها عن وقتها. ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ﴾ كشرب الخمر، واستحلال نكاح الأخت من الأب، والانهماك في المعاصي. وعن علي رضي الله عنه في قوله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ﴾: مَنْ بَنَى الشديد، وركبَ المنظور، ولبس المشهور. ﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ شراً كقوله:

فَمَنْ يَلْقَ خَيْراً يَحْمِدِ النَاسُ أَمْرَه ... وَمَنْ يَغْوِ لَا يعْدِمْ عَلَى الغَيِّ لَائِماً

أو جزاء غيّ؛ كقوله تعالى: ﴿يَلۡقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨] أو غيّاً عن طريق الجنة، وقيل: هو واد في جهنم يستعيذ منه أوديتها.

«**اتلوا القرآن..**»] إلى آخره. رواه ابن ماجه وغيره(١) [**والانهماك**]؛ أي: الجد واللجاج يقال: «انهمك الرجل في الأمر»: أي: جدّ ولج، قاله الجوهري(٢) [**مِنْ بناء الشديد**]؛ أي: القوي [**وركب المنظور**]؛ أي: ما ينظر إليه الناس من فرس ونحوه لغير الجهاد [**ولبس المشهور**]؛ أي: الثياب الفاخرة [**كقوله**]؛ أي: قول الشاعر:

[**فمن يلْقَ خيراً يحمدِ الناسُ أمرَهُ ... ومَـــنْ يـــغـــو........................**]

بكسر الواو من غوِي وبالفتح من غوَي [**لا يعدَم على الغيِّ لائماً**](٣) «على الغيّ» متعلق بـ«لائماً» [**أو جزاء غيٍّ**] عطف على شرّاً [**وقيل: هو واد في جهنم يستعيذ منه أوديتها**] رواه الحاكم(٤) وصححه.

---

(١) سنن ابن ماجه [١/ ٤٢٤/ برقم: ١٣٣٧]. (٢) الصحاح، الجوهري [٢/ ٢٥٦].
(٣) الزاهر في معنى كلمات الناس، أبو بكر ابن الأنباري [٢/ ٢١٠].
(٤) مستدرك الحاكم [٢/ ٥٥١/ برقم: ٣٨٧٣].

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ٦٠
جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ٦١ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا
لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ٦٢﴾.

---

٦٠ ـ ٦١ ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ يدل على أن الآية في الكفرة. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر ويعقوب على البناء للمفعول؛ من (أدخل). ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ ولا ينقصون شيئاً من جزاء أعمالهم، ويجوز أن ينصب (شَيْئاً) على المصدر، وفيه تنبيه على أن كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص أجورهم. ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ بدل من (الجنة) بدل البعض لاشتمالها عليها، أو منصوب على المدح، وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، و(عدن) لأنه المضاف إليه في العلم، أو علم للـ(العدن)؛ بمعنى: الإقامة كبرة؛ ولذلك صحّ وصف ما أضيف إليه بقوله: ﴿ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾؛ أي: وعدها إياهم وهي غائبة عنهم، أو وهم غائبون عنها، أو وعدهم بإيمانهم بالغيب. ﴿إِنَّهُۥ﴾ إن الله. ﴿كَانَ وَعۡدُهُۥ﴾ الذي هو الجنة. ﴿مَأۡتِيّٗا﴾ يأتيها أهلها الموعود لهم لا محالة، وقيل: هو من أتى إليه إحساناً؛ أي: مفعولاً منجزاً.

٦٢ ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا﴾ فضول كلام. ﴿إِلَّا سَلَٰمٗاۖ﴾ ولكن يسمعون قولاً يسلمون فيه من العيب والنقيصة، أو تسليم الملائكة عليهم، أو تسليم بعضهم على بعض؛ على الاستثناء المنقطع، أو على أن معنى التسليم إن كان لغواً فلا يسمعون لغواً سواه كقوله:

[**وعَدْن علم**]؛ أي: علم شخص لأرض في الجنة [**لأنه المضاف إليه في العلم**]؛ أي: في بابه [**أو علم**]؛ أي: علم جنس [**للعدن**]؛ أي: لمعنى المعدن المفسر بقوله: [**بمعنى الإقامة**]؛ أي: في الجنة [**كبَرَّة**]؛ أي: فإنها علم جنس للمبرة بمعنى: البِرّ [**ولذلك**]؛ أي: ولكون «عدن» علم جنس.

[**صح وصف ما أضيف إليه**] وهو «جنات» [**بقوله: التي..**] إلخ، لدلالته على

۞ ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾.

وَلَا عَيْبَ فِيهِم غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُم ... بِهِنَّ فُلُولٌ من قِرَاعِ الكتائب

أو على أن معناه: الدعاء بالسلامة وأهلها أغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهراً وإنما فائدته الإكرام. ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ على عادة المتنعمين. والتوسط بين الزهادة والرغابة، وقيل: المراد دوام الرزق ودروره.

﴿٦٣﴾ ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقى على الوارث مال مورثه، والوراثة أقوى لفظ يستعمل في التملك والاستحقاق؛ من حيث إنها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع، ولا تبطل برد ولا إسقاط. وقيل: يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو أطاعوا زيادة في كرامتهم، وعن يعقوب ﴿نُوَرِّثُ﴾ بالتشديد.

﴿٦٤﴾ ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ حكاية قول جبريل عليه الصلاة والسلام حين استبطأه رسول الله ﷺ لما سئل عن قصة أصحاب الكهف، وذي القرنين، والروح، ولم يدر ما يجيب؟ ورجا أن يوحى إليه فيه! فأبطأ عليه خمسة عشر يوماً، وقيل: أربعين يوماً، حتى قال المشركون: وَدَّعَه ربه وقَلَاه؛ ثم نزل ببيان ذلك. و(التنزل): النزول على مهل؛ لأنه مطاوع نزل وقد يطلق بمعنى: النزول مطلقاً، كما يطلق (نزل) بمعنى: (أنزل)، والمعنى: وما ننزل وقتاً غب وقت إلا بأمر الله على ما تقتضيه حكمته، وقرئ: (وما يتنزل) بالياء والضمير للوحي. ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ وهو ما نحن فيه من الأماكن والأحايين لا ننتقل من مكان إلى مكان، ولا ننزل في زمان دون زمان؛ إلا بأمره ومشيئته. ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ

عموم المعنى المعروف في علم الجنس [ودُروره] بمهملة؛ أي: كثرته [فيه]؛ أي:

۞ ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾.

نَسِيًّا﴾ تاركاً لك؛ أي: ما كان عدم النزول إلا لعدم الأمر به، ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه إياك كما زعمت الكفرة؛ وإنما كان لحكمة رآها فيه. وقيل: أول الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة، والمعنى: وما ننزل الجنة إلا بأمر الله ولطفه، وهو مالك الأمور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ تقرير من الله لقولهم؛ أي: وما كان ربك نسياً لأعمال العاملين وما وعد لهم من الثواب عليها وقوله:

﴿٦٥﴾ ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ بيان لامتناع النسيان عليه، وهو خبر محذوف أو بدل من: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ خطاب للرسول ﷺ مرتب عليه؛ أي: لما عرفت ربك بأنه لا ينبغي له أن ينساك، أو أعمال العمال فأقبل على عبادته واصطبر عليها ولا تتشوش بإبطاء الوحي وهزء الكفرة، وإنما عدي باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمحارب: اصطبر لقرنك. ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ مثلاً يستحق أن يسمى إلٰهاً، أو أحداً سمي الله؛ فإن المشركين وإن سموا الصنم إلهاً لم يسموه الله قط، وذلك لظهور أحديته تعالى، وتعالى ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة، وهو تقرير للأمر؛ أي: إذا صح أن لا أحد مثله ولا يستحق العبادة غيره، لم يكن بد من التسليم لأمره، والاشتغال بعبادته، والاصطبار على مشاقها.

﴿٦٦﴾ ـ ﴿٦٧﴾ ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ المراد به: الجنس بأسره؛ فإن المقول

فيما أسيل عنه [**وإنما عدي باللام**]؛ أي: بـ«على» التي يتعدى بها.

۞ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾.

مقول فيما بينهم؛ وإن لم يقله كلهم كقولك: بنو فلان قتلوا فلاناً؛ والقاتل واحد منهم، أو بعضهم. المعهود وهم الكفرة أو أُبَيّ بن خلف؛ فإنه أخذ عظاماً بالية ففتّها وقال: يزعم محمد أنّا نُبعَث بعد ما نموت. ﴿أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ من الأرض أو من حال الموت. وتقديم الظرف وإيلاؤه حرف الإنكار؛ لأن المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة، وانتصابه بفعل دل عليه (أُخْرَجُ) لا به؛ فإن ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها، وهي ها هنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام في: يا ألله؛ للتعويض فساغ اقترانها بحرف الاستقبال. وروي عن ابن ذكوان: (إذا ما مِتُّ) بهمزة واحدة مكسورة على الخبر. ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ﴾ عطف على (يَقُولُ)، وتوسيط همزة الإنكار بينه وبين العاطف مع أن الأصل أن يتقدمهما للدلالة على أن المنكر بالذات هو المعطوف وأن المعطوف عليه إنما نشأ منه فإنه لو تذكر وتأمل: ﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ بل كان عَدَماً صرفاً، لم يقل ذلك؛ فإنه أعجب من جمع المواد بعد التفريق وإيجاد مثل ما كان فيها من الأعراض. وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب: (يَذْكُرُ) من الذِّكْر الذي يراد به التفكر، وقرئ: (يتذكر) على الأصل.

﴿٦٨﴾ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ أقسم باسمه تعالى مضافاً إلى نبيِّه تحقيقاً

[مع أن الأصل تتقدمها]؛ يعني: أن تتقدم الهمزة المعطوف عليه والعاطف والمعطوف هذا، والأوجَه أن تتقدمهما بالتثنية؛ أي: المعطوف عليه والعاطف اللازم منه تقدمها على المعطوف أو أن تتقدمه بالإفراد؛ أي: أن تتقدم المعطوف عليه اللازم منه تقدمها على الآخرين [للدلالة] إلخ تعليل لتوسطها بين الأمرين **[وقالوا عن يعقوب]** فيه ما مرّ في مثله في سورة «الكهف»[1].

---

(١) قراءة: «نورّث» بفتح الواو وتشديد الراء. انظر: اتحاف فضلاء البشر، الدمياطي [ص٥٣١].

۞ ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾.

للأمر، وتفخيماً لشأن رسول الله ﷺ. ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾ عطف، أو مفعول معه لما روي أن الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم كل مع شيطانه في سلسلة، وهذا وإن كان مخصوصاً بهم ساغ نسبته إلى الجنس بأسره؛ فإنهم إذا حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا جميعاً معهم. ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ ليرى السعداء ما نجاهم الله منه فيزدادوا غبطة وسروراً، وينال الأشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظاً من رجوع السعداء عنهم إلى دار الثواب وشماتتهم عليهم ﴿جِثِيًّا﴾ على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع، أو لأنه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل إلى الثواب والعقاب، وأهل الموقف جاثون لقوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية: ٢٨] على المعتاد في مواقف التقاول، وإن كان المراد بالإنسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف إلى شاطئ جهنم إهانة بهم، أو لعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدة. وقرأ حمزة والكسائي وحفص: (جِثِيّاً) بكسر الجيم.

﴿٦٩﴾ - ﴿٧٠﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ من كل أمة شاعت ديناً ﴿أَيُّهُمْ

[**والشياطين عطف**]؛ أي: على ضمير «لنحشرنهم» [**وهذا**]؛ أي: حشر الكفرة مقرونين مع الشياطين [**وإن كان مخصوصاً بهم**]؛ أي: بالكفرة [**ساغ نسبته**]؛ أي: الحشر [**إلى الجنس بأسره**]؛ أي: جنس الإنسان.

[**وشماتتهم**]؛ أي: السعداء [**عليهم**]؛ أي: على الأشقياء والأولى بهم كما في «الكشاف»[1] [**تدهمهم**]؛ أي: تفاجئهم [**من هول المطلع**] الهول الخوف والأمر الشديد، والمطلع بفتح اللام وكسرها مكان الاطلاع من موضع عال، يقال: مطلع هذا الجبل من مكان كذا؛ أي: مأتاه ومصعده قاله ابن الأثير[2]. [**أو لأنه من توابع المواقف للحساب**] عطف على «لما تدهمهم» [**ثم لننزعنّ**]؛ أي: لنخرجن

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٣٥].

(٢) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير [٥/ ١٨٩].

﴿أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ من كان أعصى وأعتى منهم فنطرحهم فيها، وفي ذكر الأشد تنبيه على أنه تعالى يعفو كثيراً من أهل العصيان ولو خص ذلك بالكفرة؛ فالمراد أنه يميز طوائفهم أعتاهم فأعتاهم ويطرحهم في النار على الترتيب، أو يدخل كلاً طبقتها التي تليق به، (وأَيُّهُمْ) مبني على الضم عند سيبويه؛ لأن حقه أن يبنى كسائر الموصولات، لكنه أعرب حملاً على (كُلٍّ) وبعض للزوم الإضافة، وإذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد إلى حقه منصوب المحل بـ(ننزعن) ولذلك قرئ منصوباً. ومرفوع عند غيره إما بالإبتداء على أنه استفهامي وخبره (أَشَدُّ)، والجملة محكية وتقدير الكلام: لَنَنْزِعَنَّ من كل شيعة الذين يقال فيهم: أيهم أشد. أو معلق عنها (لننزعن) لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم، أو مستأنفة والفعل واقع على (مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ) على زيادة (مِنْ) أو على معنى: لننزعن بعض كل شيعة. وإما بـ(شيعة) لأنها بمعنى: (تشيع) و(على) للبيان، أو متعلق بـ(افعل) وكذا الباء في قوله: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾؛ أي: لنحن أعلم بالذين هم أولى بالصِّلِي، أو صليّهم أولى بالنار وهم المنتزعون، ويجوز أن يراد

[**ومرفوع عند غيره**] عطف على «مبني على الضم عند سيبويه» [**أو معلق عنها**] عطف على «محكيه» [**لتضمنه**]؛ أي: «لننزعن».

[**معنى التمييز اللازم للعلم**]؛ أي: بناء على أن التعليق يختص بأفعال القلوب والعلم منها دون «النزع» وهذا رأي الجمهور وذهب يونس إلى أنه لا يختص بها وعليه فلا حاجة للتضمّن المذكور[1] [**وأما بشيعة**] عطف على «أما» بالابتداء [**وعلى للبيان**]؛ أي: لا لصلة عتياً فيتعلق بمحذوف [**أو متعلق بـ«أفعل»**]؛ أي: وهو أشد [**وكذا الباء**]؛ أي: في «بها» [**في قوله: ثم لنحنُ..**] إلى آخره.

[**أي: لنحن أعلم بالذين هم أولى بالصلي أو صليهم أولى بالنار**] كأنه أشار بالأول إلى أن الباء للبيان، وبالثاني إلى أنها متعلقة بـ«أفعل» الذي هو أولى،

---

(١) انظر: شرح الكافية الشافية، ابن مالك [٢/ ٥٥٩].

۞ ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾.

بـ(هم) وبـ(أشدهم عتياً) رؤساء الشيع؛ فإن عذابهم مضاعف لضلالهم وإضلالهم. وقرأ حمزة والكسائي وحفص: (صِلِيّاً) بكسر الصاد.

﴿٧١﴾ - ﴿٧٢﴾ ﴿وَإِن مِّنكُمْ﴾ وما منكم؛ التفات إلى الإنسان، ويؤيده أنه قرئ: (وَإِن منهم). ﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾ إلا واصلها، وحاضر دونها يمرُّ بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم. وعن جابر رضي الله عنه أنه عليه السلام سئل عنه فقال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض: أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار؟! فيقال لهم: قد وردتموها وهي خامدة**». وأما قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]؛ فالمراد: عن عذابها. وقيل: (ورودها): الجواز على الصراط؛ فإنه ممدود عليها. ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ كان ورودهم واجباً أوجبه الله على نفسه، وقضى به بأن وعد به وعداً لا يمكن خلفه. وقيل: أقسم عليه. ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ فيساقون إلى الجنة. وقرأ الكسائي ويعقوب: (نُنْجِي) بالتخفيف، وقرئ: (ثَمَّ) بفتح الثاء؛ أي: هناك. ﴿وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ منهاراً بهم كما كانوا. وهو

والصِّلى مصدر صلى يصلي صلياً إذا دخل النار وقاسى حرّها(١) [**وما منكم التفات إلى الإنسان**]؛ أي: فهو التفات من الغيبة إلى الخطاب [**وهي خامدة**] بخاء معجمة؛ أي: ساكنة وروي بالجيم؛ أي: باردة [**وعن جابر** رضي الله عنه «**أنه عليه الصلاة والسلام سئل عنه؟**»]؛ أي: عن قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] [**فقال**: «**إذا دخل أهل الجنَّةِ الجنَّةَ**»] رواه البيهقي وغيره(٢) [**وقيل: أقسم عليه**]؛ أي: على نفسه أن ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ يوردهم.

---

(١) انظر: تاج العروس، الزبيدي [٣٨/ ٤٣٤].

(٢) انظر: مصنف ابن أبي شيبة [٧/ ٢١٢/ برقم: ٣٥٤٢٩].

۞ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾.

دليل على أن المراد بالورود الجثو حواليها، وأن المؤمنين يفارقون الفَجَرة إلى الجنة بعد تجاثيهم، وتبقى الفَجَرة فيها منهاراً بهم على هيئاتهم.

﴿٧٣﴾ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ مرتلات الألفاظ مبينات المعاني بنفسها أو ببيان الرسول ﷺ أو واضحات الإعجاز. ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ لأجلهم أو معهم. ﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ المؤمنين والكافرين. ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ موضع قيام أو مكاناً. وقرأ ابن كثير بالضم؛ أي: موضع إقامة ومنزل. ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ مجلساً ومجتمعاً. والمعنى: أنهم لما سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها، أخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا والاستدلال بزيادة حظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم عند الله تعالى، لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحياة الدنيا فرد عليهم ذلك أيضاً مع التهديد نقضاً بقوله:

﴿٧٤﴾ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾ و(كَمْ) مفعول (أَهْلَكْنا) و(مِنْ قَرْنٍ) بيانه، وإنما سمي أهل كل عصر قرناً؛ أي: مقدماً من قرن الدابة. وهو مقدمها؛ لأنه يتقدم من بعده، و(هم) أحسن صفة لـ(كم) و(أَثاثاً) تمييز عن النسبة وهو متاع البيت. وقيل: هو ما جدَّ منه،

[موضع قيام أو مكاناً] فسَّر «مقاماً» بالفتح بأحد الأمرين وأنت خبير بأن المراد بهما واحد ولو عطف بالواو ليكون العطف للتفسير لكان أولى وأوفق بقول «الكشاف»؛ والمراد المكان والموضع **[لأنه]**؛ يعني: لأنهم ولو عبر به كان أولى وأوفق بقول «الكشاف»؛ لأنهم يتقدمونهم؛ أي: يتقدمون من بعدهم **[وهم أحسن صفة لكم]** تبع فيه الزمخشري وغيره، وردَّ بأنَّ «كم» الاستفهامية والخبرية لا توصف ولا يوصف بها، فـ«هم أحسن» في محل جر صفة لـ«قرن»، وجمع نظراً للمعنى؛ لأن القرن مشتمل على أفراد كثيرة.

﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾﴾.

والخرثي ما رثَّ، و(الرئي): المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والخبز، وقرأ نافع وابن عامر: (رِيّا) على قلب الهمزة وإدغامها، أو على أنه من: (الرَّي) الذي هو النعمة، وقرأ أبو بكر: رييا على القلب، وقرئ: (رِيًّا) بحذف الهمزة و(زِيّا) من: (الزِّيّ) وهو الجمع؛ فإنه محاسن مجموعة، ثم بيَّن أن تمتيعهم استدراج وليس بإكرام؛ وإنما العيار على الفضل والنقص ما يكون في الآخرة بقوله:

﴿٧٥﴾ ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّاۚ﴾ فيمده ويمهله بطول العمر والتمتع به، وإنما أخرجه على لفظ الأمر؛ إيذاناً بأن إمهاله مما ينبغي أن يفعله استدراجاً وقطعاً لمعاذيره كقوله تعالى: ﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ﴾ [آل عمران: ١٧٨] وكقوله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [فاطر: ٣٧] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ غاية المد. وقيل: غاية قول الذين كفروا للذين آمنوا؛ أي: قالوا: أيُّ الفريقين خير حتى إِذَا رَأَوْاْ مَا يوعدون. ﴿إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ تفصيل للموعود؛ فإنه إما العذاب في الدنيا؛ وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم إياهم قتلاً وأسراً، وإما يوم القيامة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال. ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ من الفريقين بأن عاينوا الأمر على عكس ما قدروه وعاد ما متعوا به خذلاناً ووبالاً عليهم، وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد (حَتَّى).

[**والخُرثي**] بضم الخاء [**ما رثَّ**]؛ أي: بلي من متاع البيت. وعبارة «الكشاف»[1] ما لُبس منها؛ أي: من الفرش [**بقوله**: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ﴾] متعلق ببين [**والجملة**]؛ أي: الشرطية [**محكية بعد «حتى»**]؛ أي: الجارة؛ أي: لا يبرحون

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٣٨].

۞ ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًىۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾.

﴿وَأَضْعَفُ جُندًا﴾؛ أي: فئة وأنصاراً؛ قابل به (أحسن ندياً) من حيث إن حسن النادي باجتماع وجوه القوم وأعيانهم، وظهور شوكتهم واستظهارهم.

﴿٧٦﴾ ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًىۗ﴾ عطف على الشرطية المحكية بعد القول؛ كأنه لما بيَّن أن إمهال الكافر وتمتيعه بالحياة الدنيا ليس لفضله، أراد أن يبين أن قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه؛ بل لأن الله ﷻ أراد به ما هو خير له وعوضه منه، وقيل: عطف على (فليمدد) لأنه في معنى الخبر كأنه قيل: من كان في الضلالة يزيد الله في ضلاله ويزيد المقابل له هداية. ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ الطاعات التي تبقى عائدتها أبد الآباد، ويدخل فيها ما قيل: من الصلوات الخمس، وقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إلٰه إلا الله، والله أكبر. ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ عائدة مما متع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها؛ سيما ومآلها النعيم المقيم، ومآل هذه؛ الحسرة والعذاب الدائم كما أشار إليه بقوله: ﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ والخير ها هنا؛ إما لمجرد الزيادة، أو على طريقة قولهم: الصيف أحرُّ من الشتاء؛ أي: أبلغ في حرّه منه في برده.

﴿٧٧﴾ - ﴿٧٨﴾ ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ نزلت في العاص بن وائل؛ كان لخباب عليه مالٌ فتقاضاه! فقال له: لا! حتى تكفر بمحمد، فقال: لا والله! لا أكفر بمحمد حياً ولا ميتاً ولا حين تبعث!

يقولون هذا القول إلى أن يشاهدوا الموعود إما العذاب في الدنيا أو يوم القيامة [عائدة] بيان للثواب وأنثه باعتبار الباقيات [**مما مُتع به الكفرة**] متعلق بخير [**المخدجة**]؛ أي: الناقصة.

۞ ﴿كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا ٧٩ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأۡتِينَا فَرۡدٗا ٨٠﴾.

قال: فإذا بعثت؛ جئتني فيكون لي ثَمَّ مالٌ وولد فأعطيك! ولما كانت الرؤية أقوى سند الإِخبار استعمل (أرأيت) بمعنى: الإِخبار، والفاء على أصلها في التعقيب، والمعنى: أخبر بقصة هذا الكافر عقب حديث أولئك. وقرأ حمزة والكسائي: (وُلْداً) وهو جمع: (وَلَد) كـ(أُسْد) في (أَسَد)، أو لغة فيه كـ(العُرْب والعَرَب). ﴿أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ﴾ أقد بلغ من عظمة شأنه إلى أن ارتقى إلى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار؛ حتى ادعى أن يؤتى في الآخرة مالاً وولداً وتألّى عليه. ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾ أو اتخذ من عالم الغيب عهداً بذلك؛ فإنه لا يتوصل إلى العلم به إلا بأحد هذين الطريقين. وقيل: (العهد) كلمة الشهادة والعمل الصالح؛ فإن وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه.

٧٩ ـ ٨٠ ﴿كَلَّاۚ﴾ ردعٌ، وتنبيه على أنه مخطئ فيما تصوره لنفسه. ﴿سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ﴾ سنظهر له أنا كتبنا قوله؛ على طريقة قوله: (إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة)؛ أي: تبين أني لم تلدني لئيمة، أو سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو وحفظها عليه فإن نفس الكتابة لا تتأخر عن القول لقوله تعالى: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق: ١٨]. ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا﴾ ونطول له من العذاب ما يستأهله، أو نزيد عذابه ونضاعفه له لكفره وافترائه واستهزائه على الله جلَّت عظمته؛ ولذلك أكده بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه. ﴿وَنَرِثُهُۥ﴾ بموته. ﴿مَا يَقُولُ﴾؛ يعني:

[وتألّى عليه]؛ أي: وحلف عليه بقوله: «لأوتينَّ»، إذا التقدير والله لأوتينّ [أو سننتقم منه] عطف على «سنظهر»؛ أي: وسأنتقم منه، ولو قال: «أو ننتقم»: كان أوفق بـ«نظهر» [أو يريد عذابه] عطف على «نطول له».

۞ ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾.

المال والولد. ﴿وَيَأۡتِينَا﴾ يوم القيامة. ﴿فَرۡدًا﴾ لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا؛ فضلاً أن يؤتى ثَمَّ زائداً، وقيل: (فَرْداً) رافضاً لهذا القول منفرداً عنه.

﴿٨١﴾ - ﴿٨٢﴾ ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا﴾ ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة إلى الله وشفعاء عنده. ﴿كَلَّاۚ﴾ ردع وإنكار لتعززهم بها. ﴿سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ﴾ ستجحد الآلهة عبادتهم ويقولون: ما عبدتمونا! لقوله تعالى: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ [البقرة: ١٦٦] أو سينكر الكفرة لسوء العاقبة أنهم عبدوها لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]. ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا﴾ يؤيد الأول إذا فسّر (الضدّ) بضد العزّ؛ أي: ويكونون عليهم ذلاً، أو بضدهم على معنى: أنها تكون معونة في عذابهم؛ بأن توقد بها نيرانهم، أو جعل الواو للكفرة؛ أي: يكونون كافرين بهم بعد أن كانوا يعبدونها وتوحيده لوحدة المعنى الذي به مضادتهم، فإنهم بذلك كالشيء الواحد ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام: «**وهم يدٌ على من سواهم**». وقرئ: (كَلّاً) بالتنوين على قلب الألف نوناً في الوقف، قلب ألف

[وجعل الواو للكفرة؛ أي: يكونون كافرين بهم بعد إذ كانوا يعبدونها] بيَّن به معنى عود الواو «للكفرة» على القول الثاني؛ أي: ومعنى جعل الواو للكفرة أن يكونوا كافرين بالآلهة بعد أن كانوا يعبدونها وكان الأنسب له أن يقول: «بها»، أو «يعبدونهم» ليتّفِق الضميران تأنيثاً أو تذكيراً **[وتوحيده]**؛ أي: توحيد ضدّاً **[«وهم يد على يد من سواهم»]** رواه أبو داود وغيره[1] والشاهد في «يد» حيث لم يقل: «أيدٍ»

---

(١) سنن أبي داود [٢/ ٨٩/ برقم: ٢٧٥١]، سنن النسائي [٨/ ١٩/ برقم: ٤٧٣٤].

۞ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾.

الإطلاق في قوله: (أَقِلي اللَّوْمَ عَاذِلُ وَالعِتَابَنْ) أو على معنى: كَلَّ هذا الرَّأي كَلاًّ، و(كَلَّا) على إضمار فعل يفسره ما بعده؛ أي: سيجحدون ﴿كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾.

﴿٨٣﴾ ـ ﴿٨٤﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ بأن سلطناهم عليهم أو قيضنا لهم قرناء. ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ تهزهم وتغريهم على المعاصي بالتسويلات وتحبيب الشهوات، والمراد: تعجيب رسول الله ﷺ من أقاويل الكفرة وتماديهم في الغي، وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على ما نطقت به الآيات المتقدمة. ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ﴾ بأن يهلكوا حتى تستريح أنت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الأرض من فسادهم. ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ﴾ أيام آجالهم. ﴿عَدًّا﴾ والمعنى: لا تعجل بهلاكهم فإنه لم يبق لهم إلا أيام محصورة وأنفاس معدودة.

﴿٨٥﴾ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ نجمعهم. ﴿إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ إلى ربهم الّذي غمرهم برحمته، ولاختيار هذا الاسم في هذه السورة شأن؛ ولعله لأن مساق هذا الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها ﴿وَفْدًا﴾ وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين لكرامتهم وإنعامهم.

﴿٨٦﴾ ـ ﴿٨٧﴾ ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ كما تساق البهائم. ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ عطاشاً؛ فإن من يرد الماء لا يرده إلا لعطش، أو كالدواب التي ترد الماء.

[أو على معنى كلّ هذا الرأي كلا]؛ أي: على قوله على قلب الألف نوناً في الوقف فهي في المعطوف مصدر بخلافها في المعطوف عليه [وكُلّاً]؛ أي: وقرئ كُلّاً بضم

۞ ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾.

﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ﴾ الضمير فيها للعباد المدلول عليها بذكر القسمين وهو الناصب لليوم. ﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ إلا من تحلى بما يستعد به ويستأهل أن يشفع للعصاة من الإيمان والعمل الصالح على ما وعد الله تعالى، أو إلا من اتخذ من الله إذناً فيها كقوله تعالى: ﴿لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾ [طه: ١٠٩] من قولهم: عهد الأمير إلى فلان بكذا إذا أمره به، ومحله الرفع على البدل من الضمير، أو النصب على تقدير مضاف؛ أي: إلا شفاعة من اتخذ، أو على الاستثناء. وقيل: الضمير للـ(مجرمين) والمعنى: لا يملكون الشفاعة فيهم إلا من اتخذ عند الرحمٰن عهداً يستعد به أن يشفع له بالإسلام.

﴿٨٨﴾ - ﴿٩٠﴾ ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ الضمير يحتمل الوجهين؛ لأن هذا لما كان مقولاً فيما بين الناس جاز أن ينسب إليهم. ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا

الكاف[1] [الضمير فيه للعباد] وقيل للمتقين [المدلول عليه] الأولى عليهم [بذكر القسمين]؛ أي: المتقين والمجرمين [وهو]؛ أي: «يملكون» [أو على الاستثناء] زائد على «الكشاف» وهو عطف على قوله: «على تقدير مضاف» [وقيل الضمير]؛ أي: في «يملكون».

[للمجرمين] مقابل للقول بأنه للعباد وللمتقين، وعليه فالاستثناء منقطع، وعلى القول بأنه «للعباد أو للمتقين» فالاستثناء متصل [والمعنى لا يملكون الشفاعة فيهم]؛ أي: لا يملكون أن يشفع غيرهم فيهم [الضمير يحتمل الوجهين] هما عوده إلى «العباد» أو إلى «المجرمين» [لأن هذا لما كان مقولاً بين الناس جاز أن ينسب إليهم]

---

(١) أي: «كُلًّا» قرأ بها أبو نهيك الأزدي وروي عنه ضم الكاف وفتحها. انظر: جامع البيان، الطبري [١٨/٢٥١]، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [١١/١٤٩].

﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝٩١ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢﴾.

إِدًّا﴾ على الالتفات للمبالغة في الذم والتسجيل عليهم بالجراءة على الله تعالى، و(الأد) بالفتح والكسر العظيم المنكر. و(الإدّة): الشدة وأدنى الأمر. وآدني أثقلني وعظم عليَّ. ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ وقرأ نافع والكسائي بالياء. ﴿يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ يتشققن مرة بعد أُخرَى، وقرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة وأبو بكر ويعقوب: (ينفطرن)، والأول أبلغ لأن التفعل مطاوع فعل والانفعال مطاوع فعل ولأن أصل التفعل التكلف. ﴿وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾ تُهَدّ هداً أو مهدودة، أو لأنها تهد؛ أي: تكسر، وهو تقرير لكونه أدّاً، والمعنى: أن هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصورت بصورة محسوسة لم تتحملها هذه الأجرام العظام وتفتت من شدتها، أو أن فظاعتها مجلبة لغضب الله بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبدد قوائمه غضباً على من تفوه بها.

۝٩١ - ۝٩٢ ﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ يحتمل النصب على العلة لـ(تكادُ) أو لـ(هَدّاً) على حذف اللام وإفضاء الفعل إليه، والجر بإضمار اللام، أو بالإبدال من الهاء في (منه)، والرفع على أنه خبر محذوف تقديره الموجب

توجيه لعود الضمير إلى «العباد» مع أن المقول إنما هو لبعضهم [على الالتفات]؛ أي: من الغيبة إلى الخطاب [و«الأدُّ»: بالفتح والكسر «العظيم المنكر»] اختيار لأحد قولين في «الكشاف»: وعبارته «الأدُّ»: العَجَب، وقيل: العظيم المنكر[1] [وأدّني الأمر] بتشديد الدال [وآدني] بالمد وتخفيف النون [ومهدودة] الأَوْلَى «أو مهدودة» كما في نسخة، وبها عبّر «الكشاف» [أو لأنها تهد]؛ أي: على أن «هدّاً» مفعول له.

[أو أن مضاعتها] كذا في نسخة: «بالضاد» وصوابه: «فظاعتها» بالظاء كما في «الكشاف»[2] [على حذف اللام وإفضاء الفعل إليه] راجع إلى القولين قبله

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٤٦].

(٢) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٤٦].

﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ۝٩٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ۝٩٦ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ۝٩٧﴾.

لذلك (أَنْ دَعَوْا)، أو فاعل (هَدّاً)؛ أي: هَدَّهَا دُعاءُ الولدِ للرحمٰن، وهو من دعا بمعنى سمي المتعدي إلى مفعولين، وإنما اقتصر على المفعول الثاني ليحيط بكل ما دعي له ولداً، أو من: (دعا) بمعنى: نسب الذي مطاوعه ادعى إلى فلان إذا انتسب إليه. ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ ولا يليق به اتخاذ الولد، ولا ينطلب له لو طلب مثلاً له لأنه مستحيل، ولعل ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للإشعار بأن كل ما عداه نعمة ومنعم عليه، فلا يجانس من هو مبدأ النعم كلها، ومولي أصولها وفروعها! فكيف يمكن أن يتخذه ولداً؟! ثم صرّح به في قوله:

(٩٣) ـ (٩٥) ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: ما منهم. ﴿إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ إلا وهو مملوك له يأوي إليه بالعبودية والانقياد، وقرئ: (آتِ الرحمٰن) على الأصل ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ﴾ حصرهم وأحاط بهم؛ بحيث لا يخرجون عن حوز علمه وقبضة قدرته. ﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ عد أشخاصهم وأنفاسهم وأفعالهم فإن كل شيء عنده بمقدار. ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ منفرداً عن الاتباع والأنصار فلا يجانسه شيء من ذلك ليتخذه ولداً ولا يناسبه ليشرك به.

(٩٦) ـ (٩٧) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾

[ليحيط]؛ أي: حذف المفعول الأول المفهوم من الكلام [بكل ما دعي له] بالبناء للمفعول؛ أي: نُسِبَ والمعنى: «أَنْ سَمَّوا للرحمٰن كل ما نُسِبَ إليه ولداً»، أو مَنْ دُعِيَ بمعنى «نُسِبَ» عطف على «مَنْ دُعِيَ» بمعنى سُمِّيَ [وقرئ: «آتِ الرحمٰنَ»] بتنوين «آتٍ» ونصب «الرحمٰن» [منفرداً عن الأتباع والأنصار]؛ أي: ليس معه من الشركاء ولا غيرهم أحد [فلا يجانسه] أي الله تعالى.

۞ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾.

سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لأسبابها، وعن النبي ﷺ: «**إذا أحب الله عبداً يقول لجبريل: أحببت فلاناً فأحبه فيحبه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله قد أحبَّ فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء، ثم توضع له المحبة في الأرض**». و(السين) إما لأن السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعدهم ذلك إذا دجا الإسلام، أو لأن الموعود في القيامة حين تعرض حسناتهم على رؤوس الأشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل. ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ بأن أنزلناه بلغتك، و(الباء) بمعنى: (على) أو على أصله لتضمن (يَسَّرْناهُ) معنى: أنزلناه؛ أي: أنزلناه بلغتك. ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ الصائرين إلى التقوى. ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ أشداء الخصومة آخذين في كل لديد؛ أي: شق من المراء لفرط لجاجهم، فبشر به وأنذر.

﴿٩٨﴾ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ تخويف للكفرة، وتجسير للرسول ﷺ على إنذارهم. ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ هل تشعر بأحد منهم وتراه. ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ وقرئ: (تُسْمِعُ) من أسمعت و(الركز): الصوت الخفي،

[«**إذا أحبَّ الله عبداً..**»] إلى آخره. رواه الشيخان(١).

[**فوعده**] الأَوْلَى «فوعدهم» كما في «الكشاف»(٢) [**إذا دجا الإسلام**] بدال مهملة وجيم؛ أي: قوى إسلامهم لأن الغرض أنهم أسلموا، وقوته كانت بالمدينة بعد ضعفه بمكة، ومن ثَمَّ عبر بعضهم بقوله إذا أظهر الله الإسلام [**الصائرين إلى التقوى**] لا يتقيد ذلك بالصائرين إليها بل المتصفون بها كذلك [**وقُرئ تُسْمِعُ**] بالبناء للمفعول(٣) [**من أسمعت**] بالبناء للمفعول أيضاً قال في «الكشاف»(٤) وقرئ: «تَحِسُّ»

---

(١) صحيح البخاري [٥/٢٢٤٦/برقم: ٥٦٩٣]، صحيح مسلم [٤/٢٠٣٠/برقم: ٢٦٣٧].

(٢) الكشاف، الزمخشري [٣/٤٩].

(٣) إتحاف فضلاء البشر، الدمياطي [ص٥٥٤].

(٤) الكشاف، الزمخشري [٣/٤٩].

وأصل التركيب هو الخفاء؛ ومنه: (ركز الرمح) إذا غيب طرفه في الأرض، و(الركاز): المال المدفون.

عن رسول الله ﷺ: «**من قرأ سورة (مريم) أعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام المذكورين فيها، وبعدد من دعا الله في الدنيا، ومن لم يدع الله**».

من حسه إذا شعر به[1] [**عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة مريم..»**] إلى آخره. موضوع[2].



(١) وقرأ أبو حيوة وأبو جعفر وابن أبي عبلة: «تَحُسُّ». انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١٢/ ١١٠].

(٢) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٢/ ٣٤٢/ برقم: ٧٨١].

الفهرس الموضوعات